ديوان الوقف الشيعي

العتبة العسكرية المقدسة

مركز تراث سامراء

الإمام الحسن العسكري عليه السلام آية النبوة والإمامة

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الجزء العاشر

إشراف ومراجعة

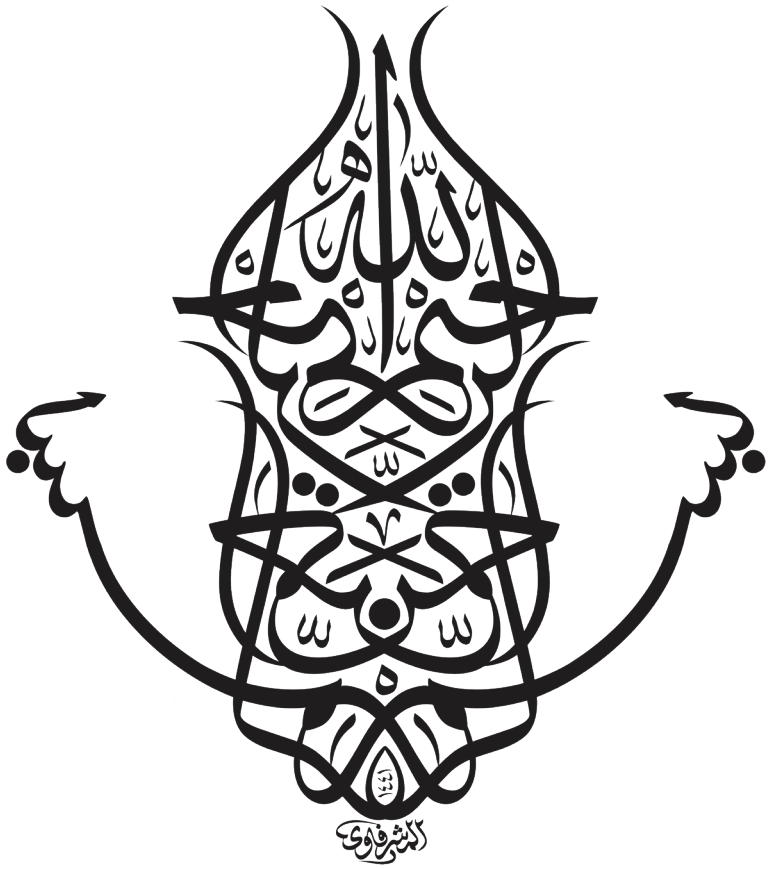
مركز تراث سامراء

الكتاب: الإمام الحسن العسكري عليه السلام إرث النبوة والإمامة (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني)/ ج١٠.
المؤلف: مجموعة باحثين.
الناشر: مركز تراث سامراء.
المطبعة:
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: نسخة.
سنة الطباعة: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.
رقم الإصدار: ٦٢.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٦٥٢) لسنة ٢٠٢٢م.
ISBN: 978-9922-21-401-6

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامرّاء.

البحوث المنشورة في وقائع المؤتمر تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي مركز تراث سامراء.

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني الذي أقامه مركز تراث سامراء برعاية العتبة العسكرية المقدسة وبالتعاون مع جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية و(٢٤) جامعة عراقية.


بسم الله الرحمن الرحيم
الشرفاوي

القانون والسياسة والتربية وعلم النفس

البحث الأول

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

والتراكم التأريخي في الفكر الإسلامي

ـ دراسة تأصيلية ـ

أ.د. حسن كريم ماجد الربيعي

جامعة الكوفة

كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا بحث بعنوان: (**الإمام الحسن العسكري عليه السلام والتراكم التأريخي في الفكر الإسلامي ـ دراسة تأصيلية**)، إن اختياري لهذا الموضوع على وفق ما أراه اليوم من نقاشات وجدال محتدم في شتى أنماط الفكر الإسلامي بين المسلمين ينم عن مفاهيم متعددة غير منضبطة في تحديد المصطلحات ليتم النقاش في تعريفها، والاتفاق عليها، مما أدى إلى حرب المصطلحات، ومحاولة التجنيد للانتصار المدوي لطرف دون آخر، وكل هذا لا ينفع الإسلام والمسلمين إن لم يحددوا المفاهيم والمصطلحات بلا توتر بينهم، والرضوخ إلى الفكرة النافعة الجامعة التي تطورهم إلى الرقي، والازدهار، والحضارة، ومواكبة العالم.

تقاس الإنجازات بالعلم والتقدم لا بالسياسة والغلبة على الحكم، ولا تستثنى القيادة السياسية؛ لأنها ضرورة قائمة، فالسيطرة السياسية هي التي تدعم العلم والحضارة، أو تخرب العلم والحضارة، فسيطرة غير المؤهل والعادل خراب العباد والبلاد، ومنه انقسم الفكر الإسلامي إلى أصيل ودخيل، ومنه بدأ الصراع بين الإمامة والخلافة، أدى إلى انقسام حاد في المجتمع الإسلامي استثمر من قبل كثير من أعداء الدين الإسلامي لتمزيق المجتمع الإسلامي من داخله، وهنا برزت مدرسة الإمامة بوصفها مظهراً من مظاهر النبوة للحفاظ على الأصالة، وممكن أن يجيب البحث عن سؤال مفترض: ما الذي أنجزه الأئمة عليهم السلام للإسلام بشكل عام، والإمام الحسن العسكري بشكل خاص؟

كان خط الإمامة قد تحمّله الأئمة عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فعلى مدى التأريخ وصولاً إلى زمان الإمام العسكري عليه السلام، كان الأئمة عليهم السلام تحت نظر السياسي خوفاً على كرسيه من أن يزول، وذلك ما يثبته التأريخ في ورود النصوص، واحترام المجتمع الإسلامي لشخوصهم، ومكانتهم في القرآن والسنة، إذ لا يمكن نفي هذه النصوص الصحيحة في الفكر الإسلامي إلّا بالوضع، وعلى الرغم من الوضع لم تزل مكانتهم إلى اليوم.

وممّا يلفت النظر أني عانيتُ في هذا البحث من قلّة المصادر عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وذلك لسببين:

الأول: حياته القصيرة.

الثاني: إقامته في سامراء تحت الرقابة السياسية الشديدة.

ومع هذا وصل إلينا بعض ما يؤيد فكرة الأصالة، ومقاومة الإضافات التراكمية على بعض الأفكار الإسلامية في العقيدة، والشريعة، والتفسير والفرق.

تم تقسيم هذا البحث على: تمهيد ومبحثين، تمهيد في المفاهيم والمصطلحات (الكلمات المفتاحية للبحث)، ومبحث أول بعنوان: الأطر النظرية للإسلام في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وآخر: التراكم التأريخي والإمام الحسن العسكري عليه السلام.

إن دراسة التراكمات التأريخية يكشف عن مشروع النبوات، ومسيرته بفكرة الإمامة، وبهذا ربما أوصلت فكرة الاقتداء بالخط النبوي من خلال فهم الإمامة وأهميتها في الوجود الاجتماعي الإيماني نحو الحياة الأخرى المرجوة.

والله من وراء القصد.

أ. د حسن كريم ماجد الربيعي

التمهيد

المفاهيم والمصطلحات - الكلمات المفتاحية للبحث

قبل البدء بأي موضوع، أو فكرة، أو نقاش، أو مناظرة لابد من تحديد المفاهيم الإشكالية مع المصطلحات للولوج في ما ذكرنا، فأما مفاهيم هذا البحث ومصطلحاته فهي:

١ - الإمامة.

٢ - التراكم.

٣- التراكم التأريخي.

٤ - التأصيل.

٥ - الإضافة.

٦ - الفكر الإسلامي.

٧- النفعية.

٨- الفهم وفهم الفهم.

٩ - المبكر من الإسلام.

١٠ - الأُطر.

١ - الإمامة:

هي فكرة واقعية لمسار الهداية التي تكفل بها الله عزَّ وجلَّ لحياة البشر، ووجودهم وانتقالاتهم في عوالم متعددة، وهي الحجة على المخلوقات جميعاً بِعَدّها صادرة منه، فهي أرقى الموجودات في التاريخ.

النبوة والإمامة ليست فكرة انتخابية قد يرى بعضهم أن النبوة كافية غير محتاجة لها، وهذا يبدو للمتأمل غير صحيح؛ لأن الفكرة تتقاذفها الأمواج للانتفاع بها دنيوياً ممن لاحظ لهم منها، وهو ما حصل فعلاً بعد تأريخ النبوة، فلفظة: (انقلبتم) هي حقيقة واقعية في كل المسارات التأريخية، وليست فقط في الإسلام، الارتداد وقع فعلاً عند المسلمين، وذكر ذلك في صحاحهم وكتبهم الحديثية.

الإمامة لغة:

الإمام: كل من اقتدي به وقُدِّم في الأمور، وجمعه أئمة، والإمامة: الطريق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾[١]، والإمام من ائتم به، وفلان أحقُّ بإمّة هذا المسجد[٢].

هذا هو المعنى اللغوي للمفهوم، وله حقيقة في الاستعمال في الإمام الوصي حسب الشريعة، وهو في أغلب الشرائع هكذا.

والاقتداء نحو تربية أخلاقية لمواصفات خاصة موجودة في الإمام وغير موجودة في غيره، وإلّا لم يكن إماماً، وأعلى مرتبة منه النبي لاتصاله بالوحي وحمله الكتاب السماوي ليبلغه للناس، والإمام هو الذي يبلغ عنه.

---

(١) سورة الحجر، الآية ٧٩.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، كتاب العين، ص٣٩؛ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ص٢٦.

الإمامة اصطلاحاً:

هي مرتبة منصوص عليها لا تصلح إلّا بالنص الجلي الواضح، فالإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده هم المقتدى بهم عند المسلمين بلا منازع، وسواء ورد النص في القرآن أو في السنة النبوية، فإن القرآن هو المتن الدستوري للمسلمين والسنة هي الشارحة له، فالنص النازل له نص شارح ولا يمكن الانفراد بنص واحد، وقد تعيّن الأئمة عليهم بنصوص عديدة متواترة عند المسلمين عامة، وعند الشيعة خاصة؛ ولذلك اتبعوهم.

ومن أهم خصائص الإمامة العصمة، وهي ترك كل عمل قبيح بإرادة ذاتية من نفس المعصوم غير مكره عليها، أو إرادة خارجية تسير العصمة، وخطأ كبير أن يكون مزوداً بإرادة خارجية تحكمه، وهذا الفكر لا يشكل أي فضل له، وكما هي النبوة تعطى لمؤهلات خاصة في ذات النبي، فهو الأكثر رقيّاً وكمالاً، وهو المعصوم، فإن النفوس تميل لمن يملك هكذا مواصفات عالية.

والنبوة والإمامة نوع اختبار في الاقتداء والسلوك والهداية لمن يريد ذلك بلا إكراه فالإنسان في أصله مختار غير مجبر أبداً، والاختيار يلام عليه، والإكراه لا يلام عليه أبداً.

وفي النص القرآني أوجب طاعته جلّ وعلا مع طاعة رسوله وأولو الأمر من بعده، وهي آية عظيمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[1] و(أولي الأمر منكم) المقرون بطاعة الرسول بعد طاعة الله عزَّ وجلَّ لهو الأمر الجليل الدال على الوجوب ولا يمكن تصوّر هذا الأمر في عاص أو فاسق أو غير عادل أبداً.

وعندما نقلب التراث نجد رقماً معيناً لأولي الأمر على الحقيقة هو (اثنا عشر

(١) سورة النساء، الآية٥٩.

إماماً) يستقيم بهم أمر الدين ولا يختفي، وهذا الرقم له أثره في الفكر الديني العام فلا ينحصر في الإسلام وحده.

والإخبار بهذا الرقم قد بلغ حد التواتر عند المسلمين مع اختلاف تفسيراتهم له، والمصداق الحقيقي له ينطبق على الشيعة الإمامية فقط؛ لأن غيرهم قد فسروه بما لا يتفق مع الآية والرواية، أما فرق الشيعة فقد كانوا على اختلاف في هذا العدد: فالإسماعيلية، منهم من تزيد أئمتهم على الاثني عشر، ومنهم تنقص عن الاثني عشر، والواقفية إنما يقولون بإمامة سبعة، والكيسانية إنما يقولون بإمامة ثلاثة، ومنهم من زاد واحداً أو اثنين، والناووسية إنما يقولون بأئمة ستة، والفطحية يقولون بإمامة ثلاثة عشر بإضافة عبد الله إلى الأئمة الباقين[1].

هذا ما يثبته البحث العلمي الموضوعي بعيداً عن الأيديولوجيا المزيفة لفئة دون أخرى، فالبحث العلمي الموضوعي يقتضي في عصرنا هذه الصفات للوصول للحقيقة، ولا ندعي الكمال مع جل احترامنا للمسلمين قاطبة في اختياراتهم، ولكن لابد لنا من الإنصاف والتعايش بعيداً عن التحريض والقتل والاضطهاد والتسليم بالواقع المعاش، أو التعرض بلا علم للطوائف والمذاهب الإسلامية.

والإمام الحسن العسكري عليه السلام هو عنوان بارز من عنوانات الأئمة عليهم السلام بوصفه الحادي عشر، وأباً للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ويتضح بقراءة سيرته النموذجية واهتمام المسلمين به على شتى مراتبهم وصنوفهم.

يذكر شيخ الأزهر عبد الحليم محمود في كتابه (سيدنا زين العابدين): أن الخلافة لا تنظر في أمر إلّا على سُنن الشرع الإسلامي، وأن القرآن أساس تصرفاتها، وهذا ما

(١) للمزيد ينظر: القطيفي، عبد الله بن فرج بن عبد الله بن عمران، الهداية في إثبات الإمامة والولاية، ص١٧٦ - ١٨٤.

أراده الإمام علي عليه السلام[١] في بناء دولة الإسلام، وفي موضع آخر قال: (ورأي آل البيت أن الحكم خلافة يتقيد الحاكم فيه تقيداً مطلقاً بالطابع الديني، يلتزمه ويعمل على قيامه في الأمة، وينفذه أحكاماً وحدوداً)[٢].

هذا هو الحكم الإسلامي، وما عداه لا يعبر إلّا عن رؤية مسلمين لا إسلام، ومنهج الأئمة عليهم السلام هو الإسلام بأصالته، وهو أكبر إنجاز لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٢- التراكم:

لغة:

الركم: جَمعُكَ شيئاً فوقَ شيءٍ، حتى تجعلهُ ركاماً مركوماً، قال تعالى: ﴿**فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً**﴾[٣]، و﴿**ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً**﴾[٤]، كركام الرمل، والسحاب ونحوه[٥].

وفي المنجد: (تراكم الشيء: اجتمع بكثرة وازدحام)[٦].

إن تجمع الأحداث التأريخية وتراكمها عبر العصور، هو تجذرها وتحولها إلى ما يوحي بحقيقتها واستقرارها، أو محو الصور باتجاه واقع آخر.

اصطلاحاً:

هو نوع من اجتماع المال والثروة والمعرفة، وتراكمها عند جهة دون أخرى،

---

(١) محمود، عبد الحليم، سيدنا زين العابدين، ص٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية٣٧.

(٤) سورة النور، الآية٤٣.

(٥) الفراهيدي، العين، ص٣٦٧.

(٦) لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ص٢٧٧.

والتراكم من أسباب الغنى في المال أو الغنى في التجارب، أو الغنى في المعرفة وهكذا، والتأريخ كذلك تراكمي الإضافة والحذف نتيجة إيديولوجيا معينة تصرف الحقائق إلى غيرها على نحو الفائدة والاستمرار.

٣- التراكم التأريخي:

كل فكرة لها أصل في جذورها المبكرة، والإسلام كذلك في عصره المكي، والمدني، وله حملة يحملون أسسه وقواعده، وبعدما افترق إلى فرقتين: فرقة السياسة، وفرقة الإمامة والنزاع الحاصل بينهما كجهتين تحاول الأولى إثبات شرعيتها أمام الأخرى، ونتيجة لاختلاف التحولات السياسية أُضيفت تراكمات في شتى مجالات النظم الإسلامية، بينما حافظ خط الإمامة على الصورة الأولى، على الرغم من الانقسامات والانشطارات في خط الإمامة أيضاً، لكن يبقى خط الإمامة وتاريخها محفوظاً بشخوصها الممتدة من سلالة النبوة قائمة وقادرة إلى إيصال الإسلام إلى من يريده، صفحة ناصعة متميزة، لكن ليس لها إعلام حقيقي، بل على العكس هناك تضييق شديد على شخوصها بعيون مفتوحة من قبل كل الخط السياسي على مراحله وحقبه ولاسيما ونحن نبحث هنا عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأسباب وجوده في سامراء وشهادته فيها، لماذا؟ كل هذا التشديد عليه ومراقبته في الليل والنهار ولمن يسأل: أين إنجازه للأمة؟ إنجازه هو الخط الآخر الصحيح مقابل الخط السياسي المراكم لعملية التحريف، والوضع في الفكر الإسلامي ولغرض الحكم وتوظيف الدين له.

إن نظر الباحث للخطين يتضح وجودهما فعلاً، ولكنه عليه أن يزيل التراكم التأريخي وأن يرجع إلى أسس الإسلام وخصائصه ليجده من بين استعراض الخطين.

لابد من تحليل اللحظة المكونة، أو تأريخ التكوين للإسلام في مكة وخصائص هذا الدين، أو السمات الثابتة له، وعند دراسة تأريخ التراكم بعد استقراره من القرآن

الكريم وشرح النبي والإمام لنصوصه، نستكشف مدى الإضافات عليه من عوامل السياسة ورؤية الحاكم وعقليته، وحاول أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حكم سنة ٣٥هـ التغيير غير أنّه لم يتمكّن من بعض ما أراد؛ لأن الحكام قبله قد اتفقوا على ثقافة مغايرة في بعضها لأسس الإسلام الحقة نشأت عليها أجيال.

إن تأريخ الإمامة كتأريخ النبوة في معرفة الأسس الأصيلة التي يرسخها النبي ويحافظ عليها الإمام؛ ولذلك نقل عن الإمام العسكري عليه السلام قوله في بيان الحق وأهله: (وطبقة لم تأخذ الحق من أهله...)[١]، وهذه الإشارة منه عليه السلام في بيان الإيمان والشريعة تؤخذ من أهلها، وعلى الناس معرفة ذلك بالبحث والمعرفة، لا الظاهر السياسي في واقع الأمر، وهذا يخلقه الوعي والتأمل.

٤- التأصيل:

لغة:

أصل: واستَأصَلَت هذه الشجرةُ أي ثبت أصلها، ويقال: إن النخلَ بأرضنا أصيلٌ أي هو بها لا يفنى ولا يزول، وفلانٌ أصيلُ الرأي، وقد أصُلَ رأيه أصالة، وإنه لأصيلُ الرأي والعقل[٢].

ومن هذا التعريف يمكن إزالة التراكم المضاف، والرجوع إلى أصل الفكرة المبكرة، من دون إضافة، وتأصيل الفكر عملية تحتاج إلى بحث في الأصول المبكرة، أو البحث في الأسس والخصائص المبكرة في الفكر الإسلامي كميزة مميزة له.

التأصيل اصطلاحاً:

هو البحث في أصول وأسس وقواعد من الفكر المعروض، والفكر الإسلامي

---

(١) عزيز الله العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص١٢٧.

(٢) الفراهيدي، العين، ص٢٩؛ معلوف، المنجد، ص١٢.

تراكمت عليه إضافات كثيرة نتيجة التحولات السياسية والتطورات الاجتماعية فتغيرت الأصول وكأنها أصبحت غريبة، فتأصيل الفكرة هي إيجادها في الأسس والأصول، يسمى ذلك تأصيلاً، وذلك أن الإمامة متأصلة في التفكير الديني، ومرتبطة بفكرة النبوة، وبعد قرون وصلت الفكرة إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي هو محط أنظار ديمومة الإمامة، وانتقالها إلى فكرة الارتباط الغيبي الإلهي (فكرة الغيبة الصغرى) وهي الوجود والحضور، ولو لم يكن لولده هذه لا يحكم بوجوده أو ظهوره في آخر من غير هذا الارتباط.

٥- الإضافة:

أضاف فلان: أي ألجأه، وأضفتُه: أنزلته[١] والإضافة ربما الزيادة على الشيء في الفكر، أو الزيادة على الأصل.

ولذلك يمكن فهم ذلك مصطلحياً في تناول التأويل، أو التعليل غير المنطقي على الأسس التي تميّز الأفكار القارة في الفكر الإسلامي عن طرق متعددة في حذف بعض الألفاظ، أو تأويلها لغرض معروف كما حدث في حديث الغدير وتفسير المولى بعيداً عن القرينة المحفوظة في النطق به في زمانه ومكانه، أو إضافة كلمة، أو حذف غيرها، وحدث ذلك بين المذاهب الإسلامية لغرض الانسجام مع الأسس الداعمة للأصول التي عليها المذهب بعدما حدث الانشطار والانقسام والبحث عمن يدعم المذهب في الآية والرواية والتأريخ.

فالإضافة مشكلة في تشتيت الحقيقة وبعثرتها؛ ليتم الإيهام والتضليل العلمي عن المجموع، وهي ممارسة حدثت في الفكر الإسلامي، فضاع الكثير من المسلمات وغطت الحقيقة بدواعي كثيرة في عالمنا الإسلامي، وعالم أهل البيت أكثر تغطية من غيره، وقدم الأضعف والمتأخر على أنه المقدم والأقوى.

---

(١) الفراهيدي، العين، ص٥٥٧.

٦- الفكر الإسلامي:

هو مجموع الفعاليات العقلية والنقلية والحضارية من العمران وتأسيس العلوم الإنسانية والعلمية التطبيقية في تأريخ الإسلام، أو بعبارة أخرى: هو نتاج الحضارة الإسلامية.

وإن هذا النتاج ولاسيما الديني قد طرأت عليه تراكمات تأريخية نتيجة لاختلافات ونزاعات الجدلية الدينية والسياسية على مرّ العصور، وقد تعرض النتاج إلى تشويهات واضحة، وحصل تغافل مقصود عن التراث الشيعي، ومحاولة إبعاده عن الساحة العامة بداعي غنوصيته عند محمد عابد الجابري، وفارسيته عند السلفية، أو بخروجه عن ملة الإسلام عند المحدثين كابن تيمية، وقبله البربهاري (ت٣٢٩هـ) الحنبلي الذي عاصر الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ) له كتاب (شرح السنة)، يومها كان الحنابلة قد دعمت من قبل العباسيين كعقيدة للدولة، فاضطهدوا الشيعة وغيرهم.

إن تتبع التراكمات التأريخية أدى بالحال إلى ضياع الحقيقة عن الناس، وطغيان أحاديث لا وجود لها، أو هي ضعيفة على أحاديث صحيحة كالذي جرى في حديث عترتي وسنتي.

ولم يكن التراكم بين المسلمين وحدهم، بل تراكم عند الشيعة ثقافة الانقسام والتفرقة والدعوات المغالية؛ لذلك قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «فمن اتبع علياً عليه السلام على ذلك ـ حديث طويل ـ فهو الشيعي حقاً»[1]؛ ولذلك نجد لفظة الشيعي في تأريخ الأئمة عليهم السلام لفظة محترمة جداً، فقد قبلوا من قبلوه ورفضوا من رفضوه، نقل الإمام الحسن العسكري عليه السلام رواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تتحدث عن رجل يدعي أنه شيعة له: «لا تقل من شيعتنا، فإنه كذب، إن شيعتنا من شيعنا وتبعنا في

(١) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٤١.

أعمالنا، وليس هذا الذي ذكرته في هذا الرجل ـ كان ينظر إلى جار له ـ من أعمالنا»[١].

ومثل هذا كثير في تأريخ الأئمة عليهم السلام، فإن بعض الروايات وضعت أوصافاً خاصة تميزهم عن غيرهم، وهذا التأريخ التراكمي يحتاج إلى بحث طويل أكثر عمقاً مما نحن فيه.

ولمعرفة الفكر الإسلامي حقيقة عليه إزاحة هذه التراكمات المصنوعة بفعل البحث المعرفي وحده، وطلباً للحقيقة وحدها يصل فعلاً، وكذلك عليه إزاحة الإضافات الأيديولوجية سواء من السياسة الموظفة للدين، أو العقيدة الموظفة للسياسة في خدمتها.

٧- النفعية:

إذا كانت النفعية (البراجماتية) قد ظهرت في عصر متأخر، فإن جذورها موجودة منذ القدم.

والبراجماتية فلسفة تشجع الناس على أن يبحثوا عن الطرق وأن يفعلوا الأشياء التي تحقق أهدافهم بشكل أفضل، وتعود امتداداتها إلى تشارلز بيرس الذي صاغ كلمة البراجماتية في عام ١٨٧٠م، وقال: (إن الحقيقة والمعرفة هي نتاج أفعالنا). ثم طورت هذه الفكرة عند وليام جيمس من أن الحقيقة تقوم على التجربة والخبرة[٢]، وقد تطورت أفكار البراجماتية إلى ما بعد الحداثة التي سميت البراجماتية اللغوية، والبحث في الحقيقة، والواقعية، والتجربة، والكلام يطول في هذا وليس له محل في بحثنا[٣].

---

(١) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٩٠.

(٢) laxemtefham.com مدونة عربية مصرية.

(٣) للمزيد ينظر: البراجماتية المحدثة.ar.wikipedia.org

إن الإسلام يؤكد على البحث عن الحقيقة بما هي حقيقة في الوجود، أو في الفكر الأصيل المتفق عليه عند العقلاء بلا تأثيرات اجتماعية، أو دينية.

وليست النفعية أو البراجماتية على الدوام سلبية، بل فيها من الإيجابية إذا تحررت من الذرائعية والتبريرية، فإن فكر الإنسان في حياته ودينه ومستقبله، فقد يؤثر غيره على نفسه بدلاً من فكرة النفعية الأنانية المقصودة لجلب نفع؛ ولذلك نقل عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله في حديث طويل: «وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا... ومنهم نصاب لا يقدرون على القدح فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبّله المستسلمون من شيعتنا، على إنه من علومنا، فضلوا وأضلّوا، وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال...»[1].

وهؤلاء هم النفعيون لغرض دنيوي واضح؛ ولذلك بيّن الإمام عليه السلام مخططاتهم لتحقيق أهدافهم، وهو تعلم بعض علومهم لغرض وهدف هو الإضلال لغيرهم حتى يمكن الهيمنة على هؤلاء الضعفاء في الفكر، ويتم توجيههم إلى ما يريدون.

ثم وصفهم الإمام في موضع آخر من الرواية بأنهم علماء السوء؛ لأنهم يهدفون إدخال الشك والشبهة، ثم نقل الإمام عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله بأن هؤلاء أشرار العلماء في الأمة[2].

---

(١) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٣٦ وما بعدها.

(٢) للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣٦ - ٢٣٧.

٨- الفهم و(فهم الفهم):

الفهم لغة: فهمتُ الشيء: عرفته وعقلته، وفهّمتُ فلاناً وأفهمتُه: عرّفته، وقرأ ابن مسعود: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**﴾[١]، ورجل فهم: سريع الفهم[٢].

ركز المفهوم اللغوي على معرفة الأشياء وعقلنتها وأن الإنسان يحتاج إلى المعرفة والعقلنة في الأفكار، والآية دلت على شرح النص ومعرفته؛ لأن الفهوم مختلفة لأسباب أيضاً مختلفة ومتغايرة، وهو ما أصاب تراثنا العملاق في المعرفة سواء في النص القرآني أو تفسيره، والحديث ورواياته المتعددة التي خضعت نتيجة التراكمات إلى فهم إيديولوجي مباين لإيديولوجيا أخرى بفهم آخر للفهم المغاير.

إن الفهم المعرفي للمنظومة هو المطلوب ولا سيما في فهم الإمامة كفكرة مستدامة للنبوة، بخلاف الخلافة السياسية وأفكارها المتناقضة في لقب أمير المؤمنين الذي لا يتطابق مع فكرة الإسلام ونظمه.

أورد الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في كتابه (الغيبة) جملة من الأخبار على وجود الإمام في الزمان بالعقل فضلاً عن الشرع[٣].

٩- المبكر من الإسلام:

أقصد الظهور الأولي للإسلام قبل ظهور التراكمات والتصورات التأريخية الماحية لصورته الأصل، فالإسلام في مكة وفي المدينة وما بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، حدثت انتقالة مهمة نحو التصور القبلي (القرشي) بدلاً من التصور الإنساني قبل ذلك، ومن هنا ينطلق الباحث نحو الأصل المميز والخصائص والسمات لمعرفة النظرية

(١) سورة الأنبياء، الآية٧٩.

(٢) الفراهيدي، العين، ص٧٥٧.

(٣) للمزيد ينظر: الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، كتاب الغيبة، ص١٢٢ - ص١٣٥ وما بعدها.

وتطبيقاتها، بل معرفة المبادئ المكونة للإسلام بتصرف وسلوك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتثقيفه للمسلمين في اختيار القيادة المثالية لهم، ومراجعة للإسلام المبكر يتضح التنظير للإمامة على أنها فكرة ممتدة من فكر النبوة نفسها لرسم مستقبل الإسلام، والإمامة هي التي تحافظ على الإسلام المبكر من دون هيمنة التراكم الذي يغيّر صورته المبكرة ويتحول نحو الشكلية فقط.

إن فكرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام هي رونق الإسلام المبكر مع مراعاة التطورات الاجتماعية والعلمية؛ لأن النصاعة تعطي الديمومة، فليس الإسلام فكرة تأريخية مرحلية، فإن نصوصه تتكلم عن الخاتمية للأديان كافة، وديمومته إلى آخر الزمان ما دامت للبشرية وجود.

وقد كانت حلقة الإمام الحسن العسكري عليه السلام حلقة فاصلة مهمة من حلقات تطور الإمامة والاتصال بها إلى عالم الغيبة الصغرى ثم الكبرى، ففهم سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام هو فهم للغيبة، وتطوراتها فيما بعد، والقول بذلك هو سلسلة الاتصال التام مع السماء بلا انقطاع، وهو الحادث عند جمهور المسلمين فضلاً عن الأديان السماوية الذين ذهبوا إلى الانقطاع.

وبذلك أصبح الإمام الحسن العسكري الفيصل في معرفة الاتصال وفهم فكرته من أن الأئمة اثنا عشر.

١٠- الأُطر:

ذكر الفراهيدي (ت١٧٥هـ) في كتابه (العين): عَوجُك الشيء تقبضُ على أحد طرفيه ثم تأطِره فيتأطر[١]، أُطر الفكر أو العقل النظري أو العقل العملي وفق الأفكار المميزة كسمة من سمات هذا الدين هي إطاره، أما القبض على طرفيه وتأطيره خلاف سمته هو خروج عنه يثبت عكسه، وهكذا هي التراكمات على الأفكار الأولى

(١) الفراهيدي، العين، ص٣٠.

وتأطيرها بإطار آخر مزيف، وهكذا حتى تضيع الصورة الأولى المؤطرة بحقيقة الدين وجوهره.

إن معرفة الحقيقة تحتاج إزاحة الأطر المزيفة بحفر معرفي شاق لتظهر حقيقة الأفكار، فقد تكون هذه الأطر مؤدلجة، والصبر ملازم للبحث، وبخلافه سيكون غير تام الدائرة، مهما قيل بعد ٢٦٠هـ يحتاج لكشف التداعيات الخطيرة والإشكاليات المثارة حول الإمامة ومحاولة الزيف لزحزحتها عن الواقع تحتاج لبيان الأطر المتعددة المصنوعة حولها، ولا يمكن لمدعٍ تصديقه بهذه السهولة حتى يومنا هذا بعد تطور محركات البحث السريع والشاملً.

يثبت لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام رسوخ فكرة الإمامة، وأنها لا تفهم جيداً إلّا بدراسة معمقة لسيرته الشاملة عليه السلام بتمهيده لحقبة زمنية آتية غير منقطعة وغير مهملة من خالق هذا الوجود، إذ هي مصممة تصميماً طبيعيّاً تنال وجودها انشغال العقل بها بعدم الانقطاع عن أنوار الإمامة وسرها في هذا الزمان وكل زمان.

المبحث الأول: الأطر النظرية للإسلام في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام

لمعرفة ذلك لابد من فهم النص الصادر عن المعصوم بكل أشكاله، وقد يظهر ما يسمى بعلم النص الديني وتدوينه.

إن البحث عن تدوين النص جزء من علم النص الديني، والتدوين نقطة الشروع في علم النص، ومعرفة مدى التراكمات، والإضافات، والاقتطاعات (التقطيع في الروايات) أو المحذوفات أو غيرها من أشكال إزالة النص عن حقيقته، وهذه التلاعبات حادثة منذ النص الأولي في الروايات، أما النص القرآني، فمحاولة تأويله نمت حتى أصبحت سمة من سمات التراث، وجاء معه التعليل، فشغل حيزاً كبيراً في النظر إلى النص وتحييده.

إن كشف النص وتتبعه عملية معرفية رائعة في البحث، توصل الباحث إلى مديات التلاعب وأسبابها وعللها.

إن التلاعب في النص لظروف التقدم القهري في الحياة، وتشكل الوعي للآخر، وتشكل الانقسامات المفرطة في أصل النص، ووعيه الاجتماعي آنذاك، فكثيراً ما يحوّل النص وعي الجماهير بصياغة أخرى، أو حذف فقرة منه، أو إضافة فقرة عليه، فالوعي يسيطر ويهيمن على أمة بأكملها نتيجة تلك الأعمال، ويصبح النص نصاً غير مؤسس أصلاً، مع تضييع لهدف النص الأصلي الخام.

إن التغيير المادي، أو التفسير التأويلي لخلق الوعي الزائف أو البديل المراد في صرف المعنى الظاهر إلى غيره، يخلق صورة أخرى غير تلك الصورة المرادة في الإسلام.

إن تحويل النص اللفظي إلى المعنى قد ينقد إطاره النظري، أو قد يخالف المبادئ والأسس، كما حدث في ظهور التمذهب الديني والتجاذب في النص المؤسس، أنه حدث في زمان ومكان الاختراق في النص، فقد شكل ظاهرة تأريخية في كل الأديان،

وإن كان قد تعدد في دوران النص بين اللفظ والمعنى والمضمون.

كانت التأويلية قد استغلت من قبل السياسة في المفاهيم والمصطلحات وإشكالاتها، في متعلقات النص وتحولاته التراكمية بين الصمود، والعبور إلى التفتت والعرقلة، وكذلك ظهر بما يسمى بالاستحواذ على النصوص ونسبتها إلى الجزئية المنقسمة عن الإطار النظري في تشكله المؤسس قبل الانقسام.

إن النص وانتقالاته في الفكر الإسلامي بين آراء ومذاهب تتقاذفه الأمواج متعرضاً للابتزاز، والمحسوبية والتضييق الحزبي أو الطائفي مع الاتفاق في أصل النص ووضعه الظرفي أو العابر، كمبادئ، وأسس إنسانية، وأخلاقية، قد تحول إلى استثمار في الرئاسة أو الحكم غير المؤهل.

إن أفكار النص وحيويته في أدمغة معتنقيه، ما تزال إذا وجد ما يزيد الوعي فيه، فبعض الباحثين يتحدث ما في دماغه غير ناظر إلى الفكرة بأجمعها.

إن النظر المجموعي للفكر الإسلامي به يتضح أو ينكشف الواقع المزيف عن غيره، ومن الذي زيفه الديني أو السياسي أو الطائفي، أو المناطقي... وغير ذلك.

بعد استعراض هذه المقولات النظرية، أين تضع الإسلام على وفق الإسلامات، لابد من خط محارب ترسل عليه الإشكالات كالمطر أو كالإرساليات التبشيرية في رده ومحاولة تزييفه ألا وهو خط الإمامة الثابت برغم كل ذلك.

حاولت السياسة بكل أشكالها أن تمعن النظر بقوة في هذا الخط وتحاصره حصاراً مراً، ولاسيما الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي حاصرته وأباه في سامراء فهما تحت أنظارها لا تنفك عنهما لحظة واحدة.

ولذا ينقل عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في باب العلم قوله: «أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه وأبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول

إليه...»[1].

يثير الإمام عليه السلام جملة أمور علمية لمواكبة خط الإمامة، وعدم الخروج عنها بالعلم والسؤال والمعرفة والتعلم من العلماء العاملين.

وعنه عليه السلام: «قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور...»[2].

يدعو الإمام عليه السلام في نصوصه إلى ركب مركب العلم، وعلى العلماء بيان دفع الجهل وإيضاح الشبهات الواردة على بعض جهلاء الشيعة، لكشف حقيقة ذلك[3].

وفي جملة من النصوص يحذر الإمام العسكري عليه السلام من الجهل، ويدعو أهل العلم لنصرة الحق ودفع الشبهات المثارة حول الشيعة بالأدلة العلمية الناصعة لدرء خطر النواصب لهم.

إن تعليم الشيعة علوم آل محمد هو تحصين الطريق القويم، أي خط الإمامة خوفاً من خط السياسة آنذاك لدحض حجج الإمامة المهيمنة على حججهم الواهية في إدعاء الدين، وأنهم أهله.

وضع الإمام الحسن العسكري عليه السلام الأطر النظرية لمسيرة الإمامة وتاريخها بسمات وحدة الإمامة في الهدف، ووصولها إليه وفي هذا علامة فارقة بين الحضور والغيبة.

---

(١) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٣) للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٥٩ - ٦٦.

كثرت الافتراءات على الشيعة، ورميهم بسيء القول، ونسبتهم إلى الكذب والابتداع، ويكشف لنا السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) سبب التعصب على الشيعة، فيقول: (وجدناه يرجع إلى أمر واحد، وهو ما يسمونه في هذا العصر بالسياسة)[١].

فالمعرفي اليوم عليه أن يميّز بين خط الإمامة، وخط السياسة المضلل عن طريق الحق المشوه والداعم لخطه الأموي، أو العباسي، أو العثماني، ثم السياسات بعد ذلك، بل أن بعضهم يجرم خط التشيع المستند على خط الإمامة العام، أقصد بذلك الإمامية وطريقتهم بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

ورغم قصر مدته الزمنية فقد قال بإمامته أكثر الشيعة ورجع إليه عامتهم سوى نفر يسير قالوا بإمامة أخيه جعفر المرجح من قبل السياسة[٢]، لهدف معروف وواضح لغرض إثبات أن الإمام الحسن العسكري ليس له ولد.

امتلك الإمام الحسن العسكري عليه السلام صفات نادرة في هديه وسكونه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم إياه على ذوي السن، وكذلك كانت حالته عند القيادات العسكرية والوزراء، وعامة الناس[٣] في سامراء.

إن خط السياسة جعل الإمام تحت الرقابة الشديدة وحالوا بينه وبين الاتصال بشيعة آبائه، ومع كل هذه المحاولات التي كانت تقوم بها السلطة السياسية كان التشيع في عصره قد اتسع، وامتد إلى أكثر المدن[٤] الإسلامية.

كان الاتصال به سراً، أو عن طريق المكاتبات والوكلاء، وهي آلية تعد جديدة؛

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٨٢.

(٢) هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإمامية عرض ودراسة، ص١٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩٥ ـ ١٩٦.

للظرف السياسي المحاصر لإمامته.

إن وضوح فكرة الإمامة عند الشيعة في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام من وضوح سمات الإمام في العلم، والتقوى والزهد والعصمة، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وهو مبدأ الاتصال بين الأرض والسماء.

واجهت الشيعة مسألة الغيبة بالانقسامات والاختلافات[١] ومساعدة السياسة على ذلك بشكل واضح.

إن الاختفاء كان مسوغاً وتقية داخلية أسرية، وخارجية سياسية من السلطة الحاكمة وشدة طلبها للأئمة[٢]، وبالخصوص الثاني عشر.

إن خط الإمامة الناصع الممتد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حضوره ثم امتداده بالإمام الغائب عجّل الله فرجه، امتداداً روحياً في الاتصال بالسماء ثم الانتظار إلى الظهور الحضوري لتغيير وجه العالم الكوني إلى الخير والعدل.

إنه السمة البارزة لتأريخ الإسلام من تأريخ النبوة وعصرها إلى تأريخ الإمامة ثم تأريخ الغيبة، ثم تأريخ الإمامة من جديد وبعدها تأريخ الفناء والخلو.

---

(١) نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية، ص٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه.

المبحث الثاني: التراكم التأريخي والإمام الحسن العسكري عليه السلام

يُقرأ التأريخ باعتباره الماضي المشرق لأي أمة وهو الحاضر في فكره، وهو المستقبل المراد تحقيق مقولاته ومميزاته وهويته، والتأريخ الإسلامي ليس بدعاً من التأريخ البشري، كتب التأريخ الإسلامي مليئة بالروايات المتناقضة، وأخبار الآحاد، أو ما يسمى الآراء الشخصية للمؤرخ في معاداته للآخرين، إن تنوّع الفرق التي كتبت تاريخها مالت لتمجيد شخوصها وإظهارهم بالمظهر الموافق للشريعة، يذكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين(ت٢٠٠١م) في محاضراته التي حققتها: أن التأريخ لا يقبل خبر الواحد كما يقبله الفقه بشروطه؛ لأن خبر الواحد أو الآحاد لا يعطي للحدث التأريخي سعته؛ لأن الأحداث التأريخية تشيع في المجتمع وأن اختلفوا في التفاصيل.

حاول المؤرخون بيان ما يرضاه خط السياسة، وتقليل الأخبار عن خط الإمامة بشكل كبير جداً، إما على نحو التعمد أو الخوف، فظهرت الرواية السياسية بشكل واضح في التأريخ الإسلامي وموسوعاته الكبيرة من روايات أموية وزبيرية وعباسية، وغيرها من التوجهات الإيديولوجية، وظهرت الروايات العلوية أيضاً مخلوطة بروايات الغلاة، أو أن الغلاة قد تلاعبوا فيها، وغيروا كذلك بروايات الثقات الكبار.

المصادر التأريخية:

يهتم الباحث بالتطور التأريخي للمصادر والوثائق على مدى وجود الفكرة لأول مرة، ثم مراعاته للمصادر تباعاً في وصف الحدث مرات ومرات من تفاصيل أو زيادات توضح أو تحاول إخفاء الأسباب والعلل في تكونه، سواء أكانت فكرةً أم أحداثاً تبين الأسباب الواقعية أو إعطاء صفة الخيالية أو غير الواقعية، أو غير مفهومة أو تزوير أو تأويل؛ لإضاعة الحقيقة التأريخية وإدراج الاحتمالات في الالفاظ والمعاني.

نحن نعرف ميولات بعض المؤرخين إلى طائفة دون أخرى، فأبو مخنف لوط بن يحيى (ت١٧٠هـ) في كتابه (مقتل الحسين) عليه السلام وكتاب (أخبار المختار) يعطينا صورة واضحة عن الأحداث، وتبدو فيه الميول الشيعية والعرقية، ومعلوماته ذات قيمة؛ لأنها أصبحت مادة للمؤرخين فيما بعد وبالأخص البلاذري والطبري، وكذلك نصر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت٢١٢هـ)[١]، وهكذا هي رواية التأريخ عند الكوفيين، إلّا أن المعلومات قليلة أما المصادر الشامية، أو المصرية، أو الحجازية التي تنحى منحى خط السياسة، فتحاول إبعاد الفكر الشيعي عنها أو تورده مشوهاً.

وكذلك حال كتب الفرق السنية والشيعية أيضاً فيها خلط كبير، وتداخل مع الشيعة الإمامية، وتداخلت الغلاة كثيراً في كتب هذه الفرق، ومنها الإمامية.

وقد تراكمت المقولات والأحداث بفعل الجدلية القائمة، وهيمنة السياسي على الديني.

كان الإمام العسكري عليه السلام نشطاً مع نظام الوكالة، فيتصل بهم عن طريق المكاتبات لرفع الشبهات المثارة، واعتمد على الثقات، منهم[٢]:

١- علي بن جعفر.

٢- أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، وقد رأى خمسة من الأئمة عليهم السلام.

٣- داود بن أبي يزيد النيسابوري.

٤- محمد بن علي بن بلال.

٥- عبد الله بن جعفر الحميري القمي.

٦- أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري.

---

(١) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية، ص٩.

(٢) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٤٥.

٧- الزيات.

٨- السمان.

٩- إسحاق بن الربيع الكوفي.

١٠- أبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي.

١١- إبراهيم بن عبدة بن إبراهيم النيسابوري.

أما من توكل عنه فهم:

١- محمد بن أحمد بن جعفر.

٢- جعفر بن سهل الصّيقل.

وكان الإمام عليه السلام يعطينا ميزة لشيعته بعد توسع الثقافة الشيعية، بأن الشيعي هو المتبع للأئمة قولاً وعملاً، فيروي عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله لرجل إدّعى أنه من شيعتهم فرده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بقوله: «لا تقل من شيعتنا فإنه كذب، إن شيعتنا من شيعنا وتبعنا في أعمالنا وليس الذي ذكرته في هذا الرجل من أعمالنا»[١].

مهّد الإمام عليه السلام لشيعته حال الغيبة كما مهّد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لشيعته الغيبة الكبرى عبر السفراء، ثم الفقهاء، والعلماء العارفين، والعاملين للدفاع عن الإسلام ورد كيدهم وكذلك عن الشيعة وأتباعهم.

حذر الإمام من فرق الغلاة في عصره، فكانت توجه إليه الكتب لمعرفة رأيه في ذلك، فعن إبراهيم بن عقبة، قال: (كتبتُ إلى العسكري عليه السلام جعلت فداك قد عرفت هؤلاء الممطورة، فأقنت عليهم في الصلاة؟ قال: نعم اقنت عليهم في الصلاة)[٢]، والممطورة هم الواقفة على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، وقد غلب عليها

(١) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٥.

هذا اللقب وشاع وكان سبب ذلك أن علي بن إسماعيل الميثمي، ويونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضهم، فقال علي بن إسماعيل وقد وقع بينهم: ما أنتم من الشيعة وإنما أنتم كلاب ممطورة، أراد إنكم جيف أنتان؛ لأن الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف، فلزمهم هذا اللقب وفيه يعرفون اليوم[1]، أشار المؤلف الذي عاش في القرن الثالث وبداية الرابع، إذ توفي في بداية القرن الرابع الهجري (ت٣٠١هـ) وكتابه مهم جداً في الفرق، إنه الأشعري القمي الذي نقلنا عنه هنا.

إن الغلاة واكبوا أهل البيت عليهم السلام وابتلوا بهم، وابتليت الشيعة بهم لما ادعوه للأئمة عليهم السلام من الإلوهية والربوبية؛ لذلك وقف الأئمة عليهم السلام موقفاً صلباً حتى إن الإمام عليه السلام جاز لأصحابه القنوت والدعاء عليهم في الصلاة؛ لأن ما أحدثوه من تضليل فكرة الإمامة التي حافظ عليها الإمام العسكري عليه السلام ناصعة بيضاء؛ ولذلك حاربوا الغلاة بشتى الوسائل الفكرية، ولم يستخدموا معهم القوة كما جاء في بعض الروايات.

ولما شعر العباسيون بانتشار الثقافة الشيعية حاولوا التضييق أكثر على الإمام عليه السلام؛ ولذلك مارس الكتابة، والردود على الرسائل والكتب، وتشجيع المدونات العلمية خوفاً من التراكمات التأريخية ومحو الحقيقة من خط السياسة ووعاظ السلاطين والمدارس والمذاهب الفقهية الأخرى.

فكان الإمام عليه السلام في سنينه إما في السجن، وإما ممنوع عليه لقاء أحد، فالمراقبة شديدة والاختلاط به يتم تحت أنظار السلطة السياسية، والعلة الأساسية لجعل الإمام تحت المراقبة الشديدة أنه قد شاع أن مهدي هذه الأمة من صلبه[2]، والواقع هم يعرفون ذلك مؤكداً عن آبائهم، وأجدادهم، ولذلك لا يغيب عنهم في سامراء أبداً.

---

(١) الأشعري القمي، سعد بن عبد الله أبي خلف، كتاب المقالات والفرق، ص٩٢.

(٢) مرتضى المطهري، سيرة الأئمة الأطهار، ص١٩٨.

إن وجود الإمام عليه السلام هو رفع وإزالة التراكمات التأريخية المشوهة للفكر الإسلامي بعمومه، أو الفكر الشيعي الإمامي بخصوصه.

كان الإمام عليه السلام ذا شخصية مؤثرة جداً، فقد ذكرت المصادر التأريخية عند سيرته تأثيره على المتشددين الذين تكلفوا من السلطة بمراقبته في بيته أو في سجنه، فسرعان ما أن يتحولوا إليه ويعتقدوا بمقولاته.

كان الإمام عليه السلام يهتم بحديثه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وكأنه يشعر الآخرين بسنده عنه أنه هو حامل فكرة الإسلام من بعده، فكانت في احتجاجاته أغلب رواياته فيها هي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وكأنه يريد أن ينوّر الآخرين بعد قرون بأهمية الإسلام المبكر لينفي ما تداخل فيه وأُضيف له، وحذف منه بفعل السياسة، وتغيرها منذ السقيفة إلى الأمويين ثم العباسيين وما فعلوه في وعي الأمة من فكر زائف لا يعبر عن لحظة الإسلام المبكر[١].

عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام الدولة العباسية وإيديولوجيتها في سرقة لفظ أهل البيت إليها بادعائهم أن جدهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وآله، ويذكر محمد جواد مغنية: (لقد نشطت الدعوة إلى أبناء علي في آخر العصر الأموي وأتاح هذا النشاط لبني العباس أن يجهزوا على عرش الأمويين ولكنهم استأثروا بالسلطان، فأعلن الشيعة أن العباسيين كأسلافهم ظالمون)[٢]، فإن تركيزهم على أنهم هم أهل البيت لغرض إثبات حكمهم، وأنهم حكام شرعيون يحق لهم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

في الحقيقة هذا لا ينطلي على الباحث المنصف بأن آية المباهلة تكذب دعواهم

(١) للمزيد ينظر: العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص١٩٢ – ص٢٤٢.

(٢) مغنية، محمد جواد، أهل البيت منزلتهم ومبادئهم، ص٩ – ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠.

هذه، فقد ثبت عند أغلب المفسرين، أو جلّهم أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والذين أخرجهم النبي صلى الله عليه وآله إلى المباهلة مع نصارى نجران، ولم يخرج بغيرهم.

إن مصطلح أهل البيت عليهم السلام يختص بشخوص معينة، ولا يعمم إلى غيرهم كما فعل الأمويون والعباسيون، فقد نقل عن الإمام عليه السلام في باب الاحتجاجات قوله: (ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها. ثم قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى؟ قال: العلماء إذا صلحوا...)[١]، وفي موضع آخر من الرواية جاء: (العلماء إذا فسدوا هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقايق...)[٢]، وهنا يميز الإمام عليه السلام بين العالم المصلح والعالم المفسد، ويحذر المسلمين من الثاني الذي يحرف الكلم الحق عن مواضعه الحقّة ويزور ويدلس في التأريخ، والحديث، والتفسير، والسياسة وفي شتى مواضيع الفكر الإسلامي، وبعد أن تتراكم هذه الموضوعات تصبح كأنها عقيدة عند بعض المسلمين.

لقد كانت التقية هي المنفذ الوحيد في الخلاص من السياسة وخطها، فقد كان الإمام عليه السلام يلقى أتباعه، ويعلمهم الخلاص من الحكم الاستبدادي القائم[٣].

لقد رسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام معالم المرحلة الآتية بتعليم خلّص أصحابه في الثبات على الفكر الشيعي الإمامي على الرغم من الانشقاقات بعده، إلّا أن خط الإمامة استمر، وعبر المحنة إلى الغيبة الصغرى والكبرى بفضل علماء وفقهاء مصلحين دافعوا وبيّنوا كل التراكمات التأريخية الزائفة فقد تبخّرت الفرق

(١) العطاردي، مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٩.

التي ظهرت واندثرت ولا وجود لها اليوم.

الخلاصة

بعد هذه الجولة الفكرية توصلنا إلى النتائج الآتية:

١- لابد من رفع الالتباس في المصطلح الفكري.

٢- إن التراكم التاريخي والحقب الزمنية قد تغير الواقع المبكر للإسلام.

٣- ضرورة الإمامة لحفظ المنظومة الإسلامية.

٤- الإمام العسكري عليه السلام قد أزاح التراكم وأعطى للإمامة أهميتها، ولاسيما وأنها تمر بأصعب مراحلها من بعده.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- **الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، أبي خلف (ت٣٠١هـ).**

١- كتاب المقالات والفرق، صححه وقدّم له وعلّق عليه: محمد جواد مشكور، (طهران: مطبعة حيدري، ١٩٦٣م).

- **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ).**

٢- مختار الصحاح، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

- **الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).**

٣- كتاب الغيبة، (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، بلا).

- **عبد الحليم محمود (ت١٩٧٨م).**

٤- سيدنا زين العابدين، تقديم: يوسف محمد عمرو، تحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، (بيروت: دار أثر، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

- **عزيز الله العطاردي.**

٥- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، (طهران: نشر عطارد، ١٣٩١ش).

- **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ).**

٦- كتاب العين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

- **القطيفي، عبد الله بن فرج بن عبد الله بن عمران.**

٧- الهداية في إثبات الإمامة، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

● **لويس معلوف (ت١٩٤٦م).**

٨- المنجد في اللغة والإعلام، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م).

● **محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).**

٩- أعيان الشيعة، ط١ (دمشق: مطبعة ابن زيدون، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

● **محمد جواد مغنية (ت١٩٧٩م).**

١٠- أهل البيت منزلتهم ومبادئهم، (بيروت: مكتبة الأندلس، ١٩٥٦م).

● **مرتضى المطهري (ت١٩٧٩م).**

١١- سيرة الأئمة الأطهار، ترجمة: مالك وهبي، (بيروت: دار الهادي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

● **نبيلة عبد المنعم داود.**

١٢- نشأة الشيعة الإمامية، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

● **هاشم معروف الحسني (ت١٩٨٣م).**

١٣- عقيدة الشيعة الإمامية ـ عرض ودراسة، (بيروت: مطبعة صور الحديثة، بلا).

● **المواقع الالكترونية:**

1 - lazemtefham.com (مدونة عربية مصرية)

2- ar. Wikipedia.org (البراجماتية الحديثة)

البحث الثاني

إدارة التواصل مع الأمة

عند الإمام العسكري عليه السلام

محمود الميالي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة، صورة عامة عن عصر الإمام عليه السلام

عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام خلال مدة عمره الشريف الذي لم يتجاوز الـ(٢٨) عاماً، عاصر فئة من أكثر حكام بني العباس قساوة، واضطهاداً، وملاحقة لأهل البيت عليهم السلام، إذ تعرض الإمام في مدة حياته أكثر مما تعرض له من سبقه من آبائه عليهم السلام من الأذى، والاضطهاد، والظلم، فإن العباسيين ولا سيما أنهم كانوا يتخوفون مما بلغهم من كون الإمام الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من نسل الإمام العسكري عليه السلام؛ لذا نراهم قد حبسوه مرات عدة وحاولوا قتله، فكان الله ينجيه من محاولاتهم وخططهم، وقد كانت حياته الشريفة القصيرة قد قضاها بين إقامة جبرية، أو حبس، أو ملاحقة.

فقد ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في زمن الخليفة العباسي المتوكل في ٨ ربيع الثاني سنة (٢٣٢هـ) من الهجرة النبوية الشريفة في المدينة المنورة، وقيل في ١٠ ربيع الثاني، وهو الرأي الأغلب لدى جمهور العلماء، ثم عاصر في مدة حياته الشريفة كلا من المعتز ابن المتوكل، وبعده المهتدي ابن الواثق، ثم المعتمد أحمد ابن المتوكل الذي حكم ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت شهادة الإمام عليه السلام على يديه في أوائل حكم هذا الطاغية المستبد.

فبعد استشهاد الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤ هـ تسلّم الإمامة من بعده الإمام العسكري عليه السلام، وكان يبلغ من العمر حينها ٢٢ سنة، إذ استمرت إمامته إلى سنة ٢٦٠هـ، أي ثمان سنوات.

وجاء الكثير من الدلائل والبراهين على إثبات إمامة الحسن بن علي العسكري عليه السلام، التي منها الوصايا والنصوص التي صدرت من الإمام الهادي عليه السلام التي تنصّ على أن ولده الحسن هو الإمام من بعده، والتي منها أنه قد ذكر الشيخ المفيد رحمه الله حوالي ١٠ من الروايات والمكاتبات في هذا المجال، ومما قال المفيد رحمه الله: «وكان الإمام بعد أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام ابنه الحسن بن علي عليه السلام، فقد ثبت له تقدّمه على كافّة أهل عصره، فيما يوجب له الإمامة ويقتضي له الرياسة من العلم والزهد وكمال العقل، والعصمة والشجاعة والكرم، وكثرة الأعمال المقرّبة إلى الله جلّ اسمه، ثم لنص أبيه عليه وإشارته بالخلافة إليه»[١] كالذي رواه علي بن عمرو النوفلي، الذي قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمرّ بنا محمد ابنه[٢]، فقلت له: جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم من بعدي الحسن»[٣].

وكان الإمام العسكري عليه السلام قد قضى القسط الأهم من حياته في سامراء وعانى مع أبيه من ظلم بني العباس وواكب جميع الظروف والملابسات والمواقف الصعبة التي واجهت أباه.

ففي مدة إمامته عليه السلام أصبح المرجع الفكري والروحي لأصحابه وقواعده، راعياً لمصالحهم العقائدية والاجتماعية والروحية، فضلاً عن مهمته الأساسية في تخطيطه وتمهيده لغيبة ولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام العسكري عليه السلام فضلاً عما أصابه من العباسيين

(١) المفيد، الإرشاد، ص ٤٩٥ – ٤٩٧.

(٢) كان للإمام أخ أكبر منه سناً يُسمَّى بـ محمد، عظيم الشأن جليل المنزلة، وكانت أنظار أبناء الطائفة ترمقه بصفته الإمام بعد والده، بوصفه أكبر أولاده، إلّا إن الإمام الهادي عليه السلام، كان يشير لخواص أصحابه أن صاحب العهد من بعده إنما هو أبو محمد الحسن، وفعلاً قُبض محمد في سن مبكر. ودفن حيث مرقده اليوم بين بغداد وسامراء حيث يتوافد عليه الزوار.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص٣٢٤.

من ظلم واضطهاد، فقد تعرض للطامعين من الحاسدين والموتورين، والذي كان من أبرزهم أخوه جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام الذي أطلق عليه فيما بعد لقب «جعفر الكذاب» الذي كان على اتصال وتفاهم مع خلفاء بني العباس على محاصرة الإمام العسكري عليه السلام ومعرفة حركته وتأثيره، فقد كان يتجسس على الإمام وعلى عائلته الشريفة بحثاً مع حكام الجور والطغيان عن منقذ البشرية وقائمها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لكن ذلك كان دون جدوى من دون تحقيق لمآربهم الدنيئة.

ومن هذا المنطلق كان لا بد للإمام العسكري عليه السلام أن يواصل نهج آبائه الأئمة الميامين عليهم السلام في أداء مهمته الرسالية من هداية وتوعية وتنوير أفكار المسلمين خاصة شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين يمثّلون الوجود الذي يؤمن بإمامته، ويتمسك به قائداً وموجهاً لهم، ومما انتهجه سلام الله عليه طريق الكتمان، والحذر في التواصل معهم، في الوقت الذي عمل على تمهيدهم لقضية الإمام المهدي عليه السلام، وإعدادهم لعصر الغيبة، وكان أهم طريق لذلك أنه سلك منهج التواصل معهم عبر الوكلاء والمعتمدين، والذي أراد منه الإعداد لمدرسة الفقهاء، وقيادة العلماء الصالحين للأمة في عصر الغيبة على أنهم الأمناء على العباد، والمتمسكين بنهجه الشريف عليه السلام، والمتبعين إرشادات وتوصيات آبائه الكرام عليهم السلام نحو طريق الصواب والحق.

وعلى الرغم من الحصار والرقابة التي أحاطت به سلام الله عليه فقد حاز على الاهتمام الكبير والحضور الفاعل في الوسط الاجتماعي لمدينة سامراء الذي أرغم السلطة على إظهار الاحترام والتقدير له، فقد شهد بتلك المكانة، وعظيم المنزلة، خادمه الشاكري الذي لازم خدمته حينما سئل عن منزلته، فقال: (كان أستاذي ـ أشار إلى الإمام ـ صالحاً من بين العلويين، لم أر قط مثله، وكان يركب إلى دار الخلافة بِسُرَّ من رأى في كل اثنين وخميس، قال: وكان يوم النوبة يحضر من الناس شيء عظيم، ويغصّ الشارعُ بالدواب، والبغال، والحمير، والضجة، فلا يكون لأحد موضع يمشي ولا يدخل بينهم. قال، فإذا جاء أستاذي سكنت الضجة، وهدأ صهيل الخيل ونهاق

الحمير، وتفرقت البهائم حتى يصير الطريق واسعاً لا يحتاج أن يتوقى من الدواب نَحُفَّه ليزحمها، ثم يدخل، فيجلس في مرتبته التي جعلت له، فإذا أراد الخروج وصاح البوابون: هاتوا دابة أبي محمد. سكن صياح الناس وصهيل الخيل، وتفرقت الدواب حتى يركب ويمضي)[١].

وخير ما نختتم به مقدمتنا هذه، حديث للإمام الحسن العسكري عليه السلام مع أبي هاشم الجعفري، عبر فيه عن صورة المجتمع الذي عاصره، إذ قال عليه السلام، «يا أبا هاشم، سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكدرة، السُّنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سُنّة، المؤمن بينهم محقَّر، والفاسق بينهم موقَّر، اُمراؤهم جاهلون جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، وكل جاهل عندهم خبير، وكل محيل عندهم فقير، لا يتميزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض؛ لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله إنّهم من أهل العدول والتحرف، يبالغون في حبّ مخالفينا، ويُضلّون شيعتنا وموالينا، فإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشاء، وإن خذِلوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنّهم قطّاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه»[٢].

(١) الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢١٤.

(٢) المقدس الإردبيلي، حديقة الشيعة، ص٥٩٢ عن السيد المرتضى الرازي في كتبه، بيان الأديان وتبصرة العوام والفصول التامّة في هداية العامّة عن الشيخ المفيد مسنداً، الجزائري، الأنوار النعمانية، ج٢، ص٢٩٣، الطبسي، ذرائع البيان في عوارض اللسان، ص٣٨.

إدارة التواصل عند الإمام العسكري عليه السلام

من المعروف أن الإمام العسكري قد وقف موقفاً حازماً وحذراً في علاقته بالحكم، ويعتبر ذلك امتداداً لموقف أبيه عليه السلام، فقد عرف عنه انه لم يبد انصياعاً للرغبات المريضة والعدائية لهم، ولم يظهر منه خضوع وتذلل أمام الخليفة العباسي وأتباعه. وقد فرض شخصيته المؤثرة المستقلة من دون أن يثير الريبة والشك به، وهذا ما أكسبه احتراماً ورفعة وإجلالاً حتى من أشد المعارضين لنهج آل البيت عليهم السلام وأكثرهم حقداً وعداوة، كما حصل ذلك مع الوزير (عبيد الله بن يحيى بن خاقان) الذي يقول: (ما رأيت ولا عرفت بِسُرَّ من رأى رجلاً من العلويين مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر)[1].

وبإزاء ذلك كان الإمام يتحرك بيقظة وحذر وجدية من أجل أن يضمن سلامة أصحابه، وكان يوصيهم بأسلوب الكتمان واليقظة وهو الأسلوب السائد في نشاط الإمام العسكري عليه السلام، وكان يوصي به أصحابه، ويشدِّد عليهم في ذلك، فيقول، «إنما هو الكتمان أو القتل»[2].

فكان يشرف بنفسه على قواعده الشعبية لغرض حمايتها والحفاظ على وجودها وتنمية وعيها، ومدها بكل أساليب الحذر والصمود، والارتفاع إلى مستوى الطليعة المؤمنة التي تتفهم عصرها، وتعيش ظروفه ومتطلباته..

فقد وقف سلام الله عليه موقف المساعد لهم، والناصح الأمين، والمنبه الخبير والمعين المشفق، يعينهم على نوائب الدهر ومصائبه اقتصادياً واجتماعياً جراء ما يلاقونه من معاملة قاسية.

---

(١) المفيد، الإرشاد، ص٣١٨.

(٢) قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٤٧.

وكان يحث أصحابه على العمل بهمة ومسؤولية وسرية تامة، ويحذرهم من التمادي في إظهار العداء والتصرف غير المدروس تجاه أعدائهم، وحينما يستشعر الخطر الذي يحيط بهم يأمرهم بتكثيف العمل السري، وكتمان الأسرار؛ انطلاقاً من قول الرسول صلى الله عليه وآله: اقضوا حوائجكم بالكتمان، أو يأمرهم بالكف عن النشاط مؤقتاً حين يكون العمل والتحرك مصدر خطر عليهم، ويرى أنه يحمل لهم بوادر سوء، أو عندما يكون أحدهم مراقباً من قبل جواسيس البلاط، وينبههم على الأخطاء ويحذرهم خشية الوقوع في أحابيل السلطة وشراكها، فقد كتب محذراً ومنبها إلى (محمد بن علي السمري) وهو من خاصة أصحابه، وأحد نواب الحجة المهدي عجل الله فرجه الشريف في غيبته الصغرى، محذراً إياه من الظروف التي يمكن أن تطرأ على أوضاعهم، طالباً منه التوقي والاستعداد للظروف الطارئة التي يمكن أن تدهمهم، قائلاً له: (فتنة تضلكم... فكونوا على أهبة)[1].

وفي الوقت نفسه يشد على قلوبهم، ويطمئنهم على سلامة الطريق حين يكون التزام خط أهل البيت عليهم السلام منهجهم وطريقهم، فقد ورد عنه عليه السلام قوله لتابعيه: (الفقير معنا خير من الغني مع غيرنا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا، ونحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استبصر بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار)[2].

(١) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٤٠٧.

(٢) ابن الجوزي والموسوعة، التذكرة، ص٩٣.

منهجية التواصل

ومع اتساع رقعة شيعته وازدياد عدد الموالين لأهل البيت عليهم السلام وتعدد وتباعد مناطق تواجدهم واتساع الرقعة الجغرافية لهم، اتبع الإمام العسكري عليه السلام إدارة ذات دقة عالية، ممنهجة ودقيقة، وناجحة في التواصل معهم ومع المجتمع الإسلامي بشكله العام والأكثر اتساعاً.

مع ملاحظة الرقابة الشديد التي فرضت على الإمام العسكري وتابعيه والمؤمنين بخطه ومنهجه من قبل السلطة العباسية، والتي عقدت الظروف المحيطة بالإمام وجعلت من الاتصال به أمراً صعباً يحمل أبعاد الخطورة، حينها كان لابد للإمام سلام الله عليه أن يلجأ إلى طريق ممنهج ودقيق يتجنب به التعرض إلى مخاطر السلطة ويجنب أتباعه تلك المخاطر أيضاً، ومن هنا لجأ الإمام العسكري عليه السلام إلى تقسيم مساحة التواصل التي ينبغي له إدارتها إلى دوائر وجهات عديدة من أجل الحفاظ عليها من الاختراق من جهة، وتسهيل التواصل معها من جهة أخرى.

ومن هنا كانت الشيعة تواجه مشكلة في الاتصال بالإمام عليه السلام حتى أن بعضهم كان يستغل بعض المناسبات والفرص لمشاهدته، فقد جاء في الرواية عن بعض شيعة الإمام أنّه قال: «وخرج السلطان إلى صاحب البصرة، فخرجنا نريد النظر إلى أبي محمد عليه السلام، فنظرنا إليه ماضياً معه، وقد قعدنا بين الحائطين بسر من رأى ننتظر رجوعه»[1].

ومنها ما روي عن علي بن جعفر الحلبي الذي يظهر فيه صعوبة الظرف الذي أحاط بالإمام وشيعته، إذ قال: «اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: ألا لا يسلمن عليّ أحد، ولا يشير إلي بيده، ولا يومئ أحدكم، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم»[2].

---

(١) المفيد، الإرشاد، ص٣٨٧.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٤٣٩.

وهذا كله يعكس بوضوح تام شدّة الرقابة ومدى الخطر الذي كان يحيط بالمقربين من الإمام عليه السلام مما جعلهم يستغلّون الفرص والمناسبات للالتقاء به والتخفي عن أعين السلطة حتى على مستوى رؤيته والتبرك بالنظر إليه.

ومن مجمل الصورة التي عرضناها آنفاً، ويمكن لنا أن نتلمس المنهج الذي رسمه الإمام عليه السلام له ولشيعته في ظرفه العصيب هذا، وأن نبين هذا المنهج من خلال عدد الدوائر التي أولاها (سلام الله عليه) هذا الاهتمام، وقرر التواصل معها، ويتم ذلك من خلال قراءة طريقته الدقيقة والمؤثرة التي انتهجها (سلام الله عليه)، مستقرئين وفاحصين ما وصلنا من مجمل التراث الروائي والتاريخي المتحصل يحاكي تلك الحقبة الزمنية وما كان يحصل فيها من قول وفعل.

ونذكر هنا أهم هذه الدوائر[1].

أولاً: دائرة الأصفياء:

وهي الدائرة الضيقة التي كانت تحيط بالإمام العسكري عليه السلام، أو ما يمكن أن نسميه بالمصطلح المعاصر بالكادر المقرب منه، وهي دائرة المشورة والقرار، وقد كان الإمام عليه السلام يطلعهم على كل تفاصيل مجريات الأمور، ويودعهم أسراره ويريهم خططه ومنهجه الذي يتحرك من خلاله، وقد اعتمد الإمام العسكري عليه السلام في ذلك على مجموعة محدودة من أصحابه، قد رسم لهم الطريق وأوكل إليهم تنفيذه، واثقاً بهم ومسدداً لعملهم سلام الله عليه.

(١) أسماء الدوائر التي ذكرتها كانت استنتاجية وليست صادرة بالدقة من الإمام (سلام الله عليه).

نموذج دائرة الأصفياء

ولا يمكن لي أن أحصي كل أسماء رجالات هذه الدائرة بالدقة والتحديد؛ وذلك لتداخل المهام والاختلاف في التقييم والتوثيق الوارد إلينا، وهذا لا يمنعنا من ذكر بعض أسمائها، وقد تكون مثار ملاحظة ونقاش، وما يهمني من كل ذلك هو أساس وجود الفكرة وحقيقة تطبيقها وحركتها على أرض الواقع، ومن هذه الأسماء:

عثمان بن سعيد العمري الذي كان من أعمدة النظام المرجعي في عهد الإمام العسكري عليه السلام، والذي قد أشار الأئمة بمقامه ومنزلته عندهم وعند شيعتهم. فقد كان عظيم الشأن عند الطائفة، وكان الإمام الهادي عليه السلام يرجع الطائفة إليه، حسبما جاء في رواية أحمد بن إسحاق القمي، إذ قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام، فقلت: يا سيدي، أني أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل، وأمر من نمتثل؟ فقال لي (صلوات الله عليه): «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه».

فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم، فقلت مثل قولي لأبيه، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه»[1].

فهاتان العبارتان: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه)، و(هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه) تدلان على شدة الخصوصية التي عليها الرجل، وأنه ينتمي إلى الدائرة الخاصة التي رسمها الإمام العسكري لموقعه في حركته (سلام الله عليه).

---

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٥٣.

ومما يؤكد ذلك ما رواه الشيخ حفص بن عمرو العمري الذي هو من أصحاب الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام وقد خرج من الإمام بشأنه توقيع جاء فيه: «فلا تخرجن من البلد حتى تلقى العمري(رضي الله عنه)[١] برضائي عنه، فتسلّم عليه، وتعرفه ويعرفك، فإنه الطاهر الأمين العفيف، القريب منا وإلينا، فكل ما يحمله إلينا من شيء من النواحي، فإليه يصير آخر أمره، ليوصل ذلك إلينا»[٢].

وهذا الموقع الذي يشغله العمري نراه متجلياً في حركته وتواصله مع الإمام عليه السلام من جهة، ومع شيعته من جهة أخرى، فقد (كان الشيعة إذا حملوا الأموال من الحقوق الواجبة عليهم إلى الإمام عليه السلام نفذوا إلى (عثمان بن سعيد العمري السمان) الذي كان يتاجر بالسمن تغطية لنشاطه في مصلحة الإمام عليه السلام، فكان يجعل الأموال التي يتسلّمها في جراب السمن، ويحمله إلى الإمام عليه السلام بعيداً عن أنظار الحاكمين؛ لأنهم إذا عرفوا أمره صادروه)[٣].

وواضح أن هذا التوقيع وأمثاله، يدل على منهجية الإمام عليه السلام في تكريس القيادات الصالحة في الطائفة، لتكون مرجعاً لشؤونها في عصرهم، وليصير سنة حسنة في العصور التالية.

ومما تجلى لنا عند الحديث عن نموذج هذه الدائرة والمتمثل في عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه، يظهر لنا نوع المواصفات التي ينبغي توفّرها فيه ليكون جزءاً من الرجال الأصفياء، وأهمها:

١- الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات.

٢- ما قاله لكم فعني (أي الإمام) يقوله: وما أدّاه إليكم فعني يؤديه.

---

(١) يقصد عثمان بن سعيد العمري مورد حديثنا.

(٢) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري، ص ١٥٤.

(٣) الطوسي، الغيبة، ص٢١٥ - ٢١٩.

٣- فإنه الطاهر الأمين العفيف، القريب منا وإلينا.

٤- القدرة العالية على الحركة، والتخفي، وابتكار طرق التواصل بينه وبين الإمام من جهة، وبينه وبين الموالين من جهة أخرى، (يجعل الأموال التي يتسلمها في جراب السمن ويحمله إلى الإمام عليه السلام بعيداً عن أنظار الحاكمين).

ثانياً: دائرة رجال المهمات:

وهي دائرة أوسع من الدائرة الأولى، ويتميز رجال هذه الدائرة بقدرة ولياقات عالية في التواصل مع الدائرة الأخرى الأوسع، وهي مساحة جمهور الشيعة العام، وقد تتداخل هذه الدائرة مع الدائرة الأولى، ويصبح فيها رجل واحد مشمولاً بكلا الدائرتين، ومن أهم رجالات هذه الدائرة:

علي بن جعفر الهماني[1]، الذي كان ـ بحسب البرقي ـ فاضلاً مرضياً، من وكلاء الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، فقد روى أحمد بن علي الرازي عن علي بن مخلد الأيادي قال، حدثني أبو جعفر العمري رضي الله عنه قال: حج أبو طاهر بن بلال، فنظر إلى علي بن جعفر وهو ينفق النفقات العظيمة، فلما انصرف كتب بذلك إلى أبي محمد عليه السلام فوقع في رقعته: «قد كنا أمرنا به بمئة ألف دينار، ثم أمرنا له بمثلها فأبى قبولها إبقاء علينا ما للناس والدخول في أمرنا في ما لم ندخلهم فيه، قال: ودخل على أبي الحسن العسكري عليه السلام فأمر له بثلاثين ألف دينار»[2].

وقد وضعه الإمام العسكري علماً ودالة لأصحابه، وأكد على توثيقه وأهليته لذلك، فقد وقع خلاف بين علي بن جعفر وبين شخص كان ينافسه في زعامة الشيعة اسمه فارس، فكتب بعضهم إلى الإمام العسكري عليه السلام يسأله عنهما فجاء الكتاب بتوثيق علي بن جعفر، وكان ضمن الكتاب: «قد عظّم الله قدر علي بن جعفر متعنا الله

(١) منسوب إلى همينيا قرية من سواد بغداد.

(٢) الطوسي، الغيبة، ص ٢١٢.

تعالى به»، وأضاف: «فأقصد علي بن جعفر بحوائجك، واخشوا فارساً، وامتنعوا في إدخاله في شيء من أموركم»[١].

ومن هذا التوقيع يتبين كيف كان الأئمة عليهم السلام يديرون شؤون شيعتهم من خلال وكلائهم، ويكرسون المرجعية الدينية في أوساطهم.

وقد روى الكشي فيه حديثاً طريفاً جاء فيه «أنه حبس في عهد المتوكل العباسي لصلته بالإمام الهادي، فلما طال حبسه وعد أحد أمراء العباسيين (واسمه عبد الله بن خاقان) بثلاثة آلاف دينار ليكلم المتوكل فيه، فلما كلمه قال: يا عبد الله، لو شككت فيك لقلت إنك رافضي. وأضاف: هذا وكيل فلان (يعني الإمام الهادي عليه السلام) وأنا عازم على قتله. فلما بلغ الهماني هذا الخبر كتب إلى أبي الحسن عليه السلام: «يا سيدي الله الله فيَّ فقد ـ والله ـ خفت أن أرتاب. فوقع في رقعة: أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك».

وكان هذا في ليلة الجمعة، فأصبح المتوكل محموماً فازدادت عليه حتى صرخ عليه يوم الاثنين، فأمر بتخلية كل محبوس عرض عليه اسمه حتى ذكر له علي بن جعفر (الهماني)، فقال لعبد الله (بن الخاقان) لِمَ لَمْ تعرض عليّ أمره؟ فقال: لا أعود إلى ذكره أبداً. قال: خَلِّ سبيله الساعة وسَلْه أن يجعلني في حل. فخلى سبيله، وصار إلى مكة بأمر أبي الحسن عليه السلام فجاور بها[٢].

ولأجل تشكيل حلقة هذه الدائرة المحكمة، نتطرق إلى مجموعة من الأسماء التي اعتمدها الإمام العسكري عليه السلام كرجال مهمات في التواصل بينه وبين الأمة التي كانت مرتبطة به ومؤمنة بخطه ومنهجه:

١ – إبراهيم بن أبي حفص الذي قال عنه النجاشي: إنه شيخ من أصحاب أبي

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٦.

محمد العسكري عليه السلام. وأضاف في تعريفه: ثقة وجه له كتاب الردّ على الغالية وأبي الخطاب[١].

ويبدو من كلمته أنه وجه وأنه كان شخصية معروفة عند أبناء الطائفة، أو عند الناس جميعاً.

٢ - أحمد بن إسحاق الأشعري ـ كان وافد القميين، وكان من خواص الإمام العسكري عليه السلام، وقد روى كتباً عن أهل البيت عليهم السلام. وقال عنه الشيخ: إنه ممن رأى الإمام صاحب الزمان عليه السلام[٢].

٣ - الحسن بن موسى الخشاب الذي يقول عنه النجاشي: أنه من وجوه أصحابنا، مشهور، كثير العلم والحديث، له مصنفات منها، كتاب «الرد على الواقفة» وكتاب «النوادر»[٣].

٤ - حفص بن عمرو العمري الذي عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام، وقد خرج من الإمام بشأنه توقيع جاء فيه: «فلا تخرجن من البلد حتى تلقى العمري، رضي الله عنه برضائي عنه فتسلّم عليه، وتعرفه ويعرفك، فإنه الطاهر الأمين، العفيف القريب منا وإلينا، فكل ما يحمله إلينا من شيء من النواحي فإليه يصير آخر أمره، ليوصل ذلك إلينا»[٤].

وهذا التوقيع يدل على منهجية الإمام عليه السلام في تكريس القيادات الصالحة في الطائفة، لتكون المرجع لشؤونها في عصرهم، وليصير سنة حسنة في العصور التالية.

٥ - حمدان بن سليمان، أبو سعيد النيشابوري، عده الشيخ من أصحاب الإمام

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

العسكري وكان ثقة من وجوه الشيعة[١].

٦ – سعد بن عبد الله القمي حيث عاصر الإمام العسكري عليه السلام، على الرغم من أن الشيخ الطوسي قال عنه: لم أعلم أنه قد روى عنه، وقال النجاشي عنه: إنه شيخ هذه الطائفة وفقيهها وحجتها، وقد صنّف كتباً كثيرة، وسافر في طلب الحديث. وسمعه من أئمته من مختلف المذاهب[٢].

٧ – السيد عبد العظيم الحسني الذي ينتهي نسبه إلى الإمام المجتبى عليه السلام. وكان عالماً فقيهاً زاهداً، معارضاً للسلطات الطاغية، وكان الأئمة يأمرون شيعتهم بالرجوع إليه، فقد روى أبو حماد الرازي، قال: دخلت على علي بن محمد (الإمام الهادي عليه السلام) بسر من رأى، فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها، ولما ودعته قال لي: «يا حماد، إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك، فسل عنه عبد العظيم بن عبد الله الحسني واقرأه مني السلام»[٣].

وقد اشتهر بين الشيعة في منطقة (الري) على الرغم من اختفائه وسرية أعماله حتى إذا مات دفن في بستان هناك، وأصبح قبره مزاراً للطائفة حتى اليوم.

٨ – عبد الله بن جعفر الحميري الذي كان شيخ القميين ووجههم، وقد ألف كتباً كثيرة في حقول شتى، وقد قدم الكوفة زهاء عام التسعين بعد المئتين، فسمع أهلها منه حديثاً كثيراً[٤].

٩ – محمد بن الحسن الصفار الذي كان وجهاً من وجوه الشيعة في قم، وكان ثقة عظيم القدر، وقد ألف عشرات الكتب حفظ فيها أحاديث أهل البيت عليهم السلام في

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥١.

مختلف الحقول. وقد كانت له مراسلات مع الإمام العسكري عليه السلام[١].

١٠- الفضل بن شاذان الذي كان من أكثر الشيعة إنتاجاً، وقالوا إن بعض مؤلفاته قد حظيت برضا الإمام العسكري عليه السلام وأنه كتب فيه: هذا صحيح ينبغي أن يعمل به. وقالوا: إنّ الإمام عليه السلام نظر في بعض مؤلفاته وقال: «أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان، وكونه بين أظهرهم»[٢].

١١- عثمان بن سعيد العمري الذي كان من أعمدة النظام المرجعي في عهد الإمام العسكري عليه السلام، وقد أشار الأئمة بمقامه، وكان عظيم الشأن عند الطائفة وقد كان الإمام الهادي عليه السلام يرجع الطائفة إليه، وقد تقدم الكلام فيه.

١٢- علي بن بلال الذي كان من وجوه الشيعة في واسط ـ فيما يبدو ـ وقد اعتمده الأئمة عليهم السلام في رسائلهم، وقد جاء في بعض الرسائل الواردة إليه من الإمام العسكري عليه السلام: وقد أعلم أنّك شيخ ناحيتك، فأحببت إفرادك وإكرامك بالكتاب بذلك.

وجاء في رسالة منه موجهة إلى إسحاق (أحد أصحابه): «يا إسحاق، اقرأ كتابنا على البلالي رضي الله عنه، فإنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه»[٣].

١٣ - العمري، نجل عثمان بن سعيد الذي كان ـ كما والده ـ من أعمدة النظام المرجعي الذي أقامه أئمة الهدى عليهم السلام في الطائفة حيث جعلوه معتمداً من قبلهم في شؤون الشيعة، وقد سأل أحمد بن إسحاق الإمام العسكري، وقال: من أعامل، أو عمَّن آخذ؟، وقول من أقبل؟ فقال عليه السلام: «العمري ـ عثمان بن سعيد ـ، وابنه ـ يعني

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

محمد ـ ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان»[١].

وورد التوقيع من لدن الإمام الحجة المنتظر عليه السلام عند وفاة والده جاء فيه: «أجزل الله لك الثواب، وأحسن إليك العزاء، رزيت ورزينا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه»[٢].

هؤلاء هم بعض وكلاء الإمام ونوابه والذين بهم ترسخت أعمدة النظام المرجعي في الأمة. ذلك النظام الذي يعدُّ منهجاً في التحرك السياسي، وسبيلاً قوياً للدعوة إلى الله، وتنظيماً رسالياً للمجتمع، وأنّه يصلح أن يكون نظاماً سياسياً للأمة إذا عاد الحكم إلى أهله.

ومما تقدم يتبين لنا النظام الذي رسمه الإمام العسكري للتواصل مع الأمة من خلال أفراد الدائرة الثانية التي توافرت على مجموعة من المواصفات الخاصة التي تؤهلهم لذلك التي من أهمها:

١ - الولاء المطلق

فقد ضرب لنا التاريخ الكثير من الشخصيات التي أخلصت للإمام العسكري وأطاعته دون تردد أو اعتراض، ومنهم أحمد بن محمد بن إسحاق الأشعري الذي وصلتنا الرواية التالية في حقه، إذ قال الحسن بن محمد القمي: رويت عن مشايخ قم أن الحسين بن الحسن بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام كان بقم يشرب الخمر علانية، فقصد يوماً لحاجة باب أحمد بن إسحاق الأشعري وكان وكيلاً في الأوقاف بقم، فلم يأذن له ورجع إلى بيته مهموماً.

---

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

فتوجه أحمد بن إسحاق إلى الحج، فلما بلغ سر من رأى استأذن على أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام فلم يأذن له، فبكى أحمد لذلك طويلاً وتضرع حتى أذن له.

فلما دخل قال: يا ابن رسول الله لم منعتني الدخول عليك وأنا من شيعتك ومواليك؟ قال عليه السلام؛ لأنك طردت ابن عمنا عن بابك. فبكى أحمد وحلف بالله أنه لم يمنعه من الدخول عليه إلا لأن يتوب من شرب الخمر، قال: صدقت ولكن لابد عن إكرامهم واحترامهم على كل حال، وأن لا تحقرهم ولا تستهين بهم، لانتسابهم إلينا فتكون من الخاسرين.

فلما رجع أحمد إلى قم أتاه أشرافهم، وكان الحسين معهم، فلما رآه أحمد وثب إليه واستقبله وأكرمه وأجلسه في صدر المجلس، فاستغرب الحسين ذلك منه واستبدعه وسأله عن سببه فذكر له ما جرى بينه وبين العسكري عليه السلام في ذلك.

فلما سمع ذلك ندم من أفعاله القبيحة، وتاب منها، ورجع إلى بيته، وأهرق الخمور وكسر آلاتها، وصار من الأتقياء المتورعين والصلحاء المتعبدين، وكان ملازماً للمساجد معتكفاً فيها حتى أدركه الموت، ودفن قريباً من مزار فاطمة رضي الله عنها[1].

٢- الحركية والقدرة على التواصل

وكان الإمام العسكري عليه السلام يربي أصحابه على القدرة العالية في التكيف مع الظروف المحيطة بهم والعمل على ابتكار الطرق الملائمة لتلك الظرف، وعدم الاستسلام لأساليب الطغاة في منعهم من التواصل معه من جهة ومع شيعته من جهة أخرى.

فكانت القدرة الحركية العالية، والابتكار في التواصل هو ديدن هذه الطبقة التي أولاها الإمام ثقته وحمل أمانته، فمثلاً يُروى أن محمد بن علي السمري كان

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٢٣.

يحمل الرسائل والأسئلة والأموال في جرّة السمن بصفته بائعاً ويدخل بها على الحسن ليرجع بالأجوبة والتوجيهات، وبذلك استطاع الإمام الحسن العسكري أن يكسر الطوق العباسي من حوله ويوصل المفاهيم والمعارف الإسلامية إلى قواعده الشعبية، ويجهض محاولات السلطة ويسقط أهدافها. وكما تقدم في (عثمان بن سعيد العمري السمان) الذي كان يتاجر بالسمن تغطية لنشاطه في مصلحة الإمام عليه السلام فكان يجعل الأموال التي يتسلمها في جراب السمن ويحمله إلى الإمام عليه السلام بعيداً عن أنظار الحاكمين، لأنهم إذا عرفوا أمره صادروه[1].

٣- الوعي

أما الوعي من حيث معرفة الإمام حق معرفته وتفهم الظروف المحيطة به واستيعاب منهج العمل الذي يرسمه سلام الله عليه فهي صفات أساسية لا بد أن يتحلّى بها رجالات هذه الدائرة، فها هو الإمام عليه السلام يصف أحد التابعين له بانه صاحب بصيرة ومنزوع عنه الباطل، (فأتم الله عليكم بالحق ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصره بصيرتك، ونزع عن الباطل). فقد حكى بعض الثقات بنيسابور أنه خرج لإسحاق بن إسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع: يا إسحاق بن إسماعيل، سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك رحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عزَّ وجلَّ عليهم.

فأتم الله عليكم بالحق ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصره بصيرتك، ونزع عن الباطل، ولم يعم في طغيانه بعمه، فإن تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وإن جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها يؤدى شكرها... يا إسحاق، إن من خرج من هذه الحياة الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل

(١) الطوسي، الغيبة، ص٢١٥ - ص٢١٩.

سبيلاً[1].

وكان يشد على بصيرة أصحابه ويقوي من وعيهم وعزيمتهم كما ورد ذلك مع علي بن بابويه القمي بقوله له: (فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده). فقد ورد في الخبر أنه سلام الله عليه قد كتب إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي: (بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين).

ومما جاء فيها: (وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، وما تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته، و(صلى الله على محمد وآله)[2].

٤- الانضباط والالتزام

وهذا الشرط ضروري لأداء المهمات الصعبة وبدونه تحصل الكوارث والخسائر، ويجد السلطان ضالته في إيجاد ما يمكن أن يدين به الإمام عليه السلام؛ ولذا نجد الإمام عليه السلام يوجه اللوم الشديد لمن لا يلتزم بذلك، كما نراه قد لام داود بن الأسود على تهاونه وعدم انضباطه بتوجيهاته عليه السلام، فقد روى أبو هاشم الجعفري، عن داود بن الأسود، قال: دعاني سيدي أبو محمد عليه السلام فدفع إلي خشبة كأنها رجل باب مدورة

(١) رجال الكشي، ص٤٤٩- ص٤٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢٥- ص٤٢٦.

طويلة ملء الكف، فقال: صر بهذه الخشبة إلى العمري. فمضيت فلما صرت في بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق، فناداني السقاء صح على البغل، فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت بها البغل، فانشقت فنظرت إلى كسرها فإذا فيها كتب، فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي فجعل السقاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب الثاني فقال: يقول لك مولاي أعزه الله، لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت له: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب. فقال، ولِمَ احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه! إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرت بها وإياك أن تجاوب من يشتمنا أو تعرفه من أنت، فإنا ببلد سوء ومصر سوء، وامض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك[1].

٥- الصبر والتحمل

تتميز هذه الطبقة بأن لها القدرة الكبيرة على الصبر، والتحمل ومواجهة الصعاب، وذلك لما كان يوليه (سلام الله عليه) لهذه المجموعة من اهتمام وتربية، والوصية الدائمة لهم بذلك.

ومما قاله عليه السلام لداود بن الأسود: (وإذا سمعت لنا شاتماً، فامض لسبيلك التي أمرت بها وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرفه من أنت، فإنا ببلد سوء ومصر سوء وامض في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك)[2].

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٢٧ـ ص ٤٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٨٣.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٢٧ ـ ص ٤٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٨٣.

ثالثاً: جمهور الشيعة العام

وهذه هي الدائرة الثالثة التي أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام الإمام العسكري عليه السلام بها، فهي مساحة شيعته ومواليه التي عمل الأئمة جميعاً على إيجادها وتوسعتها ورعايتها غاية الرعاية، إذ قام الإمام العسكري عليه السلام خلال سني إمامته بإدارة وضع الشيعة الذين أصبح وزنهم السياسي متعاظماً منذ عهد الإمام الكاظم، وأصبح معترفاً بهم كقوة سياسية في العهود التي تلت ولاية العهد من قبل الإمام الرضا عليه السلام، وحتى غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وكان الإمام في مدة إمامته يتحرك بيقظة وحذر وجدية من أجل أن يضمن سلامة أصحابه وشيعته، فكان يشرف بنفسه على قواعده الشعبية لغرض حمايتها والحفاظ على وجودها، وتنمية وعيها ومدها بكل أساليب الصمود، والارتفاع إلى مستوى الطليعة المؤمنة، ويقف موقف المساعد والناصح الأمين، والمنبه، والمعين، يعينهم على نوائب الدهر ومصائبه اقتصادياً واجتماعياً جراء ما يلقونه من معاملة قاسية.

فقد كتب عليه السلام إلى أهل قم وآبة: إن الله تعالى بجوده ورأفته قد من على عباده بنبيه محمد بشيراً ونذيراً، ووفقكم لقبول دينه وأكرمكم بهدايته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين (رحمة الله عليهم) وأصلابكم الباقين تولي كفايتهم وعمرهم طويلا في طاعته، حب العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب، ومنهاج الصدق، وسبيل الرشاد، فوردوا موارد الفائزين، اجتنوا ثمرات ما قدموا، ووجدوا غب ما أسلفوا.

ومما ورد فيها: فلم يزل نيتنا مستحكمة، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة والقرابة الواشجة بيننا وبينكم قوية وصية أوصى بها أسلافنا وأسلافكم، وعهد عهد إلى شباننا ومشايخكم، فلم يزل على جملة كاملة من الاعتقاد، لما جعلنا الله عليه من

الحال القريبة، والرحم الماسة، يقول العالم سلام الله عليه: «المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه»[١].

وحيث اتسعت رقعة التشيع في عهده، وامتدت إلى مدن ومناطق مختلفة، وتمركز الشيعة في عدة مدن، كالكوفة وبغداد ونيشابور وقم، والمدائن واليمن والري وأذربايجان وسامراء وجرجان والبصرة، فقد أوجد الإمام عليه السلام شبكة اتصالات منظمة تؤمن اتصال الشيعة بالإمامة من جهة، واتصالهم ببعضهم من جهة أخرى، ويتم من خلال ذلك توجيههم دينياً، وسياسياً، ومعنوياً.

وهنا أذكر مجموعة من النقاط التي توضح منهجية الإمام (سلام الله عليه) في إدارة شؤون هذه المساحة الواسعة من الموالين والمتمسكين بخط أهل البيت عليهم السلام.

النقطة الأولى: نصب الإمام العسكري عليه السلام الوكلاء والنواب في مختلف المناطق، من أجل إدارة الوضع الشيعي بطريقة متواصلة معه سلام الله عليه، وبذلك كان يراقب الأوضاع ويكون على دراية تامة بها؛ ولأجل ذلك فقد نصب إبراهيم بن عبده في نيشابور، وأحمد بن إسحاق في قم، وإبراهيم بن مهزيار الأهوازي، وغيرهم، وكان على رأس وكلاء الإمام عليه السلام محمد بن عثمان العمري الذي كان حلقة الوصل بينهم وبين الإمام عليه السلام، فكانوا يأتون بالأموال والأسئلة والشبهات إليه، ويقوم هو بدوره ليدفعها إلى الإمام عليه السلام.

إن ظاهرة الارتباط عبر الوكلاء في عصر الإمام العسكري تشكل الحلقة الجوهرية للانتقال من عصر الحضور والشهود إلى عصر الغيبة، وكان ذلك يستدعي الاعتماد على الوكلاء، ويقتضي وضع نظام يحكم كامل تصرفاهم، ولاسيما أنّ العدد ليس بقليل، إذ عيّن الإمام العسكري وكيلاً في كل منطقة يوجد فيها شيعة من شيعته، وكانوا يمثلون حلقة الوصل بينه وبينهم، واستمر هذا النظام إلى ما بعد شهادة

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٥.

الإمام العسكري، ثم اعتمد كأسلوب وحيد تقريباً في عصر الغيبة الصغرى، يُعدّ هذا الأسلوب من العوامل النفسية المهمة والرئيسة لاستمرار الارتباط بالإمام عليه السلام ويدل عليه ما جاء في العمري وابنه محمد: (العمري، وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قالا فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان)[1].

النقطة الثانية: كان الإمام العسكري يتصل بشيعته أيضاً عبر إرسال الرسل والمبعوثين الخاصين في القضايا المحددة التي تحتاج إلى علاج خاص منه سلام الله عليه، فكان يعالج مشاكلهم بهذا الطريق، وعلى سبيل المثال كان عليه السلام يرسل أبا الأديان ـ أحد أصحابه المقربين ـ برسائله، وخطاباته إلى شيعته، كما كان يحمل منهم أيضاً الرسائل والأسئلة والأخماس والحقوق الأخرى إلى الإمام في سامراء[2].

النقطة الثالثة: وكان عليه السلام يعمل على إزالة الغبش الفكري الذي كان يعتري الأمة الإسلامية، لا سيما ما كان يحصل لشيعته من حيرة نتيجة الإشكالات التي كان يثيرها الآخرون على الدين والعقيدة، فقد استغل المتأثرون بالفلسفة اليونانية هذا الوضع، وحاولوا تشكيك الناس بحقائق دينهم، وكان بينهم الفيلسوف المعروف «إسحاق الكندي»، فقد أخذ في تأليف كتاب يظن أنه يرد به على القرآن الكريم ويبين تناقضاته (على طريقة الفلاسفة في الرد على بعضهم عبر بيان تهافت أفكارهم) فلما انتهى الخبر إلى الإمام العسكري طلب بعض تلامذة الكندي، وقال له: أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟.

فلما سأله الرجل عن كيفية ذلك قال له الإمام عليه السلام، أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال، نعم، قال، صر إليه، وتلطف في مؤانسته، ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت

---

(١) الغيبة الصغرى، ص٢١٩.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٥، التبريزي، وريحانة الأدب، ج٧، ص٥٧٠.

الأنسة فقل، قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فانك تستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت إليها، فإنه سيقول لك أنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع؛ فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله أراد غير هذا الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه.

فذهب الرجل إليه، وصنع مثل ما أمره الإمام فوقع الكلام في قلبه موقعه لأنه ـ كما أشار الإمام ـ كان رجلاً ذكياً فهماً، وعرف أن الاحتمال ـ مجرد الاحتمال ـ يبطل الاستدلال ـ كما يقول الفلاسفة ـ وأن هذا الكلام لو انتشر في تلامذته لم يصدقه أحد في كتابه فيكون قد حكم على نفسه بالسفه إذا هو أصر في تأليف الكتاب، فارتدع عنه ولكنه سأل من الرجل وقال له:

أقسمت عليك إلا ما أخبرتني من أين لك هذا؟ قال الرجل: أنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك. قال الكندي: كلا، ما مثلك من يهتدي إلى هذا. قال الرجل: أمرني به الإمام أبو محمد. فقال الكندي: وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت. وعمد إلى كتابه فأتلفه[1].

وهكذا أنقذ الإمام دين جده المصطفى عليه السلام من كتاب شبهة وضلالة ـ ولعل ـ هذا التلميذ كان من شيعة الإمام الذي تسلل إلى جهاز الكندي؛ إذ من المناسب جداً استخدام هذه الأساليب من قبل القيادات الرسالية لمقاومة التيارات المنحرفة!

النقطة الرابعة: كان عليه السلام يدعم ويساند الشيعة مالياً، لا سيما أصحابه المقربين، مما يمنع الكثير من أن تلجئهم الحاجة والفاقة والضغط المالي إلى الحكم العباسي الظالم، وكانت طريقة الإمام عليه السلام أن يدفع المبالغ الطائلة إلى أحد مقربيه لينفقها بدوره على

(١) نقلاً عن المناقب، ج٤، ص٤٢٤.

شيعته ومواليه، كما فعل مع علي بن جعفر صاحبه وصاحب أبيه عليه السلام[١].

وبعد أن بينا منهج الإمام عليه السلام في التعامل مع دائرة شيعته ومواليه، نذكر الوصايا والتوجيهات العامة التي كان الإمام يوجهها إلى هذه الدائرة، ومن أروع ما وصلنا في هذا المجال ما جاء في وصيته الرشيدة إلى شيعته، وقد حدّد به الإمام العسكري عليه السلام المنهج الذي ينبغي عليهم أن يتبعوه في تلك الظروف الصعبة.

يقول الإمام: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي، فيسرّني ذلك)[٢].

وكثير ما كان الإمام عليه السلام ينبه شيعته فرادى وجماعات من الوقوع في الأخطاء أو التساهل في أمور حياتهم سواء ما كان منها مرتبطاً بعلاقتهم مع الله أو مرتبطاً بالمنهج الحياتي الذي رسمه لهم أهل البيت عليهم السلام.

فقد حكى بعض الثقات بنيسابور أنه خرج لإسحاق بن إسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع فيه مكاتبة طويلة تطرق فيها الإمام إلى أهم القضايا التي تهم شيعته سلام الله عليه، فقال: يا إسحاق بن إسماعيل، سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك رحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم، وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عز وجل عليهم... إلى أن يقول: ولقد طالت المخاطبة في ما بيننا وبينكم في ما هو لكم

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٥٦، وقد تقدم نقله عند الحديث عن علي بن جعفر رحمه الله.

(٢) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٣٧٢.

وعليكم، ولولا ما يجب من تمام النعمة من الله عز وجل عليكم لما أريتكم مني خطاً ولاسمعتم مني حرفاً من بعد الماضي عليه السلام.

أنتم في غفلة عما إليه معادكم، ومن بعد الثاني رسولي وما ناله منكم حين أكرمه الله بمصيره إليكم، ومن بعد إقامتي لكم إبراهيم بن عبدة وفقه الله لمرضاته وأعانه على طاعته، وكتابه الذي حمله محمد بن موسى النيسابوري والله المستعان على كل حال، وإني أراكم مفرطين في جنب الله فتكونون من الخاسرين.

فبعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله، ولم يقبل مواعظ أوليائه، وقد أمركم الله عز وجل بطاعته لا إله إلا هو، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وبطاعة أولي الأمر عليهم السلام، فرحم الله ضعفكم وقلة صبركم عما أمامكم فما أغر الإنسان بربه الكريم، واستجاب الله تعالى دعائي فيكم، وأصلح أموركم على يدي، فقد قال الله جل جلاله: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[1]، وقال جل جلاله، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[2] وقال الله جل جلاله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[3].

وأنت رسولي ـ يا إسحاق ـ إلى إبراهيم بن عبدة وفقه الله أن يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري إن شاء الله ورسولي إلى نفسك وإلى كل من خلفك ببلدك أن تعملوا بما ورد عليكم في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري إن شاء الله.

ويقرأ إبراهيم بن عبده كتابي هذا على من خلفه ببلده حتى لا يتساءلون، وبطاعة الله يعتصمون، والشيطان بالله عن أنفسهم يجتنبون ولا يطيعون، وعلى

(١) سورة الإسراء، الآية ٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

إبراهيم بن عبده سلام الله ورحمته وعليك يا إسحاق، وعلى جميع مواليّ السلام كثيراً سددكم الله جميعاً بتوفيقه.

وكل من قرأ كتابنا هذا من مواليّ من أهل بلدك، ومن هو بناحيتكم ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم، وليحمل ذلك إبراهيم بن عبده إلى الرازي رضي الله عنه أو إلى من يسمي له الرازي، فإن ذلك عن أمري ورأيي إن شاء الله.

ويا إسحاق، اقرأ كتابي على البلالي رضي الله عنه، فإنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه، واقرأه على المحمودي عافاه الله فما أحمدنا له لطاعته، فإذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا، وكل من أمكنك من موالينا فأقرئهم هذا الكتاب، وينسخه من أراد منهم نسخة إن شاء الله ولا يكتم أمر هذا عمن شاهده من موالينا إلا من شيطان مخالف لكم، فلا تنثرن الدر بين أظلاف الخنازير، ولا كرامة لهم. وقد وقعنا في كتابك بالوصول والدعاء لك ولمن شئت، سترنا الله وإياكم ـ يا إسحاق ـ بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، والسلام عليك وعلى جميع مواليّ ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً[1].

(١) رجال الكشي، ص٤٨١ ـ ٤٨٥، والمكاتبة طويلة، ونحن قد أخذنا منها ما يتناسب مع موضوعنا.

٢- الإمام العسكري عليه السلام كان ممهداً للغيبة الكبرى.

وفي خاتمة البحث أتعرض إلى موضوع مهم قد قام بأدائه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعناية ودقة وتخطيط، الا وهو الدور الكبير الذي قام به في تهيئة الظروف الموضوعية لغيبة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وقبول ذلك والتسليم له، لا سيما دائرة شيعته والمؤمنين بخطه، فقد عمل الإمام العسكري عليه السلام على توجيه الشيعة إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من خلال تهيئة الشيعة وإعدادهم لعصر الغيبة، فكانت الشيعة ولعدة عقود من الزمن قد ألفت الاتصال المباشر بالإمام عليه السلام، ولم تألف غيابه عنها إلا في حالات خاصة كالسجن، بل حتى في حالة سجن الإمام عليه السلام كان هناك من يتمكن من الاتصال به، أما بعد عصر العسكري عليه السلام، فستدخل الشيعة مرحلة جديدة في علاقتها وارتباطها مع الإمام عليه السلام لم تألفها بعد، وهي غياب الإمام وعدم اتصاله بشيعته، وهي مرحلة خطيرة جداً من الصعب تحملها أو الاعتقاد بها إلّا لمن امتحن الله قلبه للإيمان، فكان دور الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يستخدم الأساليب التي تساعد الشيعة على التعايش والتأقلم على تلك المرحلة، فقام عليه السلام ـ كما ذكرنا ـ بابتكار طريقة للاتصال بشيعته، وذلك عبر الوكلاء والنواب، لتعتاد الشيعة على هذا النمط من التعامل مع الإمامة[1].

فأول عمل قام به (سلام الله عليه) إعلام شيعته بولادة المهدي والمنقذ عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث بعث إلى الخاصة من أصحابه برسائل يخبرهم فيها بولادة الحجة ويعلمهم بأنه الوصي من بعده، ويأمرهم بكتمان ذلك عن كل أحد، قال محمد بن الحسن بن إسحاق القمي: (لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إلى جدي أحمد بن إسحاق كتاب بخط يده جاء فيه: «ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعند جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب؛ لقرابته والمولى

(١) حصل هذا المنهج من قبل الأئمة السابقين عليه، ولكن ليس بهذه السعة والفاعلية التي حصلت في زمانه (سلام الله عليه).

لولايته. أحببنا إعلامك ليسرّك الله كما سرّنا، والسلام»[1].

ثم قام (سلام الله عليه) بتوجيه عام لقواعده وأصحابه يوضح لهم فيه أبعاد فكرة الغيبة وضرورة التكيف لها من الناحية النفسية والاجتماعية، تمهيداً لما سيعانونه من غيبة الإمام وانقطاعه عنهم، فقد روى الثقة أحمد بن إسحاق بن سعيد الأشعري، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يرفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض».

فقلت له: يابن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، فقال: «يا أحمد، لولا كرامتك على الله ـ عزّ وجلّ ـ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سمّي باسم رسول الله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد مثله في هذه الأمة مثل الخضر، ومثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبةً لا ينجو من الهلكة فيها إلّا من ثبّته الله على القول بإمامته، ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه»[2].

ومن أروع ما ورد في ذلك المجال رسالة كتبها عليه السلام لابن بابويه قال فيها: «عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأمر جميع شيعتي

(١) الصدر، تاريخ الغيبة، ص٢٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٢.

(٢) نقلاً عن الإرشاد، ص٣٨٣.

بالصبر، فإن﴿الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ﴾)[1].

ومن هنا، تتبين لنا عظمة وخطورة الدور الذي أوكل إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولأبيه الإمام الهادي عليه السلام، لا سيما بملاحظة الظروف الصعبة والحرجة المحيطة بالإمام؛ ولذا عليه أن يؤدي دوراً مهماً جديداً، وهو تربية الشيعة على ثقافة غيبة الإمام.

ويمكن القول إن هذه التربية بدأت في ظل إمامة الإمام علي الهادي عليه السلام؛ لجهة أن تهيئة الشيعة على الثقافة الجديدة تحتاج إلى هذه المدة من الزمن، خصوصاً أن مدة ولاية الإمام العسكري كانت قصيرة جداً، مع صرف جل اهتمامه لحماية المولود الجديد.

ومن أهم الأفكار التي كان يؤكد عليها الإمام ويحث الشيعة عليها هي معرفة الإمام عليه السلام كما جاء في الحديث عن أبي علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري يقول: سمعت أبي يقول: سُئِل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: إن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال عليه السلام: (إن هذا حق كما أن النهار حق). فقيل له: يا بن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: (ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية)[2].

ومن الأساليب التي اتبعها الإمام في تربية أتباعه على قبول فكرة الغيبة هي المكاتبات والتوقيعات، فلقد جمع الإمام العسكري بين أمرين في التوقيعات، تعويد الشيعة على ثقافة الغيبة، والعمل على عدم حصول خلل في حاجاتهم الفكرية والروحية والمادية، ومن هنا ندرك أن التوقيعات كلها، أو جلها، كانت تصدر عن

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٥.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٠٩.

الإمام العسكري، ولم نجدها في طريقة آبائه السابقين. ومن جهة أخرى ندرك أيضاً أن أكثر من وصل إلى الشيعة كان عبارة عن توقيعات منه، ويدل عليه التوقيع الشريف لإسحاق بن يعقوب المتضمن لأكثر من ثلاثين سؤالاً، من جملتها جوابه على سؤال حول من الذي يُرجع إليه في الحوادث الواقعة، حيث كتب (سلام الله عليه): «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»[1].

وأنه أرسل إلى الخلّص من أصحابه في الأمصار يدعوهم إلى انتظار الفرج بخروج ولده الموعود المنتظر، فقد كتب إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي جاء فيها: «... عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشّر به النبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإنّ ﴿**الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته».

سلام الله عليك سيدي ومولاي أبا محمد العسكري، وأنت حامل لواء الإسلام ومبلغاً وذاباً عن رسالة جدك المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، جعلنا الله من السائرين على دربك ومن المتمسكين بنهجك ورسالتك.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص١٤١، الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٦٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد، التذكرة.

٢) ابن شعبة الحراني، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين، تحف العقول.

٣) ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب.

٤) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة.

٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

٦) التبريزي، محمد علي المدرس، ريحانة الأدب.

٧) الجزائري، نعمة الله، الأنوار النعمانية.

٨) الخوارزمي، الحافظ الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي، المناقب.

٩) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح.

١٠) الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة.

١١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة.

١٢) الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج.

١٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى.

١٤) الطبري، محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة.

١٥) الطوسي، محمد بن حسن، الغيبة.

١٦) الطوسي، محمد بن حسن، اختيار معرفة الرجال.

١٧) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري.

١٨) الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز، رجال الكشي.

١٩) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي.

٢٠) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار.

٢١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد.

٢٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة.

٢٣) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي.

البحث الثالث

الجوانب الحضارية

في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.م.د. شيماء محمد حمزة

الملخص:

لقد مارس الإمام الحسن العسكري عليه السلام دوراً قيادياً تكميلياً، سبق الأمر الديني الذي يتوجب عليه ممارسته من قبل الإرادة السماوية المتمثلة بنشر عقيدة التوحيد والأحكام الشرعية التي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، بل شمل الأمر أيضاً تنظيم حياة الناس، وتمهيد لقيادتهم وتعلمهم تحمل المسؤولية، فقد كان القائد لهم مهد لذلك من خلال إعداد الفقهاء والعلماء الذين نابوا عن ولده الإمام الحجة عليه السلام ، هذا من جانب.

ومن جانب آخر لقد عانت الأمة الإسلامية من عدة أمور وانحرافات عن مسار العقيدة الإسلامية، وهي جديدة العهد بالإسلام، وهنا برز دور الإمام في التصدي للمظالم والانحرافات بعد أن ساد الفسق والفجور في قصور الخلفاء والأمراء وفي كل مرتكزات الخلافة العباسية، تمثل ذلك بظهور اتجاهات دينية مغايرة للقرآن الكريم استطاع أن يردعها، وكان للإمام موقف من أهل الذمة ورسائله إلى أهل العراق وبعض المناطق، وأضاف إلى ذلك بيان فضل الإمامة على الناس ودورها الريادي وصفات الشيعة، أعطت انطباعاً لدى الباحث بأن الإمام قد وطن نفسه من أجل مواجهة الصعاب والتحدي للسلطة الظالمة التي تصدى لها الإمام الحسين عليه السلام بوصفه مكملاً لرسالة جده التي بدأها في درب النضال؛ لكون المسار والخط الجهادي خطاً واحداً، استطاع الإمام الحسن العسكري بما يمتلكه من مؤهلات علمية في مجال الدين وأحكام الشريعة أن يوضح العديد من الآيات القرآنية، وينشر علوم الدين في سبيل توضيح مسارات العقيدة وجوانبها.

كلمات مفتاحية: الجوانب الحضارية، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الفكر.

أ.م.د. شيماء محمد حمزة

المقدمة

الحمد لله حمداً دائماً لا نهاية لنعمه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

فإن دراسة شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام بوصفه أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام من الدراسات المهمة؛ لأنه يسلط الضوء على جزء من جوانب حضارية مهمة لفكر الإمام عليه السلام؛ لما لها من دور في توضيح سلسلة الأحداث السياسية والدور العلمي والمواقف الحكيمة التي تدل على أهمية وجود الأئمة وأفكارهم في حياة المسلمين.

كان بحثي هذا قد تناول عدة جوانب وموضوعات، منها حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وعلومه ومواقفه من الحركات الدينية، وعلاقته بالشيعة وأهل الذمة، وسبل إيصال الأفكار وتوضيح الأمور إليهم، ومحبة الناس إليه دليل على مكانته في قلوب الناس.

السيرة الشخصية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

هو الإمام الحادي عشر، ووالد الخلف المنتظر، السيد الرضي الزكي، أبو محمد الحسن.

اسمه ونسبه: هو الإمام الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

ولادته: ولد في المدينة سنة (٢٣٢هـ)م، وأقام مع أبيه ٢٣ سنة، وبعد أبيه مدة إمامته عليه السلام ست سنوات[٢].

القابه: تلقب الإمام الحسن العسكري بعدد من الألقاب واختلف ذكرها في المصادر التاريخية، إلّا أن المعروف منها كان:

الصامت، الهادي، الرفيق الزكي، التقي[٣]، الفاضل، الأمين، الميمون، النقي، الطاهر، الناطق عن الله، المؤمن بالله، المرشد إلى الله، الصادق، الصامت، الأمين على سر الله، العلام، ولي الله، سراج أهل الجنة، الوصي، الفقيه، الرجل الاخير، العالم وغيرها[٤] غير أنّ أشهر هذه الألقاب الذي ذاع صيته بها هو تلقيبه بالعسكري حيث عرف الإمام الحسن بـ(العسكري)؛ لأن المحلة التي يسكنها الإمام عليه السلام بسر من رأى كانت تسمى عسكر؛ فلذلك قيل له ولأبيه الإمام علي الهادي

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. م ٢٠، ص٣٤٧؛ الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري، دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام العسكري، ص ١٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه، م ٢٠، ص ٣٤٧.

(٤) الطبسي، حياة الإمام العسكري، ص ١٦-٢١.

(العسكريين)[١].

كنيته: عرف الإمام الحسن العسكري عليه السلام بكنية واحدة أبو محمد[٢]، وكان هـو وأبوه وجده يعرف كل واحد منهم في عصره بابن الرضا عليه السلام[٣].

خلفاء عصره: عاصر ثلاثة من الخلفاء العباسيين، هم المعتز(٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م) ثم ملك المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ)، والمعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م)[٤].

وفاته: استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ودفن مع أبيه في مدينة سر من رأى سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٣م)[٥]

مكانة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في عصره:

لقد كانت للإمام الحسن العسكري مكانة في نفوس الناس، وكبار الدولة وحتى أعداؤه شهدوا بمنزلته وهيبته، وخير دليل على هذا الكلام ما ذكره الكاتب أحمد بن عبيد الله بن خاقان، وكان الأخير على ديوان الضياع والخراج في مدينة قم فجرى ذكر العلوية ومذاهبهم في التشيع، وكان شديد النصب والعداء إليهم، فقال: «ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم وتقديمه إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك القواد والوزراء وعامة الناس، فأني كنت يوماً

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) علل الشرائع، ج ١، ص ٢٣٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٤٧

(٣) المصدر نفسه، م٢٠، ص٣٤٧-٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه، م٢٠، ص٣٤٨.

(٥) المصدر نفسه.

قائماً على رأس أبي وهو يؤم مجلسه للناس إذ دخل عليه حجابه فقالوا: أبو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عال:ائذنوا له. فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكنون رجلا على أبي بحضرته ولم يكنّ عنده إلا خليفة، أو ولي عهد، أو من أمر السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن حدث السن له جلالة وهيبة فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه خطى ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل عليه الحاجب فقال: الموفق قد جاء. وكان الموفق إذا دخل على أبي تقدم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً عليه يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة قال حينئذٍ: إذا شئت جعلني الله فداك، يا أبا محمد، ثم قال لحاجبه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا ـ يعني الموفق ـ ، فقام وقام أبي وعانقه ومضى.

فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنيتموه على أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علوي يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا فازددت تعجباً ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر في ما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلى وجلس، جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي: يا أحمد، لك حاجة؟ قلت: نعم يا أبه، من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة، ذاك الحسن بن علي المعروف با بن الرضا. فسكت ساعة، ثم قال: يا بني، لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا، وان هذا ليستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً، نبيلاً، فاضلاً. فازددت قلقا

وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه واستزدته في فعله وقوله فيه ما قال، فلم يكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً، ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه»[١].

علم الإمام عليه السلام:

إن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم خزنة العلم والحجة البالغة على ما دون السماء ومن فوق الأرض، والعلم المخزون عندهم شامل لكل أمر، وهم الراسخون في العلم وعندهم تأويل القرآن، وهم الذين قال الله تعالى عنهم في كتابه الكريم: ﴿**آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[٢]، وهم شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن العلم وموضع الرسالة وورثة العلم يورثه بعضهم بعضاً[٣].

وجاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[٤] أي انها شجرة علم محمد وآل محمد وقد آثرهم الله وميزهم عن خلقه فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي شجرة العلم، فإنها للنبي محمد وآله الأطهار، ولا يتناول منها إلا هم بأمر من الله، ومنها ما كان يتناوله النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) بعد إطعامهم المسكين والأسير واليتيم حتى أنهم لم يحسوا بجوع ولا تعب أو عطش، وقد تميزت هذه الشجرة عن بقية أشجار الجنة؛ ولذلك أوضح الله

(١) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) الكافي في الأصول والفروع، ج١، ص٥٠٣-٥٠٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٩.

(٣) الحيدري، كمال، علم الإمام، بقلم: علي حمود العبادي، ص ٢٩- ٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية٣٥.

بقوله: لا تقتربا من هذه الشجرة لتلتمسان بذلك درجة محمد وآل محمد في فضلهم ومكانتهم، فإن الله تعالى خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم، وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله أُلهِمَ علم الأولين والآخرين من غير تعلم، ومن تناول منها بغير إذن الله خاب وعصى ربه ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١] أي بمعصيتكما؛ لالتماسكما درجة قد أُؤثر بها غيركما إذا رغبتم بشيء يخالف حكم الله، الا وهو طلب مكان وعلم محمد وآل محمد[٢].

وجاء أيضاً في كتاب الأحاديث القدسية: «يا محمد، إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها وجعلتك نبياً، ثم اطلعت ثانياً فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووراث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة، والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم لما خلقت الدنيا ولا الآخرة، ولا الجنة ولا النار ...»[٣].

وروى أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه اختلج في صدره مسألتان ورغب بالكتابة في هذين الأمرين للإمام الحسن العسكري عليه السلام، فكتب يسأله عن القائم بمَ يقضي، وأين مجلسه، ورغب أن يسأله عن الحمى، فأغفل ذكر ذلك. فجاء جواب الإمام إليه: «سألت عن القائم إذا قام يقضي بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام، ولا يسأل البينة، وكنت نسيت الكتابة عن الحمى»[٤].

وهذا دليل على امتلاكهم لعلوم الأنبياء التي ورثوها عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أي أباً عن جد، أضف إلى ذلك معرفتهم علوم غيبية، فهم امتداد واحد.

(١) سورة البقرة، الآية٣٥.

(٢) الجزائري، السيد نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، ص٤٠.

(٣) العاملي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت ١١٠٤هـ)، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، ص ٢٥٦.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٦٤.

وذكر أن الإمام علياً الهادي عليه السلام قال للفهفكي[١]: «أبو محمد ابني أصحّ آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي عنه فأساله عنه، فعنده ما تحتاج إليه»[٢].

وروى خادم الإمام الحسن عليه السلام أنه سمع الإمام غير مرة يكلم غلمانه وغيرهم بلغاتهم وفيهم روم وترك وصقالبة، فتعجب من هذا الأمر وذكر في نفسه بأن الإمام ولد بالمدينة ولم يخرج منها قط حتى قضى أبو الحسن ولم يره أحد قط، فكيف ذلك؟ وكان الخادم يحدث نفسه بهذا الأمر، فأقبل إليه الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقال: «إن الله بين حجته من بين سائر خلقه، وأعطاه معرفة كل شيء، فهو يعرف اللغات والأنساب والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق»[٣].

فهم حجج ولهم معرفة بعلوم ومعارف ولغات والأنساب والحوادث، وهم امتداد للنبي محمد صلى الله عليه وآله، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وسأل الفهفكي الإمام أبا الحسن ما بال المرأة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟ قال: لأن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا عليها معقلة، إنما ذلك على الرجال. فقال الفهفكي في نفسه: قد كان لي أن أبي العوجاء قد سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب، ثم أقبل الإمام العسكري عليه السلام: نعم هذه مسألة أبي العوجاء، والجواب منا واحد، إذا كان معنى المسألة واحداً جرى لآخرنا

---

(١) الفهفكي: هو أبو بكر ابن أبي محمد بن طيفور المتطبب. ينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، رجال الكشي، ص٤٢٦.

(٢) الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (٦٢٥-٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٦٢؛ البحراني، السيد هاشم، (ت ١١٠٧- ١١٠٩)، حلية الأبرار في فضائل الأئمة الأطهار، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨؛ الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، القسم الثاني، ص ٤٨٤.

(٣) الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٧٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص ٣٦٦.

ما جرى لأولنا، وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما[١].

الدور الحضاري للإمام الحسن العسكري عليه السلام في ضوء القرآن الكريم وتفسيره:

من المعلوم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد اهتموا بالقرآن الكريم، وحافظوا عليه فكل واحد منهم يمثل مدرسة علمية بحد ذاتها في مجال القرآن وتفسيره والسنة، وهم بهذا أعلم الناس بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله بآياته العامة والخاصة والناسخة والمنسوخة، وحقائق القرآن ودقائقه؛ لذا أُثِرَ عن الإمام الحسن العسكري تفسير مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة والتي هي تراث فكري متناثر في بطون الكتب والمؤلفات.

ومن نماذج تراثه الفكري في تفسير القرآن الكريم تفسيره للعديد من الآيات القرآنية منها:

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في بيان انعام الله على عباده بصورة مباشرة في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[٢]، المنُّ: الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه، والسلوى: السماني أطيب طير لحماً، يسترسل لهم فيصطادونه[٣].

وعن الحسن العسكري في قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[٤]، قال: جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٠٩؛ ابن شهر آشوب، زين الدين محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٥٧.

(٣) الجزائري، قصص الأنبياء، ص ١٩٣

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٢.

فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة، فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم ولكنه عزَّ وجلَّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم، وقبوركم، وكثير من منافعكم فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم. ثم قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَالسَّمَآءَ بِنَآءً**﴾ أي سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثم قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً**﴾، يعني المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أراضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم. ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿**فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ**﴾[1]، يعني مما يخرجه من الأرض رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً، أي اشباهاً وأمثالاً من الاصنام التي لا تعقل ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تقدر على شيء، وأنتم تعلمون انها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى[2].

وهنا ربط الإمام بين الأنعم التي أنعم الله تعالى على عباده وعددها على أرض الواقع بطريقة تلامس عقولهم وبين العبادة، وتوحيد الله وعدم الاشراك به، وهي طريقة ربط الجدل التي استخدمها الإمام في مناقشة العقل البشري، وبيان سهولة الأرض والأنعام التي وفرها الله تعالى لعباده، وأوجب عدم الشرك بالله بالأنداد أو الأصنام.

وعن أبي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ

(١) سورة إبراهيم، الآية٣٢.

(٢) الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، ص٤٥٦؛ البحراني السيد هاشم، حلية الأبرار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[١] في تفسير معنى الجاهل الذي لا يفهم ولا يعقل الكلام، فيذكر الإمام أن الأمي منسوب إلى (أمه) أي: هو كما خرج من بطن أمه، لا يقرأ ولا يكتب (لا يعلمون الكتاب) المنزل من السماء، ولا المتكذب به، ولا يميزون بينهما (إلا أماني) أي إلّا أن يقرأ عليهم، ويقال لهم: إن هذا كتاب الله وكلامه، لا يعرفون ان قرأ من الكتاب خلاف ما فيه[٢].

وذكر أبو محمد تفسير قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٣].

وهنا يتطرق الإمام إلى صفة الإنسان الكافر الذي لا يعقل ولا يؤمن بالأمور فتكون صفاته بأنه: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه، وقصروا فيما أريد منهم، وجهلوا ما لزمهما الإيمان به، فصاروا كالذي على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه، فإن الله عزَّ وجلَّ يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته، ولا بالمصير إلى ما قد صدهم بالقسر عنه.

ثم قال: ولهم عذاب عظيم، يعني: في الآخرة العذاب المعد للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه لطاعته، أو من عذاب الإصلاح ليصيره إلى عدله وحكمته.

وروى أبو محمد العسكري عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية عن المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق عليه السلام[٤]، وبالتالي فإن تطرق الإمام إلى ذكر مثل

---

(١) سورة البقرة، الآية٧٨.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٠٧

(٣) سورة البقرة، الآية٧.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢٠٦.

هذه الأمور وشرحها فهو عليه السلام يتبع نهج آبائه عليهم السلام في الأمور التي تخص القرآن الكريم والعقيدة.

وذكر أحد أصحاب الإمام، قائلاً: سمعت أبا محمد يقول: إن الله ليعفو يوم القيامة عفواً لا يحيط على العباد حتى يقول أهل الشرك ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[١] فذكرت في نفسي حديثا حدثني به رجل من أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٢] فقال الرجل ومن اشرك فأنكرت ذلك وتنمرت للرجل، ثم اقبل الإمام أبو محمد فقال: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٣] بئسما قال وروي[٤].

وسأل أحد أصحاب الإمام أبا محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لِلهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٥] فأجاب الإمام: له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر به بما يشاء، ثم قال في نفسه هذا قول الله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٦] فأقبل الإمام، فقال: هو كما أسررت في نفسك (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) فقال له: اشهد إنك حجة الله، وابن حجته في خلقه[٧].

وسأل الأرمني[٨] أبا محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ

(١) سورة الانعام، الآية٢٣.

(٢) سورة الزمر، الآية٥٣.

(٣) سورة النساء، الآية٤٨.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص ٣٥٩

(٥) سورة الروم، الآية٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية٥٤.

(٧) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٥٩؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤، ص ٤٦٩؛ الإربلي، كشف الغمة، م٤، ص٩٠.

(٨) الأرمني، هو محمد بن صالح ينظر: الطوسي، رجال الكشي، ص٤٣٧.

وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١]، فأجاب الإمام: «هل يمحو الله إلا ما كان وهل يثبت إلا ما لم يكن» ثم ذكر الارمني في نفسه هذا خلاف ما يقوله هشام بن الحكم انه لا يعلم بالشيء حتى يكون، فنظر أبو محمد إلى الأرمني (تعالى الجبار الحاكم العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا المخلوق، والرب إذ لا المربوب، والقادر قبل المقدور علي فقال له: اشهد انك ولي الله وحجته والقائم بقسطه، وانك على منهج أمير المؤمنين وعلمه[٢].

استمر الإمام في توضيح القرآن الكريم موضحاً لاتباعه نهج الله في أرضه أن الأرض لا تخلو من نبي أو إمام قائلاً، ألم تعرفوا ان الله تعالى لم يخل الدنيا من نبي أو امام لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ـ يعني إلى الخلق ـ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾[٣] فأخبر انه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً، وإنما ارسلوا إلى أنبياء الله، ثم سألوا الإمام: أو لم يكن إبليس ملكاً؟ فأجابه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[٤] فأخبر انه من الجن وهو الذي قال: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[٥][٦].

موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الأفكار والانحرافات والبدع المضادة للإسلام

لا بد من الإشارة إلى موقفه من الاتجاهات والأفكار التي كانت تهدف في

---

(١) سورة الرعد، الآية٣٩.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، م ٤، ص ٨٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٦٠.

(٣) سورة يوسف، الآية١٠٩.

(٤) سورة الكهف، الآية٥٠.

(٥) سورة الحجر، الآية٢٧.

(٦) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٠٩-٢١٠.

صميم تكوينها إلى ضرب الإسلام عن طريق الأفكار الهدامة التي تمحلها، فكان للإمام موقف في الرد على أصحاب هذه الأفكار ومن أبرز من رد عليهم هم:

١- موقفه من أبي يوسف إسحاق الكندي.

وكان هذا فيلسوف زمانه في العراق وقد أخذ في تأليف تناقض القرآن، ووجه نفسه لها الأمر، وتفرد به في منزله وأخذ في تأليف الكتب في ذلك، فسلط الإمام عليه أحد طلابه وطلب منه ان يؤدي إليه ما يلقاه الإمام عليه، فوافق الطالب، وطلب منه ان يتلطف في مؤانسته ومعونته فإن حصل هذا الأمر طلب منه أن يوضح له في مسألة وجهت إليه قائلاً له: «إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت اليها؟ فإنه سيقول جائز؛ لأنه فهم بعدما سمع، فإن كان فأجبه: فما يدريك لعله أراد غير المعنى الذي ذهبت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه، فتأمل الكندي ووجد ان ذلك محتملاً في اللغة[١].

وملخص الفكرة التي بذرها الإمام في ذهن الفيلسوف بعد وصفه لتلميذه: انه رجل (يفهم إذا سمع) وهو احتمال أن يكون الآيات القرآنية المراد توضيحها غير المعاني التي فهمها وذهب إليها، فأقسم الكندي على الطالب إلّا أن يخبره من أين له مثل هذه الفكرة، فأخبره بأنه شيءٌ عرض عليه في قلبه؟ فلم يصدق حديثه وذكر الكندي للطلاب بأن ليس مثله من يهتدي إلى مثل هذا الرأي ويبلغ مثل هذه المنزلة، فألح الكندي على الطالب، فأجابه بأن الإمام الحسن العسكري قد أمر بذلك، فكان جواب الكندي بأنه ما كان يخرج مثل هذا الكلام الا من ذلك البيت، أي بيت النبوة فدعى الكندي بالنار وأحرق جميع ما ألفه[٢].

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٩٠.

(٢) الصدر، محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي عليه السلام تاريخ الغيبة الصغرى، ج١، ص١٩٥.

٢- موقفه تجاه أحد أصحابه حول خلق القرآن.

فقد ذكر أحد أصحاب الإمام في نفسه أنه كان دائماً ما يردد: ما يقول «أبو محمد في القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فأقبل إليه الإمام أبو محمد عليه السلام وتحدث برواية الإمام جعفر الصادق، قائلاً: لما نزلت الآية سورة التوحيد «قل هو الله أحد» خلق لها أربعة آلاف جناح فما كانت بملأ من الملائكة إلّا خشعوا لها، وقال: هذه نسبة الرّب تبارك وتعالى واجاب أحد اخر حول خلق القرآن، فكان جوابه عليه السلام: الله خالق كل شئ وما سواه مخلوق[1].

٣- موقفه من جهلة العلماء:

وصف الإمام قوم من العلماء بـ(نصاب) لا يقدرون على القدح فينا يتعلمون بعض علومنا الصحيحة، فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصابنا ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتــقبله المستسلمون من شيعتنا على أنَّه من علومنا، فضلوا وأضلوا، وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه، فأنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء الناصبون، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب، لاجرم أن من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنه لايريد الا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر، ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب، ثم يوفقه الله للقبول منه فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضله لعناً في الدنيا وعذاب الاخرة. وقال الرسول محمد صلى الله عليه وآله: «أشرار علماء امتنا: المضلون عنا، القاطعون للطرق إلينا، المسمون أضدادنا بأسمائنا، الملقبون بألقابنا، يصلون عليهم وهم للعن مستحقون، ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون، وبصلوات الله وصلوات

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٥٨-٣٦٠.

ملائكته المقربين علينا عن صلوات مستغنون وقيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: من خير خلق الله بعد أئمة الهدى، مصابيح الدجى؟ قال: العلماء إذا صلحوا»[١].

وذكر أحد أصحاب الإمام أنه كان جالساً يوماً مع جماعة من النصاب فذكرا أبا طالب حتى ذكروا الإمام الحسن، وخاض معهم لتضعيفهم أمره فوقع الإمام الحسن إليه في كتاب: «استغفر الله وتب إليه مما تكلمت به»[٢]، وهذا دليل على أن مجالسه كانت حافلة بمختلف أصحاب المعتقدات والمذاهب، وهذا في حدِّ ذاته أرضية خصبة للجدل والمناقشة.

٤- موقفه لمن شك بالإمامة:

وبين الإمام سوء العاقبة لمن يجحد حقوق الإمام، أو يشك بأمامه أحد الأئمة وتذكر لنا المصادر التاريخية ان أحد أصحاب الإمام قد خلف ابناً عليلاً في البصرة وكتب إلى الإمام أبي محمد يسأله الدعاء لابنه، فكتب الإمام إليه: «رحم الله ابنك إن كان مؤمناً» ثم ورد عليه الخبر من البصرة بأن ابنه قد مات في ذلك اليوم الذي وصل فيه الكتاب، وكان ابنه قد شك في الإمامة للاختلاف الذي جرى بين الشيعة[٣].

وبلغ الإمام الحسن العسكري اختلاف الموالي، وطلبوا الدليل، فوجه رسالة إلى بعض بني أسباط، فخرج جواب الإمام: «وإنما خاطب الله عزَّ وجلَّ العاقل ليس أحد يأتي بآية، أو يظهر دليلاً آثر مما جاء به خاتم النبيين وسيد المرسلين، فقالوا: ساحر وكاهن وكذاب، وهدى الله من اهتدى غير أن الأدلة يسكن إليه كثير من الناس، وذلك ان الله عزَّ وجلَّ يأذن لنا فنتكلم، ويمنع فنصمت ولو أحب أن لا يظهر حقاً لما بعث النبيين مبشرين ومنذرين، فصدعوا بالحق في حال الضعف والقوة،

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢٠٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه، م٢٠، ص٣٧٠.

وينطقون في أوقات ليقضي الله أمره وينفذ حكمه الناس طبقات شتى، والمستبصر على سبـيل نجاة متمسك بالحق متعلق بفرع أصيل، غير شاك ولا مرتاب لا يجد عنه ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليهما الشيطان شأنهم الرد على أهل الحق، ودفع الحق بالباطل، حسداً من عند أنفسهم، فدع من ذهب يذهب يميناً وشمالاً، فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها في أهون السعي ذكرت ما اختلف فيه موالي، فإذا كانت الوصـية والكبر فلا ريب، ومن جلس مجالس الحكم، فهو أولى بالحكم أحسن رعايا من استرعيت، وإياك والإذاعة، وطلب الرئاسة، فأنهما يدعوان إلى الهلكة... واقرأ من تثق به من موالي السلام ومرهم بتقوى الله العظيم، وأداء الأمانة، وأعلمهم ان المذيع علينا حرب لنا»[1].

٥- موقفه من الغلاة

حب الأئمة يجب أن لا يصل إلى حد الغلو[2]، بحيث يصفهم البعض بأوصاف الالوهية مما يؤثر على عقيدة التوحيد، فقد حارب أهل البيت هذا الاتجاه، فقد روى إدريس بن زياد الكفرتوثائي قال: «كنت أقول قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمد، وقدمت وعلي أثر السفر ووعثاؤه فألقيت نفسي، فذهب بي النوم، فما انتبهت الا بمقرعة أبي محمد قرعني بها حتى استيقظت فعرفته، فقمت قائماً أقبل قدميه وفخذه... وقال: يا إدريس، (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)»[3].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٨١.

(٢) لمزيد من المعلومات عن الغلو انظر المصادر: الشبل، علي بن عبد العزيز بن علي، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو، والتطرف، والإرهاب، والعنف، الرياض، ٢٠٠٢؛ يوسف، عبد الله بن عبد العزيز، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٧٥.

كتب إليه رجل يسأله الدعاء لوالديه، وكانت الأم غالية والأب مؤمناً فوقع: رحم الله والدك[١].

٦- موقفه من البدع الدينية.

١- الواقفة: الوقف هم مجموعة من الأشخاص كان قد جمعوا أموالاً من الاشاعثة زكاة أموالهم فحملوا إلى وكلاء الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وكان الإمام في الحبس فاتخذوا دوراً، وعقدوا العقود واشتروا الغلات وعند انتهاء خبر موت الإمام موسى عليه السلام انكروا ذلك وأذاعوا في الشيعة أنه قائم لا يموت واعتمدت طائفة من الشيعة وانتشرت أقوالهم بين الناس، حتى عند موتهم طلبوا دفع الأموال إلى ورثة الإمام موسى ثم ثبت للشيعة أنهم قاموا بذلك حرصاً على الأموال، وكان جواب الإمام الرضا حول الواقفة ليحيى بن المبارك «ليس هم من المؤمنين ولا من المسلمين، هم ممن كذب بآيات الله، ونحن أشهر معلومات، فلا جدال فينا، ولا رفث ولا فسوق فينا، انصب لهم من العداوة يا يحيى ما استطعت وكتب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أمرهم، فطلب القنوت في الصلاة (أي الدعاء عليهم)[٢].

وكتب إليه بعض أصحابه من أهل الجبل يسأله عمن وقف على أبي الحسن موسى اتوالاهم أم اتبرأ منهم؟ فكتب الإمام: اتترحم على عمك؟ لا رحم الله عمك، وتبرأ منه أنا إلى الله منهم برئ، فلا تتوالاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنائزهم، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً سواء من جحد إماماً من الله أو زاد إماماً ليست إمامته من الله، وجحد أو قال ثالث ثلاثة، إن الجاحد أمر أخرنا جاحد أمر أولنا، والزائد فينا كالناقص الجاحد أمرنا، وكان هذا السائل لم يعلم أن عمه كان منهم

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٨٠.

(٢) الطوسي، رجال الكشي، ص٣٨٥-٣٨٦.

فأعلمه ذلك[١].

٢- الثنوية عرفت هذه الفرقة في عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وانتشرت وكانت ملخص أفكارها تدور حول وجود أصلين للوجود كلاهما يختلفان عن الآخر وقالوا إن النور والظلمة أزليان منذ القدم[٢]، فكتب للإمام الحسن العسكري عليه السلام أحدهم طلب منه الدعاء لوالديه، وكانت الأم مؤمنة والأب ثنوياً، فوقع: «رحم الله والدتك والتاء منقوطة»[٣].

وناظر أحد أصحاب الإمام رجلاً من الثنوية في الأهواز، ثم توجه راجعاً إلى سرمن رأى وقد علق شيئاً من مقالته في ذهنه، فتوجه إلى مجلس الوزير أحمد بن أبي الخصيب، فأقبل الإمام أبو محمد من دار العامة يوم الموكب، فنظر إلى صاحبه وأشار بسبابته: «أحد أحد، فوحده. فسقط صاحب الإمام مغشياً عليه»[٤].

٣- الصوفية.

كتب الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى قوم العراق: احذروا الصوفي المتصنع. وكان من شأن أحمد بن هلال ـ الصوفي ـ أنّه كان قد حج (٥٤) حجة عشرون منها على قدميه، وكانوا رواة العراق وأصحابنا قد كتبوا منه، فراجع القاسم بن العلا الإمام الحسن في أمره، فكتب إليه: قد كان أمرنا نفذ اليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت لم يزل لا غفر الله له ذنباً، ولا أقاله عثرته، دخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضى يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضي من، أمرنا اياه الا بما يهواه

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٧٠؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٩٣.

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) الملل والنحل، ج١، ص٢٤٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٨٠؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٩٩.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٨٠.

ويريد أرداه الله في نار جهنم، فصبرنا عليه حتى بتر الله عمره بدعوتنا، وكنا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه لا رحمه الله، وأمرناه بالبقاء ذلك إلى الخلص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمة له وممن لا يبرأ منه، وأعلم الإسحاقي سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال أمر هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك في ما يؤديه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا، ونحملهم إياه إليهم، وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله[١].

٧- موقف حول الجدال في الدين.

أوضح الإمام الحسن العسكري عليه السلام حول هذا الأمر ذاكراً ما جرى من حديث في مجلس الإمام الصادق عليه السلام والنقاش الذي دار في أمر الدين، وأوضح أن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فأوضح الإمام الحسن العسكري أنّ الإمام الصادق عليه السلام ذكر أنهم لم ينهوا عن الجدال بغير التي هي أحسن[٢] فهو لم ينه عن المجادلة لكنه أوضح أن الجدال يكون ضمن آداب وحدود معينة.

٨- موقفه تجاه من يشكك في عقيدة التوحيد

كتب يعقوب بن إسحاق إلى الإمام أبو محمد عليه السلام يسأله كيف عبد العبد ربه وهو لا يراه، فوقع إليه الإمام: «يا أبا يوسف، جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى»، وسأله أيضاً: هل يرى الرسول صلى الله عليه وآله فخرج توقيع الإمام إليه «إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب»[٣].

نلاحظ على خلفية المسار التاريخي للأئمة المعصومين بدءاً بالإمام علي عليه السلام

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٩٥.

(٢) الريشهري، محمد، منتخب ميزان الاعتدال، ص١٢٩.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٣٧.

وانتهاءً بالإمام الحسن العسكري عليه السلام، ومناظرتهم ومجادلتهم وذكر اخبار اليهود ودسائسهم.

وتذكر لنا المصادر التاريخية جملة من الأحداث التي وقعت في تلك الحقبة، ومنها أنّه حدث أن بطريق متطبب في الري نصراني بلغ من العمر مئة سنة ونيف وكان تلميذاً لبختيشوع طبيب المتوكل، فأرسل إليه الإمام الحسن العسكري عليه السلام لطلب الفصد وأوصاه بعدم الاعتراض عليه فيما يأمره به لأنه (الإمام) اعلم في ذلك الوقت بما تحت السماء، ففصد في وقت يرغب به الإمام غير الوقت الذي دخل فيه الطبيب على الإمام، فأستغرب الطبيب النصراني من هذا الأمر وطلب منه الإمام قبل رحيله بأن يحسن صحبة الطبيب الراهب النصراني من دير العاقول. فتوجه الطبيب إلى بختيشوع، فأخبره بالقصة، فاجتهدا ثلاثة أيام بلياليها يقرؤون لهذه القصة ذكراً في العالم فلم يجدوا، ثم توجهت أنظارهم إلى الطبيب النصراني الراهب في دير العاقول وأعلماه بالقصة ثم قصدوا الإمام، ودخل الراهب إلى الإمام، فخرج وقد رمى ثياب الرهبانية ولبس ثياباً بيضاً وقد أسلم، فسأل لماذا تحول عن دينه؟ فأجاب بأنه وجد المسيح فأسلم على يده، وذكر بأن مثل هذا الفصد[1] لم يفعله في العالم إلّا المسيح، وهذا الإمام ـ الحسن العسكري عليه السلام ـ نظيره في آياته وبراهينه. ثم لزم خدمة الإمام إلى أن مات[2].

أما عن حادثة الاستسقاء فقد قحط الناس في سر من رأى في زمن الإمام الحسن فخرج الناس ثلاثة أيام توالي يصلون ويدعون فلم ينزل المطر. فخرج الجاثليق[3] في

(١) الفصد اسم مصدر فصد، وهي إسالة مقدار من دم وريد المريض بقصد العلاج وشق العروق ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ/ ١٢٣٢م)، ج٣، ص٣٥٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص٣٦٢ـ٣٦٣؛ البحراني، حلية الأبرار، ج٢، ص٤٩٥ـ٤٩٦.

(٣) الجاثليق: هو رئيس النصارى امام الدولة ويسمى البطريك أيضاً رئيس ملتهم وخليفة المسيح

رابع يوم إلى الصحراء ومعه النصارى، والرهبان وكان فيهم راهب فلما مد يده هطلت السماء بالمطر، فأخذ الشك يساور عقول الناس، وتعجبوا وهموا إلى دين النصرانية، فأنفذ الخليفة إلى الإمام الحسن عليه السلام واستخرجه من الحبس، وطلب منه انقاذ أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج الجاثليق في اليوم الثالث، والرهبان معه وخرج الإمام الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه، وبصر إلى الراهب، وقد مد يده، فأمر الإمام بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى واخذ من بين اصبعيه عظماً أسود، فأخذه الإمام الحسن عليه السلام وطلب منه ان يستسقي وكانت السماء مليئة بالغيوم، فتقشعت، وطلعت الشمس بيضاء، فطلب الخليفة من الإمام تفسير هذا الأمر، فأخبره الإمام بأن هذا الرجل قد مر على قبر من قبور الأنبياء فوقع بيده هذا العظم، وما كشف من عظم نبي الا وهطلت السماء بالمطر[1].

وكان للإمام الحسن العسكري موقف مع أنوش النصراني الذي اعترف بمكانة الإمام عليه السلام، حيث يذكر لنا صاحب كتاب حلية الأبرار بأن أحد كتاب دار السلطان وهو انوش النصراني قد أرسل إلى الإمام عليه السلام يطلب حضوره، وكان يريد أن يختتن ابنين له، وقد سأل انوش النصراني الإمام أن يركب إلى داره ويدعو لابنيه بالسلامة والبقاء، وذكر له بأنه يتبرك بدعاء بقايا النبوة والرسالة. فأجاب الإمام عليه السلام وقال: الحمد لله الذي جعل النصارى أعرف بحقنا من المسلمين. وجهز الإمام نفسه وانطلق إلى دار انوش، فخرج إليه مكشوف الرأس حافي القدمين وحوله

فيهم ويسميه العامة (بترك) ينظر: ابن الأزرق، محمد بن علي (ت٨٩٩هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، ج١، ص٩٩.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص٣٦٧ ـ ٣٦٨؛ البحراني، حلية الأبرار، ج٢، ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣.

القسيسون[١]، والشماسة[٢]، والرهبان[٣]، وعلى صدره الإنجيل فتلقاه على باب داره وقال له: يا سيدنا أتوسل إليك بهذا الكتاب الذي أنت أعرف به منا إلا غفرت لي ذنبي في عناك، وحق المسيح عيسى بن مريم وما جاء به من الإنجيل من عند الله.... وقد وجدناكم في هذا الإنجيل مثل المسيح عيسى بن مريم عن الله. فدخل الإمام وقد قام الناس على أقدامهم فوجد ابني أنوش، فأخبره بأن ابنه هذا يموت ويبقى الآخر، ويسلم ويحسن إسلامه ويتولى خدمة أهل البيت، فقال القسيسون لانوش: ولماذا لم تسلم فأجابهم بأنه مسلم والإمام يعرف بذلك[٤].

أما وزير الخليفة المعتمد أبو القلا صاعد بن مخلد النصراني فقد قصد سر من رأى ولاحظ الإمام أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام وكان الإمام يرتدي على رأسه شاشة، وعلى كتفه طيلسان فكان صاعد يقول في نفسه بأن هذا الرجل ـ الإمام ـ يدعي بعض المسلمين أنه يعلم الغيب، وذكر في نفسه إنْ كان الأمر على هذا فسوف يحول مقدم الشاشة إلى مؤخرها، ففعل ذلك، فقال صاعد في نفسه هذا اتفاق، ولكنه سيحول الطيلسان الأيمن إلى الأيسر، والأيسر إلى الأيمن ففعل ذلك، وهو يسير، فدنا منه صاعد وهو يسير حتى وصل إلى الإمام، فقال له: يا صاعد، لم لا تشغل

(١) القسيس: وهو القارئ الذي يقرأ الانجيل والمزامير وغيرها، وهو الذي يصلي بالنصارى ويفتي بالأمور التي تخص الجانب الديني ينظر: ابن الأزرق، بدائع السلك، ج١،ص٩٩.

(٢) الشماسة: وهو قيم الكنيسة ومساعد القسيس في أداء المراسيم الدينية، وقراءة الأسفار المقدسة وهذه الكلمة هي آرامية الأصل. ينظر: حداد، بطرس، كنائس بغداد وديارتها، بغداد،١٩٩٤،ص١٩.

(٣) الرهبان: تعرف الرهبنة بانها انقطاع الشخص عن ملذات الدنيا وتكريس النفس لله تعالى والتعبد له، وهي بهذا المعنى تعني عطاء الذات الكلي لخدمة الله، والبشر والانقطاع عن أمور العالم الدنيوية.ينظر:حداد، كنائس بغداد وديارتها، ص٦١.

(٤) البحراني، حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٩٨.

نفسك بالأكل فأسلم صاعد، وأصبح وزير المعتمد[١].

أما بالنسبة لليهود فقد كانوا وما زالوا ينصبون العداء للدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية على مر التاريخ، فمن هذه الناحية كان اليهود يتحينون الفرص في سبيل تضليل الناس عن المسار الإسلامي، وفي مجال العقيدة الإسلامية والآيات القرآنية أوضح الإمام العسكري عليه السلام الدور الذي لعبه اليهود تجاه الدين الإسلامي والإسلام بصورة عامة من خلال توضيحه للآيات القرآنية النازلة والتي تبين مساوئ أفكار اليهود تجاه الإسلام التي يرويها الإمام العسكري عن آبائه.

فقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا (هذه سحر مبين تقوله) فقال الله: ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾[٢] أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلته عليك هو بالحروف المقطعة التي منها (الف لام ميم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله ان كنتم صادقين؟ واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بين انهم لا يقدرون عليه بقوله: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هُذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[٣].

ثم قال الله (ألم) هو القرآن الذي افتتح بألم هو ذلك الكتاب الذي اخبرته به موسى عليه السلام فمن بعده من الأنبياء وأخبروا بني إسرائيل أنّي سأنزل عليك يا محمد كتاباً عربياً عزيزاً لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[٤]. لا شك فيه؛ لظهوره عندهم، كما أخبرهم أن محمداً أنزل عليه الكتاب لا يمحوه الباطل يقرؤه هو وأمته على (سائر) أحوالهم (هدى) بيان من الضلالة (للمتقين) يتقون

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص ٣٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية١.

(٣) سورة الإسراء، الآية٨٨.

(٤) سورة فصلت، الآية٤٢.

أ.م.د. شيماء محمد حمزة

الموبقات، ويتقون تسليط السفه على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم عملوا بما يجب لهم رضا ربهم، إنّ الله لما بعث موسى بن عمران ثم من بعده من الأنبياء إلى بني اسرائيل لم يكن فيهم قوم إلّا أخذوا عليهم العهود والمواثيق بمحمد العربي الأمي المبعوث بمكة الذي يهاجر إلى المدينة ويظهره بها، ثم أنزل عليه الكتاب وجعل الافتتاح بسوره الكبرى بألم يعني (الم ذلك الكتاب) الذي أخبرت أنبيائي السالفين، اني سأنزله عليك يا محمد (لا ريب فيه)، فقد ظهر كما أخبركم به أنبياؤكم أن محمداً صلى الله عليه وآله ينزل عليه كتاب مبارك لا يمحوه الباطل، يقرؤه هو وأمته على سائر أحوالهم، ثم اليهود يحرفونه عن جهته ويتأولونه على خلاف وجهه ويتعاطون التوصل إلى علم ما قد طواه الله عنهم من حال إجلال هذه الأمة، وكم مدة ملكهم، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منهم جماعة فولى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام مخاطبتهم فدحضهم بالجدال ولم يستطيع اليهود الرد على الإمام علي عليه السلام، فعند ذلك خرست اليهود وآمن بعضهم[1].

أما الآية القرآنية التي تنص على أن اليهود قد وصفوا النبي بصفات خلاف صفاته فهي ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللهِ**﴾[2]، إذ قال الإمام العسكري عليه السلام إن قوماً من اليهود كتبوا صفة زعموا أنها صفة محمد صلى الله عليه وآله وهي خلاف صفته وقالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان: انه طويل عظيم البدن والبطن، أهيف (الجسم)، أصهب الشعر، ومحمد صلى الله عليه وآله بخلافه، وهو يجئ بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة، وإنما ارادوا بذلك ان تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم اصابتهم، ويكفوا أنفسهم مؤنة خدمة محمد صلى الله عليه وآله وخدمة علي وأهل بيته وخاصته، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ من هذه الصفات المحرفات والمخالفات لصفة محمد صلى الله عليه وآله

(١) البحراني، حلية الأبرار، ج ٢، ص٤٨٢-٤٨٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٧٩.

وعلي عليه السلام: الشدة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنم وويل لهم: الشدة في العذاب ثانية مضافة إلى الأولى بما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله والحجة لوصيه واخيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويستمر الإمام بروايته لرجل سأل الإمام الصادق عليه السلام أن عوام اليهود يأخذون علومهم من علمائهم وأن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح، وأكل الحرام والرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات، والعنايات، والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إن تعصبوا أزاحوا حقوق من تعصبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يفارقون المحرمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه، فهو فاسق لا يجوز النظر بأنفسهم في أمر الرسول صلى الله عليه وآله؛ إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن تظهر لهم[1].

دور الإمام الحسن العسكري عليه السلام في بيان فضل الإمامة ومكانة محمد وآل محمد وصفات الشيعة

لا شك في أن حاجة الناس إلى الإمام متواصلة عبر العصور، ووجب أن لا تخلو أرض الله من حجة، فقد وردت في عدة نصوص من الروايات حول الاعتصام بالله بصدقة أو صوم أو دعاء أو قراءة شيءٍ من القرآن وغير ذلك لدفع نحوسة الأيام، فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قصده أحد أصحابه، وقال له: يا سيدي في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد لما ذكر فيها من النحس والمخاوف، فدلني على الاحتراز من المخاوف فيها، فأنما تدعوني الضرورة التوجه في الحوائج فيها؟ فقال الإمام لصاحبه: «ان لشيعتنا بولايتنا لعصمة لو سلكوا بها لجة البحار الغامرة وسباسب البيداء الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس لأمنوا من مخاوفهم

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢٠٧-٢٠٨.

بولايتهم لنا، فثق بالله عزَّ وجلَّ، وأخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين وتوجه حيث شئت واقصد ما شئت»[١].

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إن الله اختارنا معاشر آل محمد، واختار النبيين، واختار الملائكة المقربين، وما اختارهم إلّا على علم منه بهم، أنهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته، وينقطعون به من عصمته، وينظمون به إلى المستحقين لعذابه ونقمته، فقد روي لنا أن علياً (صلوات الله عليه) لما نص عليه رسول الله بالإمامة، فقد عرض الله ولايته فئام وفئام من الملائكة فأبوها، فمسخهم الله ضفادع. فأجاب الإمام: معاذ الله، هؤلاء المكذبون علينا، الملائكة هم رسل الله كسائر أنبياء الله إلى الخلق فلا يكون منهم الكفر بالله، شأن الملائكة عظيم، وإن خطبهم لجليل»[٢].

وحضر عند الإمام مجموعة من أصحابه من الشيعة وكان فيهم رجل قد امتحن بجهال العامة يمتحنونه في الإمامة، ويحلفونه، وطلب الحل من الإمام؛ ليتخلّص من هذا الامر؟ فطلب منه الإمام أنْ يذكر له كيف يقولون فذكر له انهم يقولون «اتقول ان فلاناً هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد لي أن أقول نعم، وإلّا أثخنوني ضرباً فإذا قلت (نعم) قالوا: قل (والله)، فقلت: (نعم)، وأريد به نعماً من الانعام (البقر والإبل والغنم)، فأجابه الإمام أنْ يقول ولى تريد أمر كذا فأنهم لا يميزون ذلك، فإن ألحوا عليك فقل: والله فإنه لا يكون يميناً في حالة الرفع إلّا إذا خفض. ففعل كما أمره الإمام فقال له الإمام الحسن أنت كما قال رسول الله: (الدال على الخير فاعله) لقد كتب لك الله بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا وموالينا ومحبينا حسنة[٣].

وعن الإمام العسكري عليه السلام إنّ من أعظم الناس شأناً عند الله أعرفهم لحقوق

---

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٦٧.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١١.

اخوانه من الناس، وأشدهم قضاء لها، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام إخوان له مؤمنان أب وابن فقام إليهما الإمام وأكرمهم وأحسن ضيافتهم وأمر لهم بطعام ثم تقدم قنبر وقد جاء بطست وإبريق ليصب على يديهم الماء، فقام أمير المؤمنين وصب على يديه الماء، فرفض الرجل، فأجابه الإمام علي بأن يقعد؛ لأن الله يراك وأخاك في الجنة الذي لا يتميز عنك ولا يتفضل عليك يخدمك يريد بذلك خدمة الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها. فقعد الرجل، فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية، وقال: يا بني لو كان الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده ولكن الله يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صب الأب على الأب، والابن على الابن. فصب محمد بن الحنفية على الابن. ثم قال الإمام العسكري عليه السلام: فمن تبع علياً على ذلك فهو الشيعي حقاً[١] وهذا الجانب الذي ذكره الإمام يبين الفكر الفلسفي للأئمة، وأوضح لنا مدى التربية الأخلاقية التي يسعى الإمام إلى غرسها في نفوس شيعته، ومحبيه من خلال احترام وطاعة وحقوق الوالدين.

ويقول الإمام عليه السلام في وصف الشيعة: «شيعتنا هم الذين يتبعون آثارنا ويطيعوننا في جميع أوامرنا ونواهينا، ومن خالفنا في كثير مما فرضه الله فليس من شيعتنا[٢].

وكتب أحد الأشخاص إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: يسأله عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام (من كنت مولاه فعلي مولاه)، قال: «أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة»[٣].

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢١١-٢١٢.

(٢) الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، ج٢، ص ٦٨٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٧٩؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص ٩٥.

وعن أبي هاشم أنه سأل الإمام أبا محمد عن معنى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ**﴾[١]، فأجاب الإمام: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذي لا يقرب الإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات الإمام، فجعل أبو هاشم يفكر في نفسه عظم ما أعطى الله آل محمد صلى الله عليه وآله وبكى، فنظر إليه الإمام وقال: الأمر أعظم مما حدثت به نفسك من عظم شأن آل محمد، فأحمد الله أن جعلك متمسكاً بحبلهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دعي كل الناس بأمامهم، إنك على خير[٢].

وكتب إليه أحد أصحابه ـ الإمام الحسن ـ يشكواليه الفقر، وقال في نفسه: أليس قد قال أبو عبد الله: الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا، فخرج جواب: «إن الله عزَّ وجلَّ يخص أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير منهم، كما حدثتك نفسك: الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا، ونحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استبصر بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فالى النار»[٣].

وكان الإمام عليه السلام حريصاً على شيعته ويتضح لنا ذلك من خلال رسائله إلى أصحابه وشيعته ان يصيروا إلى موضع كذا وكذا، وإلى دار فلان وفلان العشاء، والعتمة في ليلة كذا فإنهم يجدونه هنالك، وكانت السلطات العباسية توكل به السجانين لا يفارقون موضعه المحبوس فيه بالليل والنهار، ويعزلون كل خمسة أيام يجددون بآخرين، وكان أصحابه وشيعته يصيرون إليه قد سبقهم إليه، فيرفعون حوائجهم إليه فيقضيها على منازلهم وطبقاتهم، وينصرفون إلى أماكنهم[٤] علاوة على

(١) سورة فاطر، الآية٣٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص٣٦٠ـ٣٦١؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص ٩٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص٣٨٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٤، ص٩٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص٣٨٦.

ذلك كانت جماعات السلطان وأعوانه الظلمة يتربصون به ويترصدونه، فخرج توقيع الإمام (ألا لا يسلّمن علي أحد، ولا يشير الي بيده ولا يومئ فإنكم لا تؤمنون على انفسكم)[١].

وأقبل أبو محمد ذات يوم فنظر إليه أحد مواليه وتحدث في نفسه وهو يقول: أيها الناس هذا حجة الله عليكم فأعرفوه أيقتلوني؟ فلما اقترب منه الإمام أومأ بأصبعه السبابة على ما فيه أن اسكت، ورآه في المنام وهو يقول: إنّما هو الكتمان أو القتل فاتق الله على نفسك[٢].

ومن علم الإمام الحسن في هذا المجال في ذكر فضل محمد ووصيه علي وتفضيل الله لهم على سائر الخلق أنْ قال: «إن الله تعالى أخذ العهود والمواثيق من موسى بن عمران ومن بعده من الأنبياء ليؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام الآخذ عنه علومه التي علمها والمتقلد منه الإمامة التي قلدها، ومذلل كل من عاند محمداً بسيفه الباتر ومفحم كل من جادله وخاصمه بدليله القاهر، يقاتل عباد الله على تنزيل كتاب الله حتى يقودهم إلى قبوله طائعين وكارهين، ثم إذا صار محمد صلى الله عليه وآله إلى رضوان الله عزَّ وجلَّ، وارتدّ كثير ممن كان أعطاه ظاهر الايمان وحرفوا تأويلاته وغيروا معانيه ووضعوها على خلاف وجوهها قاتلهم بعد ذلك على تأويله حتى يكون إبليس الغاوي لهم هو الخاسئ الذليل المطرود المغلوب[٣].

وكتب سفيان الضبعي إلى الإمام أبو محمد عليه السلام يسأله (عن الوليجة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً**﴾[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص٣٦٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٧٨ ؛الإربلي، كشف الغمة، ج ٤، ص ٨٧-٨٨.

(٣) البحراني، حلية الأبرار، ج٢، ص٤٨٢ـ٤٨٣.

(٤) سورة التوبة، الآية١٦.

وذكر سفيان في نفسه: من ترى المؤمن ههنا فرجع الجواب من الإمام: الوليجة التي تقام دون ولي الأمر، وحدثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع؟ فهم الأئمة يؤمنون على الله فيجيز أمانهم»[١].

وأرسل إليه أحد أصحابه كتاب يسأله هل أن الإمام يحتلم؟ وذكر في نفسه بعد أن انهى الكتاب بأن الاحتلام شيطنة وقد أعاذ الله أولياءه من ذلك، فرد الإمام الجواب «الأئمة حالهم في المنام حالهم في اليقظة لا يغير النوم منهم شيئاً، قد أعاذ الله أولياءه من لمسة الشيطان كما حدثتك نفسك»[٢].

رسائله:

كانت للإمام الحسن العسكري عليه السلام جملة من الرسائل كنا قد ضمنها مواضيع ذات فائدة أعم وأشمل، وما بقي منها نذكره هنا لما يتضمن من معان فكرية، وعقائدية مهمة، منها رسالته إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي: «واعتصمت بحبل الله بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين والنار للملحدين، ولا عدوان إلّا على الظالمين، ولا اله الا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين، منها: وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا، ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله»[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ص ٣٧٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، م٢٠، ٣٧٨؛ الإربلي، كشف الغمة، ج ٤، ص٩٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٩٤.

٤- له رسالة طويلة إلى إسحاق بن إسماعيل أوضح فيها نهجة في التعامل مع موالي أهل البيت وذكر فيها انعم الله بالولاية وظهور الحجة الذي ينقذهم من الضلالة، وكذلك أوضح لهم أيضاً فرائض الله مثل الحج، والعمرة، وأقام الصلاة، والزكاة والصوم والولاية وإنّ ولايتهم أهل البيت تفتح أبواب المعرفة لفهم حقيقة الدين ومعرفة الله الحقة[١].

ومن جملة وصاياه:

قال لشيعته عليه السلام: أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول سجود وحسن الجوار، فهذا ما جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وادوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق حديثه وادى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لايدعيه أحد غيرنا إلا كذب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فإن للصلاة على رسول الله عشر حسنات احفظوا ما وصيتكم به وأستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام[٢].

ومن وصيته إلى أحد أصحابه وهو علي بن الحسن بن بابويه القمي: «اوصيك بتقوى الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، واوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الاخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م ٢٠، ص ٣٩٥ـ٣٩٨.

(٢) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، ص ٣٦١

الأمور، والتعاهد للقرآن وحسن الخلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى: (لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) واجتناب الفواحش كلها».

وعليك بصلاة الليل فإن النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: (ياعلي ! عليك بصلاة الليل عليك بصلاة الليل، ومن استخف بصلاة فليس منا) فاعمل بوصيتي، وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به، حتى يعملوا عليه، وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج)[١].

وله مجموعة من الحكم والمعاني القصيرة ذات المعنى في التربية تدل على القيم الأخلاقية وعدم التعدي على الآخرين منها «لا تمار فيذهب بهاؤك، ولا تمازح فيجترأ عليك» واكد على صفات واخلاق الفرد في المجالس فقال عليه السلام: «من التواضع السلام على كل من تمر به، والجلوس دون شرف المجلس» وقال كذلك: «التواضع نعمة لا يحسد عليها» وأوضح على أهمية التصرف برزانة، وخلق حسن فقال: «من الجهل الضحك من غير عجب»[٢].

وذم الأخلاق السيئة ونبذ النفاق، والتعامل بسياسة الكيل بمكيالين فقال «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، ان أعطي حسده، وإن ابتلي خانه[٣].

ونبه إلى ضرروة النصح والإرشاد فذكر: «من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شأنه»[٤].

---

(١) سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ج٢، ص٦٤٩-٦٥٠.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

المصادر والمراجع:

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن الأزرق، محمد بن علي (ت٨٩٩هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ٢٠٠٨، ط١.

٢. ابن شهرآشوب، زين الدين محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة يوسف البقاعي.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ / ١٢٣٢م)، دار صادر، بيروت، ط٣.

٤. الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (٦٢٥-٦٩٢هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق على الفضلي، مركز الطباعة والنشر العالمي لأهل البيت عليهم السلام مطبعة ليلى.

٥. البحراني، السيد هاشم، (ت ١١٠٧- ١١٠٩) حلية الأبرار في فضائل الأئمة الأطهار، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٦. الجزائري، السيد نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م، ط١.

٧. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦، ط ٦.

٨. الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي.

٩. الريشهري، محمد، منتخب ميزان الاعتدال، تلخيص: حميد الحسيني، دار الحديث للطباعة والنشر.

١٠. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) الملل والنحل، تحقيق: أمير علي، بيروت، ١٩٩٢، ط٢.

١١. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م) علل الشرائع، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م، ط٢.

١٢. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب من علماء القرن السادس، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الموسوي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٣. الطباطبائي، تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، رجال الكشي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧هـ، ط١.

١٥. العاملي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت ١١٠٤ هـ) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ط١.

١٦. الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) الكافي في الأصول والفروع، تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري.

المراجع:

١- حداد، بطرس، كنائس بغداد وديراتها، بغداد، ١٩٩٤.

٢- الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، القسم الثاني، منشورات

الشريف الرضي، دار التعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.

٣- سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، مؤسسة المعارف الإسلامية الثقافية، المعارف الإسلامية.

٤- الشبل، علي بن عبد العزيز بن علي، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، الرياض،٢٠٠٢.

٥- الصدر، محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي عليه السلام تاريخ الغيبة الصغرى، المطبعة كيميا، قم، ١٤٢٥هـ، ط٢.

٦- الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري، دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام العسكري، طبعة منقحة مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م، ط١.

٧- يوسف، عبد الله بن عبد العزيز، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف.

البحث الرابع

تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام

بين الأصالة والتحريف

م.م. هيفاء حسين نعمة

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين الذي عامل عبادَه بالفضل العميم، فلم يرضَ لهم المُقام على الجهل الذميم، بل أرسلَ إليهم رُسلاً يعلمونهم دينه القويم، ويهدونهم إلى الحقِّ وإلى الصراطِ المستقيم.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمدٍ عبد الله ورسوله الأمين، أرسله رأفةً ورحمة، وأتَمَّ علينا به النعمة، وأكمل به الدين، وصلّى الله عليه وعلى آله الهادين المهتدين، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين، وعلى صحبه الميامين، الذين والوه وعاهدوه على نصرة الحق المبين.

أمَّا بعدُ..

فلا يخفى على المسلم بل ولا على غير المسلم ما لأهل بيت النبي عليهم السلام وأئمتهم من المكانة والرفعةِ التي حباهم الله تعالى بها، ولا يخفى على الجميع المحاولات العديدة التي تحاول باستمرار النيل والتقليل من شأن مقصدهم عليهم السلام وهدفهم الأساس في مواصلة الإصلاحات الدينية، وتصحيح الأوضاع، والأفكار سواء أكانت الفقهية أم العقدية أم المجتمعية كافة المتعلقة بالمجتمع الإسلامي التي قد تنحرف عن مسارها الصحيح، كما هي مسؤولية جميع الأئمة وعلماء الدين في كل عصرٍ ومصر.

والإمام الحسن العسكري عليه السلام هو وليد هذه الشجرة المباركة، أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإننا وعند مراجعة ما يُنسب إليه عليه السلام قد نجد من الروايات ما لا يتفق وهذه الرؤية التصحيحية الهادفة، إذ طالتْ العديد منها جملةً من التحريفات، الأمر

الذي جعلنا أمام إشكالية مهمة تتعلّق بها تساؤلاتٍ عدة، منها:

هل تنسجم هذه الروايات التي نُسِبت للإمام عليه السلام مع ما أُثر عنه من حيث تراثه العقدي والفقهي وغيره؟

ما مدى صحة انتساب هذه الروايات إلى الإمام العسكري عليه السلام؟

ما الأسباب التي مهدَّت وساعدت ومكَّنت من بقاء بعض الروايات المحرَّفة حتى وقتنا الحاضر؟

وبناءً على ذلك، فقد جاء بحثنا هذا لأجل الإجابة على هذه التساؤلات في سبيل الخروج بالنتائج المؤدية إلى حلِّ الإشكالية الأساس في الدراسة في محاولةٍ لتنقية تراث الإمام العسكري عليه السلام مما يشوبه من تحريفات، وانحرافات قد طالته لأسباب عدَّة سنتطرق إليها لاحقاً.

وقد تكونت دراستنا هذه من مطالب ثلاثة، يتقدمها تمهيد مختصر في سيرته المباركة من حيث نسبه، ونشأته، واستشهاده عليه السلام، أما المطالب، فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأول: مصادر تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام

المطلب الثاني: تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام الأصيل.

المطلب الثالث: التراث المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام وأسبابه.

وقد كان منهجنا في ذكر المصادر بكتابة اسم الكتاب والصفحة من دون ذكر البطاقة كاملة عند ذكره لأول مرة منعاً لحدوث الزيادة في الصفحات من جهة، وكوننا ذكرنا البطاقات الكاملة لجميع المصادر والمراجع في نهاية البحث.

وبعد، ونحن نقدم الجهد المتواضع هذا، إنما ليس لنا عذر لأنفسنا ولا لغيرنا أمام أهل العلم والمعرفة إلا الاعتراف بالنقص والتقصير، وكما يقول العلامة عماد

الدين أبو عبد الله محمد بن حامد الأصبهاني (ت٥٩٧هـ): إني رأيتُ أنهُ لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلَّا قال في غدهِ: لو غُيِّر هذا لَكان أحسن، ولو زِيدَ كذا لكانَ يُستَحسَن، ولو قَدِّمَ هذا لَكانَ أفضل، ولو تُرِك هذا لكانَ أجمل، وهذا من أعظَم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

تمهيد: نسب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ونشأته

قبل أن نبدأ بحثنا، وما نحن بصدد دراسته مما أثر ونُسِب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فإننا نتشرف بذكرِ نزرٍ من نسبه الشريف ونشأته وشهادته في هذا التمهيد.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ابن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وهؤلاء هم أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم صميم الأسرة النبوية التي أعز الله تعالى بها العرب والمسلمين، والتي تبنت قضايا الحق، والعدل بين جميع شعوب الأرض، فحملوا راية الإسلام، وتبنوا أهداف الدين الحنيف ومقاصده وقيمه السامية، فوهبوا حياتهم في سبيل نشرها وتحقيقها، وليس لنا إلا أن نذكر فيه ما قاله الوتري[1]:

ماذا يقول المادحون بوصفهم ... وهم السراةُ خلائف المختارِ
ضُربت قباب فخارهم وسموهم ... بين البتول الطهرِ والكرارِ[1]

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في يوم الجمعة لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وأمه أم ولد، ويُقال لها حدث[2][3].

---

(١) الموصلي، أحمد بن محمد، البغدادي الدار، الشافعي الرفاعي، صاحب كتاب مناقب الصالحين ومختصره روضة الناظرين، توفي في القاهرة سنة ٩٧٠هـ أو ٩٨٠هـ. يُنظَر الكنى والألقاب، ج٣، ص٢٨٢.

(١) يُنظَر، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، ص٣، وحياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٣ ـ ص١٥.

(٢) يُنظَر، إعلام الورى، ص٣٤٩، ومناقب آل أبي طالب، ص٤٥٣.

(٣) كما ورد في مولده عليه السلام إنه سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وثلاث وثلاثين ومائتين، وذكر هذه

أكملَ الله تعالى له العقل والإدراك، وأتمَّ له العلم؛ إذ امتاز عن أبناء زمانه بفضائله وفواضله، فجعله تعالى امتداداً لخط الإسلام الصحيح، وانتخبه حاملاً لشريعته واصطفاه حافظاً لدينه وكتابه، واختاره إماماً ونوراً لبريته ومناراً وملاذاً لعباده وبلاده[١].

كانت خلافته عليه السلام ست سنين، من ألقابه الهادي والعسكري، وكان هو وأبوه وجده عليهم السلام يُعرَف كلٌ منهم في زمانه بابن الرضا، وكان في سني إمامته بقية ملك المعتز أشهراً ثم ملك المهتدي، أحد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً، ثم ملك أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل عشرين سنة وأحد عشر شهراً، وبعد مضي خمس سنين من ملكه قبض تعالى وليَّه أبا محمد ودُفِن بِسُرَّ من رأى في البيت الذي دُفن فيه أبوه عليهما السلام لثمان خلونَ من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين، وله يومئذٍ ثمان وعشرون سنة[٢].

الأقوال فيه السيد باقر شريف القرشي في [حياة الإمام الحسن العسكري ـ دراسة وتحليل]، ص١٧، ص١٨، وكذلك ذكرها السيد محمد كاظم القزويني في كتابه [الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد] وذكر ختامها ذكر غير هؤلاء من المؤرخين والمحدثين أقوالاً مختلفة، وهذا الاختلاف ليس عجيباً في تاريخ مواليد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، ووفياتهم بعد أن اختلف المسلمون في تاريخ مولد رسول الله صلى الله عليه وآله ووفاته. الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص٨.

(١) يُنظَر، الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص١٠، ص١١.

(٢) يُنظَر إعلام الورى، ص٣٤٩، وتهذيب الأحكام، ج٦، ص٧٥.

المطلب الأول: مصادر تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام

بالرغم من الضغط والكبت والاضطهاد الذي كان يعانيه الإمام عليه السلام، وعلى الرغم من الرقابة المتشددة على بيته وعلى حركاته وسكناته وعلى كل من يدخل ويخرج، وكل مَن له صلة به، غير أنه كان عليه السلام ينتهز الفرص ليؤدي ما يستطيع في حدود القدرة والإمكان من الإجابة على الأسئلة، أو الشبهات المطروحة سواء في التفسير أو العقيدة أو الأحكام وغير ذلك، إذ كان عليه السلام تارةً يجيب السائل شفوياً، وتارةً كان يجيب على الرسائل الموجهة إليه من شيعته أو غيرها، وتارةً كان يكتب بعض الرسائل حول القضايا الشرعية والأمور العقائدية وغيرها(١).

وبناءً على ذلك فقد تكون بين أيدينا إرث كبير ومهم للإمام عليه السلام، ولا يدرج هذا الإرث العلمي تحت عنوان واحد فقط، بل عنواناتٍ متعددة، وأبواب واسعة، الأمر الذي يدل على سعة علمه عليه السلام وتفقهه وعبادته وحرصه، ومما وصلَنا من إرثه عليه السلام:

أولاً: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام

ويُروى هذا التفسير عن الحسن بن خالد البرقي عن الإمام العسكري عليه السلام، ويُروى عن محمد بن القاسم الاسترآبادي الجرجاني عن يوسف بن محمد، وعلي بن محمد بن يسار أو سيّار عن الإمام العسكري عليه السلام.

وهناك ثلة من العلماء والمحدثين الذين ضعَّفوا هذا التفسير من ناحية السند، وبعضهم من ناحية المتن، وبعضهم من ناحية السند والمتن جميعاً، وبعضهم يوثقون التفسير ويعتمدون على السند والمتن جميعاً(٢).

---

(١) يُنظَر الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٤.

وعلى الرغم من الروايات المختلفة في صحة نسبته وتوثيقه إلا إنه يُعَد من أكثر المصادر الجامعة لكلمات الإمام العسكري عليه السلام، يقول فيه السيد محمد باقر الموحد الأصفهاني في تقديمه للنسخة المحققة من هذا الكتاب: من الكتب المنسوبة إلى تراث أهل البيت عليهم السلام، وأحد مصادر الجوامع المعتمدة في عصرنا... والآراء بصدده متباينة بين قادحٍ ومادح وثالث يتأرجح بينهما، وعملنا إن هو إلا عمل الغوّاص الباحث بين لجج البحر المظلم عن اللآلئ والدرر.

وهل هناك ظلمة أعتم من تلك التي لفَّت تراث المسلمين عامة، والشيعة خاصة بعد إن طالته يد الجهل والخبث عبر العصور المختلفة، فعمدوا إلى اختلاق أحاديث ودسّ أقوال، وتشويه معالم، وتزييف حقائق، والنيل من كل فاه بحقيقة ورام بنشرها وبعثها[١]، وهو أيضاً ما ذكره الشيخ الداوري في كتابه [أصول علم الرجال][٢]، وغيرهما من العلماء، ونذكر هنا بإيجاز هذه الآراء الثلاثة، وهي:

١ـ تضعيف الكتاب جميعاً.

إن أول من ضعَّف هذا التفسير من ناحية السند والمتن هو أحمد بن الحسين الغضائري[٣] في كتابه الضعفاء، إذ يقول في ترجمة أحد رواته، وهو محمد بن القاسم الإسترآبادي: روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيفٌ كذاب، روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين: أحدهما يُعرَف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر: علي بن محمد بن يسار عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، والتفسير موضوع عن سهل

(١) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٧، ٨.

(٢) الداوري، أصول علم الرجال، ص٢٨٣.

(٣) أبو الحسين البغدادي، الشهير بابن الغضائري، من المشايخ الأجلة والثقات الذين لا يحتاجون إلى النص بالوثاقة، وهو الذي يذكر المشايخ قوله في الرجال في مقابلة أقوال الثقات، واعتمد على جرحه للرجال وتعديله، وفي ذلك من الدلالة على جلالته، ووثاقته، يُنظَر أعيان الشيعة، ج٢، ص٥٦٥.

الديباجي، عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير[١].

ونقل هذا الضعف العلَّامة الحلي في خلاصة الأقوال، وذكر السيد الخوئي رأيه في نسبة التفسير في ترجمته لعلي بن محمد بن يسار، ومما قاله: التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام إنما هو برواية هذا الرجل علي بن محمد بن يسار وزميله يوسف بن محمد بن زياد، وكلاهما مجهول الحال، ولا يُعتَد برواية أنفسهما عن الإمام عليه السلام، واهتمامه عليه السلام بشأنهما، وطلبه من أبويه إبقاءهما عنده؛ لإفادتهما العلم الذي يشرفهما الله تعالى به.

هذا مع إن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع، وجلَّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام عليه السلام![٢].

٢ـ اعتبار الكتاب جميعاً.

وهو ما قال به المجلسيان قدس سرهما[٣]، وذكر العلَّامة المجلسي صاحب [بحار الأنوار] في ذلك: من الكتب المعروفة، واعتمد الصدوق عليه وأخذ منه، وإن طعن فيه بعض المحدثين، ولكن الصدوق أعرف وأقرب عهدا ممن طعن فيه، وقد روى عنه أكثر العلماء من غير غمز فيه[٤].

وكذلك ممن قال باعتبار الكتاب الحر العاملي صاحب [وسائل الشيعة]، حيث فرَّق بينه وبين التفسير المنسوب لأبي محمد الثالث عليه السلام، بعد ذكره لطرق روايته عن الشيخ الطوسي عن المفيد عن الصدوق عن محمد بن القاسم المفسر الأسترآبادي عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار اللذين قال فيهما الصدوق والطبرسي

(١) الرجال لابن الغضائري، ص٩٨.

(٢) معجم رجال الحديث، ج٣، ص١٥٧.

(٣) الداوري، أصول علم الرجال، ص٢٨٤.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص٢٨.

أنهما من الشيعة الإمامية عن أبويهما عن الإمام عليه السلام، ثم يعقب على ذكره للإسناد بقوله: وهذا التفسير ليس هو الذي طعن فيه بعض علماء الرجال؛ لأن ذلك يُروى عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، وهذا يُروى عن أبي محمد عليه السلام.

وذاك يرويه سهل الديباجي، عن أبيه، وهما غير مذكورين في سند هذا التفسير أصلاً، وذاك فيه أحاديث من المناكير، وهذا خالٍ من ذلك.

وقد اعتمد عليه رئيس المحدثين ابن بابويه، فنقل منه أحاديث كثيرة في [كتاب من لا يحضره الفقيه]، وفي سائر كتبه، وكذلك الطبرسي وغيرهما من علمائنا (رحمهم الله تعالى)[1].

٣ـ اعتبار بعضه ورد بعض.

وهو رأي أغلب العلماء، وعليه، فيُعامَل الكتاب معاملة سائر الكتب، فهو يشتمل على أمور يبعد التصديق بها؛ لأنّها على خلاف ما وردَ في كتب السيرة والتاريخ، كقضايا الحجاج والمختار، وكذلك اشتماله على القضايا الغريبة كقضية الشخص الذي أُريد أن يُقام عليه الحد، فظهرت له كرامات، وما وردَ من أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ تفاحة من الجنة، فلما شقها رأى حورية، وغيرها من الروايات، فإنها وإن كانت قابلة للتوجيه إلا أنّها ليست عادية، وهذا هو السبب في رفض السيد الخوئي قدس سره للتفسير، وعليه، فلا يمكننا القول باعتبار جميع ما في الكتاب...، ولا يمكننا الموافقة على القول بأن الكتاب كله صادر عن الإمام عليه السلام؛ لعدم الدليل على ذلك[2].

ونرى أن هذا الرأي أولى بالقبول؛ لتناسبه مع قدسية ومكانة ما يُروى عن أئمتنا عليهم السلام وعدم التسليم بالقبول لجميع ما يروى عنهم دون دراسةٍ وبحث لصحة نسبة الأقوال إليهم عليهم السلام، مع صحة متنها وسندها لأجل حفظها مما قد يُدَس إليها

(١) العاملي، وسائل الشيعة، ج٣٠، ص١٨٧ـ١٨٨.

(٢) الداوري، أصول علم الرجال، ص٢٨٣ و٢٨٤.

من روايات قد تخالف منهجهم ورؤيتهم عليهم السلام، وهو من مهمات ما نستخلصه من دراستنا في هذا البحث المتواضع.

ثانياً: رسالة المنقبة.

ذكرها العلَّامة المجلسي في [بحار الأنوار]، وقال فيها: يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام، وأوله: أخبرني علي بن محمد بن علي بن موسى[١].

وذكره الطهراني في [الذريعة]، بقوله: كتاب المنقبة المشتمل على أكثر الأحكام ومسائل الحلال والحرام ـ عن مناقب ابن شهرآشوب، والصراط المستقيم للبياضي أنه تصنيف الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام[٢].

حيث قال صاحب المناقب فيه: وخرج من عند أبي محمد عليه السلام في سنة خمس وخمسين ومائتين كتاب ترجمة في جهة رسالة المقنعة يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام، وأوله: أخبرني علي بن محمد بن موسى، وذكر الحميري في كتابٍ سماه [مكاتبات الرجال عن العسكريين] من قطعه ومن أحكام الدين[٣].

وقد ورد الاحتمال في كون هذه الرسالة نفسها كتاب [فقه الإمام الرضا عليه السلام]، إذ وردَ في تقديمه في الاحتمال الرابع من نسبة الكتاب للإمام الرضا عليه السلام: كونه كتاب المنقبة المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام الذي قد ذكر جماعة من الأصحاب ـ منهم الشيخ الجليل ابن شهرآشوب، والشيخ السعيد علي بن يونس العاملي في كتابيه [المناقب]، و[الصراط المستقيم]، أنه تصنيف الإمام العسكري عليه السلام، ويؤيد ما ذكراه أنه مشتملٌ على أكثر الأحكام، ومتضمنٌ أغلب مسائل الحلال والحرام[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٠.

(٢) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٣، ص١٤٩.

(٣) ابن شهريشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٥٧.

(٤) فقه الإمام الرضا عليه السلام، ص٤٣.

وعلى جميع الأحوال فإنه لم نعثر على هذه الرسالة كمؤلَف منفصل عن الإمام عليه السلام؛ الأمر الذي يجعل القَول بأنها كتاب فقه الإمام الرضا عليه السلام أكثر قبولاً، أو أنها قد تفرقت بين المؤلفات الكثيرة التي احتوت كلامه عليه السلام في أحكام الحلال والحرام بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية، وأساليب التهميش، والتقييد الذي عاصره عليه السلام، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: الرسائل والمكاتبات.

تكشف بعض رسائل الإمام عليه السلام عن جانب مهم من الحياة العقائدية التي مُنيت في ذلك العصر بالتذبذب والاضطراب، وقد نصَّ فيها عليه السلام على بعض شيعته ما هم فيه من عدم الالتزام بحرفية الدين، وعدم تطبيق بنوده على واقع حياتهم، كرسالته عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، التي تُعَد من غُرر الرسائل، وقد استهدفت الوعظ، والإصلاح الشامل، والتي ذُكرَت في مصادر عدة كتحف العقول وبحار الأنوار وغيرهما، ومما ورد فيها: فاعلم يقيناً يا إسحاق أنه من خرج من هذه الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً، يا إسحاق، وليس تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله تعالى في محكم كتابه حكايةً عن الظالم؛ إذ يقول: ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾[1]، وأي آيةٍ أعظم من حجة الله على خلقه، وأمينه في بلاده، وشهيده على عباده[2].

كذلك مكاتباته السرية عليه السلام، كما ورد في [بحار الأنوار] عن داود بن الأسود قال: دعاني سيدي أبو محمد عليه السلام، فدفع إلي خشبة كأنها رجل باب مدورة طويلة ملء

(١) سورة طه: الآية ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣ ـ ٣٦٥، المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٥ - ٣٧٧، ويُنظَر حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٧٤.

الكف فقال: صر بهذه الخشبة إلى العمري، فمضيت فلما صرت في بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق، فناداني السقاء ضح على البغل، فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت بها البغل، فانشقت فنظرت إلى كسرها فإذا فيها كتب؛ فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي فجعل السقاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب الثاني فقال: يقول لك مولاي أعزه الله: لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت له: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال: ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه! إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرت بها وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرِّفه من أنت، فانا ببلد سوء، ومصر سوء وامض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك[1].

رابعاً: المناظرات والحِكَم

لقد كان الإمام العسكري عليه السلام يتابع بدقة ما يجري على الساحة الفكرية، فيلاحق الأفكار المنحرفة والشبهات التي تطرح هنا وهناك في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل وعقائده الثابتة، خصوصاً تلك التي تعمد إلى تشويه المعالم الإسلامية؛ إذ كان يواجهها بالحجة، والأسلوب العلمي، والجدل الموضوعي.

ومن ذلك ما نقله ابن شهر آشوب في [المناقب]، والمجلسي في [بحار الأنوار] عن أبي القاسم الكوفي، أن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك، وتفرد به في منزله، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي فما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟، فقال أبو محمد عليه السلام:

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٨٣.

أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال عليه السلام: فصر إليه، وتلطف في مؤانسته، ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة أسالك عنها فانه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول: إنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد علي! فأعاد عليه، فتفكر في نفسه، ورأى ذلك محتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شي عرض بقلبي فأوردته عليك فقال: كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار، وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

إلى غير ذلك من مكاتباته ومواعظه ومناظراته التي انتشرت في كتب الأخبار والروايات الصحيحة المعتمدة، والتي سنذكر نماذج منها في المطلب التالي بإذن الله تعالى.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١١، ابن شهريشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٥٧.

المطلب الثاني: تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام الأصيل

وأذكر في هذا المطلب نماذج مما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام مما كان أصيلاً عنه موافقاً للقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام، التي لم يشوبها التحريف في نقلها لموافقتها للأدلة النقلية الثابتة سواء في العقيدة الإسلامية، أو مما أُثِر عنه عليه السلام من نصوص فقهية تتوزع على مختلف أبواب الفقه، أو التفسير، أو المواعظ والحكم.

أولاً: نماذج من تراثه عليه السلام العقدي

فمن تراثه العقدي ما وردَ عنه عليه السلام في التوحيد ومعرفة الله تعالى، إذ جاء في [الكافي] للكليني عن سهل بن زياد، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام ـ سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيّدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيت يا سيّدي أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه، فعلت متطوّلاً على عبدك.

فوقّع بخطّه عليه السلام: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، وليس بجسم ويصوّر ما يشاء وليس بصورة، جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، وتعالى أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير [1].

كذلك ما ورد عنه عليه السلام في رؤية الله تعالى، وكونها رؤية عقلية لا حسية، ويؤيده ما وردَ في [الكافي] أيضاً عن يعقوب بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّع عليه السلام: يا أبا يوسف، جلّ سيّدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يرى. قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟، فوقّع عليه السلام:

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص١٠٣.

إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ[١].

وكذلك من المسائل المهمة التي أثيرت في عصره عليه السلام مسألة خلق القرآن منذ زمان المأمون، وانقسم العلماء فيها إلى قسمين، فمنهم من قال بقدم كلام الله سبحانه، ومنهم من قال بحدوثه، مما أدّى إلى خلق فتنة ومحنة راح ضحيتها الكثير من الأعلام، وكان جواب الأئمة عليهم السلام المعاصرين لتلك المحنة واضحاً يقوم على أساس التفريق بين كلام الله تعالى وبين علمه، فكلامه تعالى محدث وليس بقديم، قال تعالى: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾[٢]، وأما علمه فقديم قدم ذاته المقدسة، وهو من الصفات التي هي عين ذاته[٣].

فنرى بعض امتدادات هذه المسالة في زمان الإمام العسكري عليه السلام، فقد روي عن أبي هاشم الجعفري أنه قال: فكّرت في نفسي، فقلت: أشتهي أن أعلم ما يقول أبو محمد عليه السلام في القرآن؟ أهو مخلوق أو إنه غير مخلوق؟ والقرآن سوى الله تعالى. فأقبل عليه السلام فقال: أما بلغَك ما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام: لَمّا نزلت ﴿**قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[٤] خلق الله لها أربعة آلاف جناح، فما كانت تمر بملإٍ من الملائكة إلا خشعوا لها، وقالوا: هذه نسبة الرب تبارك وتعالى[٥].

وله عليه السلام كذلك كثيرٌ من الكلمات في عقيدة الإيمان والتوفيق لتصديق نبوة

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٩٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية٢.

(٣) يُنظَر: الإمام الحسن العسكري عليه السلام بين العقيدة والتشريع، ورقة إلكترونية، الباحث محمد عباس نعمان الجبوري-من كلية العلوم الإسلامية-جامعة بابل، ٤/ ٧/ ٢٠١٩م، على الموقع الاليكتروني، http//quranic.uobabylon.edu.iq/service_showarticle.aspx?pubid=18915

(٤) سورة الإخلاص، الآية١.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٥٤، قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٦٨٦.

نبينا محمداً صلى الله عليه وآله، كذلك الإشارة إلى محبة العترة عليهم السلام من آل النبي صلى الله عليه وآله، منها ما كتبه إلى أهل قم وآية: إن الله تعالى ـ بجوده ورأفته ـ قد مَنَّ على عباده بنبيه محمد صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً، ووفقكم لقبول دينه، وأكرمكم بهدايته، وغرسَ في قلوب أسلافكم الماضين رحمة الله عليهم وأصلابكم الباقين تولى الله كفايتهم، وعمَّرهم طويلاً في طاعته حب العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب، ومنهاج الصدق وسبيل الرشاد، فوردوا موارد الفائزين، واجتنوا ثمرات ما قدَّموا ووجدوا غبَّ ما أسلفوا[١].

ومنها أيضاً ما ذكره في أنّ المؤمن بنبوة جميع الأنبياء عليهم السلام مع إنكاره لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله فكأنما أنكر نبوتهم جميعاً، ومثلها الإقرار بإمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام مع إنكار إمامة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنه إنكار لإمامتهم جميعاً، وهو ما رُويَ عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن عليّ عليه السلام يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إنّ المقرّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله؛ لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا[٢].

وورد عنه عليه السلام وصف الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بكونه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ما جاء عن أحمد بن إسحاق بن سعد قال: سمعت أبا محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: الحمد لله الّذي لم يخرجني من الدنّيا حتّى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخلقاً يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ثمّ يظهره فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً[٣].

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب ج٤، ص١٢٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص١٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٥١، ص١٦٠.

وكذلك قوله عليه السلام في الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: ابني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذّب فيها الوقّاتون، ثمّ يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة[١].

ثانياً: نماذج من تراثه عليه السلام الفقهي.

ولم يقتصر تراثه عليه السلام في رواياته الشريفة في العقيدة الإسلامية، بل إنها احتوت أغلب الأبواب الفقهية، وبناءً على سعة الأبواب الفقهية، وكثرتها مما أُثِر عنه عليه السلام، فسنكتفي في هذا المطلب بذكرِ نزرٍ مما ورد في مقاصدها وآثارها..

ومن ذلك ما وردَ عنه عليه السلام في أهمية الفرائض وحاجة العبد لأدائها ومقاصدها؛ إذ يقول عليه السلام فيها: إنّ الله بفضله ومنّه لمّا فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل رحمة منه لا إله إلّا هو عليكم، ليميز الخبيث من الطيّب وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم ولتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنّته.

ففرض عليكم الحجّ والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم والولاية، وكفى بهم لكم باباً ليفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمّد صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض وهل يدخل مدينةً إلّا من بابها؟

فلمّا منّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيّه صلى الله عليه وآله، قال: الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[٢]، ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها إليهم ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص١٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية٣.

أزواجكم وأموالكم، ومأكلكم، ومشربكم ويعرفّكم بذلك النماء، والبركة، والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب قال الله عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[١]، واعلموا أنّ من يبخل فإنّما يبخل على نفسه، وأنّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه لا اله إلّا هو[٢].

ومن مقاصد هذه الفرائض أيضاً ما وردَ عنه عليه السلام حين سُئِل لم فرض الله تعالى الصوم؟ فكتب عليه السلام: فرض الله تعالى الصوم ليجد الغني مَسَّ الجوع فيمنّ على الفقير[٣].

كذلك منه ما وردَ في [الكافي] عن السياري قال: كتب محمد بن الفرج إلى العسكري عليه السلام يسأله عما روي من الحساب في الصوم عن آبائك في عدة خمسة أيام بين أول السنة الماضية والسنة الثانية التي تأتي، فكتب: صحيح، ولكن عد في كل أربع سنين خمساً ـ وفي السنة الخامسة ستاً فيما بين الأولى والحادث، وما سوى ذلك فإنما هو خمسة خمسة، قال السياري: وهذه من جهة الكبيسة قال: وقد حسبه أصحابنا فوجدوه صحيحاً، قال: وكتب إليه محمد بن الفرج في سنة ثمان وثلاثين ومائتين هذا الحساب لا يتهيأ لكل إنسان [أن] يعمل عليه إنما هذا لمن يعرف السنين ومن يعلم متى كانت السنة الكبيسة ثم يصح له هلال شهر رمضان أول ليلة فإذا صح الهلال لليلته وعرف السنين صح له ذلك إن شاء الله[٤].

وفي باب آخر من أبواب الفقه وهو الإرث لما ذكره عليه السلام حين سُئِل: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرّجل القويّ سهمين؟ قال عليه السلام: لأنّ

(١) سورة الشورى، الآية٢٣.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٤.

(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٧٣.

(٤) الفروع من الكافي، ج٤، ص٨١.

المرأة ليس عليها جهاد، ولا نفقة، ولا عليها معقلة إنّما ذلك على الرجال[١].

فضلاً عن الفرائض فقد حثَّ عليه السلام كثيراً على أداء النوافل والمستحبات، فيقول عليه السلام في عدم إجهاد القلب بالنوافل إن كان مدبراً عنها: إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقصروها على الفرائض[٢].

وقد صدق عليه السلام ونصح، فإن القلوب إن لم تنشط وتقبل على العلوم والعبادات لم يبلغ منها المراد، ولهذا ذمَّ الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿**وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[٣]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ**﴾[٤]، فذم سبحانه وتعالى الكسل عند العبادة، والتردد بين أن يفعل وأن لا يفعل، فلم يبقَ أن يكون المراد إلا أن يُقبل العبد بقلبه وجوارحه وعمله الخالص على ربه سبحانه، فيقبل حينئذٍ عليه، ويعطيه سؤله ومراده[٥].

وقد أُثر عنه عليه السلام الكثير من الأعمال من الطاعات المستحب التقرب بها إلى الله تعالى، وسنقتصر هنا على ذكر ما جاء في صلوات أيام الاسبوع، فمما أورده ابن طاووس في [جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع] من ذكر لصلاة أيام الأسبوع مع ذكر فضلها وثوابها[٦].

منها ما وردَ في صلاة يوم السبت يقول عليه السلام: قرأت من كتب آبائي عليهم السلام:

---

(١) فروع الكافي، ج٧، ص٨٥، قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٦٨٥.

(٢) الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص٩٩.

(٣) سورة التوبة، الآية٥٤.

(٤) سورة النساء، الايات ١٤٢-١٤٣

(٥) الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص٩٩.

(٦) ابن طاووس، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص٤٣، ٤٤.

من صلّى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وآية الكرسي كتبه الله عزّ وجلّ في درجة النبيّين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وفي صلاة يوم الأحد، يقول عليه السلام: من صلّى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وسورة الملك بوّأه الله في الجنة حيث يشاء.

وفي صلاة يوم الاثنين، يقول عليه السلام: من صلّى يوم الاثنين عشر ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) عشراً جعل الله له يوم القيامة نورا يضيء منه الموقف حتى يغبطه به جميع من خلق الله في ذلك اليوم.

وصلاة يوم الثلاثاء، يقول عليه السلام: من صلّى يوم الثلاثاء ست ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و﴿**ءَامَنَ الرَّسُولُ**﴾ إلى آخرها، و﴿**إِذَا زُلزِلَتِ**﴾ مرة واحدة غفر الله له ذنوبه حتى يخرج منها كيوم ولدته أمّه.

وصلاة يوم الأربعاء، يقول عليه السلام: من صلّى يوم الأربعاء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد، والإخلاص، وسورة القدر مرّة واحدة، تاب الله عليه من كلّ ذنب وزوّجه بزوجة من الحور العين.

وفي صلاة يوم الخميس يقول عليه السلام: من صلّى يوم الخميس عشر ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و﴿**قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ عشراً، قالت له الملائكة: سل تُعط.

وصلاة يوم الجمعة في قوله عليه السلام: من صلّى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ وحم السجدة أدخله الله تعالى جنّته وشفّعه في أهل بيته ووقاه ضغطة القبر وأهوال يوم القيامة، وحين سُئل عن وقتها قال عليه السلام: ما بين طلوع الشمس إلى زوالها.

ثالثاً: نماذج من تراثه عليه السلام التفسيري.

وهو من أكثر ما جاءَ عن الإمام العسكري عليه السلام، وردَ أغلبه في التفسير المنسوب إليه عليه السلام فضلاً عن كتب الحديث الأخرى التي جمعت كلماته، وتفسيره للآيات الكريمة، فمما قاله عليه السلام في بسم الله الرحمن الرحيم وقربها من الاسم الأعظم لله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها[١]، كذلك ما روي عنه عليه السلام في تفسيرها: الله هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج، والشدائد كلّ مخلوق، وعند انقطاع الرجاء من كلّ مَن دونه، وتقطّع الأسباب من جميع من سواه، تقول: بسم الله، أي: أستعين على أموري كلّها بالله الذي لا تحقّ العبادة إلّا له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دعي، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني.

فقال له عليه السلام: يا عبد الله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم.

قال عليه السلام: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم

قال عليه السلام: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم.

قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث[٢].

وكذلك في أول تفسيره لسورة البقرة، إذ يقول عليه السلام في أولها: إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى، فتعلموا من مأدبة الله عزَّ وجلَّ ما استطعتم، فإنه النور المبين والشفاء

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٦.

(٢) الصدوق، التوحيد، ص٢٣١.

النافع، فـ تعلموه، فإن الله تعالى يشرفكم بتعلمه، تعلموا سورة البقرة، وآل عمران، فإن أخذهما بركة، وتركهما حسرة، ولا يستطيعهما البطلة، وإنهما ليجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو عقابتان، أو فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ويحاجهما رب العالمين[١].

وحين سُئلَ عليه السلام عن الحروف المقطعة فيه، يقول عليه السلام: كذّبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا: سحر مبين تقوّله، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢]، أي: يا محمّد هذا الكتاب الذي أنزلته عليك، هو [بـ] الحروف المقطّعة التي منها: ألف، لام، ميم، وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾ واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن أنّهم لا يقدرون عليه بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[٣]، ثمّ قال الله تعالى: ﴿**الم**﴾ هو القرآن الذي افتتح [ب] الم، هو ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ**﴾ الذي أخبرت به موسى، و[من] بعده من الأنبياء فأخبروا بني إسرائيل أني سأنزل [به] عليك يا محمّد كتاباً [عربيّاً] عزيزاً ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[٤].

﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾ لا شكّ فيه لظهوره عندهم، كما أخبرهم أنبياؤهم أنّ محمّداً ينزل عليه كتاب لا يمحوه الباطل يقرأه هو وأمّته على سائر أحوالهم ﴿**هُدى**﴾ بيان من الضلالة ﴿**لِلمُتَّقِين**﴾ الذين يتقون الموبقات، ويتقون تسليط السفه على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم عمله عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم[٥].

---

(١) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية١-٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية٨٨.

(٤) سورة فصلت، الآية٢٢.

(٥) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٧٥.

رابعاً: نماذج من إرثه عليه السلام الفكري في وصاياه وحكمه.

لقد زخرت كتب الحديث والأخبار بوصايا الإمام عليه السلام، وحكمه وقصار كلماته بما تحمله من معانٍ سامية تحمل في حروفها كل التطبيقات العملية لما دعت إليه الشريعة الإسلامية من الحفاظ على أصالتها، ورفعتها.

ومع الحذر والحيطة السرية التي اتبعها الإمام عليه السلام فقد كان يوصي أصحابه بالتزام الحق وعدم التهاون في الواجب، يقول عليه السلام: أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر وفاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي، فيسرني ذلك، واتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حقٌ في كتاب الله وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتطهير من الله لا يداعيه أحد غيرنا إلا كذَّاب[١].

كذلك كان من وصاياه عليه السلام: والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، فإنّها تنال في أوانها والمدبّر لك أعلم بالوقت الّذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في أمورك، ولا تعجل حوائجك في أول وقتك فيضيق قلبك، ويغشاك القنوط[٢].

ومن وصيته عليه السلام في الحلم، وكظم الغيظ: الجهل خصم، والحلم حكم، ولم يعرف راحة القلب من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ، إذا كان المقضي كائناً فالضراعة لماذا؟ نائل الكريم يحبّبك إليه، ونائل اللئيم يضعك لديه، من كان الورع سجيّته،

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٦.

(٢) الحلواني، نزهة الناظر، ص١٤٤.

والافضال حليته انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه، وتحصّن بالذكر الجميل من وصول نقص إليه[١].

ومن كلماته عليه السلام قوله: إن للسخاء مقداراً، فإن زاد عليه فهو سرف، وللحزم مقداراً، فإن زادَ عليه فهو جبن، وللاقتصاد مقداراً، فإن زادَ عليه فهو تهور[٢].

وقوله عليه السلام: ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون[٣].

وقوله عليه السلام: حب الأبرار للأبرار ثوابٌ للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلةٌ للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زينٌ للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزيٌ على الفجار[٤].

وقال عليه السلام: المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره ولا تدفع بالإمساك عنها[٥].

وقوله عليه السلام: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً، إن أُعطيَ حسده، وإن ابتلى خانه[٦].

وقوله عليه السلام: ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله[٧].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٧٧.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٦.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٧٩.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٧.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٦٧.

قوله عليه السلام: قلب الأحمق في فمه، وفم الحكيم في قلبه[١].

قال عليه السلام: ما ترك الحق عزيز إلّا ذلّ، ولا أخذ به ذليل إلّا عزّ[٢].

قال عليه السلام: التواضع نعمة لا يحسد عليها[٣].

قال عليه السلام: ما من بليّة إلّا ولله فيها نعمة تحيط بها[٤].

إلى غيرها من كلماته عليه السلام في العقيدة، أو الفقه، أو التفسير فضلاً عن حكمه ووصاياه عليه السلام التي تنبض جميعاً بنبض الإيمان الصريح، والتوكل على الله تعالى والنصح بصالح صفات المؤمنين التي تجعل المتطلع عليها كأنه مطلعٌ على بحرٍ لجي من العلم، والمعرفة الإيمانية الصحيحة لائقٌ بإرث نبي مرسل كنبينا محمد صلى الله عليه وآله الذي يجعلنا نتيقن بأن الكثير من المنسوب إليه عليه السلام مما لا يليق بهذا العلم يكون من جملة التحريفات، والتدليسات التي أضيفت لتراثه عليه السلام، وهو ما سنذكر نماذجَ منها في المطلب الثالث من هذا البحث.

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٦٨.

المطلب الثالث: التراث المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام وأسبابه

وبناءً على ما ذكرناه في المطلب السابق من نماذج ما روي من تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام الأصيل سواء أكان في العقائد أم الفقه أو التفسير، فضلاً عمَّا ذكرناه من إرثه الفكري والعلمي، والذي يدلُّ على سعة علمه، وغزارته ورقيه، نورد في هذا المطلب فرعين، نذكر في الفرع الأول منه نماذجَ مما نُسِب للإمام العسكري عليه السلام من النصوص التي نرى أنه قد دخلها التحريف والتغيير، أو أنها لم تصح نسبتها إليه أساساً؛ لأنّها لا تتوافق مع آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فضلاً عن كونها لا تنسجم مع ما ذكرناه في المطلب السابق من آرائه عليه السلام.

أما في الفرع الثاني فنذكر فيه أهم ما وجدناه من أسباب في وجود هذه الروايات وإدراجها مع تراثه المنسوب إليه عليه السلام.

أولاً: نماذج من الروايات المنسوبة للإمام الحسن العسكري عليه السلام .

ووجه تأكيدنا على وجود هذه الروايات إنما هو الدعوة إلى تنقيح جميع تراث أهل البيت عليهم السلام من أجل تخليصه من الدخن الذي أصابه والذي أدّى بدوره إلى تمكين أعداء الإسلام من بث سمومهم، وتزويدهم بأسلحة الهدم من التكذيب والتخريب والتشويش على الإسلام بصورة عامة، والتشيع وأئمته بصورة خاصة نتيجةَ ما لحقه بسببها من الاعتماد على غير المحسوس من سيرة أهل البيت عليهم السلام، وعلمهم الموروث وتضحياتهم المتواصلة في سبيل الله تعالى، وخير الناس أجمعين[1]، ومن هذه الروايات المنسوبة للإمام العسكري عليه السلام:

١ـ إلقاء شبه عيال معاوية

من الروايات المنسوبة للإمام عليه السلام التي نرى عدم صحة هذه النسبة لتصريح

(١) يُنظَر الموضوعات في الآثار والأخبار، ص٢٢٨.

العديد من العلماء بذلك ما ورد في [بحار الأنوار] و[مناقب آل أبي طالب]، من قول الإمام عليه السلام: إن رجلاً من محبي علي بن أبي طالب عليه السلام كتب إليه من الشام: يا أمير المؤمنين أنا بعيالي مثقل، وعليهم إن خرجت خائف، وبأموالي التي أخلفها إن خرجت ظنين، وأخر اللحاق بك والكون في جملتك، والخفوق في خدمتك، فجد لي يا أمير المؤمنين، فبعث إليه علي عليه السلام: أجمع أهلك وعيالك، وحصل عندهم مالك، وصلِّ على ذلك كله على محمد وآله الطاهرين، ثم قل: اللهم هذه كلها ودائعي عندك بأمر عبدك ووليك علي بن أبي طالب، ثم قم وانهض إلي.

ففعل الرجل ذلك، وأُخبر معاوية بهربه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فأمر معاوية أن تسبى عياله ويسترقوا، وأن تنهب أمواله، فذهبوا فألقى الله عليهم شبه عيال معاوية وحاشيته وأخص حاشيته كيزيد بن معاوية، يقولون: نحن أخذنا هذا المال وهو لنا، وأما عياله فقد استرققناهم وبعثناهم إلى السوق، فكفوا لما رأوا ذلك، وعرف الله عياله أنه قد ألقى عليهم شبه عيال معاوية، وعيال خاصة يزيد، فأشفقوا من أموالهم أن تسرقها اللصوص، فمسخ المال عقارب وحيات، كلما قصد اللصوص ليأخذوا منه لذعوا ولسعوا، فمات منهم قوم وضني آخرون، ودفع الله عن ماله بذلك إلى أن قال علي عليه السلام يوماً للرجل: أتحب أن يأتيك عيالك ومالك؟ قال: بلى، قال علي عليه السلام: إيت بِهم، فإذا هم بحضرة الرجل لا يفقد من عياله وماله شيئاً، فأخبروه بما ألقى الله تعالى من شبه عيال معاوية وخاصته وحاشية يزيد عليهم، وبما مسخه من أمواله عقارب وحيات تلسع اللص الذي يريد أخذ شيء منه، وقال علي عليه السلام إن الله تعالى ربما أظهر آية لبعض المؤمنين ليزيد في بصيرته ولبعض الكافرين ليبالغ في الإعذار إليه[1].

وهذه الرواية فضلاً عن عدم موافقتها لما ورد عنه عليه السلام من النصوص الروائية والكرامات الإلهية التي حبا بها الله تعالى أهل بيت نبيه عليهم السلام، فإن فيها أيضاً تعارضاً

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٣٩، ٤٠.

مع الوقائع التأريخية التي احتوتها، ذكرها التستري في [الأخبار الدخيلة] بقوله: بأن إلقاء شبه عيال معاوية وعيال يزيد على عيال شاميّ من الشيعة، فإنّه لا خلاف في أنّ يزيد توفّي سنة (٦٤هـ) وإنّما اختلف في سنّه، فقال المسعوديّ توفّي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وعن هشام الكلبيّ: توفّي وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وقال ابن قتيبة: وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، والأخير الّذي هو أكثرها لو قلنا به يصير يوم شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ابن أربع عشرة سنة وحين رجوعه عليه السلام من صفّين سنة (٣٧هـ) ابن إحدى عشرة وعلى القول الثاني ابن ثماني وعلى الأوّل ابن ستّ، فهو على كلّ الأقوال لم يكن يومئذ شيئاً مذكوراً حتّى يعجز عليه السلام عنه أو لا يعجز، ولم يكن يومئذ ذا عيال حتّى يلقى شبه عياله على عيال الرّجل الشيعيّ[1].

٢ـ انتقام المختار بن أبي عُبيد للإمام الحسين عليه السلام .

ومنها ما جاء في [التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام]، و[بحار الأنوار]، من قوله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام: كما أنّ بعض بني إسرائيل أطاعوا فأكرموا وبعضهم عصوا فعذّبوا فكذلك أنتم.

فقالوا: فمن العصاة يا أمير المؤمنين؟ قال: الّذين امروا بتعظيمنا أهل البيت وتعظيم حقوقنا فخانوا، وخالفوا ذلك وجحدوا حقوقنا، واستخفّوا بها وقتلوا أولادنا وأولاد رسول الله الّذين امروا بإكرامهم ومحبّتهم.

قالوا: يا أمير المؤمنين إنّ ذلك لكائن؟ قال عليه السلام: بلى، خبراً حقّاً وأمراً كائناً، سيقتلون ولديّ هذين الحسن والحسين، ثمّ قال: وسيصيب الذين ظلموا رجزاً في الدنيا بسيوف بعض من يسلط الله تعالى عليهم للانتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني إسرائيل الرجز، قيل: ومن هو؟ قال: غلام من ثقيف، يقال له [المختار بن أبي عبيد].

---

(١) التستري، الأخبار الدخيلة، ص١٥٤، ١٥٥.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: فكان ذلك بعد قوله عليه السلام هذا بزمان[1].

وإن هذا الخبر اتصل بالحجاج بن يوسف لعنه الله من قول علي بن الحسين عليهما السلام، قال: أما رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال هذا، وأما علي بن أبي طالب فأنا أشك هل حكاه عن رسول الله، وأما علي بن الحسين عليهما السلام فصبي مغرور، يقول الأباطيل، ويغرُّ بها متبعوه، اطلبوا لي المختار.

فطلب فأخذ، فقال: قدموه إلى النطع فاضربوا عنقه، فأُتِيَ بالنطع فبسط وأبرك عليه المختار، ثم جعل الغلمان يجيئون، ويذهبون لا يأتون بالسيف قال الحجاج: ما لكم؟ قالوا: لسنا نجد مفتاح الخزانة وقد ضاع منا والسيف في الخزانة، فقال المختار: لن تقتلني ولن يكذب رسول الله ولئن قتلتني ليحيينّي الله حتى أقتل منكم ثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألفاً، فقال الحجاج لبعض حجابه: أعط السياف سيفك يقتله فأخذ السياف سيفه وجاء ليقتله به، والحجاج يحثه ويستعجله، فبينا هو في تدبيره إذ عثر والسيف بيده، فأصاب السيف بطنه فشقه فمات، فجاء بسياف آخر وأعطاه السيف، فلما رفع يده ليضرب عنقه لدغته عقرب فسقط فمات، فنظروا وإذا العقرب فقتلوه.

فقال المختار: يا حجاج إنك لا تقدر على قتلي، ويحك يا حجاج أما تذكر ما قال نزار بن معد بن عدنان [لسابور] ذي الأكتاف حين كان يقتل العرب ويصطلمهم، فأمر نزار ولده: فوضع في زنبيل في طريقه، فلما رآه قال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من العرب أريد أن أسألك لم تقتل هؤلاء العرب ولا ذنوب لهم إليك، وقد قتلت الذين كانوا مذنبين في عملك والمفسدين؟ قال: لأني وجدت في الكتاب أنّه يخرج منهم رجل يقال له: [محمّد]، يدّعي النبوّة، فيزيل دولة ملوك الأعاجم ويفنيها فأقتلهم حتّى لا يكون منهم ذلك الرّجل....

(١) أي وُلِد المختار بعد قول أمير المؤمنين عليه السلام هذا بزمان، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، هامش ١، ص٤٨٤.

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام لأصحابه وقد قالوا له: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر من أمر المختار، ولم يقل متى يكون قتله لمن يقتل، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أولا أخبركم متى يكون؟ قالوا: بلى، قال: يوم كذا إلى ثلاث سنين من قولي هذا، وسيؤتى برأس عبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن في يوم كذا وكذا وسنأكل وهما بين أيدينا ننظر إليهما.

قال: فلمّا كان اليوم الّذي أخبرهم أنّه يكون فيه القتل من المختار لأصحاب بني اميّة كان عليّ بن الحسين عليهما السلام مع أصحابه على مائدة، إذ قال لهم: معاشر إخواننا طيبوا أنفسكم فإنّكم تأكلون وظلمة بني اميّة يُحصدون، قالوا: أين؟ قال: في موضع كذا يقتلهم المختار، وسيؤتى برأسين يوم كذا وكذا، فلمّا كان في ذاك اليوم أتى بالرّأسين لمّا أراد أن يقعد للأكل وقد فرغ من صلاته، فلمّا رآهما سجد وقال: الحمد لله الّذي لم يمتني حتّى أراني، فجعل يأكل وينظر إليهما[1].

وبرغم اتفاق عدد من الأحداث في هذه الرواية مع عدل الله تعالى ونصره لعباده، إلا إن ما فيها من عدم التوافق مع الروايات الأخرى قد تدفع الكثير بردها كلياً، ومن هذه التعارضات فيها، إنَّ [سابور] أُطلِق عليه ذلك بقوله صدق، هذا نزار ـ يعني المهزول فهو نزار، وأنه ابن معد بن عدنان، هذا، وإن من واضحات التاريخ إن سابور كان في زمان أولاد إياد بن نزار بن معد بن عدنان لا في عصر نزار بن معد[2].

كذلك فالرواية لم تخلُ من تناقضات تاريخية أخرى، ولا يتقبل العقل صدورها عن المعصوم عليه السلام، منها ما ذكره التستري في [الأخبار الدخيلة] بقوله: من واضحات التاريخ عند من له أدنى إلمام به أنّ المختار قُتل سنة ٦٧هـ في فتنة ابن الزّبير، ولم يكن

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٠، ٣٤١، ومثله مع تباين بعض ألفاظه في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص٤٨٥ – ٤٨٨.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، الهامش ٣، ص٤٨٥.

يومئذ لعبد الملك سلطنة على العراق، وإنّما كان أوّل سلطنته عليها بعد قتل ابن الزّبير سنة (٧٣هـ) وكان توليته للحجّاج على العراق سنة (٧٥هـ) وإنّما سمع جاعل الخبر بشيء في المختار مع عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فجعله في المختار مع الحجّاج ابن يوسف وعبد الملك بن مروان[١].

٣ـ اهتزاز العرش لسعد بن معاذ

حيث ورد في الرواية عن الإمام العسكري عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لسعد بن معاذ: أبشر، فإن الله يختم لك بالشهادة، ويهلك بك أمةً من الكفرة، ويهتز عرش الرحمن لموتك، ويدخل بشفاعتك الجنةَ عدد [شعور] الحيوانات كلها، قال عليه السلام: فذلك قول الله تعالى: ﴿**جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً**﴾ تفترشونها لمنامكم، ومقيلكم. ﴿**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾ سقفاً محفوظاً أن تقع على الأرض بقدرته تجري فيها شمسها وقمرها وكواكبها مسخرةً لمنافع عباده وإمائه[٢].

وفي هذه الرواية عنه عليه السلام ما يؤيد تحريفها، إذ ورد في معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله عن أبي بصير قوله، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن العرش اهتَزَّ لموت سعد بن معاذ، فقال عليه السلام: إنما هو السرير الذي كان عليه[٣].

ولذلك نرى في هذه الروايات مع إنه تعالى لا يعجز على شيء أبداً، وبالذات مع الكرامات التي حبا تعالى بها أهل بيت نبيه وخاصته عليهم السلام، إلا أنّها قد نُسِبت إلى الإمام العسكري عليه السلام ونُقِلت في مصادرَ عدة برغم وجود ما يناقض صحتها، فكانت سبباً في أن يدلوا العلماء دلوهم في تنقيح التراث المنسوب إليه عليه السلام، وتخليصه مما لا ينسجم ومقام العصمة التي اتصف بها آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله عامة، وإمامنا الحسن

(١) التستري، الأخبار الدخيلة، ص١٥٨.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص١٤، وبحار الأنوار، ج٢٧، ص٩٩.

(٣) معاني الأخبار، ص٣٨٨، ويُنظَر الأخبار الدخيلة، ص١٦٤.

العسكري عليه السلام خاصة، فكان دافعاً وسبباً للعلماء بأن يبحثوا في أسباب وجود هذه الروايات ومدى صحتها، وهو ما سأذكره في الفرع اللاحق من هذا المطلب.

ثانياً: أسباب انتشار الروايات المنسوبة للإمام عليه السلام

لم يكن وضع الأحاديث والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام والتدليس فيها أمراً جديداً في أي وقت، إذ يحرص بعض الأتباع لأي مذهب أن يضعوا الأحاديث في فضله وذم المذاهب الأخرى، وفي الغالب كانوا يخترعون سنداً يتصل بالنبي صلى الله عليه وآله، أو أحد الصحابة والتابعين[1]، واستمر هذا الأمر حتى وصل عصر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وقد نبه لذلك كثيراً الإمام علي عليه السلام في العديد من كلماته وخطبه، من أبرزها كلمته المشهورة: هلك فيَّ اثنان، محب غال ومبغض قال[2].

فضلاً الأسباب الأخرى التي تدعو المبغضين إلى وضع الأحاديث لأجل الانتقاص من شأن أهل البيت عليهم السلام عامة، وهو ما حدث من دَسِّ الروايات ضمن تراث الإمام العسكري عليه السلام خاصة، أو إدراج الروايات على الرغم من وجود الضعف في سندها أو متنها وتناقضها مع رؤيتهم عليهم السلام التصحيحية للعقائد الإسلامية.

وبناءً على ذلك، نذكر هذه الأسباب فيما يأتي:

١ـ الغلو

ويعود هذا الغلو فيهم عليهم السلام والتقصير إلى الفهم الخاطئ في مبادئ التولي والتبري، فضلاً عن تداول بعض الأحاديث التي ترسم لهم سلوك هذا الطريق بغض النظر عن البحث في صحتها من عدمها، وورد كذلك عن إسماعيل بن عبد العزيز،

---

(١) ذكر السيد هاشم معروف الحسني في كتابه [الموضوعات في الآثار والأخبار] نماذج عدة من هذه الموضوعات، لم يسع البحث التطرق إليها بغية عدم التوسع الذي يخرجنا من موضوعية بحثنا، يُنظَر الموضوعات في الآثار والأخبار، ص١٢٠، وما بعدها.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ص١١٢.

قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا إسماعيل ضع لي في المتوضأ ماءً، قال: فقمت فوضعت له، قال إسماعيل: فدخل، قال: فقلت في نفسي أنا أقول فيه كذا، وكذا ويدخل المتوضأ يتوضأ، قال: فلم يلبث أن خرج، فقال: يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا، فقال إسماعيل: وكنت أقول إنه وأقول وأقول[1].

وهذا إن يدلَّ على شيء، فإنما يدلُّ على أنَّ الأئمة عليهم السلام قد واجهوا الغلو فيهم؛ ومنهم الإمام العسكري عليه السلام، وقد واجه عليه السلام هؤلاء المغالين وحذَّر منهم، إلا أنّه يبدو من العديد من الروايات أن كلماتهم بقيت متداولة في كتب العقائد والفقه والتفسير وغيرها، الأمر الذي أدى إلى انتشارها، وتسببها في الكثير من الخلافات، والتحريفات فيما بين أيدينا من تراثه عليه السلام.

قال التستري في نهاية كلامه حول التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: وبالجملة، وهذا التفسير، وإن كانَ مشتملاً على ذكر معجزات كثيرة لأمير المؤمنين عليه السلام كالنبي صلى الله عليه وآله وهو بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله، بشهادة القرآن، إلا أنه ليس كل ما نُسِب إليهم عليهم السلام صحيحاً، فقد وضع جمعٌ من الغلاة أخباراً في معجزاتهم وفضائلهم وغير ذلك.. إلى أن قال: وضعَ جمعٌ من النُصّاب والمعاندين أخباراً منكرة في فضائلهم ومعجزاتهم بقصد تخريب الدين، وعلى أن يرى الناس الباطل منه فيُكفَر بالحق منه...[2].

فضلاً عن ذلك، ودليلاً على وجود وانتشار الغلو في عصره عليه السلام، ما ذكر في تصديه لبعض الاتجاهات العقائدية المنحرفة، والفرق الضالة من الغلاة الذين كانوا

(١) قوله إنه أي أنه الرب تعالى الله عن ذلك، وأقول أي لم أرجع بعد عن هذا القول، أو المعنى أني كنت مصراً على هذا القول. بحار الأنوار، ج٤٧، ص٦٨، الهامش ٣

(٢) بحوث في مباني علم الرجال، ص٢٤٤.

في زمانه، ووصفوا الأئمة عليهم السلام بصفات الأُلوهية.

ومن هؤلاء إدريس بن زياد الكفرتوثائي، إذ قال: كنت أقول فيهم قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمد عليه السلام، فقدمت وعليّ أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكان حمام فذهب بي النوم، فما انتبهت إلا بمقرعة أبي محمد عليه السلام قد قرعني بها حتى استيقظت، فعرفته فقمت قائماً أُقبّل قدميه وفخذه وهو راكب والغلمان من حوله، فكان أول ما تلقاني به أن قال: يا إدريس: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[1]، قلت: حسبي يا مولاي، وإنّما جئت أسألك عن هذا، قال: فتركني ومضى[2].

بل إنه عليه السلام كان يوجه رسائله لأصحابه يبين فيها عظم ذنب الغلو الذي يؤدي بهم إلى الحرمان حتى من صالح الدعاء، ومن ذلك ما وردَ عن أبي سهل البلخي قال: كتب رجل إلى أبي محمّد عليه السلام، يسأله الدّعاء لوالديه، وكانت الامّ غالية والأب مؤمنا، فوقّع عليه السلام: رحم الله والدك. وكتب آخر يسأله الدعاء لوالديه وكانت الأمّ مؤمنة والأب ثنوّياً، فوقع عليه السلام: رحم الله والدتك[3].

٢ـ الإقلال والتقصير.

ومن هذه الأسباب أيضاً المحاولات المتوالية في التقليل من شأنهم عليهم السلام بسبب العداء المتواصل لهم من قبل السلطة آنذاك، وقد أدى ذلك إلى أن يضع جمع من النصّاب والمعاندين أخباراً منكرة في فضائلهم، ومعجزاتهم بقصد تخريب الدّين ولأن يرى الناس الباطل منه فيكفروا بالحقّ منه، قال الباقر عليه السلام: ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال

(١) سورة الأنبياء، الآية٢٦-٢٧.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٦١.

(٣) الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص٩٩، وبحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٩٤.

السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس[١].

وروى المجلسي في [بحار الأنوار] أنّ إبراهيم بن أبي محمود قال للرّضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت، وهي من رواية مخالفيكم، ولا نعرف مثلها عندكم أفندين بها؟ فقال عليه السلام: يا ابن أبي محمود، إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام أحدها الغلوّ، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع النّاس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[٢]، إلى أن قال عليه السلام: يا ابن أبي محمود احفظ ما حدّثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة[٣].

٣ـ ضعف السند أو المتن أو كليهما.

كما يُعَد من أسباب انتشار الروايات التي لا تناسب مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام ما روي من أحاديث ضعيفة لم يصح إسنادها، أو أن ضعفها ظاهر في معنى المتن ذاته وإن صحَّ الإسناد، ويتأتى ذلك من أسباب عدة، أوضحها السيد الخوئي في كتابه [معجم رجال الحديث]، في باب كثرة الرواية عن الإمام المعصوم عليه السلام، وذكر فيه ثلاث روايات في الاستدلال باعتبار الشخص بكثرة روايته عن المعصوم عليه السلام، هي:

الرواية الأولى: ما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: اعرفوا منازل الرجال منا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١١، ص٤٣.

(٢) سورة الانعام، الآية ١٠٨.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٣٩.

على قدر روايتهم عنا[١].

والرواية الثانية: عن الإمام الصادق أيضاً من قوله عليه السلام: اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، فقيل له: أوَيكون المؤمن محدِّثاً؟ قال عليه السلام: يكون مفهماً، والمفهم محدِّث[٢].

والرواية الثالثة: عنه عليه السلام: اعرفوا منازل الناس منا على قدر روايتهم عنا[٣]، ويعقب عليها السيد الخوئي، قائلاً: أن هذه الروايات ـ بأجمعها ـ ضعيفة، أما الأخيرتان فوجه الضعف فيهما ظاهر، وأما الأولى فلأنّ محمد بن سنان أحد رجال إسنادها ضعيف على الأظهر.

على أنه لو أغمضنا عن ضعف السند، فالدلالة فيها أيضاً قاصرة؛ وذلك فإن المراد بجملة: قدر روايتهم عنَّا ليس هو قدر ما يخبر الراوي عنهم عليهم السلام، وإن كان لا يعرف صدقه وكذبه، فإن ذلك لا يكون مدحاً في الراوي، فربما تكون روايات الكاذب أكثر من روايات الصادق، بل المراد بها هو قدر ما تحمله الشخص من رواياتهم عليهم السلام، وهذا لا يمكن إحرازه إلا بعد ثبوت حجية قول الراوي، وأن ما يرويه قد صدَرَ عن المعصوم[٤] عليه السلام.

فضلاً عن ذلك، فقد أكَّد أئمة أهل البيت على أهمية الدراية للحديث وليس الاقتصار على الروايات وتعددها، من ذلك ما ذكره المجلسي في [بحار الأنوار] عن أبي عبد الله عليه السلام، قوله: يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات

(١) رجال الكشي، ص٩، ووسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٤٩.

(٢) رجال الكشي، ص٩، ووسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٤٩.

(٣) رجال الكشي، ص١٠.

(٤) معجم رجال الحديث، ص٧٤، ٧٥، ويُنظَر بحوث في مباني علم الرجال، ص١٦٦.

الإيمان، إني نظرت في كتاب لعلي عليه السلام فوجدت في الكتاب: أن قيمة كل امرئ وقدره معرفته إن الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا، وكذلك من قوله عليه السلام: حديث تدريه خير من ألف ترويه[1].

(١) معجم رجال الحديث، ص٧٤، ٧٥، ويُنظَر: بحوث في مباني علم الرجال، ص١٦٦.

الخاتمة:

بعد رحلتنا المختصرة هذه في أهم ما وَصَلَنا من تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام الأصيل، نخرج من هذا البحث بنتائجَ عدة، نلخصها بالآتي:

١ـ من خلال اطلاعنا على تراث الإمام العسكري الأصيل، يظهر لنا مدى حرصه عليه السلام في إيصال معالم وصورة الإسلام الناصعة إلى عامة الناس فضلاً عن تنبيهه عليه السلام على كل ما يشوه هذه الصورة بما يتعلق بالإسلام والمسلمين الحقيقيين، فكان تارةً معلماً للعقائد الإسلامية، وتارةً فقيهاً، وأخرى مفسراً، فضلاً عن إجاباته الشافية في الردود على جميع الشبهات المطروحة في عصره عليه السلام.

٢ـ اتسمت حياته وسلوكه ومنهجيته عليه السلام بجميع التطبيقات العملية لما دعت إليه الشريعة الإسلامية، سواء في أقواله، وما زخرت به كتب الحديث والأخبار والروايات من حكمه ووصاياه وقصار كلماته، وفي أفعاله بما تحمله من معانٍ ساميةٍ تحمل في حروفها كل أساليب الحفاظ على أصالة ورفعة هذه الشريعة الغراء.

٣ـ إن دور الأئمة يُعَد امتداداً لدور الأنبياء عليهم السلام، سواء في رسالتهم وأهدافهم المكلفين بالحفاظ عليها من الدعوة إلى الله تعالى، والترغيب في ثوابه والترهيب من عقابه، وسَوق الناس إلى اتباع رضوانه، وتزكية نفوسهم من الرذائل، وتطهيرها بالحب والإيمان والخلق الفاضل فضلاً عن تعليمهم شرائع دينهم، وبناءً على ذلك كله، كان من الطبيعي جداً أن يوجد في عصره من يحاول تشويه هذه الصورة الجلية الناصعة، من خلال دسِّ الأحاديث، والروايات التي تقلل من شأنهم جميعاً عليهم السلام، سيّما والظروف السياسية، ومحاصرة السلطة التي استهدفت الإمام عليه السلام وأهل بيته خاصة آنذاك.

٤ـ إن التمعن في تراثه عليه السلام الأصيل، وبأقسامه الكثيرة يدل على سعة تفكيره وغزارة علمه عليه السلام وإحاطة أفقه بصغائر الأمور، وكبائرها؛ ولذلك كان من واجبنا

أن نبحث فيما يُنسَب إليه عليه السلام من أقوال، وعقائدَ، وأحكام، والتأكد من صحتها سنداً ومتناً، درايةً ورواية، من أجل إبراز، وإحياء معالم هذه المدرسة الكريمة، وما أثر عنه عليه السلام من نصوص ودروس خالدة على الرغم من محاولات طمسها المتجددة في كل عصر ومصر.

٥ـ من أهم الأسباب التي أدت إلى وجود الروايات المنسوبة للإمام عليه السلام مع أصالة تراثه هو الغلو فيه، أو محاولات التقليل، وخصوصاً تجاه ما يراه الناس أمامهم من كرامات قد حباه الله تعالى بها فضلاً عن البغض والتقصير الناجم عن محاولات التقليل من شأنه عليه السلام سواء من قبل السلطة الحاكمة آنذاك، أو من قبل أعداء الإسلام والمسلمين الذين يحاولون بهذه الأخبار الإساءة إليه، والنيل من مكانته عليه السلام.

٦ـ كما يُعَد من أسباب وجود الروايات المحرفة، والدخيلة مع تراثه عليه السلام الأصيل هو ما فيها من أحاديث ضعيفة لم يصح إسنادها، أو أن ضعفها ظاهر في معنى المتن ذاته وإن صحَّ الإسناد، ويتأتى ذلك من أسباب عدة، كالتركيز على كثرة الرواية عن الإمام المعصوم عليه السلام، أو التباهي، والتشرف بنقل هذه الروايات بغض النظر عن صحتها من عدمها وغيرها.

ولذلك وجب علينا جميعاً الدفاع عن معالم هذه المدرسة الكريمة وعدم التساهل في إدراج ما يُدَس فيها من أقوال لا تتناسب، ومكانة المعصوم عليه السلام التي قد تؤدي بدورها إلى ادعاءات تسيء لكثير من القيم، والمبادئ التي تُبتنى عليها..

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلَّم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى: ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

٢. ابن الغضائري، الشيخ أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي، الرّجال، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، مطبعة سرور، قم ـ إيران، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٣. ابن شهرآشوب، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٤. ابن طاووس، السيد علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، تحقيق: جواد قيومي الأصفهاني، مطبعة اختر شمال ـ إيران، الطبعة الأولى: ١٤٧١هـ.

٥. أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، النجف الأشرف ـ العراق د. ط

٦. الإربلي، الشيخ أبو الحسن علي بن عيسى أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، تحقيق: علي آل كوثر، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، دار التعارف، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٧. بحوث في مباني علم الرجال معالجة علمية لبعض الإثارات الفاشلة حول التراث الديني تحت ذريعة تهذيب الأحاديث وتصحيحها ـ محاضرات المحقق الشيخ محمد السند، بقلم: محمد صالح التبريزي، مطبعة سرور، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٨. التستري، محمد تقي ت١٤١٥هـ، الأخبار الدخيلة، تعليق: علي أكبر

غفاري، نشر: دار الصدوق، طهران ـ إيران، الطبعة الأولى د ت.

٩. التفسير المنسوب للإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام ـ الإشراف: السيد محمد باقر نجل آية الله مرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، قم ـ إيران، الطبعة الثانية: ١٤٣٣هـ.

١٠. الجبوري، محمد عباس نعمان، الإمام الحسن العسكري عليه السلام بين العقيدة والتشريع، ورقة اليكترونية، من كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بابل، ٤/ ٧/ ٢٠١٩م، على الموقع الإليكتروني:

http://quranic.uobabylon.edu.iq/service_showarticle.aspx?pubid=18915.

١١. الحراني، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة من أعلام القرن الرابع الهجري، تحف العقول عن آل الرسول ـ تقديم: العلَّامة السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

١٢. الحسني، السيد هاشم معروف، الموضوعات في الآثار والأخبار، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣. الداوري، تقريراً لبحث آية الله الشيخ مسلم، أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق ـ تأليف وتحقيق: محمد علي علي صالح المعلم، مطبعة نمونه ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٤. الديلمي، الحسن بن أبي الحسن من أعلام القرن الثامن الهجري، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥. الراوندي، الشيخ قطب الدين ٥٧٣هـ، الخرائج والجرائح، التحقيق والنشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

١٦. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ٣٨١هـ، معاني الأخبار، تصحيح وتحقيق: علي أكبر غفاري، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٧. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه ـ تعليق: العلّامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

١٨. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ)، التوحيد، ـ تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، د. ط.

١٩. الطبرسي، الإمام أبو علي الفضل من أعلام القرن السادس، إعلام الورى بأعلام الهدى، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٠. الطهراني، العلَّامة آغا برزك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م.

٢١. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد ـ ضبط وتخريج أحاديث: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٢. العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحر ت١١٠٤هـ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، د. ط.

٢٣. العاملي، محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٤. الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ـ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، نشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ـ مشهد، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٢٥. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وتحليل، دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٦. القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ.

٢٧. القمي، الشيخ عباس، الكنى والألقاب، منشورات مكتبة الصدر، طهران ـ إيران، د. ط.

٢٨. الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز، رجال الكشي، تقديم وتعليق: السيد أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء ـ العراق.

٢٩. الكليني، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب ت٣٢٩هـ، الكافي، تحقيق وتعليق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٠. المجلسي، محمد باقر ت١١١١هـ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣١. محمد عبده، شرح الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٣٢. الوتري، العلَّامة الشيخ أحمد بن محمد، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، المحمية ١٣٠٦هـ.

البحث الخامس

الأثر الفكري والسياسي

للإمام الحسن العسكري عليه السلام

في التمهيد لإمامة الحجة المنتظر عليه السلام

م. شيماء ياس خضير العامري

جامعة ذي قار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الملخص:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين، اللهم صل على الحسن بن علي الهادي إلى دينك والداعي إلى سبيلك صلاة يلحق بها محل الخاشعين ويعلو بالجنة مع جده خاتم النبيين وبلغه منا تحية وسلاماً.

تعد مدرسة أهل البيت عليهم السلام المدرسة الكبرى للإنسانية فهي من معالم الدين الوضاءة لتحقيق العدالة الإلهية، فهي حلقة متصلة من النبوة إلى الإمامة فها هو الإمام العسكري الذي نشأ وتربى في ظل أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام الذي فاق أهل عصره علماً وزهداً وتقوى بعد أن صحب اباه ثلاث وعشرين سنة تلقى خلالها ميراث النبوة والإمامة فكان كآبائه الكرام علماً وعملاً وقيادة وإصلاحاً لأمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أن عظمة وخطورة الدور الذي أوكل للإمام العسكري عليه السلام تمثل بتهيئة الشيعة إلى ثقافة الغيبة في ظل الملاحقة العباسية التي كانت تراقب دار الإمام وزوجاته، وكل ما يتعلق بالمولود الموعود الذي أشارت إليه الكثير من الأحاديث النبوية وأقوال الأئمة السابقين بأنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً مما سيقض مضاجع الظالمين والحكام الذين سعوا في أكثر من مرة إلى قتل الإمام العسكري لإبادة نسله ومنعا لتولد الإمام الموعود؛ ولذا كانت من أولويات سياسة الإمام السعي لإخفاء حمل وولادة الإمام الموعود وجعله بعيداً عن الأنظار، ومن ثم السعي لاطلاع خواص الخواص من أوليائه لينقلوا إلى الشيعة نبأ ولادته لرفع الشبهة وهذا ما يفسر لنا مضمون الروايات بتوقيع الإمام العسكري ولد لنا مولود، فليكن عندك

مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته، لم تتلخص مهمة الإمام بهذه الخطوة، بل كان عليه الحث والتركيز على فكرة الغيبة لا سيما بعد أن دأب الشيعة التواصل مع الأئمة ومجالستهم ومحادثتهم من دون واسطة فكان على الإمام اعدادهم نفسيا للمرحلة القادمة من خلال احتجابه عنهم تقليل الارتباط المباشر معه ليألفوا الطريقة الجديدة من دون أن يشكل ذلك صدمة نفسية تدفع بالبعض إلى التخلف، والارتداد وفي الوقت نفسه تأمين حاجاتهم الفكرية، والروحية والمادية دون حصول خلل من خلال اعتماد على المكاتبات والتوقيعات والوكلاء بعد أن عين الإمام العسكري وكيلاً عنه في كل منطقة يوجد فيها شيعة من شيعته كانوا يمثلون حلقة الوصل بينه، وبينهم حيث استمر ذلك الوضع طيلة حياته إلى وفاته ليعتمد كأسلوب وحيد في عصر الغيبة الذي مازلنا نعيش أيامها التي لم يبق منها اليوم إلا وسيلة واحدة وهي الحوزة العلمية، وهذا مصداق لقول أئمة الهدى عليهم السلام أن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وهذا ما يؤكد مهمة الإمام العسكري بالتحضير لمستقبل الإمامة، ولزمان الغيبة بتهيئة المقدمات الضرورية لتحقيق هدف الرسالات السماوية في تجسيد فكرة الإمام الموعود في آخر الزمان، إذ أن فكرة الإمام الموعود ليست تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هي عنوان لطموح تتجه إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، حيث تتحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي.

المقدمة

اللهم أرني الطلعة الرشيدة، والغرة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة مني إليه وعجل فرجه وسهل مخرجه، وأوسع منهجه، واسلك بي محجته، وانفذ أمره، واشدد ازره واعمر به بلادك، وأحي به عبادك برحمتك يا أرحم الراحمين.

حفلت مدينة سامراء بأهمية تاريخية كبيرة بعد أن تحولت لمركز الإمامية طيلة عهدي الإمامين العسكريين عليهما السلام، ومدرسة فكرية للرد على التيارات المنحرفة ومقصداً للعلماء وطلاب العلم لاستسقاء علوم المدرسة العسكرية، ويكفي تلك المدينة فخراً أنها تشرفت بولادة الحجة المنتظر، وغيبتيه الصغرى، والكبرى، لتحظى تلك المدينة بتراث غر وثر وتسامح ديني على مر الأجيال.

اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على مبحثين جاء المبحث الأول المعنون أثر الإمام الحسن العسكري بالتمهيد للغيبة في ظل تضييق الخلافة العباسية للحديث عن أثر الإمام العسكري العلمي، والديني في تهيأة الذهنية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ومفهومها الفكري الرسالي الذي يتكلل بالغيبة حيث تطرقنا إلى جهود الإمام العسكري الفكرية والعلمية لننتقل إلى السعي الحثيث للخلافة العباسية التي سعت بشتى الطرق للتضييق على الإمام من خلال فرض إقامة جبرية، واعتقال، وسجن لأكثر من مرة بهدف منع ولادة الحجة المنتظر تلك الولادة الميمونة التي نكرس الحديث عنها ضمن المبحث الثاني المعنون أثر الإمام الحسن العسكري في الإعداد للإمامة الغائبة الذي جاء ضمن محورين الأول بعنوان أثر الإمام العسكري في إخفاء ولادة الحجة المنتظر، وحجبه عن العامة تناول موضوع زواج الإمام العسكري وحمل وولادة الإمام الموعود ومدى السرية، والكتمان التي حظيت بها تلك الولادة مع ذكر الروايات الواردة لهذا الشأن بينما حمل المحور الثاني المعنون سياسة الإمام العسكري في الاحتجاب، وإرجاع الشيعة للوكلاء تمهيداً للغيبة فكرة الأمان في

كيفية التطبيق العملي لشروط الغيبة والتي تضمنت غياب الإمام، فعمل الإمام على الاحتجاب عن شيعته ومواليه وانابة وكلاء عنه في مختلف البلدان يحملون مكاتباته، وتوقيعاته، وهدفه من ذلك الإعداد العملي لغيبة الإمام الموعود ليستتبعها المحور الثالث المعنون استشهاد الإمام الحسن العسكري والإمامة الغائبة ظاهرياً الذي جاء فيه الحديث حول سم الإمام من قبل الخلافة العباسية، وإشارة الإمام للإمامة الغائبة وحث أصحابه على التمسك بوصاياه، والإمام الغائب مع ذكر الروايات التي تنص على الإمام من بعده والصلاة عليه، ودفنه ليبدأ عصر الإمامة الغائبة لننهي البحث بخاتمة حملت خلاصة ما توصل له البحث تتبعها قائمة للهوامش وأخرى للمصادر والمراجع.

اعتمد البحث على مصادر عديدة ومتنوعه منها كتاب كمال الدين، وتمام النعمة للشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ، وكتاب بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي بجزأيه الخمسين والحادي والخمسين، وكتاب تاريخ الإمام الثاني عشر لعباس القمي، وكتاب تاريخ الغيبة الصغرى لمحمد الصدر، وكتاب الأئمة الاثنا عشر لعادل الأديب، وكتاب حياة الإمام الحسن العسكري لباقر شريف القرشي، وغيرها مصادر كثيرة أغنت البحث بكم من المعلومات القيمة.

المبحث الأول: أثر الإمام الحسن العسكري بالتمهيد للغيبة في ظل تضييق الخلافة العباسية

الحسن العسكري هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب العلوي الهاشمي[١]، ولد في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه[٢]، وذلك في سنة ٢٣٢هـ[٣] غير أنه لم يستقر فيها طويلاً فسرعان ما انتقل مع أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام إلى مدينة سامراء بأمر من الخليفة المتوكل العباسي سنة ٢٣٦هـ[٤] لينشأ ربيب البيت العلوي في محلة عسكر التي أخذ منها لقبه العسكري[٥] بعد أن ترعرع في حجر الإمامة الكبرى وكنز الهداية العظمى وظفر بأسمى صور التربية الرفيعة التي غمرت قلبه بأنوار الولاية وتغذى بمناهل الحكمة والمعرفة، فكان مضرب المثل في استيعاب

(١) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر (٦٨١هـ) وفيات الزمان وانباء أبناء الزمان، ج٢، ص٩٤؛ إبراهيم الموسوي الزنجاني (ت١٣٥٢)، كشكول الزنجاني، ص٥٦.

(٢) الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان (ت٣٣٤)، البداية الكبرى ج ٤، ص ٤٤٥.

(٣) وقد اختلفت المصادر في تحديد سنة ولادته عليه السلام فبعضها يورد ولادته في رجب لسنة ٢١٤. ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، ج ١٢، ص٣٨٠، وبعضها الآخر يوردها في يوم الاثنين أو الجمعة بعضها في شهر ربيع الأول والاخر في شهر ربيع اخر أو في رمضان في سنة ٢٣١هـ ينظر: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة، ج٣، ص١٧١، لكن المرجح أنها في ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ بناء على عمره الشريف وسنة وفاته ينظر: المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣١٣.

(٤) خلصان، مالك مهدي، شخصية الإمام الحسن العسكري، ص٩.

(٥) الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحدة الهدف وتعدد الأساليب، ص١٧ ـ ١٠.

أبعاد هذه النشأة التي حاز من خلالها بالتأهيل الرائد على حداثته وصغر سنه[١] بعد أن رأى فيه الإمام علي الهادي عليه السلام صورة صادقة لأخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله، ووجد فيه ذاتيات الأئمة الطاهرين عليهم السلام فهو الامتداد الطبيعي للإمامة، والنيابة عن النبي صلى الله عليه وآله، لذا اهتم بأمره وأشاد بعظم شانه وجلالة منزلته أمام خواصه وثقاته من الشيعة، بعد أن جعله الله امتداد لخط الإسلام الصحيح وأنتخب حاملاً لشريعة السماء حافظاً لكتاب الله ودينه ونوراً للبرية ومناراً للعباد[٢]، فعن علي بن محمد عن إسحاق بن محمد عن محمد بن يحيي بن رئاب عن أبي بكر الفهفكي أنه قال: كتب الي الإمام علي الهادي عليه السلام كتاباً جاء فيه: «أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه ينتهي عرى الإمامة، وأحكامها فما كنت سائلي منه فسأله عنه فعنده ما تحتاج إليه)[٣]، إلا أنه وبحسب طبيعة الظرف السياسي الذي عاصره الإمام علي الهادي عليه السلام جعله يتكتم عن خبر الإمام الحسن العسكري عليه السلام تكتماً شديداً، ولا يسمح بالتنويه عنه الا لخواصه وثقاته بهدف إبقائه بعيداً عن الزخم الجماهيري لئلا يشتهر أمره بين الناس حذرا من الإرهاب الدموي الذي عرف به العباسيون اتجاه أهل البيت عليهم السلام [٤] ولا سيما بعد تواتر الأحاديث عن كونه الإمام الحادي عشر ووالد الإمام الثاني عشر، كما جاء عن صقر بن الدلف، قال: «سمعت علي بن محمد بن علي الرضا، يقول: «الإمام بعدي الحسن وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» وهذا ينبئ أن الإمام علياً الهادي عليه السلام

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص٢٠ ـ ٢٢.

(٢) الحداد، عبد السادة محمد، الإمام الحسن العسكري ورواياته الفقهية دراسة في دلالات المتون، ص ٣١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص٢٤٥.

(٤) القرشي، باقر شريف، المصدر السابق، ص ٢٣ ـ ٢٤.

كان معتنياً عناية ملتزمة بولده وحفيده معاً وهو المبشر بذلك الحفيد المنقذ[١].

كان لملازمة الإمام الحسن العسكري لأبيه الإمام علي الهادي عليهما السلام في حله وترحاله طيلة العقدين الأولين من عمره جعلته يحيط بجميع الظروف والملابسات والمواقف التي كان يتعرض لها عليه السلام، فكان يتلقى ذلك بصمت وضبط، وإتقان استعداداً لتولي الإمامة في حقبة انمازت بحراجة الظرف السياسي، واستثنائية الواقع العقائدي الذي يعيشه التشيع حينذاك[٢] بعد أن اتسعت المفارقات في أجهزة النظام العباسي وادت إلى تداعي هيبة الحكم بصورة لا مجال لإخفائها أو التستر عليها فقد تدنت مقدرة السلطان عن القرار وضعفت القيادة العامة للدولة، وتبددت اوصالها نتيجة تحكم الأتراك في مفاصل الحكم، فساعد هذا المناخ على قيام حركات تمرد انفصالية عن كيان البلاط العباسي مما أدى إلى تكاتف مظاهر الاستنكار من قبل الشرائح الشعبية ما أسهم في تعقيد الإجراءات التي لا هم لها إلّا الاضطهاد والعنت السياسي تجاه العدو الأول لأنظمة الجبابرة، وهم أهل البيت عليهم السلام الذين عانوا من الحيف والحصار والرقابة وظلمات السجون[٣]، إذ لا ريب فيه أن هذه الحالة السياسية التي عايشها الإمام الحسن العسكري عليه السلام شكلت مفصلاً أساسياً انعكس سلباً على مجمل الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية لتلك الفترة التي عدت بداية العصر الثاني للخلافة العباسية[٤]، وسقوط هيبتها، وانحلالها ولا سيما بعد استيلاء الأتراك على عاصمة الملك وانتفاض أطراف الدولة واستيلاء العمال، والولاة عليها واعتزال الخلفاء عن شؤون الحكم، وانصراف غالبيتهم إلى أساليب اللهو والترف والمجون مع بقاء السمة البارزة في حياة الخلفاء العباسيين، ومن سار

(١) الصغير، محمد حسين علي، المصدر السابق، ص٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الصدر، محمد، تاريخ الغيبة الصغرى، ص١٧٣.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، المصدر السابق، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٤) الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري سيرة وتاريخ، (دم)، (دت)، ص١١.

في ركبهم من القادة والولاة والقضاة الا وهي إيذاء الإمام عليه السلام وتشديد الرقابة عليه[١] لإدراكهم بأنهم إن لم يحولوا بين الإمام عليه السلام ورجال الفكر والعلم من شيعته، ومن العامة فانه سينشر من طاقات العلم والوعي ما تتقدم بيه الأمة في مجالاتها الفكرية، والعلمية ما يفتح لها آفاق جديدة لا في ميادين العلوم فحسب وإنما في ميادين الوعي السياسي والاجتماعي[٢]؛ لذا فقد جهدوا على الحيلولة بين الأمة وبين قادتها الواقعيين من خلال سياسة ربط الإمام بالبلاط ودمجه بالحاشية، وإكراهه على الحضور لبلاط الخليفة كل اثنين وخميس توصلا إلى دوام مراقبته ودقة الاطلاع على أمره، وفصله عن قواعده الشعبية المواليه له[٣] إلّا أن ذلك لم يكن ليثني الإمام عليه السلام عن دوره الريادي، والقيادي بالدعوة إلى خط أهل البيت عليهم السلام بالعلم والدفاع عن الشريعة الإسلامية من خلال كوكبة من أصحابه ورواة حديثه فقد استطاع أنْ ينهض بمهمته الرسالية، فكان له رصيد علمي وعطاء معرفي واسع واصل من خلاله نشاط مدرسة آبائه المعصومين عليهم السلام من حيث المنهج والمصدر والمادة ومهد لمدرسة الفقهاء والمحدثين من الصحابة[٤] فكان له دور البارز في رفد تلك المدرسة بالمادة العلمية اللازمة على مختلف الأصعدة، ولا سيما في مجال ترسيخ أصول الاعتقاد، وإيصال سنن جده المصطفى صلى الله عليه وآله إلى الأمة في أحلك الظروف وأقساها[٥] من خلال متابعته ما يجري في الساحة الفكرية، وما يطرح من أفكار في مختلف العلوم والمسائل، ومواجهتها بالحجة، والأسلوب العلمي، والجدل الموضوعي، ومن ذلك

(١) القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد، مطبعة فرصاد، أصفهان، (دت)، ص ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) القرشي، باقر شريف، المصدر الساب، ص ٣٩.

(٣) الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر، ص ٢٣٦.

(٤) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٥) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري، ص٣٠.

احباط محاولة الكندي في تأليف كتاب في متناقضات القرآن[١]، وإنقاذ الأمة من حالة التعثر في مهاوي الضلال، والانحراف بتصديه لبعض الدعوات المنحرفة والشبهات الباطلة التي شكلت موطن خطر على الرسالة المحمدية، فقد استطاع بعلمه ونظرته الصائبه أنْ يكشف الحقائق، ويظهر الدقائق بعد أن شك الناس في دينهم وصبوا إلى دين النصرانية بعد أن أخذ أحد الرهبان بالاستسقاء، فيهطل المطر بينما يستسقي المسلمون فلم يسقوا فكشف الإمام عليه السلام عن حيلة الراهب الذي كان يخفي عظما لأحد الأنبياء عليهم السلام بين أصابعه، فأزال الشك عن قلوب الناس حتى هدأت الفتنة[٢] تمثلت مواقفه العلمية بردوده المفحمة للشبهات الإلحادية، وإظهاره للحق بأسلوب الحوار والجدل الموضوعي والمناقشات العلمية فضلاً عن نشاطه العلمي بإصدار البيانات العلمية وتأليفه للكتب العقائدية، وكتب التفسير، والفقه التي عدت مرجعاً فكرياً وروحياً لأصحابه وقواعده[٣].

كان لنشاط الإمام عليه السلام العلمي والاجتماعي أنْ أثار ثائرة الخلفاء العباسيين حيث تعرض الإمام عليه السلام خلال خلافة المعتز، والمهتدي، والمعتمد إلى السجن أكثر من مرة وكانوا يوكلون به أشخاصاً من ذوي الغلظة على آل أبي طالب من أمثال علي بن أوتامش وأقتامش، ونحرير، وعلي بن جرين الذين أمروا بالتضييق على الإمام عليه السلام فكانوا لا يفارقونه حتى في الاعتقال، فقد كانت الرقابة السرية تطارده وأصحابه

(١) وذلك بعد أن أخذ الكندي في التآليف في تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به بنفسه في منزله فسلط الإمام عليه أحد طلابه بكلام قاله له جعله يتوب ويحرق أوراقه. للتفاصيل ينظر: المازندراني، محمد بن علي بن شهرآشوب السروي، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٥٧.

(٢) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٣) أديب عادل، المصدر السابق، ص٢٣٩٢٤٠.

بدس الجواسيس بين أصحابه في السجن[١]، إذ ذكر أبو هاشم الجعفري[٢] في روايته عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوسق الأحمر أنا، والحسن بن محمد العقيقي ومحمد بن إبراهيم إذ دخل علينا الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأخوه جعفر فحففنا به وكان المتولي لحبسه صالح بن وصيف[٣]، وكان معنا في الحبس رجل جمحي، يقول إنّه علوي فالتفت إليه الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال: لولا أنّ فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم[٤] وأومأ إلى الجمحي أن يخرج فخرج فقال الإمام عليه السلام: فاحذروه فإن في ثيابه قصة قد كتبها للسلطان يخبره بما تقولون فيه فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد فيها القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة[٥]، من هذه الرواية نستدل على مدى صرامة الدولة في ملاحقة أصحاب الأئمة واتباعهم حتى في أثناء الاعتقال بوضع عيون تراقب وترفع عنهم التقارير إلى الدولة من دون أنْ يعلموا هويته وكان الإمام عليه السلام على علم بهذه

(١) مالك مهدي خلصان، المصدر السابق، ص٣٢ ـ ٣٣.

(٢) داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكنيته أبو هاشم الجعفري، ولادته: ولد أبو هاشم الجعفري سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٨م في مدينة بغداد من أبوين جليلين القدر عظيمين المنزلة فقد كان أبوه القاسم بن إسحاق أميرا لليمن وهو ممن روى عن الإمام الصادق عليه السلام، عرف أبو هاشم بأنه كان ثقة جليل القدر عظيم المنزلة، وأنه كان ورعاً تقياً زاهداً ناسكاً عالماً عاملاً ولم يكن أحد في آل أبي طالب مثله في علو النسب، روى عدة روايات عن الأئمة الأطهار، توفي أبو هاشم الجعفري في سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥م في سجن مدينة سامراء عندما حبسه الخليفة العباسي مع عدة من الطالبيين سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧٢م، ودفن بمدينة بغداد وقبره فيها مشهور للتفاصيل، ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، ج١، بيروت، (د، ت)، ص١٨١.

(٣) الإربلي، أبي الحسن بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٤، ص ١١٢.

(٤) المجلسي، محمد باقر، ت١١١١، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ص ١٥٦.

(٥) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص١١٧.

المؤامرات والدسائس[١] حيث كان يقف منها موقف الناصح، والمسدد لأصحابه، قائلاً لهم: «الفقير معنا خير من الغني مع غيرنا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا فنحن كهف لمن التجأ إلينا ونور لمن استبصر بنا وعصمة لمن اعتصم بنا من احبنا كان معنا في السنام الأعلى ومن انحرف عنا فإلى النار»[٢]، وقد هيأت له ظروف السجن التي تعرض لها مجالاً أوسع للعبادة بعد أن أثر عنه زهده وورعه، وشدة انقطاعه إلى الله[٣] فعن صالح بن وصيف قال: «وكلت به رجلين من أشر من قدرت عليه فصاروا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم فقلت لهما: ما فيه، فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله لا يتكلم ولا يتشاغل وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا ويداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا[٤].

لم يكتف الخلفاء العباسيين بما تعرض له الإمام الحسن العسكري عليه السلام من تحديات وضغوط واعتقال، وسجن، بل كانوا بصدد الفتك به قبل أنْ يولد له للاطمئنان بانقطاع الإمامة دون نسل، فقد حاول المعتز تنفيذ تلك السياسية بعد أن أمر سعيد بن صالح الحاجب ان يحمل الإمام عليه السلام إلى الكوفة ويضرب عنقه في الطريق [٥] فاجتهد الإمام بالدعاء عليه فقتل قبل أن ينفذ الأمر ليستتبعه في ذلك الخليفة المهتدي الذي هدد الإمام بالقتل قائلاً: والله لأجلينك عن جديد الأرض»[٦]، فعن أحمد بن محمد قال كتبتُ إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا فقد بلغني أنه يتهددك بالقتل فَوَقْعَ الإمام الحسن العسكري عليه السلام

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) أديب، عادل، المصدر السابق، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٣) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ)، المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٥) خلصان، مالك مهدي، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٦) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ص١٦٠.

بخطه «ذلك أقصر لعمره عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمر به»[١]، فكان كما قال عليه السلام، وفي رواية أخرى عن أبي هاشم الجعفري قال كنت محبوساً مع الإمام الحسن عليه السلام في سجن المهتدي، فقال لي: يا أبا هاشم ان هذا الطاغي أراد أن يعبث بالله عزَّ وجلَّ في هذه الليلة وقد بتر الله عمره وجعله للقائم من بعده وليس لي ولد سيرزقني الله ولدا بكرمه ولطفه، فلما اصبحنا شغب الأتراك على المهتدي واعانتهم الأمة لما عرفوا من قوله بالاعتزال والقدر[٢] فلم تطل الأيام بالمهتدي حتى هزم جيشه في قتال الأتراك وقتل ليستخلف بعده المعتمد بن المتوكل الذي عمد إلى سجن الإمام عليه السلام، وجعل أمره إلى نحرير الذي كان يضيق على الإمام ويؤذيه[٣] حتى رمى به إلى السباع ولم يشك في أكلها له إلا أنه تفاجأ بالإمام عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره[٤].

في ظل هذا الجو المشحون بالحقد والضغينة على نشاط الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت الخلافة العباسية تدرك واجبها تجاه الأفكار التي كانت تملا ذهنيات المسلمين عامة والموالين خاصة بالاعتقاد أن زمان المنتظر قد أوشك على الوجود ولكنهم يجهلون تاريخ ميلاده، ومن هنا جاء اهتمام الجهاز الحاكم بإصدار أوامره لمراقبة دار الإمام[٥]، وهذا ما حدى بالإمام العسكري ومن قبله الإمام الهادي إلى سرية وكتمان زواج الإمام عليه السلام بعد أن حرص الإمام علي الهادي عليه السلام قبل وفاته سنة ٢٥٤هـ[٦]

(١) المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المصدر السابق، ص٣٣٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص٣١٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، ت١١١١، مرآة العقول، ص١٦٨.

(٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، ص٣٦٥.

(٥) الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٦) القرشي، باقر شريف، حيات الإمام علي الهادي، ص٣٤٩.

لإتمام سرية الزواج بعد أن عمد إلى شراء جارية[١] رومية[٢]، وإخفاء أمرها والسعي لتعدد أسمائها[٣] خشية الرقابة العباسية على بيت الإمام وزوجاته[٤]، وأرسلها إلى بيت

(١) ففي رواية عن بشر بن سلمان النخاس أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام وجارهما بسر من رأى أتاني كافور فقال مولانا أبو الحسن علي الهادي عليه السلام يدعوك إليه فاتيته فلما جلست بين يديه قال لي يا بشر انك من ولد الأنصار وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف وانتم ثقاتنا أهل البيت واني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها الشيعة بسر أطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع أمة فكتب كتاباً لطيفاً بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه خاتمة اخرج شقيقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال خذها، وتوجه إلى بغداد حيث سوق النخاسين إلى جارية كذا وكذا سلمها هذا الكتاب وادفع بها هذه النقود. للتفاصيل، ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٥١، ص٦٧.

(٢) اسمها مليكة بنت يشوعا بن قيصر الروم، أراد جدها تزويجها من ابن عمها فتساقطت الاعمدة ونشرت الأسفار وجرت النحوس حتى ألغي الزواج فرأت في ليلتها أن انعقد في مجلس جدها القيصر مجلس متكون من المسيح، وشمعون وعدة من الحواريين ويدخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وجماعة معه وعدد من بنيه فيخف المسيح لاستقباله فيقول نبي الإسلام: يا روح جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكه لابني هذا واومأ إلى الإمام العسكري كما تذكر أنها رأت بعد ليالي حضور مريم بنت عمران، وفاطمة الزهراء، إذ تعرفها السيدة مريم بالسيدة الزهراء فتبكي وتشكو من امتناع الإمام الحسن من زيارتها فتجيبها الزهراء ان ابني لا يزورك وأنت مشركة بالله ثم تامرها بان تشهد الشهادتين فتمتثل لهذا الأمر، وما كان من أمر أسرها أنه أخبرها الإمام العسكري ان جدها سيجهز جيشا لقتال المسلمين، وأمرها بالحاق بالجيش بزي الخدم مع عدد من الوصائف ففعلت فوقعت في الأسر حتى وصلت سوق الجواري، واشتراها الإمام علي الهادي بصفتها جارية للتمويه حتى وصلت إلى بيت الإمام. للتفاصيل ينظر: النيسابوري، محمد بن الفتال الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، روضة الواعظين،ج١، ص٥٦٨ـ٥٧٥. الغيبة ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٣) عرفت بالسيدة نرجس وقيل اسمها صقيل، وقيل سوسن، وقيل ريحانة بعضها صفات مستلة من سيرتها العطرة، وكان الهدف من تعدد اسمائها للتمويه على الآخرين وللتغطية على حقيقة الأمر بسبب الظرف السياسي، والرقابة العباسية على الإمام. للتفاصيل ينظر: الصغير، محمد حسين علي، المصدر السابق، ص١٩ ٢٠.

(٤) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

أخته حكيمة وأمرها أنْ تأخذ الجارية إلى منزلها وتقوم بتعليمها أحكام الإسلام[١] فعن حكيمة انها قالت استأذنها الإمام علي الهادي عليه السلام لزيارته، وقال لها يا حكيمة ابعثي نرجس إلى ابني الحسن، فقلت: يا سيدي لهذا قصدتك على أن استأذنك في ذلك فقال لي يا مباركة ان الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً، قالت، فلم ألبث أنْ رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها للإمام الحسن العسكري عليه السلام وجمعت بينه، وبينها في منزلي، فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى دار والده عليهما السلام ووجهت بها معه[٢].

(١) القمي، عباس، تاريخ الإمام الثاني عشر، ترجمة وتحقيق هاشم الميلاني، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف، ١٤٢٦، ص١٦.

(٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، صححه وقدم له وعلق عليه حسين الأعلمي، ص٣٩٢.

المبحث الثاني: أثر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الاعداد لغيبة الإمام.

١ـ أثره في إخفاء ولادة الإمام الحجة المنتظر وحجبه عن العامة.

مثلما سعى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليكون زواجه سرياً سعى لإخفاء حمل وولادة الإمام الحجة المنتظر بعيداً عن أعين الرقابة العباسية التي كانت تتحين الفرص للنيل من الإمام وقطع نسله، ولما كان الإمام العسكري عليه السلام يرى في ولده امتدادا ذاتيا للإمامة الكبرى، والنيابة العظمى عن النبي محمد صلى الله عليه وآله اهتم بأمره وسعى لكتمان ولادته، فعن حكيمة بنت محمد بن علي الرضا عليهما السلام قالت بعث إلي أبو محمد عليه السلام في الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان لسنة ٢٥٥هـ، وقال:يا عمة اجعلي الليلة افطارك عندي فإن الله عزَّ وجلَّ سيسرك بوليه، وحجته على خلقه وخليفتي من بعدي[١]، قالت حكيمة فتداخلني لذلك سرور فقلت: جعلت فداك يا سيدي الخلف ممن هو، قال: من نرجس قالت فتفحصتها ظهراً لبطن فلم أجد أثراً للحمل، فيبستم الإمام عليه السلام ويعطيها الحجة الواضحة والمبرر الإلهي الصحيح في ذلك، قائلاً: إذا كان وقت الفجر يظهر الحمل لأن مثلها كمثل أم موسى لم يظهر بها الحمل ولم يعلم بها احد، كحمل أم موسى بعد أن كان فرعون يشق بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى[٢]، قالت حكيمة: فلما أنْ صليت المغرب والعشاء الآخرة أتيت بالمائدة فأفطرت أنا والسيدة نرجس وبايتها في بيت واحد، فغفوت غفوة ثم استيقظت فلم ازل مفكرة فيما وعدني الإمام عليه السلام من أمر ولي الله فقمت قبل الوقت الذي كنت اقوم فيه كل ليلة للصلاة، فصليت صلاة الليل حتى بلغت الوتر، فوثبت السيدة نرجس فزعة، وخرجت، واسبغت الوضوء ثم عادت، فصلت صلاة الليل وبلغت

---

(١) المدرسي، محمد تقي، الإمام المهدي قدوة واسوة، ص١٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص١٣.

الوتر[١] فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب فقمت لأنظر، فإذا بالفجر الأول قد طلع فتداخل قلبي الشك، فناداني الإمام عليه السلام من حجرته لا تشكي، وكأنك بالأمر الساعة قد رأيته إن شاء الله تعالى قالت حكيمة فاستحييت مما وقع في قلبي، ورجعت إلى البيت فلقيت السيدة نرجس فزعة، فقلت لها: هل تحسين شيئاً؟ قالت نعم يا عمة[٢]، فأخذت وسادة فألقيتها في وسط الدار وأجلستها عليها وجلست منها حيث تقعد المرأة للمرأة في الولادة وهي تأن وتتشهد[٣]، وحينما حان موعد الولادة حدث نوع من الغموض والغفلة بيني وبينها حيث غيبت عني السيدة نرجس فلم أرها، وكأنه ضرب بيني وبينها بحجاب، فعدوت إلى الإمام العسكري عليه السلام وأنا صارخة فقال لي: ارجعي يا عمة فإنك ستجدينها في مكانها، قالت فرجعت فلم أن ألبث حتى كشف الحجاب وإذا انا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري وإذا انا بصبي ساجداً على وجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء[٤] وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن جدي رسول الله وأن أبي أمير المؤمنين ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ نفسه فقال: «اللهم انجز لي وعدي واتمم لي أمري وثبت وطأتي وأملا الأرض بي عدلاً وقسطاً»[٥] فناداني الإمام العسكري عليه السلام، وقال يا عمة هاتي ابني الي، فكشفت عن سيدي فإذا هو مختوناً مسروراً وطهراً طاهراً، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب ﴿... **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾[٦]، فأتيت به نحوه فلما مثلت

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٩٣.

(٢) القمي، عباس، المصدر السابق، ص١٨.

(٣) العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الحسن العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، ص٧٣.

(٤) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٩٤.

(٥) النيسابوري، محمد بن فتال الشهيد في سنة ٥٠٨، روضة الواعظين، ج٢، ص٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية٨١.

بين يدي أبيه سلم على أبيه[١] فتناوله وأخرج لسانه فمسح على عينيه ففتحها ثم أدخله في فيه فحنكه ثم أدخله في أذنيه، وأجلسه في راحته اليسرى، فاستوى ولي الله جالساً فمسح يده على رأسه، وقال له: يا بني انطق بقدرة الله فاستعاذ ولي الله عليه السلام من الشيطان الرجيم واستفتح[٢]، ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[٣] ثم قال له اقرأ يا بني مما أنزل الله على أنبيائه ورسله فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانية، وكتاب إدريس، وكتاب نوح، وكتاب هود، وكتاب صالح، وصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داوود، وإنجيل عيسى، وفرقان جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قصص الأنبياء، والمرسلين إلى عهده[٤] ثم قال الإمام العسكري عليه السلام لما وهب لي ربي مهدي هذه الأمة أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش حتى وقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فقال له: مرحباً بك عبدي لنصرة ديني وإظهار أمري ومهدي عبادي، آليت اني بك آخذ وبك أعطي، وبك أغفر وبك أعذب أرددا أيها الملكين رداه رداه على أبيه رداً رفيقاً، وأبلغاه فإنه في ضماني وكنفي بعيني إلى أن أحق الحق وأزهق به الباطل ويكون الدين لي واصباً[٥] فناولنيه عليه السلام وقال رديه إلى أمه فأرضعته ورددته إلى الإمام العسكري عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له: أحمله واحفظه ورده علينا في كل أربعين يوماً فتناوله الطير وطار به في جو السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت الإمام الحسن عليه السلام، يقول: استودعك الله الذي أودعته أم موسى عليه السلام فبكت نرجس فقال

---

(١) القمي، عباس، المصدر السابق، ص ١٨.

(٢) الطباطبائي الحكيم، محمد سعيد، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، تقديم مركز الدراسات التخصصية للإمام المهدي، ص١٣٧.

(٣) سورة القصص، الآية٥.

(٤) القمي، عباس، المصدر السابق، ص٢١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج ٥١، ص٢٧.

لها: اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى عليه السلام إلى أمه[١]، وذلك لقول الله عزل وجل: ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**﴾[٢] قالت حكيمة: وما هذا الطائر قال هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم، ويربيهم بالعلم[٣]، تقول حكيمة فانصرفت إلى منزلي فما كان ثلاثا حتى اشتقت إلى ولي الله فصرت إليهم فبدأت بالحجرة التي كانت السيدة نرجس فيها فلم أر أثراً ولا سمعت ذكراً، فكرهت أن أسأل فدخلت على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فاستحييت أن ابدأه بالسؤال فبدأني، فقال: يا عمة في كنف الله وحرزه وستره وعينه حتى يأذن الله له فإذا غيب الله شخصي، وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم وليكن عندك، وعندهم مكتوماً فإن ولي الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده، فلا يراه أحد حتى يقدم له جبرائيل عليه السلام فرسه، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً[٤]، قالت حكيمة: فلما كان أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن اخي عليه السلام فدعاني فدخلت عليه فإذا انا بصبي متحرك يمشي بين يديه، فقلت: يا سيدي هذا ابن سنتين؟ فتبسم عليه السلام ثم قال: ان أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشأون بخلاف ما ينشآ غيرهم، وان الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وأنّ الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن، ويعبد ربه عزَّ وجلَّ وعند الرضاع تطيعه الملائكة، وتنزل عليه صباحاً ومساءً[٥].

ولأجل الكتمان وعدم إثارة انتباه أعين الرقابة العباسية لم يعق الإمام الحسن

---

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٩٤.

(٢) سورة القصص، الآية١٣.

(٣) القمي، عباس، المصدر السابق، ص ٢٠

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥١، ص١٨.

(٥) النيسابوري، محمد بن فتال الشهيد في سنة ٥٠٨، روضة الواعظين، ج٢، ص١٠.

العسكري عليه السلام عن ولده في داره بل أوكل هذه المهمة إلى بعض خواصه وثقاته فقد روي عن أبي جعفر العمري أنه قال: لما ولد الإمام الحجة المنتظر قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام ابعثوا إلى أبي عمرو، فبعث إليه، فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً، وفرقه وعق عنه بذبح ثلاثمئة شاة بعثها حية من يومه إلى بني هاشم والشيعة»[١]، وروي عن إبراهيم بن إدريس أنه قال: «وجه إلي مولاي عليه السلام بأربعة أكبش وكتب إلي: بسم الله الرحمن الرحيم عق هذه عن ابني الحجة المنتظر وكل هناك، وأطعم من وجدت من شيعتنا»[٢].

ما إنْ تمت ولادة الإمام الموعود بستار كثيف من سرية والكتمان تتفق مع طبيعة الظرف السياسي الطارئ الذي اكتنف كيان الدولة العباسية التي اطلعت على الأخبار المتواترة عن ولادته قبل قرنين من الزمان كحلقة متسلسلة من النصوص، والتعليمات التي بشر بها النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة من بعده عن قرب ولادته عليه السلام؛ لأنّه الإمام الثاني عشر بعد أبيه الحادي عشر ما جعلها في حالة تأهب، واستنفار لمواجهة هذا الخطر[٣].

حيث بدأت مرحلة مهمة في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام اتسمت بالحذر الشديد، والدقة البالغة في التكتم لإخفاء ولادة الإمام الحجة المنتظر، والتكتم على شخصه خشية السلطة العباسية التي كانت مستعدة لبذل مختلف وسائل الإغراء والتهديد في سبيل القبض عليه، وفي الوقت نفسه تأكيد ولادته، والإشهاد عليها وإثبات النص عليه، إذ كان على الإمام الحسن العسكري عليه السلام الموازنة بين الامرين متحرياً الحيطة والدقة ومتبعاً أقصى درجات السرية، والكتمان[٤] في اختيار عدد من

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٩٦.

(٢) المدرسي، محمد تقي، المصدر السابق، ص١٤.

(٣) خلصان، مالك مهدي، المصدر السابق، ص٣٦ ٣٧.

(٤) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٥٩.

ثقاته وخاصته الذين يتوقع منهم صلابة الإرادة وقوة الإيمان وعمق الإخلاص، فكان يتخير الأقرب لقرابته، والأولى لولايته وذوي الكرامة عند الله سبحانه، ومع ذلك يأخذ عليهم العهد بالكتمان ويوصيهم بالسرية، ففي كتاب له عليه السلام بخطه بعثه إلى أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري جاء فيه: «ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به، مثل ما سرنا به والسلام»[١]، وعن محمد بن موسى بن المتوكل قال حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري قال: حدثنا محمد بن أحمد العلوي عن أبي غانم الخادم قال: ولد للإمام الحسن العسكري عليه السلام مولود فسماه محمد فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار[٢]، إذ اقتضت الظروف السياسية من الإمام الحسن العسكري عليه السلام التلويح لا التصريح، والتلميح من دون الإظهار، وهذا نوع من التخطيط الرسالي في تعدد أساليب الاداء عن هذا الأمر الخطير[٣]، إذ لم يُظهر الإمام الحسن العسكري عليه السلام أمر ولده إلّا للخواص من أصحابه، فعن عثمان بن سعيد «اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا ابن رسول الله ! أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني؟ فقال له: اجلس يا عثمان، فقام مغضبا ليخرج، فقال: لا يخرجنّ أحد، فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساعة فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه، فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يا ابن رسول الله[٤] قد قال: جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥١، ص١٦.

(٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٩٦.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، المصدر السابق، ص٢٤.

(٤) الطباطبائي، الحكيم، محمد سعيد، المصدر السابق، ص١٤٠.

قالوا: نعم فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام، فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»[١].

وعن أبي هاشم الجعفري قال قلت للإمام الحسن العسكري عليه السلام جلالتك تمنعني عن مسألتك، فتأذن لي ان اسألك، فقال سل قلت يا سيدي هل لك ولد؟ فقال نعم[٢] وعن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، قال: دخلت على أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده فقال مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق، ان الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق ادم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض[٣]، قال: قلت له: يا ابن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً، فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزَّ وجلَّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا إنّه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيه الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة الا من ثبته الله عزَّ وجلَّ على القول بإمامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه[٤]، فقال أحمد بن إسحاق

---

(١) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠)، الغيبة، ص٢٤٠.

(٢) الإربلي، أبي الحسن بن عيسى بن أبي الفتح، المصدر السابق، ص١٤١ـ ١٤٢؛ محمد علي حسن، البرهان في الدفاع عن صاحب الزمان، ص١٤١.

(٣) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٥٧.

(٤) القمي، عباس، المصدر السابق، ص٥٠.

فقلت يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فعمد الإمام العسكري عليه السلام تثبيتاً لمبدأ الإمامة إلى خطوة إيجابية هادفة بأن سمح لولده بالإجابة على أسئلة مواليه بحضوره، فنطق الإمام الحجة المنتظر بلسان عربي فصيح، فقال: أنا بقية الله في ارضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق[١]، فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً فلما كان من الغد عدت إليه، وقلت له: يا ابن رسول الله لقد عظم سروري بما منت به عليَّ، فما السنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟[٢]، فقال طول الغيبة يا أحمد، قلت يا ابن رسول الله وإنّ غيبته ستطول؟ قال: أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلا من أخذ الله عزَّ وجلَّ عهده لولايتنا وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه يا أحمد بن إسحاق هذا أمر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله، خذ ما آتيتك، واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين[٣].

هذا فضلاً عما حصل مع عبدالله الأشعري القمي حينما ألقيت إليه مسائل صعبة، فالتحق بأحمد بن إسحاق لعرضها على الإمام العسكري عليه السلام فدخلا عليه وولده بين يديه فأمره أبيه بإخبار أحمد بن إسحاق عن هدايا شيعته التي جاء بها، ثم أخبر سعد بن عبدالله بما جاء به من المسائل التي أشكلت عليه فأجابه عنها[٤].

٢ـ سياسة الإمام العسكري في الاحتجاب وإرجاع الشيعة للوكلاء تمهيداً للغيبة

عايش الإمام الحسن العسكري عليه السلام في القرن الثالث الهجري المدارس الفكرية التي اكتملت معالمها في مجالات الفقه والمذاهب والتفسير والكلام وأصول الفقه

(١) الطوسي، أبو الفضل، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ٢، ص٢٤٨٢٤٩.

(٢) محمد الصدر المصدر السابق، ص ٢٨٠٢٨١.

(٣) أبي الصدوق، جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٥٧ ٣٥٨.

(٤) الصغير، محمد حسين علي، المصدر السابق، ص١٤٢.

والفلسفة والحديث، فعمد الإمام الحسن العسكري عليه السلام على إعداد ثلة من التلاميذ والرواة عنه في علم التفسير، والمناظرة، وعلم الكلام فضلاً عن مراسلاته ومحاوراته وأجوبته في مختلف المسائل الفقهية[١]، وكان يبث فيهم الفضائل الخلقية ليكونوا رسلاً ناطقين بين الناس بفعلهم وعملهم عن أهل البيت عليهم السلام بقوله اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك لنا حق كتاب الله، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب أكثروا ذكر الله، وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله عشر حسنات[٢].

فقد كان الإمام العسكري عليه السلام بحاجة إلى إعداد جيلاً من الأصحاب الثقات لرفد المدرسة الشيعية بمصادر يستسقى منها العلم، ومناهل تؤخذ منها المعرفة، وللتمهيد في ترسيخ فكرة الغيبة بتهيئة المقدمات الضرورية للانتقال من مرحلة الإمامة الظاهرة إلى مرحلة الإمامة الغائبة وتعويد الشيعة على ذلك فكراً وسلوكاً، فكانت المهمة التي نهض بها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في هذا السبيل دقيقة للغاية إذ يقع عليه العبء الأكبر في ترسيخ مبدأ الغيبة[٣]، وانتظار الإمام الحجة المنتظر خلال فترة غيبته وتهيئت الأذهان لاستقبال حلول زمان الغيبة من دون رفض، وإنكار أو ردود أفعال تضر بتماسك القواعد الشيعية، فعمل على تأصيل هذا المبدأ الذي هو من صميم الدين، وضروریاته في نفوس أصحابه للحفاظ على الخط الرسالي من الضياع، والتحذير من الاختلاف والفرقة وتداعيات الحقبة الانتقالية من الظهور إلى الغيبة، كما استطاع أن يتخذ تدابير الحيطة، والسرية للحفاظ على حياة الإمام الحجة المنتظر

(١) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٢٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص ٢٥٨.

(٣) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص١٤٧ـ ١٤٨.

من عيون السلطة، وأدوات رقابتها وقمعها[١].

إن مهمة أعداد الأمة من مرحلة الإمام الحاضر بين ظهراني شيعته، إذ يستمعون إليه ويأخذون منه ويرتبطون بشخصه مباشرة دون حجاب حيث يكون الالتقاء الفكري متوفرا بتواجد الإمام إلى مرحلة غياب الإمام بشخصه في ضوء آرائه، وأحكامه تحتاج جهداً استثنائياً يذلل من وقع غيابه بممارسة جديدة تستدعي بيان أسباب، ودواعي فلسفة الغيبة التي تعد مرحلة من المراحل المصيرية، والمهمة في التاريخ الإمامي بغياب الإمام المعصوم عن شيعته ومواليه؛ لأن ظهوره سيعرضه لظلم الظالمين في حين أن الحكمة الإلهية تشير إلى اختبار البشرية وغربلتها من خلال صراع المواجهة بين المؤمنين بها والمنكرين لها حتى يتحقق الفرج في اليوم الموعود لقوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[٣]، ففي رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام «إن ابني هو القائم من بعدي تجري فيه سنن الأنبياء من التعمير، والغيبة حتى تقسو قلوب الناس لطول الأمد، فلا يثبت على القول بها إلا من كتب الله في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه[٤] ولعلم الإمام الحسن العسكري عليه السلام تعلق الإرادة الإلهية الأزلية بغيبة ولده جعله أمام جهد مضاعف، ونشاط متزايد في التمهيد لهذه الغيبة لإدراكه ان البشر مربوطون في مدركاتهم بالحس، والعادة التي يعيشونها وفي حدود الزمان والمكان، ومن الصعب على الشخص الاعتيادي أنْ

(١) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٥١ ـ ٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية٢١٤.

(٣) سورة الانفال، الآية٤٢.

(٤) منير الخباز، الحقيقة المهدوية دراسة وتحليل، إعداد وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ص١٧٥ ١٧٧.

ينظر نظراً معمقاً وتجريدياً ما لم يطلع على البرهان الصحيح المدعم بالإيمان الراسخ القائل إنّ الكون أوسع من العالم المنظور، ومن حدود الزمان والمكان، وأن في عالم الوجود قوى كبرى، وإرادات واسعة تستسقي تدبيرها وإدارة شؤونها من الإرادة الأزلية والحكمة اللانهائية من الله تعالى[١]، وبما أنّ الغيبة التي يمهد لها الإمام الحسن العسكري عليه السلام أمر غريب عن الأذهان بعيد عن الطباع تحتاج إلى تكرار وتفهيم وجهد، وأن أكثر ما كان يواجه الإمام عليه السلام هي فكرة التطبيق ولا سيما وإن زمان الغيبة أوشك على التنفيذ وما سيشكله ذلك من صدمة إيمانيه، ولأجل تذليلها كان على الإمام الحسن العسكري عليه السلام تهيئة الذهنية العامة لتقبل الفكرة الجديدة، وتعويد أصحابه على الالتزام بما تتطلبه الغيبة من ناحية العقيدة والسلوك لإعداد جيل واع يكون البذرة الأساسية لتربية الأجيال اللاحقة لفكرة الغيبة الصغرى والكبرى[٢]، ولأجل ذلك فقد اتخذ الإمام الحسن العسكري عليه السلام الاحتجاب عن الناس، وإيكال أمر تبليغ الأحكام، وقبض الحقوق المالية، وإيصال التواقيع الصادرة عنه إلى الوكلاء الذين يختارهم من خاصة أصحابه لغرض تهيئة ذهنية العامة كي تستسيغ ذلك الأسلوب الذي سيطغى على معظم حياة الإمام الحجة المنتظر، وبذا يكون اتخاذ الإمام الحسن العسكري عليه السلام لنظام الوكلاء ألزم، وأقرب، وظاهرة ملموسة تحقق ارتباط الأئمة بالقواعد الموالية البعيدة منها، والقريبة[٣]، فبعد أن اتسعت القواعد الشيعية الموالية للإمام عليه السلام، وشملت مناطق إسلامية واسعة في ظل التضييق العباسي لنشاط الإمام من جهة ولسعي الإمام نفسه إلى الاحتجاب من جهة أخرى، فقد جعل في كل منطقة تخضع له بالولاء وكيل يكون المشرف العام على مصالحهم في حدود تعاليم الإمام عليه السلام وقواعد الشريعة الإسلامية، فكانت القواعد الشيعية ترجع للوكيل في

(١) عادل أديب، المصدر السابق، ص ٢٤٢ـ ٢٤٣.

(٢) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص ٢١٣ ـ ٢١٦.

(٣) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٥٤.

تحديد وضعهم الديني، والاجتماعي، والاقتصادي[١]، إذ كانت أداة الإمام الحسن العسكري عليه السلام للاتصال بشيعته هي المكاتبات والتواقيع التي يتحمل الوكيل العبء الأكبر في إيصالها من وإلى الإمام عليه السلام، حيث كان الأصحاب يكتبون إلى الإمام عليه السلام بعض المسائل التي تشكل عليهم في أمور دينهم، ودنياهم، والإمام عليه السلام يجب عليها عن طريق التواقيع[٢] ليتفشى هذا الأسلوب، وتتخذ المكاتبات والتواقيع حيزاً واسعاً في تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام حتى بلغت من الكثرة بحيث أصبحت مادة للجمع والتأليف من قبل بعض الأصحاب المعاصرين منها مسائل الرجال ومكاتباتهم لأبي الحسن الثالث عليه السلام لعبد الله بن جعفر الحميري ومسائل لأبي محمد الحسن عليه السلام على يد عثمان العمري وله كذلك مسائل أبي محمد وتوقيعاته[٣]، حيث كان من أبرز ثقات الإمام الحسن العسكري عليه السلام عثمان بن سعيد العمري أبو عمرو من كبار الثقات والعلماء الاجلاء قال فيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه[٤] إذ إن وكالة عثمان بن سعيد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت بمثابة التمهيد لوكالة الحجة المنتظر لأن عثمان بن سعيد كان السفير الأول للإمام الحجة المنتظر، وذلك مما يزيد من ثقة الشيعة به، ولا سيما وأنه المنصوص على وثاقته وأمانته وعدالته وصلاحه لهذا الأمر من قبل الإمام العسكري عليه السلام[٥] حيث استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خلال هذا الأسلوب أن يمهد لغيبة الإمام الحجة المنتظر الصغرى ٢٦٠ ـ ٣٢٩ بعد أن اعتاد الشيعة هذا الأمر وتقبلوه بشكل

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٩٨ـ ١٩٩.

(٢) الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٤٥.

(٣) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٥٥ ـ ٥٦.

(٤) حسن، محمد علي، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٥) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٥٥ ـ ٥٦.

تدريجي بما يزيح معه كل عوامل الارتياب والشك لتكن غيبة الإمام الحجة المنتظر الصغرى تمهيداً لغيبته الكبرى التي أمر شيعته من خلالها بالرجوع إلى رواة حديثه واتباع الفقهاء العدول من أتباع مدرستهم[١] وفي الوقت نفسه حذر الإمام الحسن العسكري عليه السلام أصحابه في أكثر من مناسبة أن تميل بهم الأهواء أو تعصف بقلوبهم الفتن لطول الغيبة وشدة الريبة وامرهم بالصبر وانتظار الفرج في أيام الغيبة لربط الأمة بقائدها الحجة المنتظر حتى يأذن الله بالظهور، كما ورد في حديث موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني[٢]، اما ان المقر بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن اقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله؛ لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، اما ان لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عز وجل»[٣] فالإمام الحسن العسكري عليه السلام كان يوصي أصحابه بتقوى الله وأداء الفرائض وانتظار الفرج كما في وصيه أوصى بها علي بن الحسين بن بابويه القمي قائلاً: وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال أفضل اعمال امتي انتظار الفرج [٤] فلا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأمر شيعتي بالصبر فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة

(١) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص ١٤٨ـ ١٤٩.

(٢) الإربلي، أبو الحسن بن عيسى بن أبي الفتح، المصدر السابق، ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) القطيفي، نزار ال سنبل، معالم مهدوية، تقديم أحمد طلال صفر، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف، ١٤٣٨، ص ٥٥.

(٤) الصغير، محمد حسين علي، المصدر السابق، ص١٦٧.

الله وبركاته وصلى الله على محمد وآل محمد[١].

جاء في حديث محمد بن عثمان العمري قال سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقة إلى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال عليه السلام: ان هذا حق كما أن النهار حق فقيل له يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال ابني محمد، هو الإمام والحجة من بعدي من مات ولم يعرفه مات ميته جاهلية، اما له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقاتون ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[٢]وعن أحمد بن إسحاق قال حدثني الحسن بن زريف قال: اختلج صدري مسألتان أردت الكتاب فيهما إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام فكتبت أسأله عن القائم عليه السلام إذا قام بما يقضي وأين مجلسه الذي يقضي فيه بين الناس؟ فجاء جواب الإمام عليه السلام سألت عن الحجة المنتظر فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام لا يسأل البينة[٣].

٣ـ استشهاد الإمام الحسن العسكري وغيبة الإمام ظاهرياً

خاض الإمام الحسن العسكري عليه السلام ملحمة الكفاح السياسي لمواجهة الظلم والإرهاب العباسي لحفظ المبادئ وقيم الرسالة الإسلامية كمهمة أساسية من مهام القيادة والإمامة تحمل خلالها الملاحقة العباسية والتضييق والسجن حيث لاقى الإمام عليه السلام على يدي المعتمد العباسي صنوفاً مرهقة من الخطوب والتنكيل بعد أن أحاطه بقوى مكثفة من الأمن تحصي عليه أنفاسه وطاردت كل من يريد الاتصال

(١) المازندراني، محمد بن علي بن بن شهرآشوب السروي، ج٤، المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٢) الطوسي، أبو الفضل، المصدر السابق، ص٢٥٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر ت١١١١، مرآة العقول، ص١٥٧.

به حتى عمد إلى دس السم له لقطع دابر الإمامة[١] فعن لسان أحمد بن عبدالله بن يحي بن خاقان ابن وزير المعتصم الذي قال: لما اعتل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعث إلى أبي ان ابن الرضا قد اعتل فركب من ساعته مبادر إلى دار الخلافة[٢] ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم الخليفة كلهم من ثقاته وخاصته فمنهم نحرير وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في صباح ومساء فلما كان بعد ذلك بيومين جاءه من أخبره انه قد ضعف فركب حتى بكر إليه ثم أمر المتطببين بلزومه[٣]وبعث إلى قاضي القضاة فاحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وامانته وورعه فاحضرهم وبعث بهم إلى دار الإمام العسكري عليه السلام وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً[٤].

فعن أبي سهل انه لما دنت الوفاة من الإمام الحسن العسكري عليه السلام مثل صبي بين يديه وسلم وإذا هو دري اللون وفي شعر راسه قطط مفلج الأسنان فلما راه الإمام العسكري عليه السلام بكى وقال: «يا سيد أهل بيته اسقني الماء فاني ذاهب إلى ربي» واخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده ثم حرك شفتيه ثم سقاه فلما شربه قال «هيئوني للصلاة «فطرح في حجره منديل فوضاه الصبي واحدة واحدة ومسح على راسه وقدميه فقال له الإمام العسكري عليه السلام: «ابشر يا بني فانت صاحب الزمان وانت المهدي وانت حجة الله على أرضه وأنت ولدي ووصيي ولدتك وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

(١) قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، المصدر السابق، ص٣١ ـ ٣٢.

(٢) العطاردي، عزيز الله، المصدر السابق، ص٣٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ)، المصدر السابق، ص٣٨٥ـ٣٨٦.

(٤) المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المصدر السابق، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤.

بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت خاتم الأوصياء وبشر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسماك وكناك وبذلك عهد إلى أبي عن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل البيت ربنا إنه حميد مجيد[١]. ثم فاضت روحه الطاهرة لثمان أيام مضت من شهر ربيع الأول من ٢٦٠ عن عمر ٢٨ سنة [٢] وفي حديث عن أبي الأديان قال كنت اخدم الإمام الحسن العسكري عليه السلام واحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علته التي توفي فيها فكتب الي كتبا وقال: «امض بها إلى المدائن فانك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلى سر من رأي يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل قال أبو الأديان: فقلت يا سيدي: فإذا كان ذلك فمن؟ قال من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي فقلت زدني فقال من يصلي علي فهو القائم بعدي ثم منعتني هيبته ان أسأله عما في الهميان وخرجت إلى المدائن وأخذت الجوابات ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما ذكر لي عليه السلام فإذا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل وجعفر[٣] أخيه واقفاً تعزيه العامة وتهنئه بالإمامة فتقدمت وعزيته وهنئته فلم يسألني عن شيء[٤] فما أن وضع الإمام الحسن العسكري عليه السلام للصلاة عليه حتى تقدم أخيه جعفر ليصلي عليه فما أن هم في التكبير خرج صبي جذب برداء جعفر وقال: تنح يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي. فتأخر جعفر وقد أربد وجهه، فتقدم الصبي وصلى عليه ودفنه

(١) الطباطبائي، الحكيم، محمد سعيد، المصدر السابق، ص١٤٥ـ ١٤٦.

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠)، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٣) جعفر هو ابن الإمام علي الهادي تربى وشب على الانحراف عن تعاليم الإسلام واتخذ طريق اللهو وشرب الخمر والمجون، فضلاً عن ادعائه الإمامة بعد اخيه الإمام العسكري انكاره لوجود أي وريث شرعي للإمام العسكري، وادعائه باستحقاق تركه. للتفاصيل ينظر: الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٤) الطباطبائي الحكيم، محمد سعيد، المصدر السابق، ص١٤١ـ ١٤٢.

إلى جانب قبر أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام[١] مما أثار ثائرة جعفر لا سيما بعد أن تقدم أبو الأديان وقال له: إن معي كتباً ومالاً، أفتقول لمن الكتب ولمن المال؟ فقام جعفر ونفض ثيابه وقال أتريدون ان اعلم الغيب؟[٢]، فخرج له خادم قال له: معك كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية فدفع إليه الكتب والمال وقال الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام الحجة المنتظر فدخل جعفر إلى المعتمد وكشف له ذلك[٣] فوجه المعتمد إلى دار الإمام الحسن العسكري من يفتشها ويفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن على جواريه فنظر إليهن فذكر بعضهن ان هناك جارية بها حبل فأمر بها فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم[٤]، فلم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا عليه الحبل ملازمين لها سنتين وأكثر حتى تبين بطلان الحبل فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر[٥] بعد أن ادعت وصيته وثبت ذلك عند القاضي والسلطان[٦].

كان عمر الحجة المنتظر عند وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام خمس سنين اتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب وجعله اية للعالمين وأتاه الحكمة كما أتاها يحي صبياً وجعله إماماً في حال الطفولة الظاهرة كما جعل عيسى ابن مريم عليه السلام في المهد

---

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص٢٨٩؛ عزيز الله العطاردي، المصدر السابق، ص٥٥ـ٥٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، ت١١١١، مرآة العقول، ص ١٤٥.

(٣) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٤٢٣.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ)، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٦) حسن، محمد علي، المصدر السابق، ص ١١٤.

نبيا بعد أن غيب غيبته الصغرى التي امتدت من ولادته إلى انقطاع السفراء بالوفاة[١] حيث اختفى الإمام الحجة المنتظر عن مسرح الأحداث ظاهرياً إلا أنه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقاة من أصحابه الذين يشكلون همزة وصل بينه وبين المؤمنين بخطه الإمامي وقد شغل مركز النيابة عنه في هذه الفترة أربعة ممن اجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم ابتدأوا بوكيله عثمان بن سعيد فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح الذي أوصى بدوره بعد وفاته إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري الذي ما ان حضرته الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة الكبرى هي التي وقعت بعد مضي السمري[٢] إلى أن يأذن الله بظهوره حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٣] فعن محمد بن همام عن جعفر بن محمد بن مالك والحميري معا عن أبي الخطاب ومحمد بن عيسى وعبدالله بن عامر معا عن أبي نجران عن الخشاب عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنما مثل أهل بيتي في هذه الأمة كمثل نجوم السماء كلما غاب نجم طلع نجم حتى إذا مددتم إليه حواجبكم وأشرتم إليه بالأصابع جاء ملك فذهب به ثم بقيتم سبتا من دهركم لا تدرون أيا من أي واستوى في سلك بنو عبد المطلب فبينما أنتم كذلك إذا أطلع الله نجمكم فأحمدوه واقبلوه[٤].

---

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ)، المصدر السابق، ص٣٩٧ـ٣٩٨.

(٢) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص٤١.

(٣) الإربلي، أبو الحسن بن عيسى بن أبي الفتح، المصدر السابق، ص١٣٦ـ١٣٧.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٢ـ٢٣.

الخاتمة

١ـ كان لنشأة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في ظل أبيه الإمام الهادي عليه السلام ان اكتسب منه مكارم الأخلاق والعلم الغزير وتلقى ميراث الإمامة فكان كآبائه في العلم والعمل والجهاد الفكري في مدة سياسية اتسمت بالاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عاصر فيها ثلاث من الخلفاء العباسيين الذين لم يحاول أي منهم أن يحسن السيرة مع الإمام فكان بين تهديد بالنفي أو القتل أو السجن، إذ لا ريب أن العمل في ظل هذه الأجواء يوجب التقية لذا رأينا أن الإمام عليه السلام يؤكد كثيراً على سرية العمل واتبع أسلوب الكتمان في مراسلاته.

٢ـ مثل الإمام الحسن العسكري عليه السلام طيلة مدة إمامته دور المعارضة الإسلامية الصامتة ضد خطر الجهاز الحاكم الذي مثل الظلم والانحراف والحروب والمصالح الشخصية التي خلفت بؤسا اقتصادياً وتخلفاً اجتماعياً حيث وجد الإمام عليه السلام نفسه أمام مسؤولية إصلاح الفاسد وتقويم المعوج في الأمة الإسلامية مادياً وعقائدياً من خلال التواصل مع شيعته وبث أحكامه التي وجد فيها شيعته ملاذاً لهم من بطش السلطة الحاكمة بعد أن أنتج مدرسة فكرية متنقلة تمثلت بالعديد من أصحابه وتلامذته كانت مسؤوليتها التعليم ونشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام في إطار ديني مبطن بأهداف سياسية لمواجهة انحرافات الخلافة.

٣ـ على الرغم من الظروف السياسية الحالكة استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يقدم للامة عطاءً واسعاً ودوراً فاعلاً في إيصال سنن جده رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام بأن عد جيشاً عقائدياً وطليعة واعية في الفقه والعقائد وتؤمن بالغيبة كمبدأ عقائدي اصيل.

٤ـ أدى الإمام الحسن العسكري عليه السلام دوراً ريادياً وقيادياً في التمهيد للغيبة التي تعد مرحلة من المراحل المصيرية والمهمة في التأريخ الإمامي والتي تتمثل في غياب

الإمام المعصوم عن شيعته ومواليه وبروز دور مؤسسة السفارة التي تولي النيابة والوساطة بين الإمام والطائفة وتباشر الاهتمام بالأمور الخاصة بالناحية المقدسة كالأمور المالية وإيصال الأسئلة الواردة من مختلف المناطق لمعالجة مختلف المسائل الدينية والاجتماعية واستلام الحقوق بما تقتضيه الحكمة الإلهية اتماماً للحجة وكشفاً للمحجة وإختبار الناس ليتضح مدى تصديقهم وتسليمهم لظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام الذي لم يعرفوا وقته ولم يعلموا زمانه، وكيف يكون ثباتهم وصبرهم على أمر لم يطلعوا على تحققه فيمتحنون بذلك وتتم عليهم الحجة هنالك.

٥ـ كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام الأثر البارز في التطبيق العملي لزمن الغيبة من خلال سياسته في الاحتجاب عن شيعته ومواليه مع التأكيد في بيانته على الغيبة من خلال بيانات عامة عن صفات الحجة المنظر بعد ظهوره وقيامه في دولته العالمية فضلاً عن توجيهه لنقد سياسي للأوضاع القائمة وقرنها بفكرة الإمام المنتظر وضرورة تغييره لها وتوجيهه العام لقواعده وأصحابه بتوضيح أبعاد فكرة الغيبة وضرورة التكييف لها من الناحية النفسية والاجتماعية تمهيداً لما يعانونه من غيبة الإمام وانقطاعه عنهم.

٦ـ مع ما كان يتمتع به الإمام الحسن العسكري عليه السلام من مرونه اجتماعية وهدوء ووقار وسمت روحي فقد كابد اصناف القسر والإرهاب فمن رقابة مُحكمة إلى سجن إلى احتراس ومن ثم اعتقال عشوائي إلى اغتيال حتى ذهب شهيد عضمته وضحية اعتداده بالوعي الإسلامي.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر ٦٨١هـ وفيات الزمان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٩.

٢. إبراهيم الموسوي الزنجاني ت ١٣٥٢، كشكول الزنجاني، قم، د، ت.

٣. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

٤. الإربلي، أبو الحسن بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق علي آل كوثر، ج٤، دار التعارف، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

٥. الحداد، عبد السادة محمد، الإمام الحسن العسكري ورواياته الفقهية دراسة في دلالات المتون، إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ١٤٣٦/ ٢٠١٠.

٦. حسن، محمد علي، البرهان في الدفاع عن صاحب الزمان، د ـ م، ١٤٣٣/ ٢٠١٢.

٧. الحنفي، سليمان بن إبراهيم القندوزي ت١٢٩٤هـ، ينابيع المودة، طهران، ١٤١٦هـ.

٨. الخباز، منير، الحقيقة المهدوية دراسة وتحليل، إعداد وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، مطبعة زيتون، النجف الأشرف، ١٤٣١هـ.

٩. الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان ت٣٣٤، البداية الكبرى، بيروت، ١٤١١هـ.

١٠. خلصان، مالك مهدي، شخصية الإمام الحسن العسكري، مؤسسة لؤلؤة للطباعة والنشر، د ـ م، ٢٠١٧.

١١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بغداد، ١٩٥٢.

١٢. الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير ت٦٣٠، الكامل في التاريخ، من سنة ٢١٨ لغاية سنة ٣١٨، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣. الصدر، محمد، تاريخ الغيبة الصغرى، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، النجف، ١٤٣٢/ ٢٠١١.

١٤. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ، كمال الدين وتمام النعمة، صححه وقدم له وعلق عليه حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢/ ١٩٩١.

١٥. الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسن العسكري وحدة الهدف وتعدد الأساليب، دار سلوني، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

١٦. الطباطبائي الحكيم، محمد سعيد، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، تقديم مركز الدراسات التخصصية للإمام المهدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، النجف، ١٤٣٥/ ٢٠١٤.

١٧. الطوسي، أبو الفضل، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٧.

١٨. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن ت٤٦٠، الغيبة، صححه وعلق عليه

علي أكبر الغفاري، ط٢، مطبعة كوهراندیشة، طهران، ٢٠٠٨.

١٩. العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الحسن العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، مطبعة امير، الناشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، قم ١٧١٠.

٢٠. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، دار الكتاب الإسلامي، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢١. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي الهادي، دار الكتاب الإسلامي، د ـ م، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

٢٢. القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد، مطبعة فرصاد، أصفهان، د ـ ت.

٢٣. قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري، ط٢، العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٢٤. القطيفي، نزار آل سنبل، معالم مهدوية، تقديم أحمد طلال صفر مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف، ١٤٣٨.

٢٥. القمي، عباس، تاريخ الإمام الثاني عشر، ترجمة وتحقيق هاشم الميلاني، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف، ١٤٢٦.

٢٦. الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري سيرة وتاريخ، سلسلة المعارف الإسلامية، مركز الرسالة، د ـ م، د ـ ت.

٢٧. الكليني، محمد بن يعقوب الرازي ت ٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ، أصول الكافي، دار المرتضى، بيروت ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨. المازندراني، محمد بن علي بن شهرآشوب السروي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة يوسف البقاعي، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٤١٢/ ١٩٩١.

٢٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ـ ت.

٣٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٥١، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

٣١. المجلسي، محمد باقر، ت١١١١، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، إخراج ومقابلة وتصحيح هاشم الرسولي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.

٣٢. المدرسي، محمد تقي، الإمام المهدي قدوة وأسوة، ط ٢، دار كميل للطباعة، مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، ١٤٣١/ ٢٠١٠.

٣٣. المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

٣٤. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، الناشر مؤسسة آل البيت لإحياء العلوم، بيروت، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٥. النيسابوري، محمد بن فتال، الشهيد في سنة ٥٠٨هـ، روضة الواعظين، تحقيق علا محسن المجيدي ومجتبى الفرجي، ط٢، مطبعة نكارش، قم، ١٤٣١/ ٢٠١٠.

البحث السادس

الخطاب القانونيّ

عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام

مقاربة سوسيو- لسانية

أ.د. نعمة دهش فرحان أ.م.د. أركان رحيم جبر

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

إنّ تشكيل الأفكار ليست عملية مستقلة، بل جزءٌ من القواعد الخاصة باللغة المعينة التي تختلف بها قليلاً أو كثيراً عن قواعد لغة أخرى، فنحن ننظر إلى العالم ونراقبه، لنشكل انطباعاتٍ، تترتب في أذهاننا؛ وهذا يعني أنَّ الدور الأساسيّ في ترتيب هذه الانطباعات يكون للأنظمة اللغوية المستقرة في أذهاننا، ومن ثمَّ تتنوع وتتعدد أنماط الخطاب تبعاً لتلك الانطباعات، ولوظيفة الاقتران؛ إذ يقترن لفظ الخطاب في الغالب بلفظٍ آخر، مثل: الخطاب الثقافيّ، والخطاب الأخلاقيّ، والخطاب الحجاجيّ، والخطاب القانونيّ، وهلم جراً؛ لذلك تعددت تعريفات الخطاب، بوصفه فعلاً تواصلياً اجتماعياً، يجمع بين القول والإنجاز، حتى غدت التواصلية فيه سمةً مهمةً من سماته الاجتماعية، ليس فيه شيءٌ من التشتت، بقدر ما فيه من غنىً وسعةٍ في التصنيف والدلالة.

وقيل: «القانون هو مهنة الكلمات»[1]، فحلُّ النزاعات المدنيَّة ومقاضاة الحالات الجنائيَّة والدفاع عنها تتم برمتها عبر وسيلة اللغة. ومن هنا ركزنا حديثنا في الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام، بوصفه خطاباً قانونياً توجيهياً، تتنازعه أفعال الكلام، وتسود فيه الصياغات القانونية، والأنشطة التشريعية؛ ولذا اقتضت الضرورة وسم العنوان بـ(الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام مقاربة سوسيو ـ لسانية) وجاء في مبحثين، هما:

(١) فلوريان كولماس، دليل سوسيولسانيات، ص٨٩٧.

المبحث الأول/ الصياغات القانونية عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام مقاربة في المفهوم والمصطلح.

المبحث الثاني/ منجز الأفعال الكلامية في الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام

وخرج البحث بعدة نتائج وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القانوني، السوسيولسانيات، الحسن الزكي، التشريع، الأفعال الكلامية.

المقدمة: الوصايا واللسانيات القانونية:

تضمّنت وصايا الإمام ورسائله بيان الأحكام الشرعيّة ومسائل الحلال والحرام التي اشتملت على خطوط للتعامل مع الآخرين، بمنهج سلوكيّ؛ ليسير عليه أتباعه أن يقيموا علائقهم وفقاً له فيما بينهم وبين أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه؛ وإن اختلفوا معهم في المذهب والمعتقد، ويكتسب ذلك السلوك صفة العرف الذي عكف عليه القانونيون بالبحث والدراسة والتقعيد بوصفه جملة من المفاهيم النظرية والتطبيقية التي تواضع عليها أبناء المجتمع؛ لضبط سلوكيات الأفراد والجماعات في المجتمع الواحد: «وهذا يعني أنَّ العرف الذي يضبط سلوك الناس لغة قابلة للتعبير عنها بأشكالٍ شتى من التعبير، وكلُّ شكل من أشكال التعبير هذه لغة ضابطة للسلوك الاجتماعيّ»[١].

والأعراف العقلانية مشتقة في الأساس من الدين، والشرائع السماوية، ومبنية على قواعد أخلاقية مستمدة من سلوك الصالحين، ومن مصالح اجتماعية عامة تغلب في الضرورة على مصالح الأفراد؛ لذا قيل في الفقه الإسلاميّ: «العادة محكمة»[٢]، وقيل: «المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً»[٣]، ويعني أنَّ شرط تلك مقبولية تلك الأعراف أن لا ينصَّ حكمٌ شرعيٌّ خلافها، وقيل: «القانون هو مهنة الكلمات»[٤]، فحلُّ النزاعات المدنيَّة ومقاضاة الحالات الجنائيَّة والدفاع عنها تتم برمتها عبر وسيلة اللغة. ومن هنا ركزنا حديثنا في الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام، بوصفه خطاباً قانونياً توجيهياً، تتنازعه أفعال الكلام، وتسود فيه الصياغات القانونية والأنشطة التشريعية، لذا اقتضت الضرورة وسم العنوان بـ(الخطاب القانونيّ عند

(١) ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ص٤٩٤.

(٢) شرح القواعد الفقهية، ص٢١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٥.

(٤) دليل سوسيولسانيات، ص٨٩٧.

الإمام الحسن الزكي عليه السلام مقاربة سوسيو ـ لسانية) وجاء في مبحثين، هما:

المبحث الأول: الصياغات القانونية عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام مقاربة في المفهوم والمصطلح.

المبحث الثاني: منجز الأفعال الكلامية في الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام.

المبحث الأول: الصياغات القانونية عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام مقاربة في المفهوم والمصطلح

ليس البحث عن المباني الأساسية المشتركة بين القوانين التي تتسم بسمة التفكير اللغويّ عند المشرعين أمراً سهلاً ويسيراً، لكن الممكن منها يطرد في الوقوف على عددٍ من السمات التي تتناظر بين المشرّعين القانونيين؛ لأنها ناجمة من حرصهم على تحقيق العدالة الاجتماعية، وإثبات الحق، وتغليب المصالح العامة على الخاصة. وخير ما يستمد منه المشرّع مبانيه، وصياغاته الأحكام الشرعية، ووصايا الأنبياء والأولياء، وأقوال الحكماء.

ومن هنا اقتضت الضرورة إسقاط مبادئ اللسانيات القانونية على إحدى وصايا الإمام الحسن الزكيّ العسكريّ عليه السلام التي سارت أعرافاً من جيلٍ إلى جيلٍ، واكتسبت تعابيرَ متنوعة ومتعددة تبعاً للاستعمال الاجتماعيّ لها، تحيط بها ظروف وأحوال متغيرة، اكتسبت الشرعية في القانون العرفيّ وبصياغات متعددة، وسياقات قوليّة ومقاميّة متنوعة.

ونص هذه الوصية ما رواه ابن شعبة الحرانيّ ـ رحمه الله تعالى ـ من أنَّ الإمام العسكري عليه السلام قد قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالِاجْتِهَادِ لِلّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَطُولِ السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ؛ فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمْ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ. اتَّقُوا اللهَ، وَكُونُوا زَيْناً وَلَا تَكُونُوا شَيْناً، جُرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَادْفَعُوا عَنَّا كُلَّ قَبِيحٍ؛ فَإِنَّهُ مَا قِيلَ فِينَا مِنْ حُسْنٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَمَا قِيلَ فِينَا مِنْ سُوءٍ فَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ. لَنَا حَقٌّ فِي كِتَابِ اللهِ، وَقَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ، وَتَطْهِيرٌ مِنَ اللهِ، لَا يَدَّعِيهِ أَحَدٌ غَيْرُنَا إِلَّا كَذَّابٌ. أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ،**

وَذِكْرَ الْمَوْتِ، وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ عَشْرُ حَسَنَات. احْفَظُوا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ»[١].

لقد تمكّنَ الأئمّةُ من أهلِ البيتِ عليهم السلام عن طريق حركةٍ متكاملةٍ في حياتِهم من بناءِ جماعةٍ عُرِفت بانتمائِها لهم، وبدأَ اصطلاحُ شيعةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام يظهرُ في كلماتِ المؤرّخينَ والمصنّفينَ، تلك الجماعة التي «عانت في الحكمين الأمويّ والعباسيّ أقسى ألوان التعذيب، وامتُحنوا امتحاناً عسيراً، وأرهقوا إرهاقاً شديداً، فقطعت منهم الأيدي، وسملت منهم العيون، وقتلوا على الظنّة والتهمة»[٢].

ومن خلالِ الأحاديثِ التي تضمّنتِ الأحكامَ الشرعيّةَ كان التمايزُ لأتباعِ أهلِ البيتِ في فقههم المعروفِ بفقهِ الإمامِ جعفرِ الصادقِ عليه السلام، ومن خلالِ التعاليمِ العقائديةِ ودفعِ الشبهاتِ التي كانت متداولةً في زمانِهم، وتمَّ بيانُ الصحيحِ من المعتقداتِ، وكذلك كان الاهتمام من الأئمّةِ عليهم السلام بسلوكيّاتِ أتباعِهم، وتنظيم علاقاتهم مع الناس؛ إذ إنّ التشيع يعني إيمان الفرد بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ايماناً أصيلاً راسخاً، لم يكن منبعثاً عن هوىً أو عاطفةٍ، بل كان منبعثاً عن وعي وتمحيصٍ، ودراسة جادة لواقعهم المشرف[٣]، «فحقيقٌ بهم أن يقال في شأنهم وعلو مقامهم: لله در هذا البيت الشريف، والنسب الضخم المنيف، وناهيك فيه من فخارٍ، وحسبك من علو مقدار، فهم جميعاً في كرم الأرومة، وطيب الجرثومة، كأسنان المشط، متعادلون، ولسهام المجد مقتسمون، فياله من بيتٍ عالي الرتبة، سامي المحلة... انتظم في المجد هؤلاء الأئمة انتظام اللئالي، وتناسقوا في الشرف فاستوى الأوّل والتالي»[٤].

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٧ – ٤٨٨.

(٢) نفحات من سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص ١٦.

(٣) ينظر: حياة الإمام العسكريّ دراسة وتحليل، ص٤٨.

(٤) حياة الإمام الهادي عليه السلام دراسة وتحليل، ص٨.

وهنا سنقارب ثلاثة مفاهيم ومصطلحات شرعية وردت في وصية الإمام العسكريّ عليه السلام بصياغات القانونيين وقواعد تشريعاتهم، وهي:

١- حسن الجوار:

وما يلفت له النظر في وصية الإمام الحسن الزكي عليه السلام مقارباته مع أنظمة القوانين والدساتير وموادها، وقد تمثلت إشارته للتخلق بالخصائل الحميدة في علاقة الإنسان بالناس، والجار بخاصة في الفقرة الأولى من المادة (١٠٥) من القانون المدنيّ العراقيّ رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١م المعدل، التي تنصّ:

(لا يجوز للمالك أن يتصرف في ملكه تصرفاً مضراً بالجار ضرراً فاحشاً، والضررُ الفاحشُ يُزال سواءٌ كان حادثاً أو قديماً)

فالفعل القصديّ الذي أراده الإمام الزكي من قوله له وظيفة في الاستعمال، وما كان يقصده في وصيته من الوعد والتحذير والأمر والنصح لا يخرج عن دائرة العقل الأخلاقيّ، والقانونيّ ذي البعد الإنسانيّ، وهذا ما جعل القوانين الوضعية تستمد طاقتها التنظيمية، والأخلاقية من الديانات السماوية التي يحكم بصحتها العقل، وهذا ما يمكن رصده فيما يعرف بـ(الآثار المعرفية ـ contextual effects) التي يراد بها: «كلُّ تعالق بين معلومتين أحداهما قديمة والثانية جديدة مما ينتج عنه مجموعة من الحوسبات الذهنية كتعديل أو تحسين أو إثبات أو إقصاء افتراضات توجد في ذاكرتنا التصورية»[1].

إنَّ من أبرز ما تتصف به القواعد القانونية بنحوٍ عام أنها ملزمة للعمل بها، وواجبة الاتباع؛ لشرعنتها من السلطة الحاكمة؛ لتحفظ كيان المجتمع، وهذا الإلزام إلزاماً سلطوياً عاماً، تجذر في العقل القانونيّ جيلاً بعد جيل، حتى أحكمت صياغته، وهو مستمد من الإلزام الأدائيّ الذي يُقصد به أنَّ القواعد الملزمة أدائياً هي قوانين

(١) التداولية عند العلماء العرب، ص٤٠

صاغها المشرِّع من أجل توجيه المخاطب إلى انجاز عملٍ ما تنفيذاً أو تركاً عبر توظيفه لثنائية (الأمر والنهي)، فالفعل (**أُوصِيكُمْ**) تندرج تحته سبع خصائل حميدة، كان أخرها (حسن الجوار) الفعل (أوصي) خرج من معناه الحقيقي (الوصية) إلى معنى الأمر الموجب لحفظ المجتمع، ودوام أُلفته، وقد حوَّل المشرِّع القانونيّ صيغة الأمر عند صياغته للمادة القانونية إلى صيغة النهي (لا يجوز)؛ لأنَّ أسلوب النهي في العربية قسيم أسلوب الأمر؛ إذ هو «أمرُ بالترك»[١].

وصياغة الفعل (لا يجوز) تستعمل في العرف القانونيّ لإفادة المنع وسلب السلطة التقديرية من الفاعل القانونيّ، غير أنَّ النهي بهذه الصيغة غير ملزم؛ إذ لا تترتب عليه عقوبة جزائية[٢]. وهذا يعني أنَّ صياغة الفعل القانونيّ (لا يجوز) ليس منهيُّهُ ممّا يجرِّمه القانون بالنص والقضاء، ولأنَّه لا يتضمن جزاءً مادياً (عقوبة)، بل يستوجب جزاءً معنوياً، يتمثل بعدِّهِ خرقاً جسيماً للقانون، لا تسمح به المحكمة التي يصون القوانين، ولا تؤيّده السلطة التنفيذية، ولا تعمل به فضلاً عما يتسبب به من استهجان لدى أفراد الشعب؛ لذلك استرسل المشرع القانونيّ في صياغة المادة (١٠٥) بقوله: (والضررُ الفاحشُ يُزال سواءٌ كان حادثاً أو قديماً) والإزالة لا تعني فرض العقوبة المادية على المخالف، بقدر ما هي عقوبة معنوية، واسترجاع حقٍّ ضائع، وهي حقيقة أكدها من قبلُ الإمام الحسن الزكي عليه السلام بقوله: (**فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله) في إشارة إلى أن وصيته نابعة من أصل الشريعة المحمدية، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾[٣] وورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، قوله: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار**

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ج٣، ص٦٨.

(٢) ينظر: لغة الحكم القضائيّ، ص٤٨

(٣) سورة النساء: الآية ٣٦.

حتى ظننت أنه سيورثه»[١]. والأحاديث الشريفة في ذلك كثيرة ومتواترة.

والصحيح أنَّ استعمال المشرِّع القانونيّ أسلوب النهي بـ(لا يجوز) فيه شيءٌ من التأدب الملائم لتعرية النهي من العقاب الماديّ.

وفي تتمةِ وصيةِ الإمام عليه السلام يُبيّنُ المسؤوليةَ الملقاةَ على الشيعي في أنْ يكونَ مصدرَ فخرٍ للأئمةِ عليهم السلام فمن خلالِ السلوكِ السويِّ تتشكّلُ الدعوةُ إلى مذهبِ أهلِ البيتِ عليهم السلام يقولُ الإمام العسكري عليه السلام: **(اتّقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلَّ مودةٍ، وادفعوا عنّا كلَّ قبيح)**، فوظيفةُ الشيعةِ ترتبطُ بعنصري الجذبِ والدفعِ، أي: جذبُ الناسِ إلى التمسكِ بأهلِ البيتِ عليهم السلام من خلالِ إظهارِ التعاليمِ التربويةِ المشرقةِ الصادرةِ منهم، والدفعُ لأيِّة تهمةٍ وباطلٍ يُحاكُ من السلطةِ الظالمةِ في حقِّهم، فالشيعة يعدون الحكام غاصبين للحكم الشرعيّ؛ ولأنهم لا يحكمون بما أنزل الله تعالى فهم فاسقون، والاصطفاف معهم ومعونتهم يُخرج الفرد من ورعه وتقواه[٢].

وجاء في المادة (١٠٥٤) من القانون المدني ما نصّه:

(على صاحب الأرض إن أراد إنشاءَ أبنيةً فيها ـ أن يجعل سطح البناء بحيثُ يسيل منه المطرُ على أرضه أو على الطريق العام، لا على الأرض المجاورة؛ وذلك وفقاً للقوانين والأنظمة المعمول بها في هذا الشأن).

وصيغة (على فلان... أن يفعل...) المطابق لنص المادة في أعلى، يستعملها القانونيُّون لأداء أمرٍ مباشرٍ، وتحتم على الفاعل القانونيّ الإلزام لعمل شيءٍ ما. وهذه الصيغة من فنون اللغة العربية، المحولة من القاعدة القانونية: (يجب على فلان أن يفعل) وقد حذف الفعل (يجب)؛ لما تسوغه دلالة حرف الجر (على) من الحذف

(١) صحيح البخاري، رقم (٦٠١٤).

(٢) ينظر: شذرات سياسية من حياة الأئمة عليهم السلام، ص١٢٨.

المقاليّ؛ لدلالته على الاستعلاء، الدال على الأمر، وذهب أحد الباحثين إلى عدم التفريق بين معنى الصيغتين، قائلاً: «أمّا من جهة المعنى؛ فلا فرق بين الصيغتين في الدلالة المباشرة على الإلزام والوجوب، وإن كانت الصيغة المحوّلة تترشح منها حمولةٌ دلالية تأدبية أكثر من الصيغة الأصلية»(١).

وتمثلت هذه الصيغة في قوله عليه السلام: «**الذين يتقون الموبقات ويتقون تسليط السفه على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم**»(٢).

والجدير بالذكر أنَّ الأوامر المباشرة هي تلك الأوامر التي تنجز بالفعل (يجب) الظاهر أو المحذوف لدلالة السياق عليه التي يُصرَّح فيها بلفظ المسند الإنجازيّ الدال على الأمر. وتستعمل من لدن المشرِّع القانونيّ في الغالب في القضايا التي تتسم بالوضوح كقضايا المعاملات التجارية والشخصية، ومسائل تتعلّق بإجراءات المحاكمات، وغيرها من القضايا التي تتطلب وضوحاً كافياً، يبعد عنها التأويلات المحتملة التي تفسد هدف الخطاب القانونيّ ومقصد المشرِّع منه(٣).

ومن جميل حسن الجوار ما ذكره الإمام الزكي عليه السلام بقوله: (**صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمْ؛... قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ**) وقد تمثل ذلك في الفقرتين الأولى والثانية من المادة (١٠٩٢) من القانون المدني العراقيّ التي تنصُّ على:

١- (**لا يجوز للجارِ أن يجبر جارَهُ على إقامة حائطٍ أو غيره على حدود ملكه، ولا على أن يعطيه جزءاً من حائطه أو من الأرض القائم عليها الحائط...**).

---

(١) في اللسانيات القانونية، مقاربة تداولية في خطاب الدستور العراقيّ، ص٧٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٣٤.

(٣) ينظر: اللسانيات التداولية في الخطاب القانونيّ ـ قراءة استكشافية للتفكير التداوليّ عند القانونيين، ص٥٠.

٢- (ومع ذلك؛ ليس لمالك الحائط أن يهدمه مختاراً دون عذرٍ قوي إن كان هذا يضرُّ بالجار الذي يستتر ملكه بالحائط).

تعدُّ صيغة (لا يجوز) من أنسب الصيغ القانونية استعمالاً وتوظيفاً عند المشرِّع عندما لا يكون الفاعل غير محددٍ في النص[١]؛ إذ إنَّ المنهي عنه غير مصرح به، لقول الإمام عليه السلام: (**وحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ**). فمن ينتسب إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام يكون ممثلاً لهم ولمذهبهم، سواء كان عالماً أم جاهلاً، رجلاً كان أم امرأة، فهو يحمل رسالتهم وعليه أن يكون بمستواها وأن يحسن أداءها؛ فإن من ينتسب إلى دين من الأديان أو مذهب من المذاهب أو إلى عقيدة أو فكر أو جماعة معينة؛ فإنَّ الآخرين ينظرون إليه أنه ممثل لما ينتسب إليه حقيقة أو ادعاء.

وفي الفقرة الثانية مقاربة لطيفة بين قول الإمام والنص القانونيّ؛ إذ انَّ حسن الجوار ليس كف الأذى عن الجار حسب، بل الصبر على الأذى الذي يصدر من الجار أيضاً؛ فقد قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**مِنَ الْفَواقِرِ التي تَقْصِمُ الظَّهْرَ جارٌ إِنْ رَأى حَسَنَةً أَطْفَأَها، وَإِنْ رَأى سَيِّئَةً أَفْشاها**»[٢]، وقد لخص أهل العلم حق الجار في ثلاثة أمور: أولها: الإحسان إليه ببذل المستطاع من المعروف، وثانيها: كف الأذى عنه. وثالثها: تحمل ما يصدر عنه من الأذى.

ثانياً: أداء الأمانة:

تضمن النص المتقدم قيمة (أداء الأمانة) لكلِّ برٍّ أو فاجر: (**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالِاجْتِهَادِ لِلّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ**،) **معللاً ذلك بقوله** عليه السلام: (**فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ**) مستنداً

(١) ينظر: أصول الصياغة القانونية بالعربية والانجليزية، ص١٧١.

(٢) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ج١، ص٣.

للآيات الكريمات، وهي:

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(١).

• ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيرًا﴾(٢).

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

• ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾(٤).

• ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(٥).

ومستنداً إلى الأحاديث الشريفة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، فإنّه يحكي عن الأهميّة البالغة لهذه المسألة، إذ وردت الأمانة تارة بعنوان أنّها من الأُصول والمبادئ الأساسية المشتركة بين جميع الأديان السماوية، وتارة أُخرى بعنوان أنّها علامة للإيمان، وثالثة بعنوان أنّها سبب نيل الرزق والثروة والثقة والاعتماد لدى الناس وسلامة الدين والدنيا والغنى وعدم الفقر وأمثال ذلك، وفيما يأتي نختار من هذه الروايات الشريفة ما يتضمّن هذه المعاني والمفاهيم العميقة: ففي حديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: (**لا إِيمانَ لِمَنْ لا أَمانَةَ لَهُ**)(٦)، وفي حديث مختصر وعظيم

(١) سورة المعراج: الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٣) سورة الانقال: الآية ٢٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٦) الترغيب والترهيب، الرقم: ٤/ ٧٧.

المعنى عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**رَأسُ الإسلام الأَمانَةُ، رأس النفاق الخيانة**)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (**إنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَم يَبعَث نَبِيّاً إلّا بِصِدقِ الحَدِيثِ وَأَداءِ الأَمانَةِ إلَى البِرِّ وَالفاجِرِ**)[2]. وهذا التعبير يوضّح أنّ جميع الأديان السماوية قد جعلت الصدق والأمانة جزءاً مهمّاً من تعليماتها الدينيّة والإنسانيّة، ومن الأُصول الثابتة في الأديان السماوية.

وجاء عن المشرِّع القانونيّ في القانون المدني العراقيّ حده لمصطلح الأمانة بفقرتين ضمن المادة (٩٥٠) التي تنصّ على:

١- الأمانة: هي المال الذي يصل إلى يدِ أحدٍ بإذنٍ من صاحبه حقيقة، أو حكماً لا على وجه التمليك، وهي إما أن تكون بعقد استحفاظ كالوديعة، أو ضمن عقدٍ كالمأجور والمستعار، أو من دون عقدٍ، ولا قصدٍ كما لو ألقت الريح في دار شخصٍ مالَ أحدٍ).

٢- والأمانة غير مضمونة على الأمين بالهلاك، سواء كان بسببٍ يمكن التحرر منه أم لا، وإنما يضمنها إذا هلكت بصنيعه أو تعدٍّ أو تقصيرٍ منه).

يرتبط المال غالباً في العرف القانونيّ بالجذر اللغوي (ض م ن) ومشتقاته، ويصدر الفعل (يضمن) عادةً من الجهات التشريعية العليا ضمن تشريعات الدستور، وتتمثل إفادته في تأكيد حقوقٍ أساسيةٍ وضمانها لفئاتٍ، أو طوائف معينة من الشعب العراقيّ، ومن ذلك النصّ على:

(يضمن هذا الدستور الحفاظ على الهوية الإسلامية لغالبية الشعب العراقيّ. كما ويضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الأفراد في حرية العقيدة، والممارسة الدينية،

---

(١) غرر الحكم، ص ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٦٨.

كالمسيحيين والآيزيديين، والصابئة المندائيين)[١].

والضمان من أفعال الكلام الوعدية (الالتزاميات المباشرة) المصرح بها في القواعد القانونية المتداولة التي يقصد بها ذلك النمط من الأفعال الالتزامية التي يصرح فيها بلفظ المسند الإنجازيّ، سواء أكان بصيغته الاسمية أم الفعلية التي يتكثف ورودها في الدساتير والقوانين في بابي: (الحقوق والحريات) والتي توجه عادة إلى أفراد الشعب بوصفهم مواطنين لهم على الدولة حقوقٌ وحريّاتٌ، لا بالنظر لوظائفهم وهوياتهم الفردية.

ثالثاً: اجتناب الفواحش:

كتب الإمام الحسن العسكري عليه السلام وصيّته إلى أحد أعلام أصحابه، وهو علي بن الحسين بن بابويه القمي جاء فيها: «**أوصيك... بتقوى الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقّه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ واجتناب الفواحش كلّها...** »[٢].

وبذلك رسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام منهجاً واضحاً للسير عليه، وهو يتضمّن مبادئ الشريعة الإسلاميّة وأحكامها، وما تدعو إليه من خلق رفيع، وتلك هي أخلاق الإسلام التي دعا إليها رسول الإنسانيّة محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

والفواحش: كلُّ ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، وكلُّ خصلة قبيحة فهي فاحشة، وأصل الفحش الزيادة والكثرة، ولهذا يقرر الفقهاء أنه يُعفى عن يسير

(١) المادة (٣٩/ أولاً) من الدستور.

(٢) شعب الإيمان: ج٢، ص٤٣، ح ١١٢٤ ، وينظر: الأنوار البهية، ص٣١٩.

النجاسة التي لا يمكن التحرز منها، ولا يعفى عما فحش منها، أيْ: كثر.

وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنى، قال تعالى: ﴿**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٤].

وفي حكم الزنا وتحريمهُ وعقوبة الزاني، قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٥].

وهذا الحكم في الزاني والزانية المحصنين، إذ يجلد كلٌّ منهما مائة جلدة، وأما المحصن؛ فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أنّ حدّها الرجم، ونهانا تعالى: أن تأخذنا رأفة بهما، في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهما.

ومن هنا شرّع القانونيون أحكاماً على البغاء منها قانون مكافحة البغاء رقم (٨) سنة (١٩٨٨) الذي ينصُّ على عدة مواد، وهي:

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٥) سورة النور: الآية ٢.

مادة رقم١ : يقصد بالتعابير الآتية المعاني المبينة أزاءها:

البغاء: هو تعاطي الزنا أو اللواطة بأجر مع أكثر من شخص.

السمسرة: هي الوساطة بين شخصين بقصد تسهيل فعل البغاء بأية طريقة كانت، ويشمل ذلك التحريض ولو بموافقة أحد الشخصين أو طلبه، كما يشمل استغلال بغاء شخص بالرضاء أو بالإكراه.

بيت الدعارة: هو المحل المهيأ لفعل البغاء أو تسهيله أو الدعاية له أو التحريض عليه أو ما يحقق أي فعل آخر من الأفعال التي تساعد على البغاء.

مادة ٢: البغاء والسمسرة ممنوعان.

مادة ٣: يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات.

وغيرها من النصوص المؤكدة لهذا الشأن.

وخلاصة القول إنَّ مقاربة المفاهيم، والمصطلحات التي وردت عن الأئمة وبخاصة عن الإمام الحسن الزكي العسكريّ عليه السلام تحتاج إلى بحث مفصل لأهميته في شرعنة كثير من الصياغات القانونية الوضعية.

المبحث الثاني: منجز الأفعال الكلامية في الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن الزكي عليه السلام

حينما يتحدث الإمام المعصوم، فهو يعلن ويقرِّر الحالات، أو يأمر ويوجِّه الأشخاص والجهات، أو يعِد ويضمن، أو يخبر ـ نادراً ـ بمعلوماتٍ مهمَّةٍ لغرضٍ خاصٍّ يتطلبه الموقف. ومن ثَمَّ؛ لنا أن نعلِّل مشروعيَّة دراستنا للأفعال الكلاميَّة في خطاب الإمام العسكريّ عليه السلام، بأنَّ كلَّ ما يشتمل عليه هذا الخطاب من أخبارٍ، وتصريحاتٍ، وأوامر، ونواهٍ، والتزاماتٍ، يُعدُّ من قبيل الأعمال الكلاميَّة الواضحة، التي يبتغي من ورائها التأثيرَ على المخاطَبين، ووضع منهج حياة للفرد والجماعة بمنزلة دستور للحياة الأمنة المستقرة.

وفي هذا المبحث محوران، هما:

المحور الأوَّل: في نظريَّة الأفعال الكلاميَّة:

يُعدُّ الفيلسوف الأمريكيّ (جون لانكشو أوستين J.L.Austin) مؤسّس هذه النظريَّة، وواضع المصطلح الذي تُعرف به الآن في الدراسات اللسانيّة كان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة (أكسفورد) في العقد الثالث من القرن العشرين، والمحاضرات الاثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة (هارفارد) سنة (١٩٥٥)، والتي نشرها بعد وفاته تلميذه (إرمسون) سنة (١٩٦٢)، في كتاب أسماه: (How to do things with words)، بمعنى: كيف ننجز الأشياء بالكلمات[١].

ويُقصد بمفهوم الفعل الكلاميّ أن المتكلم يؤدي عملاً باستعمال اللغة؛ فهذا مفهوم لم يظهر في الساحة ـ بوصفه علماً ـ إلَّا حديثاً في خمسينيّات القرن الماضي، متجلياً بنظريَّة الأفعال الكلاميَّة (Speech acts)، إذ ترسخ هذه النظريَّة تحليل اللغة والدلالة في التناول الذي يُعنى بقول المتكلم بوصفه عملاً حقيقيّاً يضاهي

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص٦٢.

الحدث الماديّ المنجز باليد على سبيل المثال، وهي نظريَّة تتقاطع من جهة أُولى مع الرؤية القديمة للغة التي تعدّها أداة لوصف الواقع، وتتقاطع من جهة أخرى مع اللسانيَّات البنيويّة بشقيها الوصفيّ والسلوكيّ، التي لا تأخذ بالحسبان سوى قواعد اللغة الداخليّة منفصلة عن الكلام.(١)

وتقوم هذه النظريَّة على معأدلة رياضيّة بسيطة، مفادها:

أن نقول قولاً = أن ننجز عملاً (٢)

ذلك يعني أنَّ كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ، وهو في الوقت نفسه يُعدّ نشاطاً مادياً نحوياً، يتوسّل بأعمال قوليّة إلى تحقيق أغراض إنجازيّة، كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد، وغيرها، وغايات تأثيريّة تخصّ ردود فعل المتلقي، كالرفض، والقبول، والاقتناع، والانصياع، وغيرها، ومن ثمّ؛ فهو عمل يطمح لأن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً.(٣)

إنّ التداخل بين قسمي الكلام (التقرير، والأداء) ألجأ (أوستين) إلى التخلي عن هذا التقسيم؛ إذ تبيّن له أنّ الكلام التقريريّ قد يتعرّض لأنواع الفشل التي تحكم الأدائيّات، وكذلك قد تقبل بعض الأدائيّات التقييم بمعيار الصدق والكذب.

ولتصحيح المسار، عاد (أوستين) ليسأل سؤاله الأصيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ فأجاب عن هذا السؤال، بأنّ التلفّظ بقولٍ ما ليس سوى إنجاز فعل كلاميّ تامّ، يتركّب من ثلاثة أفعال فرعيّة، هي:(٤)

---

(١) ينظر: التداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، ص٥٥.

(٢) ينظر: نظريَّة أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص٢٥.

(٣) ينظر: التداوليَّة عند العلماء العرب، ص٤٠. وينظر: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر (بحث)، ص٥١ – ٥٢.

(٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص٧٠، ٧١.

- العمل القوليّ: وهو يتألّف من النطق بأصوات لغويّة، ينتظمها تركيب نحويّ صحيح، ينتج عنه معنى محدد هو المعنى الأصليّ المفهوم من التركيب، وله مرجع يحيل عليه.
- العمل الغرضيّ (القصديّ): وهو ما يؤديه العمل القوليّ من وظيفة في الاستعمال، وما يقصده المتكلّم بالتلفّظ، كالوعد، والتحذير، والأمر، والنصح، وغيرها.
- العمل التأثيريّ: وهو الأثر الذي يحدثه العمل الغرضيّ في السامع أو المخاطب، سواء أكان تأثيراً جسديًّا، أم فكريّاً، أم شعوريًّا.

ويمكن تمثيل ذلك بمعادلة رياضيّة بسيطة، هي:

العمل الكلاميّ الكامل = قول + قصد + تأثير

وبعد (أوستين) مرّت نظريَّة الأفعال الكلاميَّة بمرحلة مهمّة يمكن تسميتها (مرحلة الاستواء والضبط المنهجيّ)[1]، على يد تلميذه الفيلسوف الأمريكي (جون سيرل J.Searle)، إذ رأى هذا العالم، أنّ تصوّر أستاذه (أوستين) لم يكن قائماً على أسسٍ منهجيّة واضحة ومحددة، فضلاً عن الخلط والتداخل الواضحين بين فئات الأفعال الكلاميَّة في تصنيفه الأخير.

فحصر (سيرل) الأفعال الكلامية في خمسة أصناف، أسقطناها على وصية الإمام الحسن الزكي عليه السلام لاستنطاق نصها، واستكشاف مضامينها التداولية والقانونية، وعلى النحو الآتي:[2]

(١) ينظر: الأفعال الواسطيَّة في دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥م مقاربة في ضوء نظريَّة الأعمال الكلاميَّة، ص٥٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٥١، ٥٢.

١- **الإخباريّات:**

غرضها الإنجازيّ هو وصف المتكلم واقعةً معيّنةً وصفاً يحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، وقد تمثل الإخبار الصادق في قول الإمام عليه السلام: «... **وَطُولِ السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ؛ فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله».

وإخبار الإمام عليه السلام عن النبي الأكرم فعل كلاميّ مباشر؛ لأنَّه أنبنى على أساس ثنائية: البنية والوظيفة؛ إذ كلما وجدت علاقة تطابق بين البنية اللغوية، والوظيفة الكلامية؛ نحصل على فعلٍ كلاميٍّ مباشر، يفيد الغرض الحقيقيّ وهو (الإخبار)؛ لأنَّ القوة الإنجازية للفعل الكلاميّ هنا تطابق قصد الإمام، ومراده من الاستعمال مطابقة تامة وحرفيّة؛ لتمثلها معاني الكلمات التي تتكون منها جملة الإخبار (**فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله)، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإمام عليه السلام أرد أن ينبأ بهذا الإخبار هويته الدينية، والعقيدية والأسرية التي تشير إلى انتمائه للنبي الخاتم محمدٍ صلى الله عليه وآله، يقول الوتريّ[1]:

ماذا يقـــولُ المادحون بوصفـهم ... وهم السراة خلائـــــفَ المختارِ

ضُرِبَتْ قبابُ فَخارِهم وسُمُّوهِم ... بَيْنَ البتولِ الطـــــهرِ والمخـــتارِ

ومن صنف الإخباريات في الوصية الشريفة قوله عليه السلام: (**لَنَا حَقٌّ فِي كِتَابِ اللهِ، وَقَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ، وَتَطْهِيرٌ مِنَ اللهِ، لَا يَدَّعِيهِ أَحَدٌ غَيْرُنَا إِلَّا كَذَّابٌ**) إشارة منه عليه السلام إلى قوله تعالى:

أ- **قال تعالى: ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**

(١) روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، ص٩٩.

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ﴾[١].

ب- **قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[٢].

ج- **قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[٣].

وفي عبارة ثالثة يخبر الإمام عليه السلام في وصيته موكداً: **(فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ عَشْرُ حَسَنَات)** في إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «من صلى علي صلاة صلى الله تعالى بها عليه عشر صلوات، ومحا عنه عشر سيئات، وأثبت له بها عشر حسنات، واستبق ملكاه الموكلان به أيهما يبلغ روحي منه السلام»[٤].

وممّا يلحظ في هذه الإخبار الثلاثة أنَّها جاءت في سياقات أفعالٍ كلامية أُخَر ـ قبلها أو بعدها ـ بل إنها جاء بعد صنف واحدٍ من الأفعال، وهو صنف (التوجيهيات) التي تستلزم الاستلال والتسويغ بالإخباريات الموثوقة.

٢- التوجيهيّات:

غرضها الإنجازيّ هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معيّن، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الرغبة الصادقة، ومن أمثلتها: الأمر، والنهي، والنصح، والاستفهام، وغير ذلك.

وما ينبغي الالتفات إليه أنَّ القواعد القانونية ملزمة بطبيعتها، وإنَّ إلزامها متأتٍ من ثلاثة جهات، هي: (صدورها من سلطة مشرّعة، وصياغتها، ومضامينها)

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٤.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٤) معارج اليقين في أصول، ص ١٥٧.

وتزداد قوتها الإنجازية كلما كانت الجوانب الثلاثة مجتمعة في الخطاب، وهذا ما توافر في نص وصية الإمام الحسن الزكي عليه السلام، وهي على قسمين، هما:

القسم الأول: التوجيهات الآمرة:

الأمر وهو «طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء»[١]، وقد وردت الأفعال الكلامية الآمرة في وصية الإمام عليه السلام بنحوٍ التوجيه بثلاثة أصناف، هي:

أ- **الصنف الأول**: فعل الأمر الدال على النصح، كقوله عليه السلام: (**صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمْ**).

ب- **الصنف الثاني**: فعل الأمر الدال على التحذير، كقوله عليه السلام: (**اتَّقُوا اللهَ، وَكُونُوا زَيْناً وَلَا تَكُونُوا شَيْناً، جَرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَادْفَعُوا عَنَّا كُلَّ قَبِيحٍ**).

ج- **الصنف الثالث**: فعل الأمر الدال التحذير، كقوله عليه السلام: (**أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ،... احْفَظُوا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ...**).

إذاً لا تتمخض عن صيغة (افعل) دلالة واحدة بنحو الحقيقة الآمرة؛ لذا الفعل الكلامي بصيغة (افعل) لا يدلُّ على الإلزام الوجوبيّ المراد حصوله في الأوامر القانونية، ومن ثمَّ لا يستوجب طاعة المأمور وامتثاله؛ ولذا هذه الأصناف الثلاثة لا تتسم بالدقة والوضوح القطعيين حتى يتمكن المخاطبون بها من الوقوف على مقاصدها؛ لتعدُّد دلالاتها، وايحاءاتها، والمعاني الثاوية فيها[٢].

واللافت للنظر أن صيغة (أفعل) لا تصلح إلا مع المخاطب الحاضر المباشر، لذا لا يذكر المخاطب بعدها باسمه أو وصفه أو وظيفته، فهذه الأمور تعدُّ أساسيةً لمن يقع عليه الإلزام، ويتناسب هذا مع وصية الإمام العسكريّ عليه السلام التي تتسم بالعموم

(١) المحصول في علم أصول الفقه، ج٢، ص١٧.

(٢) ينظر: البلاغة والتطبيق، ص١٢٤.

والشمول، إذ وجهها لكلِّ شيعيّ في زمن الخطاب، وما بعده حتى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة.

القسم الثاني: التوجيهيات الناهية:

يعرف أسلوب النهي بأنَّه: «طلب كفٍ عن فعلٍ على جهة الاستعلاء»[١]، ولهذا الأسلوب في العربية صيغة واحدة معروفة، هي الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية: (لا تفعلْ) كما في قول الإمام الزكي عليه السلام: (**وَلَا تَكُونُوا شَيْناً**).

ونظراً لتعدد احتمالية دلالة النهي بهذه الصيغة، كما في قوله تعالى: « **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً...**»، فالنهي هنا يفيد الدعاء، ونظراً لافتقارها لسمة الإلزام الوجوبيّ المروم حصولها في النواهي التشريعية، ونظراً لأنّ النهي بها نهياً واحداً لا يفي بما تتطلبه النواهي التشريعية من حمولاتٍ دلالية متعددة ومتنوعة، وإيحاءات نفسيةٍ ثاويةٍ، كاقتران النهي بعقوبة وعدم اقترانه، وإنزال المنهي عنه منزلة المحرم دينياً وفطرياً؛ لهذا الاشكالات وغيرها، فقد اعرض القانونيون التشريعيون عن استعمال هذه الصيغة، باحثين عن طرائق أخرى للنهي يحققون بها ما قصرت بلوغه الصيغة الشرعية (لا تفعلْ)، وهذه نقطة افتراق بين القوانين السماوية، والقوانين الوضعية؛ لأنّ العقوبات الصادرة على وفق النواهي عقوبات معنوية يرجى متجاوزها إلى يوم القيامة.

وعلى وفق ذلك قدم القانونيون الوضعيون صيغة أخرى تعطي معنى النهي، وهي على نوعين[٢]:

---

(١) التحرير في أصول الفقه ـ الجامع بين اصطلاحي الحنفيّة والشافعيّة، ص١٥٥.

(٢) في اللسانيات القانونية، ص٨٤٨٥.

- **النواهي المباشرة:**

وهي صيغ أسلوبية يصرح بها بلفظ المسند الانجازيّ الدال دلالة قطعية على النهي، وتتمثل في القوانين الوضعية على نحو أحكامٍ ناهية.

ومن هذه الصيغ (يحظر، ويحرم، ولا يجوز، ويمنع...) ولم ترد هذه الصيغ وأمثالها في وصية الإمام الحسن الزكي عليه السلام، لكن وردت عنده في أقوالٍ أخرى، منها قوله عليه السلام: (... **غير أن الأدلّة يسكن إليها كثير من الناس وذلك أن الله عَزَّ وجَلَّ يأذن لنا فنتكلّم، ويضع ويمنع فنصمت...**)، فلم يذكر القانونيُّون دلالةً لهذا الفعل سوى دلالة النهي، ويبدو أنَّ دلالة على النهي مطلقة من القيود والدلالات الثاوية [١]. واستعمل هذا الفعل في السياقات الدستورية لمنع ما كان حاصلاً وشائعاً قبل صدور الحكم، لا لإفادة النهي الاستباقيّ عن فعلٍ لما يحصل وممكن الحصول في المستقبل[٢]، كما جاء في الدستور العراقيّ:

(تحترم الحكومة العراقية وتنفذ التزامات العراق الدولية الخاصة بمنع انتشار وتطوير وانتاج واستخدام الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية ويمنع ما يتصل بتطويرها وتصنيعها وانتاجها واستخدامها من معدات ومواد وتكنولوجيا وأنظمة للاتصال)[٣]

وجاء أيضاً بدلالة النهي نفسها في النص الآتي:(**تمنع كل اشكال العنف والتعسف في الأسرة والمدرسة والمجتمع**)[٤].

والجدير بالالتفات إليه أنَّ استعمال هذه الأفعال الإنجازية الناهية تفيد أنَّ

(١) ينظر: أصول الصياغة القانونية بالعربية والانجليزية، ص١٦٩.

(٢) ينظر: في اللسانيات القانونية، ص٨٩.

(٣) دستور جمهورية العراق الدائم لعام ٢٠٠٥، (المادة:٩، أولاً، هـ).

(٤) المصدر نفسه، (المادة: ٢٩، رابعاً).

الفاعل القانونيّ غير مسموحٍ له بالفعل؛ لقول الإمام الزكي عليه السلام: **(من لم يحسن أن يمنع، لم يحسن أن يُعطي)**[١].

٣- الالتزاميّات:

غرضها الإنجازيّ هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها هو القصد، ومن أمثلتها: الوعد، والوصية، والقسم، وسوى ذلك، وقد أوصى الإمام الحسن الزكي عليه السلام شيعته بقوله: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالِاجْتِهَادِ لِلّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَطُولِ السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ؛ فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله **... احْفَظُوا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ»**[٢].

يستطيع الإمام عليه السلام إنجاز عملٍ التزامي – صريح أو ضمنيّ –بأن يلزم نفسه أداء عملٍ ما في المستقبل تُجاه مخاطبٍ حاضرٍ مادياً، أو غائبٍ مستحضرٍ ذهنياً، بتخلق بوصاياه ويتبعها، فإنَّ فيها جملة الأخلاق الحسنة التي جاء بها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وهو القائل: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[٣]، ويشترط في هذا الالتزام أمران، هما:

أ- أن تتضمن نية المتكلم قصده.

ب- أن يكون المتكلم مستعداً لإداء ما ألزم نفسه به[٤].

وقوله عليه السلام في وصية أخرى: **(وعليك بصلاةِ الليلِ؛ فإنّ النبيَّ** صلى الله عليه وآله **أوصى عليّاً** عليه السلام **فقال: «يا عليُّ عليك بصلاةِ الليلِ، عليك بصلاةِ الليلِ، عليك بصلاةِ الليلِ،**

(١) بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٩.

(٢) تحف العقول، ص٤٨٧ – ٤٨٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص٣٨٢.

(٤) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة – دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، ص٥٠٧.

ومن استخفَّ بصلاةِ الليلِ فليس منّا، فاعملْ بوصيّتي وأْمُرْ جميعَ شيعتي بما أمرتُك به حتّى يعملوا به، وعليك بالصبرِ وانتظارِ الفرجِ»؛ لهذا قال النبيَّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلّمَ): (أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج...)

٤- التعبيريّات:

غرضها الإنجازيّ هو التعبير عن الموقف النفسيّ تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص، دون أن يكون فيها مطابقة بين العالم والكلمات، ومن أمثلتها: الشكر، والاعتذار، والتهنئة، وغيرها.

ومن الشواهد التعبيرية جاءت في الوصية فول الإمام الزكيّ عليه السلام: (**فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ**).

٥- التصريحيّات:

غرضها الإنجازي هو إحداث تغيير في الوضع القائم، فضلاً عن أنّها تقتضي عرفاً غير لغويّ، ويتطلب إنجازها مؤسّسة خارج اللغة. أمّا اتجاه المطابقة فيها؛ فمزدوج، من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص، ومن أمثلتها: التعيين، والفصل، والتسمية، وسواها. ومن ذلك قول الإمام عليه السلام: «**فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ... أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ، وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ عَشْرُ حَسَنَات. احْفَظُوا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ**»[1].

(١) تحف العقول: ص٤٨٧ - ٤٨٨.

النتائج:

حان الآن أن نطوي أشرعتنا، ونحطَّ رحالنا، لنسطر ما توصلت إليه رحلة البحث الشيّقة من نتائج، وهي:

١- جاء البحث ملائماً للجمع بين مناخات بحثية متباينة، تتمثل بإسقاط أربعةِ علوم لسانية متباينة على تعابير إحدى وصايا الإمام الحسن الزكيّ العسكريّ عليه السلام، وهي اللسانيات: (الخطابية، والقانونية، والاجتماعية، والتداولية).

٢- قارب البحث بين ثلاثة مفاهيم ومصطلحات شرعية وردت في وصية الإمام العسكريّ عليه السلام والصياغات القانونية والقواعد التشريعية التي جاءت في دستور جمهورية العراق والقوانين المنبثقة منه، وهي: (حسن الجوار، وأداء الأمانة، اجتناب الفواحش).

٣- إنَّ من أبرز ما تتصف به القواعد القانونية بنحوٍ عام أنها ملزمة للعمل بها، وواجبة الاتباع؛ لشرعنتها من السلطة الحاكمة؛ لتحفظ كيان المجتمع، وهذا الإلزام إلزاماً سلطوياً عاماً، تجذر في العقل القانونيّ جيلاً بعد جيل، حتى أحكمت صياغته، وهو مستمد في أصوله من التراث الدينيّ غالباً.

٤- تمثل الخطاب الشرعيّ للإمام العسكريّ عليه السلام بغناهِ المعرفيّ، وتنوعهِ القيميّ، وترابطهِ المنظوميّ، فهو بحق منظومة من التشريعات والقيم والمبادئ التي تصون المجتمع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تمنح المشرِّع القانونيّ فسحة كبيرة؛ لتنظيم الأحكام القانونية، وانتقاء الصياغات اللغوية، واختيار القواعد التشريعية.

٥- كل الأفعال القصدية التي وردت في وصية الإمام الزكي عليه السلام له وظيفة في الاستعمال، وما كان يقصده في وصيته من الوعد والتحذير والأمر والنصح لا يخرج عن دائرة الدين الإسلاميّ الحنيف والتشريع الإنسانيّ الموافق للعقل

الأخلاقيّ والقانونيّ، وهذا ما جعل القوانين الوضعية تستمد طاقتها التنظيمية والأخلاقية من الديانات السماوية التي يحكم بصحتها العقل. فالفعل (**أُوصِيكُمْ**) تندرج تحته سبع خصائل حميدة، كان آخرها (حسن الجوار).

٦- خرج الفعل (أوصي) من معناه الحقيقي (الوصية) إلى معنى الأمر الموجب لحفظ المجتمع، ودوام أُلفته، وقد حوَّل المشرِّع القانونيّ صيغة الأمر عند صياغته للمادة القانونية إلى صيغة النهي (لا يجوز)؛ لأنَّ أسلوب النهي في العربية قسيم أسلوب الأمر؛ إذ هو أمرُ بالترك.

٧- إنَّ صياغة الفعل القانونيّ (لا يجوز) ليس منهيُّهُ ممّا يجرِّمه القانون بالنص والقضاء وإنَّ استعمال المشرِّع القانونيّ أسلوب النهي بـ(لا يجوز) فيه شيءٌ من التأدب الملائم لتعرية النهي من العقاب الماديّ، وهي حقيقة أكدها من قبلُ الإمام الحسن الزكي عليه السلام بقوله: (**فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله) في إشارة إلى أن وصيته نابعة من أصل الشريعة المحمدية.

٨- كشف البحث عن التناغم العرفيّ والاتساق البنائيّ واللغويّ في وصية الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام وملائمتها للتفسيرات الاجتماعية والتداولية التي تضمنتها المواد القانونية والدستورية محل المقاربة.

ومن الله التوفيق

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن عبد الواحد، كمال الدين محمد المعروف بابن همام الاسكندريّ (٨٦١هـ)، التحرير في أصول الفقه ـ الجامع بين اصطلاحي الحنفيّة والشافعيّة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

٢. أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي (ت١٠١هـ)، المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق: طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

٣. استيتية، سمير شريف، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٤. الأندلسيّ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت٢٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، تقديم: د. إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٥. أوستين، جون، نظريَّة أفعال الكلام العامة ـ كيف ننجز الأشياء بالكلام: ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م.

٦. بلانشيه، فيليب، التداوليَّة - من أوستين إلى غوفمان ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٧.

٧. البيهقيّ، أحمد بن الحسن بن علي (٣٨٤هـ- ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، تحقيق: مختار أحمد الندويّ وعبد العليّ عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣م.

٨. بيومي، سعيد أحمد، لغة الحكم القضائيّ، دراسة تركيبية دلالية، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٩. الحرانيّ، ابن شعبة، حسن بن علي (القرن الرابع الهجريّ)، تحف العقول عن آل الرسول، دار الشريف الرضي، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

١٠. حفيز، عبد الحميد، في اللسانيات القانونية، مقاربة تداولية في خطاب الدستور العراقيّ، سلسلة لسانيات عراقية، بإشراف: جمعية اللسانيين العراقيين، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٨م.

١١. حفيز، عبد الحميد، ودهش، نعمة، الأفعال الواسطيَّة في دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥م مقاربة في ضوء نظريَّة الأعمال الكلاميَّة، (بحث) منشور في مجلة الأستاذ، ملحق العدد ٢١٩ لسنة ٢٠١٦م ـ ١٤٣٨هـ.

١٢. دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥م الدائم.

١٣. دليل السوسيولسانيات، فلوريان كولماس، ترجمة: د. خالد الأشهب و د.ماجد ولين النهيبيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٤. الرفاعي الوتري، أحمد بن محمد الشافعي (ت٩٨٠هـ)، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، اعتنى به وحققه: ممدوح إبراهيم محمد، كتاب ـ ناشرون، (ب ت).

١٥. الزرقا، أحمد بن محمد، شرح القواعد الفقهية، تحقيق: مصطفى الزرقا، ط٦، دمشق، دار القلم، ٢٠٠١م

١٦. السبزواري، محمد، معارج اليقين في أصول الدين ـ تحقيق: علاء آل جعفر، ط١، سنة: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٣م.

١٧. شذرات سياسية من حياة الأئمة عليهم السلام، السيد حسن شبر، باقيات، مطبعة وفا، ط٤، ٢٠١٣م.

١٨. صبره، محمود محمد، أصول الصياغة القانونية بالعربية والانجليزية، عليدار الكتب القانونية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٩. صحراوي، مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب - دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٠. صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر (بحث): ضمن كتاب: (التداوليات - علم استعمال اللغة)، مجموعة باحثين، إعداد وتقديم د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط/ ١، ٢٠١١م.

٢١. صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفيّ البخاريّ، (١٩٤ ـ ٢٥٦ ق)، ضبطه ورقمه: البُغا، مصطفى ديب، دار بن كثير ودار اليمامة، دمشق، ط٥، (١٤١٤هـ -١٩٩٣م).

٢٢. الطبرسيّ، علي بن حسن (القرن السابع الهجريّ)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة،١٤٢٣م.

٢٣. الطّبسيّ، محمد جواد، حياة الإمام الهادي عليه السلام دراسة وتحليل، دار جواد الأئمة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٤. القريشيّ، باقر شريف، حياة الإمام العسكريّ دراسة وتحليل، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٥. القريشيّ، باقر شريف، نفحات من سيرة أهل البيت عليهم السلام، تحقيق: مهدي باقر القريشيّ، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام ـ دار الماهر، مطبعة الورديّ، ط٩، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).

٢٦. القميّ، عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، (١٢٥٤ ـ ١٣١٩ق)، دار الذخائر، قم المقدسة، ١٣١٢هـ.

٢٧. اللسانيات التداولية في الخطاب القانونيّ قراءة استكشافية للتفكير التداوليّ عند القانونيين، د. مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٥م.

٢٨. المجلسيّ، محمد باقر، بحار الأنوار، المكتبة الإسلامية (ب ت).

٢٩. مطلوب، أحمد والبصير، كامل حسن، البلاغة والتطبيق، جمهورية العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، ط٢، ١٩٩٩.

٣٠. ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ـ دراسة نحوية تداولية، نشر مشترك: جامعة منوية ـ كلية الآداب منوية والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١م.

٣١. نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

البحث السابع

الفكر التنموي

عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.م.د. عقيل رشيد عبد الشهيد الأسدي
جامعة الكوفة
كلية التربية الأساسية

م.م. رشا حسين عبد الكاظم
المديرية العامة لتربية بابل

المقدمة

يعد مفهوم التنمية البشرية من المفاهيم الحديثة التي شاعت عقب الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م) بعد الدمار البشري والاقتصادي الهائل الذي سببته الحرب، فكانت الحاجة ماسة لإعداد الخطط وإيجاد بيئة مناسبة للإنسان وممارساته الحياتية للإسراع في الخروج من النفق المظلم، فكانت مقتصرة على الجانب الاقتصادي والسياسي، ثم اتسعت لتشمل الجانب الثقافي والاجتماعي، وبعد ذلك أصبحت التنميّة البشرية من الأمور الأساسيّة التي تعتمد عليها أغلب المجتمعات المتطورة بهدف زيادة القدرات التعليميّة والخبرات العمليّة لمواطنيها لدفعهم وتشجيعهم على العمل المتواصل بكل جهدٍ ومحبة بعيداً عن الشعور بالكسل أو العجز، وإكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده

والتنمية البشرية من منظور إسلامي نجدها فضلاً عن كونها اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، تنمية روحية غايتها تكريم الإنسان، فالدين الإسلامي هو دين الإنسانية يهدف في الأساس إلى صناعة الإنسان بما هو إنسان وتطوير قابلياته وقدراته وتسخير كل إمكانياته المتاحة لخدمة المجتمع.

وعلى الرغم من أن هذا المصطلح لم يظهر بمسمياته وتطبيقاته الحالية في الفكر الإسلامي إلا أن جذوره متأصلة في مبادئ الإسلام وقيمه الفكرية، وتراث أهل البيت ثر وزاخر بكل ما من شأنه ينمي الإنسان ويصل به إلى الكمالات الروحية والنفسية، وقد جاء هذا البحث إسهامة متواضعة لبيان الفكر التنموي للإمام الحسن عليه السلام من خلال عرض بعض أحاديثه في هذا المجال، وقراءتها قراءة تنموية.

اشتمل البحث على مبحثين تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة، تناولنا في المبحث الأول: التعريف بالتنمية البشرية وما يتصل بها. والثاني عرضنا فيه أحاديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام في ضوء التنمية البشرية، ثم انتهى البحث في الخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بالتنمية وأنواعها وهدفها

أولاً: التنمية

التنمية لغة: (النَّماءُ الزيادة نَمَى يَنْمِي نَمْياً ونُمِيّاً ونَماءَ زاد وكثر)[١].

وفي الاصطلاح يعد مصطلح التنمية من أكثر المصطلحات تشعبا، ويمكن أن يمتد ليشمل جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من المجالات الأخرى، ومع ذلك فإنه مصطلح يصعب تحديده، والصعوبة تعود إلى تنوع الجوانب المتصلة به، وكذلك لارتباطه بمصطلحات أخرى، ولعل التداخل فيما بين مصطلحي النمو والتنمية والفرق بينهما يعد واحداً من الإشكالات المهمة (وإن كان هناك بعض المفكرين يستعملون المفهومين استعمالاً واحداً أي لا يفرقون بينهما، إلا إن بعضهم الآخر يحرص على التمييز الواضح والمحدد بينهما ولعل الفارق بينهما لدى هؤلاء هو التنمية تعني انبثاق حالة عقلية، ونفسية واجتماعية من شأنها أن تجعل النمو ممكناً)[٢].

ويمكن تعريف التنمية على أنها: (عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية الإنسان وتعزيز كرامته فضلاً عن أنها بناء للإنسان، وتطوير لكفاءاته، وإطلاق لقدراته للعمل البناء، فهي تسعى لاكتشاف موارد المجتمع، وتنميتها لاستخدامها على الشكل الأمثل من أجل بناء الطاقة الإنتاجية القادرة على العطاء المستمر)[٣].

وبعبارة أخرى يمكن القول إنّ عملية التنمية هي عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الوظيفية، والهيكلية متوخيةً الوصول إلى أهداف معينة ترمي

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٥، ص٣٤١.

(٢) زين، الياس، مجلة قضايا عربية، ص١٤٠.

(٣) عيد حسن، إبراهيم، دراسات في التنمية الاجتماعية، ص١٦٠.

إليها السياسة التنموية عادةً[١]، فهي بهذا المعنى تشمل كل الجهود التي تبذل من أجل النمو والتقدم وتحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع. فضلاً عن أنها كلمة جامعة لا تعني فقط خطة أو برنامجاً أو مشروعاً للنهوض بالمجتمع اقتصادياً واجتماعياً بل تعني كل عمل إنساني بناء في مختلف المجالات.[٢]

مما تقدم يتضح أن التنمية تشتمل على النمو وعلى التغير في كافة نواحي الحياة في مختلف صورها، وأشكالها محدثة فيها تغيرات عميقة وشاملة، وهذا يعني أن التنمية هي نمو يعتمد تحقيقه على المجهودات المخططة، والمنظمة التي يقوم بها الأفراد، والجماعات لتحقيق أهداف معينة.

ثانياً: أنواع التنمية.

لم تظهر أنواع التنمية جميعها في وقت واحد، بل ظهرت متفاوتةً. فقد ظهرت التنمية الاقتصادية أولاً، ثم التنمية الاجتماعية ثانياً، وبعد التطور الحاصل وتأكيد العلماء أن ثمار التنمية يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار التركيز على أن تنال الأجيال القادمة جزءاً من ثمارها لهذا فقد ظهر النوع الذي سمي بالتنمية المستديمة، وبعد إدراك الباحثين التأثيرات المتبادلة للجانبين الاقتصادي والاجتماعي أحدهما في الأخر ظهر نوع آخر أطلق عليه بالتنمية البشرية. وسنأتي إلى توضيح كل من هذه الأنواع على حده.

١. التنمية الاقتصادية.

التنمية الاقتصادية هي عملية تستخدم بموجبها دولة نامية مواردها المتاحة لتحقيق معدل سريع للتوسيع الاقتصادي مما يؤدي إلى زيادة مطردة في دخلها القومي وفي نصيب الفرد من السلع والخدمات، وتسعى التنمية الاقتصادية إلى التغلب

(١) حبيب، كرم، تنمية الثروة البشرية، ص٢٣٤.

(٢) برعي، محمد جمال، التخطيط للتدريب في مجالات التنمية، ص١١.

على المعوقات الاقتصادية بشكل تدريجي، وتوافر رؤوس الأموال والخبرة الفنية والتكنولوجية.(١)

وقد أشار بعض رجال الاقتصاد إلى أن التنمية الاقتصادية تشتمل على الزيادة السريعة في إنتاجية المجتمع الاقتصادية التي تؤدي إلى زيادة الدخل القومي. ويرون كذلك أنها دالة الاستثمار القومي. ويرى بعضهم الآخر أن التنمية الاقتصادية هي الزيادة في متوسط الدخل القومي للفرد.(٢)

وفي ضوء ما تقدم نرى أن التنمية الاقتصادية تعني العمليات التي يقوم من خلالها المجتمع بتسخير إمكانياته وقدراته وموارده بما يحقق زيادة في دخله القومي والذي وبالتالي تنتج عنها زيادة دخل أفراده بما يوفر لهم الخدمات المطلوبة واستخدام تلك الإمكانيات بما يحافظ على استمرار المستوى الحالي للدخل إذا كان عالياً بما يكفل عدم انخفاضه.

٢. التنمية الاجتماعية.

يشير مفهوم التنمية الاجتماعية إلى عمليات مخططة وموجهة يتم من خلالها إحداث تغير اجتماعي مقصود ومرغوب في أبنية المجتمع ووظائفه وفي مواقف الأفراد والجماعات نحو أنفسهم ونحو المجتمع.(٣)

وبهذا المعنى تكون التنمية الاجتماعية عبارة عن عملية تصحيح وتطوير ودفع لكافة المشاريع الاجتماعية وكافة الأمور التي تشبع الحاجات الأساسية للإنسان فضلاً عن تصحيح قيمه وسلوكه. وقد نظر بعض الباحثين إلى أن التنمية الاجتماعية على أنها عملية تقوية وتكثيف للعلاقات والوشائج الاجتماعية الساندة في المجتمع

(١) بدوي، أحمد زكي، معجم المصطلحات الاجتماعية، ص١٢٣.

(٢) شاكر، إبراهيم، الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ص١٢٧.

(٣) سليمان، عدلي، عبد المنعم، هاشم، الجماعات بين التنشئة والتنمية، ص٥٤.

وتحسين للخدمات الاجتماعية التي تعنى بأمور الفرد ورفع مستواه ثقافياً وصحياً واجتماعياً وجعله أكثر قدرة على تفهم مشاكله وأمور حياته فضلاً عن إشاعة روح التعاون بين أفراد المجتمع من أجل الوصول إلى حياة أفضل، وهنا نستطيع القول بان التنمية الاجتماعية تهتم بنمو الإنسان وتكيفه مع بيئته.[١]

وهذا يتطابق مع ما ذهب إليه روب (Roupp) من أن التنمية الاجتماعية هي عبارة عن تغير مواقف غير مرغوب فيها إلى مواقف أخرى مرغوب فيها، وذلك عن طريق استخدام الموارد البشرية من أجل إعطاء هذا التغير مظهراً منطقياً لغرض تحقيق الأهداف المتوخاة.[٢]

٣. التنمية المستدامة

يرتبط مستقبل العالم بالتخطيط لتنمية دائمية ومتواصلة ومتجددة تلبي احتياجات الحاضر من دون أن تضحي بمتطلبات المستقبل. فالعالم اليوم بأمس الحاجة إلى تنمية تستخدم عناصر البيئة وموارد الطبيعة وتضمن في الوقت نفسه عدم تلوثها وعدم استنزافها وبالتالي استمرارها من أجل استخدامها من الأجيال القادمة.

والتنمية المستدامة هي التنمية التي تنطلق من هذه المبادئ وتحقيق التوازن بين التنمية والبيئة وبين الإنتاج والاستهلاك وبين القدرة البيئية والقدرة على العطاء. وتعرف التنمية المستدامة على أنها التنمية التي تواجه أو تستجيب لاحتياجات الحاضر من دون أن تعيق إمكانات الأجيال القادمة في مواجهة احتياجاتهم.[٣]

---

(١) محمد، كامل، شديد، محمد جمال، تنمية المجتمع المحلي، البطريق، ص١٩٠.

(٢) مجاهد، هدى، أسس تقويم الأسلوب التكاملي في التنمية الاجتماعية الريفية، ص٣٩٢.

(٣) عبد الله، عبد الخالق، التنمية المستدامة، ص١.

٤ . التنمية البشرية

منذ مطلع التسعينات من القرن المنصرم أصبح مصطلح التنمية البشرية يتردد كثيراً في الأدبيات التنموية، وظهرت محاولات شتى لتوصيفه. فيرى عثمان هاشم أن التنمية البشرية تقوم على أساس الاستخدام الأفضل للموارد المتاحة في الدولة بشكل عادل يضمن استمرارية النمو ومن مظاهرها المهمة العناية بالأمن الغذائي وتعميم خدمات الصحة والتعليم الأساسية في مناطق الدولة المختلفة وتوفير فرص العمل لجميع أفراد المجتمع.[١]

في حين يرى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن مفهوم التنمية البشرية يعني تنمية الناس من أجل الناس وبواسطة الناس، فتنمية الناس معناها الاستثمار لقدرات البشر سواءٌ في الصحة أم التعليم حتى يمكنهم العمل على نحو منتج وخلاق، والتنمية من أجل الناس معناها كفالة توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققوه توزيعاً واسع النطاق وعادلاً مع إعطاء كل فرد في المجتمع فرصة المشاركة فيها.[٢]

وعند مراجعة الجذور الأولى لهذه المصطلحات نجد أنها تعني رفع قدرة الموارد البشرية وتنميتها ولكن حدث تحول في تحديد أهداف التنمية فبعد ان كان التركيز على متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي تزايدت الدعوات لتبني أهداف أخرى ترتبط بالعمل على التخفيف من حدة الفقر وتحقيق عدالة أكبر في توزيع الدخل وزيادة التوظيف، وإشباع الحاجات الأساسية وغيرها.[٣]

وتعد دراسة بول سترتين Poul Streeten من أكثر الدراسات توضيحاً لهذا المفهوم إذ يقول إن تنمية الممكنات البشرية، واستئصال الفقر غاية بنفسها ووسيلة

---

(١) عثمان، هاشم، ورقة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص٢٢٢.

(٢) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، ص٣.

(٣) عثمان، محمد عثمان، قياس التنمية البشرية، مراجعة نقدية، ص ١١٠.

لزيادة الإنتاجية التي تؤثر في الزيادة السكانية وفي البيئة أيضاً فضلاً عن فوائدها السياسية إذ تؤدي إلى الاستقرار السياسي وقد أطلق على الوسائل التي تزيد الإنتاجية مثل التعليم والتغذية الصحية والمهارات وتنشيط قوة العمل وتنظيم حجم العائلة بـ (منميات الموارد الإنسانية) وأطلق على الأبعاد الأخرى المتمثلة في تحسين البيئة وخفض معدلات الفقر والفوائد السياسية بـ (المحسنات الإنسانية) ويقرر سترتين ان هنالك ترابطاً بين الإنتاج الذي يتم قياسه بدخل الفرد وإبعاد التنمية البشرية من جهة وبين ضرورة التفريق بين منميات الموارد الإنسانية والمحسنات الإنسانية من جهة أخرى.(١)

إن مفهوم التنمية البشرية يتناول جوانب عديدة تكون مترابطة وتهدف إلى الارتقاء بالإنسان المنتج المستهلك كماً ونوعاً بوصفه هدف النشاط الاجتماعي العام ووسيلته معاً.(٢)

وهناك اتجاه آخر يرى أن التنمية البشرية هي تلك العملية الهادفة إلى إيجاد قوى بشرية ذات مواهب وقدرات عالية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمستوى التعقيد التكنولوجي الذي تتميز به الحياة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي الحديث واهم من هذا كله معدل التجديد والتغيير في المجالات التكنولوجية والاجتماعية.(٣)

ولو تأملنا في أنواع التنمية التي ذكرنها لوجدناها كلها تصب في خدمة الإنسان ولأجل الإنسان من أجل النهوض بواقعه لاستثمار طاقاته، وتوظيفها على أكمل وجه ممكن.

---

(١) الدعمة، إبراهيم مراد، التنمية البشرية والنمو الاقتصادي في أقطار مختارة مع إشارة خاصة للأردن، ص٩.

(٢) صعب، حسن، المقارنة المستقبلية للإنماء العربي، ص٤٣.

(٣) الراوي، منصور، تنمية الموارد البشرية، ص ١٥.

ثالثاً: هدف التنمية البشرية.

منذ ظهور مفهوم التنمية البشرية، وذلك في تقرير التنمية البشرية الأول الصادر عام ١٩٩٠ وما تلاه من تقارير، ومحور الكلام يصب في مصب واحد وهو كيفية الوصول بالإنسان إلى المكانة التي يستحقها على اعتبار أن الناس هم الثروة الحقيقية لأي أمة، وعند العودة إلى مفهوم التنمية البشرية فهي تعني توسيع نطاق الخيارات أمام الناس، وذلك بزيادة فرصهم في التعليم والرعاية الصحية، والدخل، والعمالة، وانطلقت إلى أبعد من ذلك للتحرر من الأمية والجوع والتمتع بالحريات الشخصية، والأمان والاستقرار، وغيرها من الأمور التي تعود على الإنسان بالفائدة أولاً وأخيراً إذن أساس التنمية البشرية هو مبدأ عمومية مطالب الحياة أي الاعتراف بمطالب الحياة للجميع، نساءً ورجالاً، وأطفالاً دونما تميز.[١] أي لا يحرم الإنسان من أي شيء يعود عليه بالفائدة فمنظور التنمية البشرية يقدر الحياة البشرية لذاتها، أي اعتبار الإنسان الهدف النهائي وغاية الغايات وذلك لأهميته ودوره في الحياة باعتباره أداة التنمية وغايتها في آن واحد بحيث لا يمكن أن تتحقق تنمية أو تقدم أو تطور في الحياة إلا عن طريق الإنسان وبواسطته.[٢]

فالإنسان هو المحرك الذي يفكر، ويبدع، ويخترع، بعون الله وتوفيقه ويعطي الأشياء والسلع المصنعة قيمتها الحقيقية بما يضيفه من صنعة وعمل مبدع ودقيق وجيد وهو الذي يحول الثروة العلمية والتقنية إلى ثروة إنسانية تخدمه وتخدم المجتمع الذي يعيش فيه وهو الذي يستطيع بذكائه وعلمه[٣]؛ ولهذا تبدع الدول المتقدمة في اجتذاب، واحتضان، وتشغيل طاقات الإنسان المبدع، وتقديم كل ما يلزم له،

(١) تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٨، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص٢٠.

(٢) التومي، عمر محمد، قضايا الإنسان، في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ، ص ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

لتحقيق النهضة المدنية، والرخاء للجميع فهم يدركون أن الإنسان هو أساس التقدم، وهو يأتي قبل المال وقبل الخامات الأرضية، وقبل البنايات الشاهقة.[١]

وفي المبحث الثاني من هذا البحث سنسلط الضوء على الفكر التنموي للإمام الحسن العسكري عليه السلام واهتمامه ببناء الإنسان وتنميته بما يعود عليه بالنفع له ولمجتمعه.

(١) الدلاهمة، خولة، ملامح التنمية الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين، ص ١٨.

المبحث الثاني: الفكر التنموي للإمام الحسن العسكري عليه السلام

سنعرض في هذا المبحث بعضاً من أحاديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام التي تتضمن الرؤية التنموية، وقراءتها قراءة تنموية.

١. تقوى الله

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من المادة والروح، ولكي يعيش الإنسان باستقرار نفسي يجب عليه أن يوازن بالاهتمام بين جانبه المادي ليؤمّن بقاءه واستمراريته في الحياة حتى نهاية عمره، وبين جانبه الروحي الذي يقربه من الله ويزيد من ارتباطه به والالتزام بتعاليمه.

ولا شك أن الروح هي مصدر الجانب المعنوي في الإنسان وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب النفسي ومن هنا نجد أن الارتباط الروحي بالله له دور أساسي في شحن الإنسان بالقوة المعنوية التي تضاف إلى القوة المادية، ومن هنا لا غنى للإنسان عن الارتباط ببارئه واستمداد القوى المعنوية والمادية منه للمحافظة على استقراره النفسي وبسطته الجسمية؛ ولذلك نجد في المجتمعات الغربية زيادة في حوادث الانتحار؛ لأن الإنسان هنالك يشعر بفراغ روحي قاتل قد يؤدي به إلى ذلك المصير الأسود الأمر الذي يؤكد أهمية الجانب الروحي للإنسان[١].

ولكن أغلب البشر تستبعدهم الأهواء والشهوات وتطغى عليهم نوازع التنكر والتمرد على النظم الإلهية، وتشريعها الهادف البناء، فيتيهون في مجاهل العصيان، ويتعسفون طرق الغواية والضلال، ومن ثم يعانون ضروب الحيرة والقلق والشقاء، ولو أنهم إستجابوا إلى طاعة الله تعالى، وساروا على هدي نظمه ودستوره لسعدوا وفازوا فوزاً عظيماً. قال تعالى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٢].

---

(١) ينظر، الموسوي، خليل، كيف تبني شخصيتك برواية أهل البيت، ص ٦٨ – ٦٩.

(٢) سورة الرعد، الآية ٢٨.

ولذلك نجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يؤكد على التقوى بقوله: (**أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والإجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صَلّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك**)[1].

إذا تأملنا في حديث الإمام عليه السلام لوجدنا هذه التنمية الروحية، وهي من أنواع التنمية الإسلامية؛ لأنها عملية تغيير نفسي، وتطوير للذات البشرية للنأي بها عن كل ما يبعدها عن الفيوض الإلهية، فالإمام عليه السلام يوعظ الناس، ويذكرهم بالرجوع إلى الله ويحذرهم من الغفلة والانشغال في الملذات الدنيوية التي لا يدوم نعيمها قبل فوات الأوان ولات حين مندم، إذ سعى عليه السلام إلى إيقاظ الدوافع النبيلة داخل الإنسان مستفيداً من الاستعدادات الفطرية التي أودعها الله في البشر كافة؛ لإيجاد حالة التوازن بين الماديات والروحانيات؛ ليصل الإنسان إلى الاستقرار النفسي وهذا ما تهدف إليه بعض برامج التنمية البشرية.

٢. **حسن التربية وبر الوالدين.**

الأسرة هي التربة التي يغرس فيها الطفل، فإن كانت تلك التربة خصبة وصالحة أنبتت شجرة قوية (سوية) تضرب جذورها في أعماق الأرض، أما إذا كانت تلك التربة (الأسرة) غير خصبة وغير صالحة، فإنها تنبت شجرة ضعيفة هزيلة تجتث بسهولة من فوق الأرض، فالأسرة المتزنة نفسياً واجتماعياً يكون أبناؤها أكثر سواءً واتزاناً نفسياً، أما الأسر المضطربة نفسياً واجتماعياً يكون أبناؤها أكثر اضطراباً نفسياً

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ص٧٥، ص٣٧٢.

واجتماعياً.[1]

ولا ريب في أن الأسرة التي تعتمد على الاضطهاد والتهديد والوعيد، ولا تلتزم بحسن الخلق والتربية الصحيحة والعدالة فإن بناءها سيكون ضعيفاً وعرضة للتمزق والأفول والسقوط. لأن القسوة وسوء خلق الوالدين يبذر بذور الحقد والكراهية والعقد في نفوس الأطفال، ولابد أن تنفجر تلك العقد في يوم من الأيام وتؤدي إلى سيل من الثأر والانتقام والعقوق للوالدين والمجتمع؛ ولذلك يؤكد امامنا الحسن العسكري عليه السلام على حسن التربية بقوله: (**جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ فِي صِغَرِهِ تَدْعُو إِلَى الْعُقُوقِ فِي كِبَرِهِ**).[2]

فالإمام عليه السلام يؤكد أن الطفل الذي لا ينشأ تنشئة سليمة ويجرؤ على الوالدين في الصغر من دون رادع ستكون هذه العادة جزءاً من شخصيته ويشتد عوده عليها وبالتالي سيكون عقوقه للوالدين نتيجة حتمية فالإنسان ابن بيئته وسلوكه انعكاس لها، وقد أجمع الباحثون على أهمية المراحل الأولى من عمر الطفل كونها أكثر أهمية وخطورة، ففيها يكتسب المهارات البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي تساعده على إدارة شؤونه، وكل هذا يتطلب من الأسرة الوعي الكامل بحاجاته اللازمة لنموه وتطوره، ومن أهم هذه الحاجات حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن، والاستقرار وإلى تعزيزهِ بنفسه.[3]

٣. العقل والتفكر.

العقل من النعم العظيمة التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على الإنسان، إذ بوساطته يتعرّف الإنسان على أسرار خلق الله وعظيم صنعه، وبه يتوصّل إلى تصديق

(١) عبد الكريم، صالح، فن تربية الأبناء، ص ٢٤-٢٥

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٣٧٤.

(٣) الفاعوري، خليل، الأسرة والطفولة، ص٣٣.

الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى لهدايته وسعادته، والعقل هو مناط التكليف وقد جاء في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: **(إنّ الله خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال له: وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحب إلي منك لك الثواب وعليك العقاب)**.[١]

فللعقل مكانة سامية في دين الله، ومنزلة رفيعة، ومن وظائفه التفكير والتفكر؛ لذا نجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: **(لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصِّيَامِ والصَّلَاةِ وإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللهِ)**[٢].

فالتفكر هو التأمل وإعمال الخاطر في الشيء بمعنى تصرف القلب في معاني الأشياء لإدراك المطلوب، والتفكر هو أحسن ما تنفق فيه الأنفاس وتبذل فيه الأوقات وتشغل فيه العقول سواء أكان ذلك في التفكر بآيات الله عزَّ وجلَّ وعجائب صنعه أم بالنظر في أحوال النفس أو في غير ذلك من الأمور النافعة التي ينبغي للعبد أن يتبصر بها، وأن يتفكر فيها، فالتفكر هو أصل الخير والشر، فالإنسان قد يتفكر في أمور تؤدي به إلى المهالك، والقلق والاضطراب، وقد يتفكر في أمور يحصل له بسببها النجاة في الدنيا، والفوز في الآخرة؛ لأن الإنسان إنما يعمل عادة بعد أن يجيل فكره وبعد أن ينظر ثم بعد ذلك يقدم على العمل.

يقول الفقي: إن الفكر هو جذور كل سلوكياتنا ونتائجها، وهو السبب في حالتنا النفسية والعضوية وصورتنا الذاتية وتقديرنا الذاتي، وفي إنماء ثقتنا بأنفسنا أو عدمها.[٣]

فلا شك أن الشخص عندما يفكر بطريقة سلبية فإن ذلك يؤثر في ذهنه ويجعله

(١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج١، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ج٦٨، ص ٣٢٥.

(٣) الفقي، إبراهيم، قوة التفكير، ص٨.

يركز على السلبيات فيقوم العقل بفتح ملف يضع عليه عنوان الفكرة السلبية، ثم يقوم بإلغاء أي معلومة أخرى ايجابية في هذا الوقت؛ لأن العقل البشري لا يستطيع التركيز إلا على معلومة واحدة فقط في وقت واحد ثم يقوم بتعميم هذه المعلومة وتدعيمها وإيجاد البرهان عليها، وذلك يؤثر على جسم الشخص بما فيه من تعبيرات وتحركات داخلية وخارجية وتنفس، ويؤثر على أحاسيسه وبالتالي على تصرفاته وسلوكه فيتصرف بطريقة سلبية مما يجعله يحصل على نتائج من نوع تصرفه سواء أكان ذلك في الحياة الروحانية أم الصحية أو الشخصية أو الأسرية أو الاجتماعية أو المهنية وحتى المادية.[١]

والأمر يختلف عندما تفكر بطريقة إيجابية فلا شك تكون النتائج إيجابية فأنت نتيجة أفكارك وما تكون عليه في الخارج هو نتيجة لواقعك الداخلي. لأن العقل يجذب باستمرار الذبذبات التي تتوافق مع الرغبة المهيمنة عليه، وأي فكرة أو خطة أو هدف يحمله الإنسان في ذهنه، يجذب مجموعة مماثلة من الأفكار والخطط والأهداف ويضيفها إلى قوته؛ لتنمو مع بعض وتصبح الدافع المهيمن على الإنسان.[٢]

ولذلك إذا أراد الإنسان أن يحدث تغيراً إيجابياً في حياته فعليه أن يبدأ من الداخل، وهنا نجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[٣] ولا يغير الإنسان ما في نفسه حتى يغير تفكيره.

٤. العجلة

يعد التفكير العميق والتأني من ركائز النجاح؛ لأنهما يمنحان الإنسان خيارات متعددة تجاه المواقف حتى في المواطن التي تستوجب السخط والغضب، فكثير ممّن

(١) الفقي، إبراهيم، قوة التفكير، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) المدرسي، هادي، أساليب النجاح، ص، ٦٣.

(٣) سورة الرعد، الآية ١١.

تجرع الانكسار بسبب العجلة حتى أصبح منقاداً نحو الأشواك فاصطدم باليأس عاجلاً، لأن الإنسان العجول المتسرع لا يقوى على مواصلة المسير في وجه المكاره والمثبطات؛ ولذلك يقول الإمام العسكري عليه السلام: (**لا تعجل بحوائجك قبل وقتها، فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط**)[١].

ومما يؤسف له حقاً أن البعض يظن أن النجاح في الأعمال يستدعي الاستعجال فيها، وهذا عين الخطأ، لأن المطلوب هو أن تبدأ العمل بالتروي، ثم تعمل بأفضل ما عندك من طاقة ومجهود[٢]، ولا ريب أن الحياة محفوفة بالمنعطفات، وأكثر ما يهلك الإنسان هو الاستعجال، فهي صفة مذمومة كونها تسابق القضاء، لذلك الإمام العسكري عليه السلام يؤكد على التأني بقوله: (**الحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وإنما تنالها في أوانها**)[٣]. فالاستعجال في الشيء قد يفقد ذلك الشيء قيمته مثلما الثمرة حين تقطفها وهي لم تنضج بعد فلا تجد فيها الطعم الذي تبحث عنه.

فالعجلة تورث الندامة والقلق والارتباك والتعصب والخوف من المجهول، وفي الوقت نفسه هي لا تغيّر من مجريات الأحداث بقدر ما تفاقمها، لذلك ينبغي للإنسان أن يطمئن قلبه ويثق بالله وحسن تدبيره فيوكل أمره كله لرب السماوات والأرض، فيرضى ويسلم ولا يستعجل؛ ولذلك الإمام العسكري عليه السلام يوصينا بقوله: (**اعلم أن المدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في جميع أمورك يصلح حالك**)[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق ج٧٥، ص ٣٧٩

(٢) المدرسي، هادي، واجه عوامل السقوط، ص٧١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق ج٧٥، ص ٣٧٩

(٤) المصدر نفسه، ج٧٥، ص ٣٧٩

٥. **الغضب.**

الغضب انفعال مؤلم تصحبه تغيرات فسيولوجية مثل أحمرار الوجه وارتجاف الأطراف واضطراب الحركة والكلام، وقد ترافقه سلوكيات خارجية مثل: السب والضرب والقتل والانتقام[١]، فهو حالة شعوريَّة تختلف شدتها من التهيُّج الخفيف، إلى الغضب العارم كأيّ شعور آخر.

ولا يقتصر تأثير الغضب على الشخص نفسه، بل يمتد تأثيره على المجتمع فينجم عنه توليد الحقد في القلوب، وإيذاء الناس لأن الغضب يجمع الشر كله فإذا امتلأت القلوب بالحقد والعنف والضغينة تعيش المجتمعات في خصام دائم كل ذلك لأن السيئة قوبلت بالسيئة فهاجت النفوس وقامت القطيعة وتفككت روابطها.[٢]

لذلك نجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: (**الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**)[٣]

لأن الغضب عندما يتملك الفرد يؤثر على جوانب عديدة في شخصيته، مثل الجانب الأخلاقي من خلال أقواله وأفعاله فيقوم بشتم أو ضرب من أمامه، كما يؤثر على الجانب الصحي؛ فيصاب ببعض الأمراض مثل الضغط أو السكري أو القولون العصبي أو رعشة في اليدين أو أمراض القلب، أما عن الجانب النفسي؛ فسيشعر دائماً بالإحباط وعدم الرضا عن نفسه وعن من حوله، وفي الجانب الاجتماعي؛ تنشأ الخلافات في الأسرة بين أفرادها وقد تؤدي إلى الطلاق وتفكك الأسرة؛ وفي العمل تجد أن الشخص كثير الغضب في مشاحنات دائمة مع زملائه ورؤسائه، كما أنه يؤثر على علاقات الجيران ببعضهم البعض وتحدث فجوة اجتماعية وتفكك بين الجيران، وليس هذا فحسب بل كل ما يحيط بالفرد في الحياة الاجتماعية؛ لأن الشخص الغاضب

(١) توفيق، محمد عزالدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص ٣٧٨.

(٢) الحجاجي، نائلة هاشم، الغضب وكيفية مواجهته، ص ٢٦٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق ج٧٥، ص ٣٧٣.

يصبح كالمجنون الذي يفقد عقله كما أشار الإمام الصادق عليه السلام لذلك بقوله: (**من لم يملك غضبه لم يملك عقله**).[١]

٦. الصداقة

الصداقة علاقة اجتماعية تقوم على مشاعر الحب والجاذبية بين شخصين أو أكثر تميزها خصائص عدة منها: الدوام النسبي والاستقرار والتقارب العمري في معظم الحالات بين الأصدقاء مع توافر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية، والقدرات العقلية والاهتمامات والاتجاهات والقيم والظروف الاجتماعية.

فالإنسان بطبعه كائن حي اجتماعي يندفع في كل مراحل حياته تلقائياً وبصورة طبيعية للبحث عن صديق أو أكثر؛ ليرتبط معهم بعلاقة صداقة قوية؛ ليتجاوز بذلك خطورة الوحدة والعزلة التي تحرمه من الراحة النفسية وتضعف ثقته بنفسه[٢].

وتشير الدراسات النفسية إلى أن الصداقات تسهم إسهاماً كبيراً في ارتقاء المهارات الاجتماعية والقيم الأخلاقية، فهي تبصرهم بمعايير السلوك الاجتماعي الملائم في مختلف المواقف ومن خلالها يتعلمون كيفية المشاركة مع الآخرين في الاهتمامات والإفصاح عن المشاعر والأفكار، وتكوين علاقات تتسم بالثقة المتبأدلة مع أقرانهم، ومما لا شك فيه أن وجود الصديق يوسع دائرة رؤية الفرد ويمنحه القدرة على حل مشكلاته فإذا كان الصديق مؤمناً وملتزماً وذا أخلاق حميدة فإنه حتما سيترك في أصدقائه آثاراً جيدة ويسوقهم نحو السعادة؛ لأن الصديق يتأثر تلقائيا بصديقه[٣]

لذلك نجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: (**من كان الورع سجيته والكرم**

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص ٢٧٨.

(٢) الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد، الصداقة سيف ذو حدين، مجلة الولاية، ص٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٠.

طبيعته والحلم خلته كثر صديقه والثناء عليه وانتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه)[1]

فلو تمعنا في حديث الإمام عليه السلام جيداً لبدا واضحاً البعد التنموي الاجتماعي للإنسان حينما يريد أن تكون علاقة حميمة بينه وبين إنسان آخر، فالإمام عليه السلام يوجه بعدم المؤاخاة وبناء الصداقة مع شخص آخر حتى يتسنى لنا أخبار ذلك الشخص ومعرفة موارده ومصادره، والاختبار هو الطريق الأمثل لمعرفة الرجال. فلا يصح أن نثق بالصديق إلا بعد امتحانه، ولا يكفي أن يبتسم لك شاب فتتخذه صديقاً، فالنفوس مثل المغارات لا يمكن اكتشافها بمجرد لقاء عابر، بل لابد من الدخول فيها والولوج في أعماقها؛ كي يكتشف الإنسان حقيقة ما بداخلها فإما تكون مناظرا جميلة وخلابة أو ثعابين وعقارب، فبالصداقة إما أن يسعد الإنسان ويصل إلى بعض الكمالات الروحية والنفسية أو يسقط في مهاوي الرذيلة والضياع. ويصف إمامنا العسكري عليه السلام هذا المعنى بقوله: **(صَدِيقُ الْجَاهِلِ تَعِبٌ)**[2] فالإمام عليه السلام يدرك أن الصديق نفعه كثير وضرره كبير، وإن المقاطعة بعد الصداقة أصعب من عدم المصادقة.

ومن جانب آخر نجد الإمام عليه السلام يوصي بعد اختيار الصديق وقبول عشرته بالحفاظ على حدود الصداقة وحمايتها من التصدع **فيَقُولُ: (خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ نَسِيَ ذَنْبَكَ وذكرَ احسانَك إليه)**[3]. فالإمام عليه السلام يضع قاعدة تربوية وعلامة فارقة في الحفاظ على الصداقة والتعامل مع الأصدقاء من خلال بيان أن الناس ليسوا معصومين وإن الأصدقاء مهما حسنت أخلاقهم، وقوت علاقات الحب بينهم فإنهم عرضة للخطأ والتقصير فإذا ما بدت من أحدهم هفوة في قول أو فعل، كخلف وعد، أو كلمة جارحة، أو تخلف عن مشاركة في فرح أو مواساة في حزن ونحو ذلك من صور التقصير، فعلى الصديق بعد أن وثق بصديقه ولمس إخلاصه أن يتغاضى عن إساءته

(١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق ج٦٦، ص ٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٧٥، ص ٣٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٧٥، ص ٣٧٩.

ويقيل عثرته حرصاً على الصداقة واستبقاءً للمودة، إذ لا شك أن النقد والمبالغة في بيان التقصير يكون باعثاً على النفور والحرمان منه، بل ينبغي للإنسان إدامة التواصل مع أخيه والسؤال عنه حتى وإن كان صديقه مقصراً بحقه ولتكن الصداقة بينهما هي الرابط المتين.

فضلاً عن ذلك يؤكد الإمام عليه السلام على الحشمة والحياء بين الأصدقاء بقوله: (**لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك وأبق منها، فإن ذهابها ذهاب الحياء**)[1]، لذا يجب أن لا تخرج الصداقة عن إطار الحشمة والحياء من خلال المزاح الحاد الخارج عن حدود الأدب في الكلام والمحاورة والرياء والمباهاة التي من شأنها أن تفسد الصداقة وتحوّلها إلى فُرقة وعداوة.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٢٥٣

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه اتضح أن مفهوم التنمية في الإسلام ولا سيما عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد تقدم على أولئك في إطروحته من حيث تأكيده على أن التنمية البشرية للإنسان وبالإنسان، لنفسه الفاعلة، ومعارفه المتغيرة، وقدراته المتجددة، إذ جعل ركيزة ما ينطلق منه هذا المشروع التنموي هو رسوخ مفهوم المحبة والأخلاق الحسنة وأنه يؤسس للعمل التكاملي مع الآخر ويجمع الأخلاق والاقتصاد وسواهما من الموارد المتوافرة من أجل الإنسان، فهي ببعديها المعنوي والمادي قد وفرت للإنسان فرصة التنمية المستدامة لا من خلال تطوير الأرض والمدن والأعمال التجارية فحسب، بل من خلال تقوية مختلف مجالات المجتمع لتكون نواة الاستثمار الأمثل للطاقات والإمكانات، بينما تختصر التنمية في غير الإسلام بزيادة دخل الفرد بما يتناسب مع النمو السكاني وهو ما لم يعالج مشكلة المجتمع بكامله.

ويمكن لنا أن نستخلص التالي من الفكر التنموي للإمام الحسن العسكري عليه السلام:

١. اهتمام الإسلام بالتنمية الروحية من الخلال التمسك بتقوى الله والعمل الصالح.

٢. الاهتمام الجاد بتربية الطفل ونشأته نشئة سليمة بما يحافظ على كيانه وبما يخدم مجتمعه.

٣. الحث على الفكر والتفكر في الله بوصفه أنجع العبادات.

٤. التأكيد على التأني في اتخاذ القرارات والابتعاد عن العجلة والتسرع كونهما يفضيان إلى الندامة.

٥. الابتعاد عن الغضب ومسك النفس في المواقف الصعبة كون الغضب مفتاح كل شر ويودي بصاحبه إلى الهلاك.

٦. الاهتمام بالتواصل مع الآخرين وعقد الصداقات مع الأفراد الجيدين لما للصديق من نفع كبير على الفرد.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ـ بيروت (د.ت).

٢. الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد، الصداقة سيف ذو حدين، مجلة الولاية، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، العدد ٨٠.

٣. بدوي، أحمد زكي، معجم المصطلحات الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨.

٤. برعي، العقيد محمد جمال، التخطيط للتدريب في مجالات التنمية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨.

٥. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، جامعة أكسفورد، نيويورك، ١٩٩٣.

٦. البطريق، محمد كامل، ومحمد جمال شديد، تنمية المجتمع المحلي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.

٧. تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٨، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مطابع البحرين، البحرين، ١٩٩٨.

٨. التومي، عمر محمد، قضايا الإنسان (في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧.

٩. حبيب، كرم، ومنصور حسين، تنمية الثروة البشرية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٣.

١٠. الحجاجي، نائلة هاشم، الغضب وكيفية مواجهته، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد ٧٢، يناير ٢٠١٠.

١١. حسن، إبراهيم عيد، دراسات في التنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤.

١٢. خليل الفاعوري، الأسرة والطفولة، ط١، المكتبة الوطنية، عمان، ١٩٩٩.

١٣. الدعمة، إبراهيم مراد، التنمية البشرية والنمو الاقتصادي في أقطار مختارة مع إشارة خاصة للأردن، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الاقتصاد، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠١.

١٤. الدلاهمة، خولة، ملامح التنمية الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين، مجلة أخبار النفط والصناعة، العدد٣٥٥، السنة الحادية والثلاثون، ٢٠٠٠.

١٥. الراوي، منصور، تنمية الموارد البشرية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩١.

١٦. زين، إلياس، تنمية القدرة الذاتية للوطن العربي، مجلة قضايا عربية، بيروت، لبنان، العدد السادس، السنة العاشرة، ١٩٨٣.

١٧. سليمان عدلي، وعبد المنعم هاشم. الجماعات بين التنشئة والتنمية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣.

١٨. شاكر، إبراهيم، الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مؤسسة ادم للنشر، القاهرة، سنة الطبع لم تذكر.

١٩. صعب، حسن، المقارنة المستقبلية للإنماء العربي، مكان الطبع لم يذكر، بيروت، ١٩٧٩.

٢٠. عبد الكريم، صالح، فن تربية الأبناء، الراية، مصر، ٢٠١١.

٢١. عبد الله، عبد الخالق، التنمية المستدامة، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي، العدد ١٦٧، القاهرة، ١٩٩٣.

٢٢. عثمان، محمد عثمان، قياس التنمية البشرية، مراجعة نقدية، مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.

٢٣. الفقي، إبراهيم، قوة التفكير، دار الراية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

٢٤. مجاهد، هدى، أسس تقويم الأسلوب التكاملي في التنمية الاجتماعية الريفية، مقالة في المجلة الاجتماعية القومية، العدد الثالث، المجلد الحادي عشر، سبتمبر، ١٩٧٤، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، جمهورية مصر العربية.

٢٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، (د.ت).

٢٦. محمد عزالدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٢٧. المدرسي، هادي، أساليب النجاح، ط٣، مؤسسة أحمد للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٨. المدرسي، هادي، واجه عوامل السقوط، ط٣، مؤسسسة أحمد للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٩. الموسوي، خليل، كيف تبني شخصيتك برواية أهل البيت، ط١، دار الجوادين، ٢٠١١.

٣٠. هاشم، عثمان، ورقة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ورقة مقدمة إلى ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي للفترة ١٠-١١/ نيسان/ ١٩٩٣، منتدى الفكر العربي، عمان.

البحث الثامن

التنمية البشرية والإنماء المعرفي في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام

م. د. ميثم سعد مطر العلاق

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

الملخَّص

التنمية البشرية ومحاولة ترقية الإنسان كانت أهم أهداف الله سبحانه وتعالى من خلق الإنسان والعالم، والتنمية كموضوع علمي بالشكل الحديث أصبح الإهتمام به قبل عقودٍ وبالتحديد بعد أيام قليلة من نهاية الحرب العالمية الثانية، وتعد مفهوماً شاملاً لجوانب عديدة اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وبيئية وأخلاقية، وقد تضمن الفكر الإمامي تأصيلات لموضوع التنمية البشرية مستوحاة من القرآن والسنة النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام إلا أنه لم يتم العمل بها من قبل المجتمعات والبلدان ولأسباب عديدة أهمها الابتعاد عن السلطة وإتخاذ دور المعارض للسلطة في كثير من الأنظمة، وفي دراستي لسيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وجدتها حافلة بعملية بناء الذات والتي هي بمعنى التنمية البشرية، قسمت البحث على مطلبين، تكلمت في المطلب الأول عن المدخل المفاهيمي لعنوان البحث، وفي المطلب الثاني تكلمت عن مفهوم التنمية البشرية، وأهم تطبيقاتها في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مستخدماً المنهج التحليلي.

المقدمة

إن الاقتباس من وهج إرث النبوة والإمامة يعد اليوم رسالة نبيلة وضرورة بشرية، وانتساباً كريماً لقيم النبوة والإمامة، والتحاماً بمتطلبات العصر، تهدي السالكين بصائر حكمة وبرامج وعي، وتعزز الوحدة، وترصن التماسك الاجتماعي، وتقي من نزعات التطرف العنيف، تفتح نوافذ الحوار الحضاري، وتسهم في تنضيج أفكار ورؤى واستراتيجيات تقتبس من إرث النبوة والإمامة مناهج اصلاح، وبوصلات رشد، وبرامج معرفة تهدي الحائرين في ظلمات التيه إلى مرافىء القيم الدافعة نحو الإيمان الذي يستوعب التنوع ويتقن إدارته، مقتبساً من مشكاة: (**الناس صنفان، اما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**)[1].

والإمام الحسن العسكري عليه السلام مشكاة من إرث النبوة، ومنارة إيمان، وكنوز قيم جديرة بالتثوير والاقتباس، توجيهاته القيمية الإيمانية، مجمع هدايات للبشرية ووصاياه ومواعظه، تستحق أن تشد لها الركاب، يردها الظامئون فتسكن أرواحهم فترتوي برحيق النبوة والإمامة، فكان عليه السلام يملك شخصية مؤثرة ومهيمنة على من يلتقي به ويتعامل معه، إذ كان عليه السلام يوجه مريديه وعشاق نهجه القويم بقوله: (**أعرف الناس بحقوق الإخوان وأشدهم قضاء لها، أعظمهم عند الله شأناً**)[2].

فما أحرانا أن نجعل من توجيهات الإمام عليه السلام، اطاراً لفكرنا وبوصلة لسيرنا وخارطة لأهدافنا المشتركة، وما أحوجنا اليوم لقاموس تنموي معرفي نقتبس مفرداته ومواده من معين الإمام عليه السلام يؤطر وعي أجيالنا، ويغترف من محيطه علماؤنا، نرصن به وحدتنا، ونعزز به تماسكنا، يلهمنا بصيرة نرى من خلالها الكلمة السواء التي

(١) الرضي، الشريف، نهج البلاغة، ص٨٤.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، ص٣٢٥.

تجمعنا، وتنير لنا الطريق نحو المستقبل المشترك.

ولذا حرصت في بحثي الموسوم: (التنمية البشرية والإنماء المعرفي في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام)، أن أقتبس من ذخائر الإمام عليه السلام كنوز تنمية سعياً لإنماء وعينا المعرفي وترصيناً لرؤانا وتلاحماً وتكاملاً لمساراتنا المستقبلية، تضمن بحثي مبحثين، الأول مفاهيمي، أما المبحث الثاني فتكلمت فيه عن التنمية البشرية والإنماء المعرفي، وأهم تطبيقاتها في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مستعملاً المنهج التحليلي، وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج، كما زينته بقائمة ثرية من المصادر.

المطلب الأول: المدخل المفاهيمي

المدخل:

يثير الفلاسفة حقيقةً لا ريبَ فيها، وهيَ أن المفاهيم الكلية تبقى ذهنية؛ فإذا أريدَ لها أنْ تدخل عالم الوجود تشّخَصتْ بحدودها، وتعيَّنتْ بمميزاتِها الوجودية، ولا يمكن أنْ نتحقّق مِنْ كون هذا الذي وجد هو مصداق لذلك المفهوم إلا إذا كنا نعرف أبعاد المفهومِ نفسه(١).

ويعد مصطلح التنمية البشرية من تلك المصطلحات التي تجاذبتها أنظار مختلفة وتحديدات متنوعة ممّا عَسُر على الراصد حصر مجالاتها، بسبب خفاء المصطلح وعدم محاولة تحديده بصورة دقيقة؛ إذ لوحظ أن الكُتاب يتفاوتون في إدراج مجالات هي بالأصل تندرج تحت مصطلح التنمية مجرداً عن أي قيد أو صفة ليدرجوها تحت مصطلح التنمية البشرية؛ فيصبح القسيم قسماً، وهذا خلل منطقي ومنهجي واضح، لا حيدة عنه إلا بتحديد المصطلح تحديداً دقيقاً، وأهمية ذلك لا تخفى، وبخاصة بعدما أصبحت التنمية البشرية ودوراتها سوقاً رائجة في عالم اليوم، مما جعل الكثيرين يمتهنون هذه الصناعة تلبية لمتطلبات العصر الحديث وثقافته الجديدة، وأنماط معيشته المتنوعة، ممَّا سّهل انتشارها وقبولها لدى شرائح عريضة في المجتمعات، لكونها تلبي حاجتهم، وتتواءم مع تطلعاتهم نحو النجاح والسعادة التي حرص القائمون على دورات التنمية البشرية على زرعها في ذهن المتلقي، ومن ثم تم تمرير المخططات الخبيثة والأفكار الهدامة والمناوئة للدين والمعتقد تحت رداء التنمية البشرية والانسياق وراء دعايات مسوقيها التي تعد بالتغيير لحياة أفضل عنوانها الصحة والسعادة والنجاح(٢).

---

(١) ينظر: تسخيري، محمد علي، الثقافة والهوية: نحو معاينة نقدية للتعدد الثقافي، ص١٩.

(٢) كردي، فوز بنت عبد اللطيف كامل، أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب

وانطلاقاً من هذا المدخل نبدأ بتحديد مصطلح التنمية البشرية بتفكيكه أولاً وعلى النحو الآتي:

أولاً: التنمية لغةً واصطلاحاً

١- **التنمية لغةً**: من النَّماء، وهو الزيادة والارتفاع.

«ونَمى يَنْمي نَمْيَاً ونُميَّاً ونماء: زاد وكثر، وأنْمَيت الشيء ونَمَّيته: جعلته نامياً، ونَمَّيت النار تنميةً: رفعتها وأشبعت وقودها»[١]، «ونما المال وغيره، ينمو نمُوَّاً، كعُلوٍّ: زاد، والنَّموة: الزيادة، ونَما نُموَّاً: ارتفع»[٢].

ومما تقدم نلحظ أنّ معنى النمو هو الزيادة والارتفاع؛ بيد أنَّه نموٌّ تلقائي لا مدخليّةَ للبشر فيه، وهذا بخلاف التنمية التي تخضع لتدخُّل الإرادة البشرية، والمجهود الإنساني، والظروف المحيطة سواء كانت هذه التنمية فكرية؛ أو بشرية؛ أو اقتصادية؛ أو أي ناحية من نواحي التنمية الأخرى[٣].

٢- **التنمية اصطلاحاً**: نشير إلى أهم التعريفات ومنها تعريف الدكتور نبيل السمالوطي[٤]: (**هي التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة**

والاستشفاء المعاصرة، ص٦.

(١) ابن منظور، لسان العرب، فصل النون، باب نمي، ج١٥، ص٣٤١- ٣٤٢.

(٢) الزبيدي، مرتضى تاج العروس باب نمو، ج٤٠، ص٦١.

(٣) ينظر: بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص١٨٧؛ و(ينظر) نصيف، عاصم، التنمية الفكرية في المنظور الإسلامي، ص١٦.

(٤) السمالوطي، نبيل، هو الدكتور نبيل محمد توفيق السمالوطي، أستاذ علم الاجتماع في جامعة الأزهر، شغل منصب النائب لرئيس جامعة الأزهر؛ (ينظر): جريدة الإهرام، الاثنين ١٠ شعبان ١٤٢٩هـ، ١١ أغسطس ٢٠٠٨م، السنة ١٣٢، العدد٤٤٤٣.

مرغوب فيها)[١].

أقول: لا تخفى نظرة هذا التعريف إلى الجانب الاجتماعي والاقتصادي في محاولة منه لترسيخ العلاقة بين الجانب الاقتصادي والاجتماعي في تحديد مصطلح التنمية؛ إذ إنَّ أهم أهداف التنمية الاقتصادية هو تحقيق التنمية الاجتماعية، ولاحظ في تعريفه تغيير الوضع الاجتماعي للإنسان من خلال تحقيق ذلك الهدف، وهذا التعريف غير جامع لعدم شموله بقية جوانب التنمية ومجالات التنمية كما هو واضح.

التعريف الثاني: ذهب مايكل تودارو[٢] إلى أن التنمية: **(هي المسارات ذات الأبعاد المختلفة والتى تستلزم التغييرات الجذرية فى الهيكلية الاجتماعية ورؤئ الناس والمؤسسات الوطنية وأيضاً تسريع النمو الاقتصادي وتقليل عدم المساواة وقطع جذور الفقر المطلق)**[٣]، وهو تعريف كسابقيه لم يخرج من عباءة الاقتصاد والاجتماع.

التعريف الثالث: (هي الزيادة الحاصلة في عملية النمو، من خلال الدراسة المنظَّمة وفق معايير علمية وعملية محددة، هادفة إلى التغيير الفعَّال، والنهوض بالمجتمع من خلال التطور الحضاري، والارتقاء بالفرد نحو الأفضل في مختلف الجوانب التنموية)[٤].

تعقيب: لعلّ هذا التعريف هو أكثر التعريفات دقة واستيعابا لمجالات التنمية كافة؛ لأنَّه تناول عملية الارتقاء بالمجتمع والفرد نحو الأفضل في مختلف الجوانب

(١) السمالوطي، نبيل، علم اجتماع التنمية، دراسة في اجتماعيات العالم الثالث، ص١٢.

(٢) مايكل بول تودارو (من مواليد ١٤ مايو ١٩٤٢) هو اقتصادي أمريكي يعد من الاقتصاديين الرواد في مجال اقتصاديات التنمية.(ينظر: الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/ -العدد: ٥٢٣٣ - ٢٠١٦ / ٧ / ٢٤.

(٣) تودارو، مايكل، التنمية الاقتصادية، ج١، ص١٣٦.

(٤) ينظر: الجوهري، عبد الهادي، وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي، ص١١١.

التنموية، وهو تعريف يستوعب كل مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والصناعية، سواء للفرد والمجتمع، وللمادة والروح ونحوها، وأنبه هنا إلى أن هذه المجالات هي أقسام متناظرة لمقسم واحد هو التنمية، الذي هو العنوان الكلي لهذه الجزئيات[١]، وكل واحد منها قسيم للآخر؛ فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والصناعية قسيم للتنمية البشرية لا أقساما لها، ومن جعل التنمية البشرية شاملة للتنمية الاقتصادية؛ فقد جعل القسيم قسماً، وهذا كما تقدم خطأ في التأصيل للمفهوم، وهذا ما سوف نؤكده لاحقاً!

ثانياً: البشرية لغةً واصطلاحاً

١ - البشرية لغة: باستقراء المظان اللغوية من معاجم وقواميس نجد أن مفردة البشرية معناها: جمع بشرة، وهو ظاهر الجلد، والبشرة، أعلى جلدة الوجه، والجسد من الإنسان ويعنى به اللون والرقة، وهي التي عليها الشعر، وجمعه أبشار، وهوجمع الجمع، وباطنه الإدمة[٢].

---

(١) القسمة أنواع: الأولى: القسمة الطبيعية أو قسمة الكلّ إلى أجزائه: ومثالها قسمة الإنسان إلى جزئيه: الحيوان والناطق بحسب التحليل العقلي، إذ يحلل العقل مفهوم الإنسان إلى مفهومين: مفهوم الجنس الذي يشترك معه به غيره، ومفهوم الفصل الذي يختص به ويكون به الإنسان إنساناً، وتسمى الأجزاء حينئذٍ أجزاء عقلية، وكقسمة الماء إلى عنصرين: الأوكسجين والهيدروجين بحسب التحليل الطبيعي.ومن هذا الباب قسمة كل موجود إلى عناصره الأولية البسيطة وتسمى الأجزاء: طبيعية أو عنصرية. وكقسمة السرير إلى الخشب والمسامير بحسب التحليل الخارجي إلى الأجزاء غير المتشابهة. ومثله قسمة البيت إلى الآجر والجص والخشب والحديد. والقسمة الثانية: القسمة المنطقية أو قسمة الكلي إلى جزئياته: ومثالها قسمة الموجود إلى مادة ومجرد عن المادة، والمادة إلى جماد ونبات وحيوان. وكقسمة المفرد إلى اسم وفعل وحرف... وهكذا؛ (ينظر) الحيدري، رائد، المقرر شرح منطق المظفر، ج١، ص٤٣.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب ج٤، ص٥٩، و(ينظر) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، ج١، ص٧٣.

٢- البشرية اصطلاحاً: البشر اصطلاحاً هو مظهر الإنسان وجسده[١]، ويقال البشر: هو علم لنفس الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور[٢]، وظاهر معناه كما قال الراغب: خصّ في القرآن كل موضع عبر عن الإنسان بجثته وظاهره بلفظ البشر[٣].

أمّا الفرق بين الإنسان والبشر فيرى الأصفهاني بـأن الفرق بين الإنسان والبشر يكمن في: أنَّ البشر يراد به أصل الخلقة؛ لأنّه مأخوذ من البشرة في حين الإنسان مأخوذ من الانس والنسيان[٤].

مفهوم مصطلح (التنمية البشرية) Human development

فقد عرفها البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة التنمية البشرية، بأنّها: (عملية توسيع الخيارات المتاحة للناس بتمكينهم من الحصول على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة، وبتمكينهم من أنْ يعيشوا حياة طويلة خالية من العلل، ومن أنْ يكتسبوا المعارف التي تطور قدراتهم، وتساعدهم على تحقيق إمكاناتهم الكامنة، وبناء ثقتهم بأنفسهم وتمكنهم من العيش بكرامة، والشعور بالإنجاز، واحترام الذات)[٥]، وهذا تحديد لمجالات التنمية البشرية وحصرها في الرؤية الاقتصادية ظنًّا منهم أن الاقتصاد وحده هو الكفيل بتنمية الإنسان ورقيّه، وقد تنبه القائمون على إعداد تقارير الأمم المتحدة أنفسهم لهذا الخلل فقالوا بتوسعة وتجاوز تعريف التنمية البشرية من الرؤية الضيقة الاقتصادية إلى المعنى الشمولي الواسع للتنمية البشرية،

(١) الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص١٢٥.

(٢) الكفوي، الكليات، ج١، ص٣٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٥.

(٤) الدوري، محمد ياسر خضر، دقائق الفروق اللغوية في بيان القرآن، ص٦٦.

(٥) عيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، ص٣٦.

وجعل الإنسان هو محور الإهتمام والتطوير وجوهر عملية التنمية، وهو صانع التنمية وهدفها؛ ففي تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣م؛ فقد عرفت التنمية البشرية؛ بأنّها: «تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس، وتنمية الناس معناها: الاستثمار في قدرات البشر، سواء في التعليم، والصحة، والمهارات حتى يمكنهم العمل على نحو المنتج والمبدع، والتنمية من أجل الناس معناها: كفالة توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققونه توزيعاً عادلاً وواسع النطاق، والتنمية بواسطة الناس أي إعطاء كل فرد فرصة المشاركة فيها، وعليه فإنّ الإنسان هو الوسيلة وهو الهدف والغاية[١]، وهنا نجد توسعاً في تعريف التنمية البشرية وتضخماً في معناه؛ بل عملية تحديد هذا المصطلح بحصر مجالاته تشهد تضخماً يوماً بعد يوم حتى ليكاد يصبح مفهوم التمنية البشرية مرادفاً لمفهوم التنمية «لا بشرط»[٢] بالاصطلاح الفلسفي.

---

(١) ينظر: العاني، أسامة عبد الحميد، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، ص١٣-١٥.

(٢) للماهية عند الإستعمال وبلحاظ ما يقصده المستعمل منها من حيث الإطلاق والتقييد ثلاثة أقسام، تسمى في الحكمة، اعتبارات الماهية. فتنقسم الماهية باعتبار ما أشرت إليه على قسمين: مطلقة ومقيدة:

١- الماهية المطلقة: وهي التي تلحظ أثناء الإستقلال بذاتها أي لا مع شيء زائد عليها. وبتعبير آخر: تؤخذ مطلقة من التقييد بشيء سواء كان ذلك الشيء وجودياً أو عدمياً. واصطلح عليها فلسفياً (الماهية لا بشرط)، أي غير المقيدة باشتراط شيء فيها، ولا باشتراط لا شيء فيها. مثل (اعتق رقبة) فالرقبة – وهي الماهية هنا – غير مقيدة لا بوصف وجودي ولا بوصف عدمي.

٢- الماهية المقيدة: وهي التي تقيد أثناء الإستعمال بشيء؛ ولأن الشيء الذي نقيّد به قد يكون وجوديا وقد يكون عدمياً قسمت على قمسين، هما:

أ- الماهية بشرط شيء: وهي المقيدة بشيء وجودي مثل (اعتق رقبة مؤمنة) فالرقبة هنا مقيدة بوصف وجودي وهو الإيمان.

ب - الماهية بشرط لا شيء: وقد تنحصر تسميتها فيقال (الماهية بشرط لا): وهي المقيدة بشيء عدمي، مثل: (اعتق رقبة غير كافرة) فالرقبة هنا مقيدة بوصف عدمي وهو عدم الكفر. (ينظر): السويعدي، مالك مهدي، الذات الإلهية على وفق المفهوم الفلسفي، ص٣٤.

ولعل هذا هو ما جعل مفهوم التنمية البشرية ليس ثابتاً، ومستقراً، ومتفقاً عليه بين المختصين، فكلٌّ تناوله من زاويته، ونظر إليه إنطلاقاً من الأيديولوجية الحاكمة لفكره واختصاصه؛ فأصبح من وجهة نظر الاقتصاديين الرأسماليين، والإشتراكيين عبارة عن إزدياد في الإنتاج القومي، وزيادة في دخل الفرد، وإنْ اختلفت سبل الإنماء الاقتصادي والقانون الذي يحكمه؛ بينما ذهب الاجتماعيون إلى أنّه وسيلة لتمكين الإنسان من تحقيق نموه، وبلوغ غاية وجوده، وتحقيق قدر أكبر من الرفاه، وتأمين مستوى أرفع نمط حياته وبالتحديد الاجتماعي منه، والصحي، والتعليمي، والخدماتي[1].

الترجيح: والذي أراه بعد هذه الرحلة المهمة في زوايا التعريفات والمحددات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم التنمية البشرية أنه لا بد من ترشيد هذا المصطلح وعدم جعله مادة يعبث بها كل من كتب في هذا المجال، ولذلك أرى أن ننظر إلى المصطلح نظرة فاحصة دقيقة نسبر من خلالها ذاتيات المعرَّف لنخلص إلى تعريف دقيق يتماهى مع التعريف اللغوي، وبما لا يكون مرادفاً لمفهوم التنمية «لا بشرط»، وهذا أمر ضروري ملاحظته حتى لا يكون القسم ـ أعني التنمية البشرية ـ قسيماً للتنمية باصطلاحها المجرد من كل قيد وصفة؛ لذا فإنني أخلص إلى حصر التنمية البشرية بما يستهدف أمرين محددين رئيسين، هما: فكر الإنسان، وسلوكه، وما عداها من المجالات هي ثمرة الفكر والسلوك.

فأقول في تعريف التنمية البشرية: **هي عملية موجهة واعية تستهدف النهوض بفكر الإنسان والرقي بسلوكه، وتستند إلى قانون ثابت يحقق للفرد والجماعة الراحة والطمأنينة في دنياهم ومعاشهم، ويضمن لهم السعادة في أخراهم ومعادهم**، وقد اشتمل هذا التعريف على أركان مهمة لا يمكن أن تتصور أي عملية تنمية بشرية

(١) ينظر: العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام، ص٦٠-٦١.

بدونها، وهي كما يأتي:

١- التنمية عملية موجهة: أي يقوم بإداراتها فئة واعية تستوعب جيداً الغايات المجتمعية التي ينبغي تحقيقها.

٢- التنمية عملية واعية، فهي ليست عشوائية وإنّما هي عملية محددة الغايات والأهداف.

٣- الفكر والسلوك هما مرتكز البناء التنموي للبشر، وهما من يثمران رفاهية الاقتصاد والصحة، والصناعة، والسياسة، والاجتماع وغيرها.

٤- قانون التنمية البشرية، هو قانون الإسلام؛ فهو الضامن الوحيد لعدم تغيير بوصلة التنمية البشرية بما يشتهيه بنو البشر بحسب توجهاتهم المختلفة التي تولد عدم الانضباط في تحديد أطر هذه التنمية.

٥- تحقيق السعادة في المعاش والمعاد، أو في الدنيا والآخرة غاية مهمة ورئيسة في عملية البناء التنموي البشري في الإسلام، والتأكيد على السعادة الأخروية ضابط مهم ورئيس في ضبط السعادة الدنيوية؛ فأي سعادة في الدنيا لا تقود لسعادة الآخرة؛ فهي سعادة مكذوبة وموهومة، ولو ادعاها من ادعاها، وتحت أي مسمى كان سواء التنمية أو التحديث أو التقدم أو التحضر أو نحوها، وعليه فهذا التعريف لا يكتفي عند حدود الأبعاد المادية للتنمية البشرية فحسب، وإنما يشير إلى الأبعاد المعنوية والروحية للإنسان من أجل تحقيق النمو والتقدم بما يثمرانه من نهضة اقتصادية واجتماعية وصناعية وبشرية ونحوها.

المطلب الثاني: مفهوم التنمية البشرية والإنماء المعرفي في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام

يؤكد الإسلام على أن التنمية البشرية للإنسان وبالإنسان لنفسه الفاعلة ومعارفه المتغيرة وقدراته المتجددة؛ لكون التنمية محفزة على الجد والمثابرة والكمال والاتقان وسائر حالات الإنماء الشاملة والمتكاملة والمرتبطة بحركة المجتمع تأثراً وتأثيرا، وعليه فهذا المصطلح لم يكن جديداً على الإسلام، ولو لم يرد كمصطلح فيه، لكن الإسلام سبق غيره في تربية الفرد والمجتمع والنهوض بهما؛ لأنهما ركيزته في بناء الأرض وعمارتها، وعليه ومن خلال ما تقدم؛ فإن التنمية في الإسلام لا تعني الإنتاج المادّي فحسب بل هي تقدم متزامن في المجالين المادي والمعنوي والوصول إلى السعادة الدنيوية والآخروية في آنٍ واحد، ومن هنا لا بد من التركيز دائماً على المفاهيم المعنوية مثل «الأخلاق، التربية، الحياة الطيبة والتقرب إلى الله تعالى»، بوصفها تحقق كمال السلوك الإنساني كما أن الاقتصاد والصحة والصناعة تحقق الكمال المعيشي وبما يعزز الأسس الأخلاقية والروحية والمادية للمجتمع، وعلى ما تقدم يمكننا أن نقسم أهداف التنمية البشرية في الإسلام وبحسب رؤيتنا وتحديدنا لمصطلح التنمية البشرية على مستويين:

١. الأهداف الرئيسة والأساسية: وهي كل الوسائل التي تعين في تحقيق مرضاة الله والوصول إلى السعادة في الآخرة.

٢. الأهداف المتوسطة والثانوية: وهي كل الوسائل والأدوات التي توصل إلى تلبية احتياجات المجتمع المادية[١]، والعدالة الاجتماعية[٢]،

(١) الإمام علي عليه السلام في مقام بيان حقوق الناس عند الحاكم الإسلامي يقول: «أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا» ينظر: الرضي، الشريف، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٩٢.

(٢) كما يقول الآية الشريفة: (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا

والحرية[1]، والأمن والسلم[2].

من هنا قد جاء تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام حاوياً على عناصر مهمة جاءت لمعالجة التنمية البشرية بواسطة اعتماده على عنصرين، أو بالأحرى هدفين له:

١- عنصر داخلي، معنوي إنساني.

٢-عنصر خارجي، مادي قانوني.

فبالنسبة للعنصر الإنساني، فنلحظ استمرارية الإمام الحسن العسكري عليه السلام بتوجيه خطابه دائماً للإنسان من أجل الإنسان، أي ضرورة أن يقوم بدور التربية والإرشاد والتصحيح للمسيرة الإنسانية، ويتصدى لهم مادياً وقانونياً وذلك هو العنصر القانوني المادي الخارجي؛ بواسطة الزواجر الإخلاقية فضلاً عن البعد الديني الغيبي والذي يشكل رادعاً مهماً، ولكن بالتأكيد ليس للجميع فهو غير مجدي مع

أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) سورة الشورى: الآية ١٥.

(١) كما يقول الإمام علي عليه السلام: «وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً ولَا تَكُنْ عَبْدَ غَيرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً وَمَا خَيرُ خَيرٍ لَا يَنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ وَيسْرٍ لَا يَنَالُ إِلَّا بِعُسْر». ينظر: الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق ص٤٨٥.

(٢) كما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «خَمْسُ خِصالٍ مَنْ فَـقَـدَ واحِدَةً مِنْهُنَّ لَمْ يَزَلْ ناقِصَ العَيْشِ زائِلَ الْعَقْلِ مَشْغولَ الْقَلْبِ، فَاَوَّلُها: صِحَّةُ البَدَنِ والثّانِيَةُ: اَلاْمْنُ والثّالِثَةُ: اَلسَّعَةُ في الرِّزْقِ، وَالرّابِعَةُ: اَلاَنيسُ الْمُوافِقُ (قال الراوى: قُلْتُ: ومَا الاْنيسُ الْمُوافِقُ؟ قال: اَلزَّوجَةُ الصّالِحَةُ، وَالوَلَدُ الصّالِحُ، وَالْخَليطُ الصّالِحُ وَالخامِسَةُ: وَهِيَ تَجْمَعُ هذِهِ الْخِصالَ: الدَّعَةُ» ينظر: أبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، الخصال، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الثانية المحققة ١٤٠٣هـ، الجزء الأول، باب خمسة خصال من لم تكن فيه واحدة منهن فليس فيه كثير مستمتع، الحديث ٢٤، ص٢٨٤.

من امتهن الإجرام أو أعماه الطمع، فهناك من يكون (**الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان**) [١]، كما يصفهم الإمام علي عليه السلام فيسعون لتحطيم الكيان البشري وقطع رسالته الحضارية، فيتصدى لهم الإمام العسكري عليه السلام مادياً وقانونياً وذلك هو العنصر القانوني المادي الخارجي.

على الرغم من قصر مدة الإمامة الفعلية لأبي محمد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهي ست سنوات (٢٥٤-٢٦٠هـ) والحصار الصارم والاعتقال الذي فرضه عليه ملوك عصره وتآمرهم على قتله لقطع نسله حيث كانوا يعتقدون بأن الإمام المهدي الموعود الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو ابنه، ورغم احتجابه عن الناس إلا نادراً بسبب الرقابة الشديدة للسلطة أو لتهيئة شيعته لقبول الإمام القادم وتدريبهم على كيفية التعاطي مع الواقع الجديد إلى درجة أن أقربائه لم يكن يرده، ورغم ابتلائه بالمشككين من شيعته والمقصرين في معرفة حقه حتى روي عنه قوله عليه السلام: (**ما مُني أحد من آبائي بمثل ما منيت به من تشكيك هذه العصابة بي**).

تعقيب: ورغم ذلك كله فقد ترشح عنه الكثير من الأعمال المباركة في حياة الأمة، ونقف الآن على بعض آثاره المباركة فيما يرتبط بعنوان البحث.

ومجال الإنماء المعرفي واحد من أهم مجالات التنمية البشرية، وسيتم تسليط الضوء عليه في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الذي عاش عصره تراجعاً كبيراً في مجالات التنمية البشرية بصورة عامة، والإنماء المعرفي بصورة خاصة.

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة ٨٦، ص١٣٧.

مجالات الإنماء المعرفي وتطبيقاتها عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام

يعد الإنماء المعرفي مشروعاً لترقية الإنسان فكرياً ومعنوياً وآلية لإنشاء النمو الفكري والمعنوي في المجتمع الإنساني بحيث يهيء كافة قدرات المجتمع في سبيل التنمية الشاملة وفي جميع المجالات.

وله أسبقية وأقدمية على سائر مجالات التنمية مثل التنمية الإقتصادية والسياسية وهكذا، فكيف يمكن أن تكون هنالك تنمية اقتصادية أو سياسية من دون وصول المجتمع إلى المستوى المطلوب من التنمية الفكرية والمعنوية[1]، فالمدرسة الإسلامية دائماً ما تؤكد على ضرورة التفكر وتعتبره أفضل من العبادة: «**تفكر ساعة خير من عباده سنة... تفكر ساعة خير من عباده سبعين سنة**»[2].

ومن أهم مجالات الإنماء المعرفي هي:

أولاً: سيطرة روح العقلانية على المجتمع بدل العواطف والأحاسيس والخرافات

تمثل العقلانية ـ بغض النظر عن تعريفاتها الكثيرة ـ روح كل مجتمعٍ أو حضارةٍ وتعد بمثابة الركيزة الأساسية للمجتمع، فبإمكاننا أن ندرس أسباب ظهور وسقوط الحضارات الكبيرة في التاريخ عن طريق القوة أو الضعف في مستوى العقلانية الموجودة في تلك الحضارات، فهنالك لا يوجد أيّ سببٍ في أفول وسقوط الحضارات أكبر وأهم من حرمان المجتمع من روح العقلانية ولا نستطيع أن نجد أيّ مؤشرٍ للتنمية في المجتمع البشري أفضل من سيطرة أجواء العقلانية على المجتمع، لأن العقلانية هي محرك المجتمع باتجاه التقدم والتنمية في كافة المجالات، ودعوة المجتمع إلى التحلي بروح العقلانية هي من أولى تعاليم الأنبياء وفي قمة أولوياتهم بحيث لا

(١) خاتمي، محمد، التنمية السياسية والأمن، ص ١٢٦.

(٢) الطبرسي، حسين بن محمد النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٢، ص ١٠٥.

يمكن قبول مبادئ الإسلام الرئيسة بمنهج إلا بالمنهج العقلي.

إن المدرسة الغربية للتنمية حصرت العقلانية في التجربة الحسية ولم تقبل أي دورٍ لمناهج المعرفة الأخرى مثل الوحي والشهود، ومن هنا لخصت الإنسان في الحياة المادية فقط وركزت على التنمية المادية ولكن نفس هذه العقلانية بمعناها الضيق ساعدت المجتمع الغربي على التقدم في المجالات المادية على الرغم من التخلف الكبير في المجالات المعنوية والروحية[١].

وهنا نجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يحذر من إتباع الأوهام والشكوك والظنون ويعده من أهم أسباب الضلالة والإنحطاط حيث كان له موقفاً حازماً اتجاههم إذ أكد لأحد أصحابه ممن وقف على موسى بن جعفر «عليهما السلام» قائلاً: أتولاهم أم أتبرأ منهم؟ فكتب الإمام العسكري عليه السلام: (... إنا إلى الله منهم بري فلا تتولاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنائزهم، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً سواء من جحد إماماً من الله أو زاد إماماً ليست إمامته من الله أو جحد أو قال: ثالث ثلاثة، إن الجاحد أمر آخرنا جاحد أمر أوّلنا والزائد فينا كالناقص الجاحد أمرنا)[٢].

وقد مارس الإمام العسكري عليه السلام وظيفة حفظ عقائد الإسلام ودفع الشبهات عنها، وفضح المضللين والماكرين الذين يضلّون الناس عن دينهم بأساليبهم الشيطانية، سواء من داخل الكيان الإسلامي أو من خارجه، وحرصه على هيبة الدولة الإسلامية على الرغم من أن من يمسك زمام أمورها مجرمون قتلوه وقتلو آبائه الطاهرين، وحثه عليه السلام الناس على اللجوء إلى الله تبارك وتعالى في جميع أمورهم، ومما وردنا من تطبيق ذلك عملياً من قبله عليه السلام ما حصل حينما تزعزعت عقيدة كثيرين وارتد بعضٌ منهم في زمان المعتمد العباسي ـ الذي قتل الإمام عليه السلام ـ فقد ذكر المؤرخون أن الناس أصابهم

(١) الشريح، محمد عادل، الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية، ص٤٧.

(٢) الكشي، أبو عمر محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ص٤٦٧.

قحط شديد، فأمر المعتمد العباسي بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيام فخرجوا ولم يغاثوا، وخرج النصارى ومعهم راهب كلما مدَّ يده إلى السماء هطلت، وفعل ذلك مكرراً، فشكّ بعض الجهلة في دينهم، وارتد البعض الآخر، وشقّ ذلك على المعتمد ففزع إلى الإمام أبي محمد عليه السلام، وكان في سجنه وقال له: أدرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يهلكوا، فقال له الإمام عليه السلام: (**يخرجون غداً، وأنا أزيل الشك عنهم إن شاء الله تعالى**)، وأخرجه المعتمد من السجن، واشترط الإمام أن يطلق سراح أصحابه جميعاً فاستجاب له وأخرجهم، وفي اليوم التالي خرج الناس للاستسقاء، فرفع الراهب يده إلى السماء، فغيّمت ومطرت، فأمر الإمام بتفتيش يده وأخذ ما فيها، وإذا فيها عظم آدمي فأخذه منه وأمره بالاستسقاء فرفع يده إلى السماء فزال ما فيها من غيم، وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، فسأله المعتمد عن سرِّ ذلك، فأجاب الإمام عليه السلام: (**هذا عظم نبيّ ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كُشِف عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر**)، وتفحّص المعتمد عن ذلك فكان كما أخبر الإمام عليه السلام فزالت الشبهات وانتفى الشك[1].

ثانياً: حب التعلم والتعليم في المجتمع (الوعي العلمي)

مسألة التعليم وحب التعلم من الأمور الأساسية التي تسهم في تثقيف المجتمعات، وترتقي بها إلى أعلى درجات السعادة والكمال البشري؛ حيث إن التحصيل يُنمي الإنتاج في مختلف المجالات والحقول الاقتصادية والاجتماعية و...، ويجعل المجتمع قادراً على مباشرة مهامه، ويبعث فيه روح الحياة الطيبة وهذا الأمر غني عن البيان، وأقل مراتب التحصيل هي القراءة والكتابة حيث تُخرج الإنسان من البدوية والأمية إلى مستوىٍ من الدراية والبصيرة والمحصل يكون عبر ذلك قادراً على قراءة نصٍ بسيط وفهمه، وفي عكس هذا الاتجاة الأمية من أعظم المشاكل في

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٧٠.

المجتمع، ولا سيما في المجتمعات غير المتطوره مثل دول العالم الثالث، فإنها بسبب الأمية والبدوية لا تمتلك العناصر الحيوية للحياة، ومن حين إلى آخر تواجه المشاكل منها (الفقر والحرمان، البطالة، عدم التامين الصحي).

وقد تصدى الإمام العسكري عليه السلام لترسيخ قيم العلم والمعرفة في أوساط الأمة بعدما عملت السلطة العباسية على تجهيل الأمة والقضاء على الأساس المعرفي، فعمل عليه السلام على تحسين ثقافة الأفراد وزيادة الوعي لديهم، وأمر العلماء وأوجب عليهم الهجرة إلى طلب العلم والتفقه في الدين من ثم تعليمها إلى المستضعفين من الناس، حيث ورد عنه عليه السلام قوله: (**ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى**)[١]، وكذا قوله عليه السلام: (**أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه**)[٢].

وكذا قوله عليه السلام: (**فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السهى**)[٣].

وقد ذم الإمام العسكري عليه السلام علماء السوء حيث وصفهم بأنهم: (**وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء... يدخلون الشك والشبهة على**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ص٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ضعفاء شيعتنا فيضلونهم)[1].

وقد نشطت حركة التأليف في زمن الإمامين العسكريين عليهما السلام في المناطق الآمنة من رقابة السلطة، فكان محمد بن مسعود العياشي قد أنفق ثروة أبيه بكاملها على نشر آثار أهل البيت وكانت داره في بلاد ما وراء النهر كالمسجد تجمع العشرات ما بين ناسخ ومقابل وقارىء ومعلق وكانت تلك الكتب تعرض على الإمامين العسكريين عليهما السلام لإمضائها عندما يتاح لأصحابها الاتصال بهم[2].

ثالثاً: التفكر والتبصر ودورهما الريادي في عملية المعرفة

فبعد انفتاح عدة جبهات فكرية وجدلية استهدفت منظومة الدين الإسلامي سعى الإمام العسكري عليه السلام تأمين سلامة الفكر والثقافة في الانتماء والمواجهة، فعمل عليه السلام جاهداً لتقوية وصمود أتباعه في خندق الفكر والحوار والدفاع حفاظاً على رسالة الله تعالى في كتابه القرآن الكريم والذي كان المُستهدف الأوّل في هذه الجبهة كما في ما أثاره الفيلسوف الشهير المعروف بالكندي في عصره في كتابه متناقضات القرآن – حيث تمكّن الإمام العسكري عليه السلام من تفنيد مزاعم الكندي بواسطة تعليم أحد أصحابه كيف يتقرب منه وينال ثقته التامة، كما جاء في الرواية إن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبو محمد عليه السلام: **(أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن)**؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال أبو محمد عليه السلام: **(أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه، وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون**

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢١٠٠.

(٢) ينظر: الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج٢، ٥١٦.

مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول إنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه)، فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد علي! فأعاد عليه، فتفكر في نفسه، ورأى ذلك محتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر، ففعل الرجل ذلك وأثرت الكلمة في الكندي فمزّق مسودات الكتاب[١].

وعن التفكر في أي موضوع أو عمل فالمهم النظر إلى عواقبه وفشله ونجاحه وأسبابه مما يزيد الإنسان بصيرة ويكون على علم بما يريد الإقدام عليه، وعلى هذا فستصبح نسبة النجاح والفلاح فيه أكبر من نسبة الفشل، ففي الحديث عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام): **(ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله)**[٢].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١١ عن مناقب آل أبي طالب عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل؛ وينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٥٠.

(٢) الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٤٤٨.

الخاتمة والنتائج:

إرث الإمام الحسن العسكري عليه السلام محيط زاخر دفاق، نهلت من روافده في بحثي مفهوم (التنمية البشرية والإنماء المعرفي في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام) في مطلبين، الأول مفاهيمي، أما المطلب الثاني فتكلمت فيه عن التنمية البشرية والإنماء المعرفي وأهم تطبيقاتها في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، خرج البحث بمجموعة من النتائج، منها:

١- التنمية البشرية عملية موجهة واعية تستهدف النهوض بفكر الإنسان والرقي بسلوكه، وتستند إلى قانون ثابت يحقق للفرد والجماعة الراحة والطمأنينة في دنياهم ومعاشهم، ويضمن لهم السعادة في أخراهم ومعادهم.

٢- أهداف التنمية البشرية استجابة واعية لاحتياجات المجتمع المادية والمعنوية.

٣- الإنماء المعرفي مشروع لترقية الإنسان فكرياً ومعنوياً وآلية لإنشاء النمو الفكري والمعنوي في المجتمع الإنساني سعيا لتهيئة قدرات المجتمع للسير في طريق التنمية الشاملة.

٤- زخرت توجيهات الإمام الحسن العسكري عليه السلام بلآلىء الإنماء المعرفي عززتها التطبيقات التي أشرت على رقي الإرث النبوي والإمامي القويم.

٥- العقلانية والوعي العلمي والتفكر والتبصر تطبيقات هادية نهلت الأجيال عبر تاريخها الطويل من إرث النبوة والإمامة متمثلة بالإمام الحسن العسكري عليه السلام.

التوصيات

١- الحفر البحثي المعرفي في المفاهيم التنموية عبر حث الباحثين على ارتياد مفاهيم التنمية البشرية لاقتباس أفكار ورؤى تكشف عمق قيمنا في واقع مركب.

٢- قراءة إرث النبوة والإمامة عبر ابتكار منظور قيمي انساني حضاري معاصر.

٣- اعتماد رؤى ملهمة تربط بين القيم ومتطلبات العصر، تتجاوز القراءات الأحادية، وتتبنى الرؤى المركبة عبر برامج عملية تخدم الإنسان وتلبي احتياجاته بذكاء

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ.

٢) الأصفهاني، حسين بن محمد الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٩٩٢م، ط١.

٣) بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

٤) تسخيري، محمد علي، الثقافة والهوية، نحو معاينة نقدية للتعدد الثقافي.

٥) تودارو، مايكل، التنمية الاقتصادية، تحقيق محمد حامد، المريخ، مصر، ط١ ٢٠٠٩م.

٦) جريدة الأهرام، الاثنين ١٠شعبان١٤٢٩هـ، ١١أغسطس٢٠٠٨م، السنة ١٣٢، العدد٤٤٤٣.

٧) الجوهري، عبد الهادي، وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٢م.

٨) الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٩) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٠) الحيدري، رائد، المقرر شرح منطق المظفر.

١١) خاتمي، محمد، التنمية السياسية والأمن، ترجمة سرمد الطائي، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٤.

١٢) الدوري، محمد ياسر خضر، دقائق الفروق اللغوية في بيان القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٧ هـ -٢٠٠٦م، ط١.

١٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، الطبعة الجديدة، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٦م.

١٤) الزبيدي، مرتضى، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

١٥) السمالوطي، نبيل، علم اجتماع التنمية، دراسة في اجتماعيات العالم الثالث، بيروت دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨١م.

١٦) السويعدي، مالك مهدي، الذات الإلهية وفق المفهوم الفلسفي.

١٧) الشريح، محمد عادل، الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية، دمشق: دار الفكر،٢٠٠٧.

١٨) الصالح، صبحي، نهج البلاغة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٩) الصدوق، أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الخصال، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط٢ المحققة، ١٤٠٣هـ.

٢٠) الطبرسي، الاحتجاج.

٢١) الطبرسي، حسين بن محمد النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم،ط٣ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٢) العاني، أسامة عبد الحميد، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ط١.

٢٣) عبده، محمد، نهج البلاغة الجامع لخطب ورسائل وحكم أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه وعلى آله السلام)، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.

٢٤) العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام، مفاهيم ومنهاج وتطبيقات، مؤسسة مجد للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، ط١.

٢٥) عيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م، ط٢.

٢٦) كردي، فوز بنت عبد اللطيف كامل، أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة.

٢٧) الكشي، أبو عمر محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، تحقيق حسن مصطفوي، أصفهان: (بلا ت).

٢٨) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ ـ ١٦٨٣م)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٩) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي،ط٣ المصححة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٠) نصيف، لقاء عاصم، التنمية الفكرية في المنظور الإسلامي، رسالة ماجستير مقدَّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، بإشراف عبد الوهاب إسماعيل الأعظمي، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

البحث التاسع

إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء على القائمة التمثيلية لليونسكو

م.م.عقيل محمد موسى الغبان

الملخص

يعكس التراث الثقافي الهوية الوطنية والإنسانية في مراحل زمنية وتاريخية مختلفة تجسد المعالم المتبقية من الحضارات السابقة والمتمثلة بالآثار العقارية أو المنقولة، إلّا أن مصطلح التراث الثقافي اتسع ليشمل الطقوس والممارسات الدينية والثقافية والاجتماعية والحرفية وشتى أنواع المعارف التي ابدعها وصاغها المجتمع عبر تجارب طويلة يتداولونها ويلتزمون بها في سلوكهم وتعاملهم كأنماط ثقافية مميزة تربط الفرد بالجماعة وتصل الماضي بالحاضر، وهذا ما يسمى بالتراث الثقافي غير المادي أو التراث الشفهي.

فالتراث الثقافي غير المادي له أهمية كبيرة في إبراز الهوية الإنسانية والتراثية للمجتمع والتي تعد مدينة سامراء نموذجاً تطبيقياً حياً يستمد وجوده الروحي من الممارسات الدينية ومنها زيارة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام بذكرى شهادتيهما فيتخذ هذا التراث تعبيراً حركياً، وقد يستخدم كوسيلة للمصالحة بين أفراد المجتمع كأداة لتحقيق السلم، فالتراث لديه القدرة الهائلة لتوحيد الناس ومد جسر للتواصل مع بعضهم البعض في أوقات الاضطرابات والعنف، ثم إعادة بناء المجتمعات، وهذا ما نجده في مدينة سامراء التي كانت مثالاً في إعادة بناء المجتمع والتغلب على الشعور بفقدان الهوية والتهجير الناتج عن النزاع.

ولذلك لابد من صون هذا التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء ليس فقط لجانبه الإنساني والتراثي، بل لأنه يعد مصدراً من مصادر التنمية الاقتصادية بوصفه عصباً لقطاع السياحة لمدينة سامراء من أجل الحفاظ على سلامة هذا التراث من

الانحرافات الفكرية وحماية الهوية الإسلامية المعتدلة من التطرف، ويكون ذلك عن طريق إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء على القائمة التمثيلية لليونسكو، وذلك من خلال عدة آليات رسمتها اتفاقية اليونسكو لعام ٢٠٠٣ يترتب عليها مجموعة من الآثار تهدف إلى صون هذه التراث والذي لم يشر له المشرع العراقي في مضامين قوانينه لذلك لابد من وضع قواعد قانونية خاصة لحماية تراث مدينة سامراء الثقافي غير المادي، وهذا ما سنتناوله في مبحثين، خُصص الأول لبيان مفهوم التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، ونعالج في المبحث الثاني أحكام إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء.

المقدمة

إنّ التراث الثقافي غير المادي للشعوب يتجلّى في المظاهر غير المادية أو غير الملموسة بمختلف أنواعها وتشكيلاتها باعتباره ممارسة حية تنتقل من جيل إلى جيل من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية، فهو يرتبط بالأفراد والجماعات والتجمعات البشرية كونه يعبر عن أصالتها وهويتها ووجودها وتمايزها على مستوى المجتمعات البشرية، وهذا يكون له علاقة جلية بالحقوق، الأمر الذي دفع منظمة اليونسكو لمراجعة التعريف بهذا التراث، وأساليب الحفاظ عليه، وصونه بمختلف الطرق تمثلت بسن اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي للبشرية عام ٢٠٠٣م؛ وذلك بسبب التحول الاجتماعي والعولمة التي تساعده على توفير ظروف تشجع على إقامة حوار متجدد بين الجماعات فضلاً عن تعرض هذا التراث إلى خطر التدهور والزوال والتدمير بسبب الافتقار إلى الموارد اللازمة لصونه.

أهمية الموضوع:

يعد الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي ومصادره أمراً في ذروة الأهمية؛ لأن مصادره تكون جزءاً مهماً في القيم الثقافية للأفراد، والجماعات التي تعكس هويتهم الثقافية، كما هي مهمة من ناحية التطوير الاقتصادي للمجتمع لما تحويه من قيم اقتصادية واجتماعية إن أحسن استثمارها بالتخطيط السليم للتنمية المستدامة وبالإدارة المنتجة لتلك المصادر، وتعد مدينة سامراء أنموذجاً زاخراً بالتراث الثقافي غير المادي الحي الذي ينبغي صونه من تلك المخاطر باتباع مجموعة من الآليات وبمشاركة أفراد المجتمع، وأنّ صون تراث هذه المدينة تترتب عليه آثار ينبغي مراعاتها، وتقابلها مكاسب وفوائد قد لا تدركها الجماعة.

مشكلة البحث:

أما مشكلة البحث فتتلخص في بيان كيفية إدراج التراث الثقافي غيرالمادي لمدينة سامراء لصون هذا التراث الذي يرتبط بالأفراد، والجماعات الذين قد لا يدركون أهميته وهو مرتبط بهم بشكل أساسي، وعلى الرغم من التهديدات والمخاطر التي يتعرض لها هذا التراث نجد المشرع العراقي لم يبادر إلى سن تشريع عادي أو فرعي لصونه، على الرغم من انضمام العراق عام ٢٠٠٨م لاتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي للبشرية، الأمر الذي يتطلب وضع قواعد خاصة لصون هذا التراث يتم تطبيقها على مدينة سامراء كمثال حي له.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث منهجاً تحليلياً استقرائياً لنصوص اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لعام ٢٠٠٣ بهدف بيان مفهومه وتطويع أحكامه على مدينة سامراء.

خطة البحث:

من أجل الإحاطة بموضوع الدراسة سيتم تقسيمها إلى مبحثين نعمد في أولهما لدراسة مفهوم التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، وذلك في مطلبين يكون الأول معقوداً لبيان التعريف بالتراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، والثاني لطبيعة وأشكال التراث الثقافي غير المادي في حين نخصص المبحث الثاني لأحكام إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، ونقسمه على مطلبين نكرس الأول منهما إلى آليات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء في حين نفرد ثانيهما لبحث الآثار المترتبة على إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، وصولاً إلى خاتمة نجمل فيها أبرز نتائج البحث ومقترحاته.

المبحث الأول: مفهوم التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء.

يشكل التراث الثقافي غير المادي عاملاً مهماً في الحفاظ على التنوع الثقافي، كما يساعد على الحوار بين الثقافات، ويشجع على الاحترام المتبادل بين الجماعات؛ ولذا ومن أجل بيان مفهوم التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء يستوجب منا توضيح تعريفه وبيان طبيعته وأشكاله من خلال تقسيم هذا البحث على مطلبين، نخصص المطلب الأول لبيان تعريف التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، أما المطلب الثاني فنخصصه لبيان طبيعة، وأشكال التراث الثقافي غير المادي.

المطلب الأول: التعريف بالتراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

لغرض التعريف بالتراث الثقافي غير المادي سنقسم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع نخصص الفرع الأول لتعريف التراث الثقافي غير المادي، أما الفرع الثاني فنبين فيه خصائص التراث الثقافي غير المادي في حين نتناول تمييز التراث الثقافي غير المادي عما يشتبه فيه في الفرع الثالث.

الفرع الأول: معنى التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

يقصد بعبارة «التراث الثقافي غير المادي» الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحياناً الأفراد جزءاً من تراثهم الثقافي.

وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلاً عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية، ولا يؤخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية

القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات، والمجموعات، والأفراد، والتنمية المستدامة[١].

كما عرف على أنَّه خلاصة ما توارثته الأجيال عن بعضها جيلاً بعد جيل فهو ما خلّفه الأجداد؛ ليكون عبرة من الماضي ونهجاً يستقي منه الأبناء الدروس ليعبروا بها من الماضي إلى الحاضر[٢].

وقد استخدم البعض مصطلح التراث للدلالة على التراث الثقافي غير المادي وعرفوه بأنه كل ما يعّبر عن العادات والتقاليد والممارسات والأعمال التي تسود في كل بلد من بلدان العالم التي تميزه عن غيره من البلدان[٣] في حين استعمل بعضهم مصطلح الفكرة الأثرية ويقصد بها جميع صور الإبداع الفكري في المجالات العلمية والفنية والأدبية الناتجة من وحي العقل التي تستخلص من الآثار المنقولة وغير المنقولة التي وجدت بمدة تزيد عن مئتي سنة والتي تم التعبير عنها في صور شيء مادي وهو الأثر[٤].

ومما سبق نجد أن التراث الثقافي غير المادي هو إبداع الجماعات، والمجموعات

(١) ينظر: المادة (٢) من قانون انضمام العراق إلى اتفاقية اليونسكو في شأن حماية التراث الثقافي غير المادي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٨. ويلحظ أن المشرع العراقي قد استخدم في قانون تصديق الاتفاقية والأسباب الموجبة له لفظ (حماية) للإشارة إلى الاتفاقية، في حين أن النص الأصلي لها استخدم لفظ (صون التراث الثقافي غير المادي)، وذهب بعضهم إلى أن كلمة (حماية) تستخدم للحفاظ على القيم المادية، أما لفظ (صون) يذهب للحفاظ على القيم غير المادية. ينظر: غالب، شيماء، انضمام العراق إلى اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، ص٣٦٣. في حين ذهب بعضهم إلى أن الحماية القانونية هي وسيلة من وسائل الصون التي بدونها يكون الصون دون جدوى. ينظر: معلا، طلال، التراث الثقافي غير المادي تراث الشعوب الحي، ص١٥.

(٢) بجاوي، محمد صالح، التراث الشفهي الجزائري، ص٨.

(٣) أوجي، فراس ياوز عبد القادر، الحماية الجنائية للأثار، ص٩١.

(٤) حسين، أكرم محمود، عبد الله، صديق محمد، النظام القانوني للفكرة الأثرية، ص١٩.

بما يتفق مع بيئتها وتاريخها، كما أن التراث الذي ركزت عليه الاتفاقية هو التراث الذي يتفق مع الصكوك الدولية القائمة المتعلّقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة، فلا يمكن للجماعة الحفاظ على موروثها الثقافي والحصول على الدعم الدولي إذا كان هذا التراث منتهكاً لمبادئ حقوق الإنسان، كما يتم تعزيز الهويات الثقافية للجماعة عن طريق الاحترام المتبادل بين الجماعات بما يحفظ الثقافة الإنسانية فلا يمكن بأي حال من الأحوال قبول ثقافة تعمل على إلغاء الرأي الآخر كما يجب أن لا يؤدي استمرار التراث الثقافي غير المادي إلى استنفاد الموارد للأجيال القادمة بل يفضل أن يعمل على تجديدها.

وهذا الإبداع الثقافي للتراث غير المادي يتفق مع المجتمع السامرائي، إذ تزخر مدينة سامراء بعدة تطبيقات حية لهذا التراث، منها الممارسات والطقوس التي نجدها في زيارة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام بذكرى شهادتيهما تراثاً حركياً منتقلاً من جيل إلى جيل، فمنذ قرون مضت نجد إشارة إلى هذا التراث من بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مدينة سامراء ونقلوا هذا التراث ومن أبرزهم الرحال كارستن نيبور[1] عام ١٧٦٥م إذ قال: «كانت مدينة سامراء مدينة مهمة، فقد كانت مقراً لعدد من الخلفاء، وعاش فيها ثلاثة من كبار أئمة الشيعة ودفنوا فيها وتزار قبورهم كل سنة من جموع غفيرة من الفرس»[2]، وعلّق البعض على هذه العبارة أن الزيارة التي يقصدها نيبور هي التي تحصل أيام استشهاد الأئمة التي يكثر فيها عدد الزوار، فضلاً

(١) كارستن نيبور: هو ألماني الأصل دنماركي المولد والنشأة، أرسله ملك الدنمارك مع أربعة أشخاص ببعثة فنية للبحوث العلمية في الشرق الأوسط وجنوب جزيرة العرب، وبعدما توفي رفاقه لم يبق إلا هو وحده وأكمل رحلته حتى وصل البصرة عام ١٧٦٥، ثم واصل رحلته إلى بغداد ومر بأغلب المدن والمناطق الواقعة على نهري دجلة والفرات. ينظر: كارستن نيبور، رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، ترجمة سعاد هادي العمري وآخرين، ص٥٣.

(٢) كارستن نيبور، المصدر السابق، ص٣٤٠.

عن أن الزوار لم يكونوا من الفرس فقط بل إن هناك أعداداً كبيرة من الزائرين من العراق سواء كانوا من داخل مدينة سامراء أو غيرها، لكن الرحالة نيبور إما أخطأ في التعبير أو ذكر كلمة الفرس الشيعة على اعتبار أن إيران كانت دولة شيعية فجاء التعبير لإيصال تلك الفكرة [١].

ومن الجدير بالذكر أن عبارة نيبور «... وعاش فيها ثلاثة من كبار أئمة الشيعة ودفنوا فيها... » إنما يقصد فيها الإمام علياً الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما السلام اما الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف فهو حي يرزق. ولا زال محبو الإمامين عليهما السلام يحيون هذه الزيارة إلى يومنا هذا فهم يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

لذلك نلحظ أن هذه الممارسة للزيارة تعزز الروابط السلمية بين الإخوة المسلمين في مدينة سامراء وتعزز القيم المجتمعية مثل حسن الضيافة[٢]، والممارسات الجماعية كالتسبيح وتلاوة القرآن الكريم[٣].

---

(١) الموسوي، عماد جاسم، سامراء في كتابات الرحالة العرب والأجانب، ص١٥٠.

(٢) ينظر: إدراج توفير الخدمة والضيافة في الزيارة الأربعينية على لائحة التراث الثقافي غير المادي بالرقم (١٤٧٤) لعام ٢٠١٩ إذ تعد ممارسة اجتماعية تجري في العراق، إذ يبدأ ملايين الزوار رحلة الزيارة إلى مدينة كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. منشور عبر الرابط الآتي: https://ich.unesco.org/en/RL/provision-of-services-and-hospitality-during-the-arba-in-visitation-01474 تاريخ آخر زيارة ٢٦/ ٣/ ٢٠٢١.

(٣) ينظر: إدراج الحج السنوي إلى مزار سيدي عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ) في الجزائر إلى القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية حيث تُنظّم مجتمعات صوفية في نهاية شهر حزيران/ يونيو من كل عام، ثلاثة أيام حج إلى مزار سيدي عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ) في مدينة الأبيض سيدي الشيخ. والحج يجدد الروابط السلمية بين الإخوان الصوفيين ويُسهم في نمو الصوفية.كما يُعزّز القيم المجتمعية مثل حسن الضيافة والممارسات الجماعية كالتسابيح، وتلاوة القرآن الكريم. منشور على موقع اليونسكو عبر الرابط: https://ich.unesco.org/ar/RL/-00660 تاريخ آخر زيارة ٨/ ٣/ ٢٠٢١.

كما أن مدينة سامراء أصبحت وسيلة للتعايش بين أفراد المجتمع وذلك كأداة لتحقيق السلم والتي كانت مثالاً لإعادة المجتمع والتغلّب على الشعور بالفقدان والتهجير الناتج عن النزاع وبهذا تكون مثالاً رائعاً للتعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

لذلك نخلص للقول إن التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء هو كل ابداع ثقافي غير ملموس يتخذ شكلاً فعلياً أو قولياً يعبر عن الهوية التراثية لمجتمع سامراء يتوارثونه جيلاً بعد جيل، ومحدداً بعدم تقاطعه مع حقوق الإنسان والاحترام المتبادل بين الجماعة والتنمية المستدامة.

الفرع الثاني: خصائص التراث الثقافي غير المادي

يتضمن التراث الثقافي عموماً على مجمل الإبداعات الثقافيّة سواء التقليدية أو الشعبيّة الصادرة عن جماعة، والمنقولة عبر التقاليد؛ لذا فالتراث الثقافي غير المادي يتميز بأنّه:

أولاً: تراث تقليدي ومعاصر وحيّ في الوقت نفسه، فهو لا يقتصر على التقاليد الموروثة من الماضي فقط، وإنما يشمل أيضاً الممارسات الريفيّة والحضرية المعاصرة والتي تشارك فيها الجماعات، فالتراث وإن كان يعبر عن الماضي إلّا أن ما يشترط فيه هو ان يظل متوارثاً أو متصلاً جيلاً بعد جيل لكي يبقى حياً في عقول الجماعة.

ثانياً: تراث جامع، فأشكال التعبير المنبثقة عن التراث الثقافي غير المادي التي تصدر عن جماعةٍ ما قد تتشابه مع أشكال التعبير التي تمارسها جماعات أُخر سواء أكان هؤلاء من مدينة أم من قرية مجاورة أم من جماعات هاجرت واستقرت في مناطق مختلفة، وهو أمر طبيعي؛ لأن كل أشكال التعبير توارثتها الأجيال وتطوّرت استجابة

لبيئاتهم[١].

ثالثاً: تراث تمثيلي، إن التراث الثقافي غير المادي لا يعد سلعة ثقافية، بل يستمد قوته من جذوره الممتدّة في المجتمعات المحليّة، ويعتمد على تلك الجماعة التي تنتقل معارفها في مجال التقاليد والعادات والمهارات عبر الأجيال إلى بقيّة أفراد المجتمع أو إلى مجتمعات أُخر.

رابعاً: إن التراث الثقافي غير المادي نتاج المجتمعات المحلية، فلا يمكن وصف الممارسات على أنها تراث إلّا إذا اعترفت المجتمعات بأنّها هي التي انتجت هذه الممارسات ومن ثم نقلها إلى المجتمعات الأخرى[٢].

خامساً: ان التراث الثقافي غير المادي ينتقل من جيل إلى جيل بين مجموعات من الناس وبذلك تعد المجتمعات المحلية هي العامل الأساس في إنشاء التراث وحفظه[٣].

الفرع الثالث: تمييز التراث الثقافي غير المادي عما يشتبه به

في إطار التعريف بالتراث الثقافي غير المادي يجب تمييزه عن بعض المصطلحات التي تشتبه به كالتراث الثقافي المادي والمصنف الذي آل إلى الملك العام، وهذا ما سنبينه على النحو الآتي:

---

(١) التراث الثقافي غير المادي، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، منشور على الموقع الآتي https://ich.unesco.org/doc/src/01851-AR.pdf

(٢) زيدان، محمد جياد، الحماية الجنائية الموضوعية للتراث الثقافي غير المادي، ص٢٠٦.

(٣) خلف، حسام عبد الأمير، تحولات الحماية للتراث الثقافي في القانون الدولي من المادية إلى اللامادية: تطور مفاهيم، ص٣٠٥.

أولاً: تمييز التراث الثقافي غير المادي عن التراث الثقافي المادي

يشتبه التراث الثقافي غير المادي بالتراث الثقافي المادي من حيث إن كليهما يعبران عن هوية الجماعة فهما يعطيان بعداً للنتاج الإنساني ذي القيمة والطابع الفني والأدبي والعلمي والتاريخي، كما أنهما يطلقان على كل قديم توارثته الأجيال، إلا أنهما يختلفان من حيث النطاق المادي والزماني، فمن حيث النطاق المادي ينصب التراث الثقافي المادي على كل ما هو مادي وملموس فهو يشمل الممتلكات الثقافية العقارية كالأضرحة والمساجد والسدود والأسوار وغيرها، وفعلاً تم إدراج بعض المواقع الأثرية في سامراء على لائحة التراث الثقافي المادي بالرقم (٢٧٦) عام ٢٠٠٧م[١]، وكذلك يشمل الممتلكات الثقافية المنقولة كالأعمال الفنية والقطع الأثرية والقطع النقدية والقطع الخزفية والفخارية وغيرها، في حين يكون التراث الثقافي غير المادي تراثاً شفوياً وغير ملموس ويشمل كل التقاليد وأساليب المعيشة الموروثة من أسلافنا والمنقولـة إلى أبنائنا كالتقاليد الشفوية وفنون الأداء، والممارسات الاجتماعية، والشعائر والمناسبات الاحتفالية، والمعارف والممارسات المتعلّقة بالطبيعة والكون، والمعرفة، والمهارات اللازمة لإنتاج الحرف التقليدية.

كما ان التراث الثقافي المادي يعد تراثاً يجب أن تمر عليه مدة زمنية [٢]بينما التراث الثقافي غير المادي لا يحدد له مدة معينة فالمهم فيه هو أن يكون تعبيراً عن الماضي وحياً

---

(١) تم إدراج المساجد التالية (الملوية وأبو دلف) وأكثر المآذن غرابة، بالإضافة إلى أكبر القصور في العالم الإسلامي (قصر الخليفة، العاشق والمعشوق وغيرها، ينظر: ذلك عبر الرابط الآتي: http://whc.unesco.org/en/list/276 تاريخ أخر زيارة ٢٥/ ٣/ ٢٠٢١.

(٢) وقد حدد المشرع العراقي المدة الزمنية في المادة (٤/ ثامناً) من قانون الأثار والتراث رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢: بأنها: الأموال المنقولة وغير المنقولة التي يقل عمرها عن (٢٠٠) سنة ولها قيمة تاريخية أو وطنية أو قومية أو دينية أو فنية ويعلن عنها بقرار من الوزير. وبذلك يتحدد العمر الزمني للتراث بسقف أعلى إذا تجاوزه خرج من نطاق التراث إلى الآثار.

في الحاضر[١].

ثانياً: تمييز التراث الثقافي غير المادي عن المصنف الذي آل إلى الملك العام

يختلف التراث الثقافي غير المادي عن المصنف الذي آل إلى الملك العام في أن الأول مصنفات تناقلتها الأمم من جيل إلى جيل وهي مجهولة المؤلف بينما المصنف الذي آل إلى الملك العام هو مصنف معروف المؤلف ولكن انتهت المدة القانونية لحمايته، ولكن بالإمكان تحول المصنف الذي آل إلى الملك العام إلى التراث الثقافي غير المادي إذا مرت عليه سنوات طويلة بحيث ينسى اسم المؤلف وينتقل من جيل إلى جيل، وأصبح يعبر عن الهوية الثقافية للجماعة[٢].

(١) عبد القادر، فراس ياوز، المصدر السابق، ص٥٥.

(٢) البكر، عصمت عبد المجيد ومحمد، صبري، الحماية القانونية للملكية الفكرية، ص٦٠.

المطلب الثاني: طبيعة وإشكال التراث الثقافي غير المادي

ينطوي التراث الثقافي عموماً على مجمل الإبداعات الثقافيّة سواء التقليدية أو الشعبيّة الصادرة عن جماعة، والمنقولة عبر التقاليد لذا ومن أجل توضيح الأمور التي تميّز هذا النوع من التراث، فقد آثرنا أن نتحدث عن طبيعته القانونية وأشكاله من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: الطبيعة القانونية للتراث الثقافي غير المادي

اختلف الفقهاء حول طبيعة التراث الثقافي غير المادي فذهب جانب منهم إلى عده نوعاً من أنواع الحقوق الفكرية، فبالنسبة للتسجيلات الصوتية والهيئات الإذاعية وفناني الأداء تعتبر نتاجات الفولكلور والتي يمكن حمايتها بموجب قواعد حماية الحقوق الفكرية؛ لأنه إبداع فكري في مجالات العلم والفن والأدب الناتج من وحي العقل، أما الأعمال الإبداعية كالحكايات والأمثلة الشعبية والقصص تعتبر من نتاجات حقوق المؤلف؛ لذا يمكن أن يدخل هذا التراث ضمن الملكية الفكرية التي تخول صاحبها حقاً مزدوجاً معنوياً من جهة الاعتراف له بالأصالة على تلك الفكرة، ومن جهة أخرى تعطيه حقاً مالياً يتمثل باستعمال تلك الفكرة استعمالاً مشروعاً[1]، في حين ذهب جانب آخر إلى أن هذا الرأي منتقد ويرد عليه أن أشكال التعبير عن التراث الثقافي غير المادي لا يمكن أن يشمل بقانون حماية الملكية الفكرية؛ إذ إن لها طبيعة خاصة؛ لأن التراث نتاج أعمال قام بها أشخاص غير معروفين وعبر أجيال عدة، كما أنه مرتبط بالنشاط الإبداعي الذي تمارسه المجتمعات وهذا بخلاف المصنفات التي تشمل بحماية حق المؤلف؛ لأنها تعود إلى أشخاص معروفين[2]، وهذا ما نرجحه فالتراث الثقافي له طبيعته الخاصة التي تميزه؛ لذا يجب العمل على سن قانون يلبي

(١) زيدان، محمد جياد، المصدر السابق، ص٢٠٥.

(٢) كنعان، نواف، حق المؤلف النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته، ص٢٣٦.

احتياجات صون التراث الثقافي غير المادي في العراق يراعى في هذا القانون جوانب عديدة من ذاتية التراث الثقافي غير المادي وصونه والحفاظ عليه وإحيائه.

الفرع الثاني: أشكال التراث الثقافي غير المادي

نصت الفقرة الثانية من المادة الثانية من قانون انضمام العراق إلى اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي «على ضوء التعريف الوارد في الفقرة (١) أعلاه يتجلى «التراث الثقافي غير المادي» بصفة خاصة في المجالات التالية:

(أ) التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.

(ب) فنون وتقاليد أداء العروض.

(جـ) الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

(د) المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.

(هـ) المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

ونلحظ من نص المادة في أعلاه أن للتراث الثقافي غير المادي أشكالاً متنوعة تتجلّى في عدة مجالات نذكر منها على سبيل المثال:

أولاً: العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات المتوارثة والتي تنتقل شفهياً كاللغة واللهجات والقصص الشعبية والشعر والأمثال والألغاز والأحاجي.

ثانياً: فنون الأداء وتقاليد أداء العروض والآلات الموسيقية والمسرح والأزياء، كإدراج عروض مسرح الطف الحسيني[1].

(١) ينظر: إدراج مسرح الطف الحسيني عبر الرابط الآتي https://ich.unesco.org/doc/src/41507.pdf تاريخ آخر زيارة ٢٦/ ٣/ ٢٠٢١.

ثالثاً: الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات والمناسبات الدينية غير المكتوبة والتي لا تستند خاصية الجبر والإلزام من قوة الدستور أو قانون الدولة.

رابعاً: المعارف والممارسات المتعلّقة بالطبيعة والكون.

خامساً: المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية كإدراج النخلة[1] والرسم والنحت والغزل.

ويمكن أن نقول: إن التراث الثقافي غير المادي يكون على نوعين:

الأول قولي، ويشمل الحكم والأمثال والألغاز والحكايات وغيرها.

والثاني فعلي ويشمل الاحتفالات والأعياد والمناسبات الدينية كزيارات مراقد الأئمة عليهم السلام أيام استشهادهم أو في الزيارات المخصوصة كالزيارة الرجبية والشعبانية والأربعينية وما تلحق بها من قيم إنسانية تعزز الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

(١) ينظر: إدراج النخلة على لائحة التراث الثقافي غير المادي بالرقم (١٥٠٩) لعام ٢٠١٩، أحتلت النخلة مكانة مهمة ومتميزة منذ قرون طويلة لاعتبارات ثقافية واجتماعية واقتصادية ودينية، فالنخلة تعطي التَمر ذا القيمة الغذائية العالية، فضلاً عن الاستخدامات المرتبطة بسعف النخيل، مثل صنع بعض الهدايا والأثاث المنزلي، كما يتم استغلال لب جذع النخيل في استخدامات غذائية وطبية، ويتم استخراج العديد من المنتجات من التمر، مثل الدبس والمُربى والحلوى وغيرها، وتقام العديد من المهرجانات في الدول العربية والإسلامية عقب انتهاء مواسم حصاد التمور، منشور عبر الرابط الآتي: https://ich.unesco.org/en/RL/date-palm-knowledge-skills-traditions-and-practices-01509 تاريخ آخر زيارة ٢٥/ ٣/ ٢٠٢١.

المبحث الثاني: أحكام إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

إن التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء يعدّ نموذجاً حياً يتطلّب الحماية القانونية لذلك التراث، غير ان هذه الحماية لا تعد هي الغاية بل وسيلة من وسائل الصون التي بدونها يكون الصون دون جدوى، ويكون ذلك عبر الوسائل والآليات التي تتلاءم مع هذ التراث، لذلك ومن أجل بيان أحكام صون هذا التراث يتطلّب تقسيم البحث على مطلبين نخصص الأول لتوضيح آليات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء ومعوقاته، ونكرس الثاني للآثار المترتبة على إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء.

المطلب الأول: آليات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء ومعوقاته

للإبقاء على التراث الثقافي غير المادي لابد أن يكون وثيق الصلة بالمجتمع عن طريق إعادة صياغته ونقله من جيل إلى جيل، ويتم ذلك من خلال آليات تتناسب مع طبيعة هذا التراث، إلّا أنّ هذه آليات قد تعترضها بعض المعوقات وهذا ما سنبحثه في هذا المطلب عن طريق فرعين سنبين في أولهما آليات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء، ونعالج في ثانيهما معوقات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء.

الفرع الأول: آليات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

لأهمية التراث الثقافي غير المادي ينبغي صون هذا التراث وحمايته عن طريق عدة آليات ينبغي اتباعها، وهي: تحديده، وتوثيقه، وحصره؛ لضمان استدامته والمحافظ عليه، وهذا ما سنعمل على بيانه عبر النقاط الآتية:

أولاً: صون التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء:

يقصد بالصون «التدابير الرامية إلى ضمان استدامة التراث الثقافي غير المادي، بما في ذلك تحديد هذا التراث وتوثيقه وإجراء البحوث بشأنه والمحافظة عليه وحمايته

وتعزيزه وإبرازه ونقله، لا سيما عن طريق التعليم النظامي وغير النظامي وإحياء مختلف جوانب هذا التراث»[1] فالتراث الثقافي غير المادي شأنه شأن الثقافة عموماً فهو يتغير ويتطور باستمرار ويزيد ثراء مع كل جيل، والكثير من أشكال التعبير عن مظاهر هذا التراث أصبحت معرضة للخطر بسبب عدم الاهتمام ونقص الدعم، فإذا لم تتوفر لهذا التراث الرعاية المناسبة، فقد يتعرّض لخطر الضياع، ويصبح من الماضي فلكي يظل هذا التراث حياً يجب أن يكون مرتبطاً بمجتمعه المحلي؛ لأن لكل مجتمع إنساني ثقافة معينة تحدد رؤيته بما يحيط به من أطر معنوية ومادية، ومع أن لكل مجتمع ثقافة خاصة به ينفرد بها عن غيره من المجتمعات، إلّا أن هناك تشابهاً قد يحصل بين المجتمعات في بعض العناصر الثقافية.

فنجد مجتمع مدينة سامراء يزخر بكثير من أوجه التراث الثقافي غير المادي الذي لابد من صونه من خلال تثبيت هذا التراث في شكله دون تغيير ومن ثم نقله من جيل إلى جيل، فمن شأن مجتمع تلك المدينة المحافظة على هذا التراث من الاندثار الذي قد يكون غير ذي أهمية بنظر المجتمع السامرائي ذاته على الرغم من انطوائه على قيمة اجتماعية، واقتصادية فضلاً عن المحافظة على هوية المجتمع التراثية والشعور باستمراريته.

فتدابير صون التراث تتخذ بموافقة، ومشاركة المجتمع السامرائي من جهة إضافة إلى مشاركة الجهات العامة ذات العلاقة من جهة أخرى.

ثانياً: الآليات الإجرائية لصون تراث مدينة سامراء:

يقصد بتدابير صون التراث هي مجموعة من الوظائف والأنشطة الرامية إلى توفير الحماية اللازمة للتراث الثقافي غير المادي عبر وسائل ناجعة لاستمرار هذا التراث عبر ضمان تناقله من جيل إلى جيل، ولذلك لابد من وضع تدابير لصون

(١) المادة (٢) من اتفاقية التراث الثقافي غير المادي.

التراث الثقافي غير المادي لهذه المدينة المشرّفة عبر مجموعة من الآليات وهي كالآتي:

جمع التراث وتحديد هويته: لصون هذا التراث والمحافظة عليه من الاندثار والتي تعد من أخطر المهددات التي تحيط به، لابد من جمع هذا التراث وتحديد الهوية الإنسانية والتراثية لمدينة سامراء[١]، والمجال الذي ينتمي إليها هذا العنصر على أن يكون من ضمن المجالات التي أشارت إليها الفقرة الثانية من المادة الثانية من اتفاقية اليونسكو.

الانتقال (مشاركة الجماعات والمجموعات والأفراد): اشترطت المادة (١٥) من اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي على الدول إشراك الجماعات والمجموعات والأفراد عند إعداد ملف الترشيح الخاص بالعنصر التراثي ومشاركته في إعداد قوائم الحصر، أي لابد من مشاركة الأفراد والمجتمع الحامل للتراث الثقافي غير المادي في إعداد قوائم الحصر؛ لأنه هو مبدعه وهو من يسعى إلى المحافظة عليه، وتكون تلك المشاركة من خلال تقديم الجماعات أو المجموعات طلباً مسجلاً ترغب بإدراج العنصر التراثي الذي تحمله في القوائم التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية.

توثيق وترويج التراث: يكون ذلك عن طريق القيام بتسجيل هذا التراث عبر تصوير مشاهدته سواء كان بالفيديو أو الفوتوغراف أو التسجيلات ويكون عن طريق أخذه من المجتمع الممارس للعنصر التراثي وبموافقتهم الفعلية مع توثيق مقابلات مع حاملي هذا التراث، وترويجه من خلال توعية عامة الناس عليه ولا سيما على مستوى التعليم[٢].

إعداد قوائم الحصر: يكون للدولة الخيار في إعداد قوائم الحصر حيث يمكن

(١) ينظر: المادة (١١/ ب) من الاتفاقية.

(٢) ينظر: المادة (١٣/ د/ ٣) من الاتفاقية.

أن تعدها في قائمة حصره وحيدة شاملة، ويمكن أن تعدها مجموعة من القوائم الأصغر المحددة بحيث تجعل قائمة حصر لكل مدينة أو لكل مجتمع محلي على حدة تثبت التراث الثقافي غير المادي فيها أو تجمع قوائم جميع المدن أو مجتمعات الدولة في قائمة واحدة[١]، بحيث تسعى لعمل استمارة لجمع معلومات عن هذا التراث عن طريق تحديد طبيعته واسمه، ومن يفعل هذا التراث، وما هو نطاقه الجغرافي، ولماذا يفعلون هذا التراث، ووصف عام للعنصر، وذكر أسماء حاملي العنصر وممارسيه، مع تثبيت ما يشير إلى أصالة العنصر وتجدده في كل عصر وأسماء ممارسي العنصر من المجتمع، بعد ذلك يقوم جهاز وطني متخصص يعمل على تنسيق العمل بين الجهات ذات العلاقة بما في ذلك المؤسسات المعنية والباحثون والمهتمون وممثلو المجتمع المحلي بحيث تثبت مشاركتهم في إعداد ملف الترشيح، ثم يعرض الملف على الممارسين والمختصين بشان التراث الثقافي غير المادي لضمان سلامته ودقة البيانات الواردة فيه بحيث تضمن الدولة عدم تعارض هذا العنصر التراثي مع ممارسات عرفية أخرى في المجتمع[٢].

ومما تقدم يتضح لنا أنّ آليات صون التراث الثقافي غير المادي تشمل التحديد والانتقال والتوثيق والترويج والبحث والحصر وهي تدابير تميز الصون عن الحماية التي تكون للتراث الثقافي المادي.

كما أن المشرع العراقي منذ إقراره اتفاقية التراث الثقافي غير المادي بقانون رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٣م ولغاية الآن لم يصدر قانوناً تنفيذياً لتفعيل بنود الاتفاقية من أجل صون هذا التراث المعرض للاندثار والضياع وتشويه الهوية[٣]، على الرغم

(١) ينظر: المادة (١٢/ ١) من الاتفاقية.

(٢) تحديد وحصر التراث الثقافي غير المادي، منشور على موقع اليونسكو عبر الرابط الآتي: https://ich.unesco.org/doc/src/01856-AR.pdf، ص٥. تاريخ آخر زيارة ١٠/ ٣/ ٢٠٢١.

(٣) راجع القوانين التنفيذية التي تخص التشريعات العراقية المتعلقة بالملكية الفكرية وحماية التراث

من أن الدستور العراقي في المادة (٣٥) اهتم بالجانب الثقافي الذي يتفق مع تاريخ العراق الحضاري والتي تنص على أن «ترعى الدولة النشاطات والمؤسسات الثقافية بما يتناسب مع تاريخ العراق الحضاري والثقافي، وتحرص على اعتماد توجهاتٍ ثقافيةٍ عراقيةٍ أصيلة».

ويلاحظ أيضاً أن المشرع العراقي أولى أهمية كبيرة للتراث الثقافي المادي في الدستور[١] وكذلك في قانون حماية الآثار والتراث[٢]، كما صدرت تعليمات تشكيلات الهيئة العامة للآثار والتراث ومهامها رقم (١) لسنة ٢٠١٦ إشارة أيضاً إلى حماية التراث الثقافي المادي وإدراجه على لائحة التراث العالمي وأغفلت غير المادي وكان من الأجدر شمول الاثنين المادي وغير المادي[٣].

وفي ظل هذا الغياب التشريعي من أجل إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء على القائمة التمثيلية لليونسكو لابد من تكوين جهاز أو وحدة مركزية متخصصة من الممارسين والمختصين والجهات ذات العلاقة تضم ممثلاً عن العتبة العسكرية المقدسة مختصاً بالجانب التراثي، وممثلاً عن هيئة آثار سامراء وممثلاً عن جامعة سامراء مختصاً بالجانب التراثي والآثاري وخبيراً ممارساً للتراث الثقافي غير المادي ومنظمات المجتمع المدني ذات العلاقة من أجل تسهيل آليات الصون والإدراج

بكافة أشكاله والمنشور على موقع الويب وعبر الرابط الآتي https://wipolex.wipo.int/ar/legislation/members/profile/IQ.

(١) ينظر: المادة (١١٣) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ إذ نصت «تعد الآثار والمواقع الأثرية والبنى التراثية، والمخطوطات والمسكوكات من الثروات الوطنية التي هي من اختصاص السلطات الاتحادية، وتدار بالتعاون مع الأقاليم والمحافظات، وينظم ذلك بقانون».

(٢) راجع نصوص قانون الآثار والتراث رقم ٥٥ لسنة ٢٠٠١.

(٣) ينظر: المادة (١٠) والمادة (١١) من التعليمات، منشورة في الوقائع العراقية بالعدد ٤٤٢٦، بتاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠١٦، ص٢٥.

وبمشاركة أفراد المجتمع وبإشراف مشترك من ممثل العراق في اليونسكو ودائرة العلاقات الثقافية في وزارة الثقافة التي من مهامها تنفيذ بنود الاتفاقيات [١] وبالتالي اتخاذ التدابير اللازمة لضمان صون التراث الثقافي غير المادي الموجود على أراضيها وحصر ذلك التراث بقوائم، وإعداد المعلومات بشأنه من أجل إدراج تراث هذه المدينة على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية.

الفرع الثاني: معوقات إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

إن إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء قد تواجهه بعض المعوقات والتي تكمن فيما يأتي:

أولاً: التجدد في كل عصر(التحديث عند الانتقال من جيل إلى جيل): إن الكثير من العادات والتقاليد والمعتقدات المورثة من الماضي قد لا ترضي جانباً من المثقفين أو معظمهم وخصوصاً في البلدان النامية، فهم يعتقدون ان هذه الطريقة بالعمل ما هي إلا عقبات تعرقل العادات والمعتقدات الجديدة التي يقوم عليها مجتمع أفضل وبعضها يعيق نمو القيم الضرورية لتحديث المجتمع.

لكن يرد عليهم إن هذه القيم الثقافية والتقاليد الموروثة ألا تتضمن جوانب إيجابية كتحديد هوية المجتمع وبيان ملامحه الشخصية؟ كما أن من الممكن التغلّب على هذا المعوق من خلال إقناع الجهات ذات العلاقة ـ الحكومة والمنظمات والقطاع الخاص ـ بإمكانية الاستثمار في التراث الثقافي غير المادي بمدى متوسط إلى طويل؛ لأن الكثير من المؤسسات التجارية تتجاهل الاستثمار في مجال هذا التراث متغاضية بذلك عن مظاهر صون التراث على الرغم من الاستثمار في مجال هذا التراث يكون له

(١) ينظر: تعليمات تشكيلات ومهام دائرة العلاقات الثقافية العامة رقم (١) لسنة ٢٠٠٩، منشور بالوقائع العراقية بالعدد ٤١٠٨، بتاريخ ٩/ ٢/ ٢٠٠٩، ص٦.

عائد لا يستهان به[١].

ثانياً: تجميد التراث الثقافي غير المادي: إنّ وضع قواعد قانونية لأشكال التعبير عن هذا التراث قد يؤدي إلى تجميده وتهميشه لفترة زمنية معينة في حين أن التراث الثقافي غير المادي له طابع التطور باستمرار، كما أن القانون يتطلّب التوصيف الدقيق للكيانات التي يعمل على تنظيمها بواسطة القواعد القانونية الاختصاصية في حين صون هذا التراث يقتضي الثبات على الحالة فيما يمكن للعنصر المراد إدراجه أن يتغير في تركيبته مع الزمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن هذا التراث يتكون من مجموعة من إبداعات لجماعة معينة تمثل هذه الإبداعات هويتهم الثقافية أو الاجتماعية، فأفراد هذه الجماعة هم الحملة الحقيقيين لهذا النوع من التراث فهو جزء من حياتهم أو قد يشكل تعبيراً ثقافياً أو دينياً، ومن ثم فهم يضطلعون بالمسؤولية عن حمايته وبالتالي إن وضع قواعد قانونية من قبل الدولة قد لا يمثل هوية هذه الجماعة[٢].

لكن من الممكن تجاوز هذه الصعوبة من خلال وضع قانون يشمل الخطوط العامة من دون الخوض بالتفاصيل وترك التفاصيل إلى التعليمات التي تصدر من وزارة الثقافة تحدّث بمرور الوقت.

(١) النهار، عمار محمد، التراث الثقافي غير المادي وآلية فهم اتفاقية اليونسكو ٢٠٠٣ من أجل تحقيق تنمية مستدامة، ص٤١٧.

(٢) سعيد، ندى زهير، التراث الثقافي غير المادي من الوجهة القانونية، ص٥٣٩. كذلك: معلا، طلال، التراث الثقافي، ص٨.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

إن الشروع بآليات صون التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء يستلزم دراسة الآثار القانونية التي تترتب على هذا الصون من جهة، ومن جهة أخرى تسليط الضوء على الفوائد، والمكاسب المترتبة على هذا الإدراج للتراث الثقافي غير المادي، ومن أجل تحقيق مرامي هذه الدراسة سنقسم هذا المطلب إلى فرعين سنتناول في أولهما الالتزامات المترتبة على إدراج التراث غير المادي لمدينة سامراء، ونكرس ثانيهما للفوائد المكتسبة عند إدراج سامراء ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية.

الفرع الأول: الالتزامات المترتبة على إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء

يترتب على إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء عدد من الالتزامات ينبغي على الدولة القيام بها، والتي يمكن إجمالها بالآتي:

أولاً: وضع سياسة عامة تهدف إلى إبراز هذا التراث في المجتمع، ودمج صونه في برامج التخطيط[1].

ثانياً: اتخاذ التدابير القانونية والتقنية والإدارية والمالية المناسبة، فتعمل الدولة على إصدار التشريعات اللازمة لإدارة وصون هذا التراث عن طريق إصدار قانون أو تعليمات أو نظام داخلي لإدارة تلك الآثار الثقافية وبيان وسائل الصون اللازمة مع التزام الدولة بالامتناع عن القيام بأيّ عمل سواء كان متعمد أو غير متعمد يعرض هذا التراث للضرر، ومن أجل تحقيق الصون تعمل الدولة على ما يأتي:

تسهيل إنشاء وتعزيز المؤسسات التي تعمل على إدارة هذا التراث الثقافي

---

(١) ينظر: المادة (١٣/ أ) من الاتفاقية.

غير المادي مع العمل على تقديم التسهيلات اللازمة لنقل هذا التراث إلى المنتديات والأماكن المعدة لعرضه والتعبير عنه.

ضمان الانتفاع بالتراث الثقافي غير المادي مع احترام الممارسات العرفية التي تحكم الانتفاع بجوانب محددة من هذا التراث.

إنشاء مؤسسات مخصصة تعمل على توثيق هذا التراث مع تقديم التسهيلات اللازمة لذلك [١].

ثالثاً: تعيين أو انشاء جهاز أو أكثر يكون مختصاً بصون التراث الثقافي غير المادي الموجود على أراضيها [٢].

رابعاً: إجراء الدراسات العلمية والتقنية والفنية وتشجيعها مع اتباع المنهج البحثي من أجل الصون الفعال للتراث الثقافي غير المادي [٣].

خامساً: التثقيف والتوعية وتعزيز القدرات: تسعى الدولة بكافة الوسائل لضمان صون التراث الثقافي غير المادي إلى ما يأتي:

العمل من أجل ضمان الاعتراف بالتراث واحترامه والنهوض به في المجتمع عن طريق ما يأتي:

برامج الثقيف ونشر المعلومات لتوعية الجمهور وخاص الشباب.

برامج تعليمية وتدريبية محددة في إطار جماعة معينة.

أنشطة لتعزيز قدرات صون التراث ولا سيما في مجال الإدارة والبحث العلمي.

نقل المعارف بمختلف الوسائل.

---

(١) ينظر المادة (١٣/ د) من الاتفاقية.

(٢) ينظر: المادة (١٣/ ب) من الاتفاقية.

(٣) ينظر المادة (١٣/ ج) من الاتفاقية.

تثقيف الجمهور بضرورة صون التراث، وما قد يتعرض له من مخاطر الاندثار[١].

الفرع الثاني: الفوائد المكتسبة لإدراج سامراء على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية

إنّ إدراج أي عنصر من العناصر التراثية لمدينة سامراء كزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام التي تحافظ على الروابط السلمية بما تحويها من قيم سامية تحافظ على الهوية المدنية التراثية فضلاً عن عد مدينة سامراء نموذجاً للتعايش السلمي، والمصالحة بين أبناء البلد سيترتب على ذلك الإدراج فوائد عدة فضلاً عن الإيجابيات التي تعكسها الالتزامات التي ذكرناها في الفرع الأول من هذا المطلب من حيث الإدارة والصون والترويج والنشر، ويمكن أن ندرج الفوائد بالنقاط التالية:

أولاً: الدعم المالي والفني والتقني: يترتب على إدراج أي عنصر تراثي ضمن القوائم التمثيلة الحق لكل دولة طلب الحصول على المساعدات والتي تتمثل بالأشكال التالية:

إجراء دراسات بشأن مختلف جوانب صون التراث الثقافي غير المادي.

توفير الخبراء والممارسين.

تدريب العاملين اللازمين.

وضع تدابير تقنينية أو تدابير أخرى.

إنشاء وتشغيل البنى الأساسية.

توفير المعدات والدراسات الفنية.

---

(١) ينظر: المادة (١٤) من الاتفاقية.

تقديم قروض عند الاقتضاء بفوائد مخفضة، وتقديم هبات[1].

ثانياً: القيمة العالمية للتراث الثقافي غير المادي: إنّ مصطلح التراث الثقافي غير المادي كان غامضاً وموضع سخرية أحياناً، غير أنّه بعد التغطية الإعلامية التي تسلّط عند إدراج أحد العناصر التراثية سيجعله يشيع وينتشر أكثر، مما يزيد الاعتراف به وبأهميته الأساسية للمحافظة على هذا التراث وتحقيق هدفه الاجتماعي، من هنا ظهرت القيمة العالمية لهذا التراث الذي يؤدي إلى زيادة معرفة الأفراد به على مستوى العالم وبالتالي يصبح التراث لجماعة معينة معروفاً على المستوى العالمي كإرث ثقافي يعرف بهم وبهويتهم التراثية.

وهذا سينعكس بدوره على الجانب السياحي، والاقتصادي فضلاً عن الاجتماعي لتلك الجماعة (مجتمع سامراء) وبالتالي يؤدي إلى زيادة حركة السياحة بسبب إقبال أفراد جميع دول العالم لمعرفة التراث الثقافي لتلك الجماعة، ومميزاته ومن ثم تحسن مستوى معيشة سكان تلك الجماعة فضلاً عن توفير فرص عمل وفيرة.

(١) ينظر: المادة (٢١) من الاتفاقية.

الخاتمة

بخاتمة البحث خلصنا إلى النتائج والمقترحات الآتية:

أولا: النتائج

يقصد بالتراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء هو كل إبداع ثقافي غير ملموس يتخذ شكلاً فعلياً أو قولياً يعبر عن الهوية التراثية لمجتمع سامراء يتوارثونه جيلاً بعد جيل، ومحدداً بعدم تقاطعه مع حقوق الإنسان، والاحترام المتبادل بين الجماعة والتنمية المستدامة.

إن التراث الثقافي غير المادي يكون على نوعين:

الأول هو قولي، ويشمل الحكم والأمثال والألغاز والحكايات وغيرها.

والثاني هو الفعلي، ويشمل الاحتفالات والأعياد والمناسبات الدينية وما تلحق بها من قيم إنسانية تعزز الروابط الاجتماعية بين الجماعات.

يختلف التراث الثقافي غير المادي عن التراث الثقافي المادي من حيث نطاق التراث فالتراث المادي ينصب على كل ما هو مادي، وملموس ويشمل الممتلكات الثقافية العقارية والمنقولة في حين يكون التراث غير المادي تراثاً شفوياً وغير ملموس، كما أن التراث الثقافي المادي يعد تراثاً يجب أن تمر عليه مدة زمنية[1] بينما التراث الثقافي غير المادي لا يحدد له مدة معينة فالمهم فيه هو أن يكون تعبيراً عن الماضي وحياً في الحاضر، كما ويختلف التراث الثقافي غير المادي عن المصنف الذي آل إلى الملك العام في أن الأول مصنفات تناقلتها الأمم من جيل إلى جيل وهي مجهولة

(١) وقد حدد المشرع العراقي المدة الزمنية في المادة (٤/ ثامناً) من قانون الآثار والتراث رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢: بأنها: الأموال المنقولة وغير المنقولة التي يقل عمرها عن (٢٠٠) سنة ولها قيمة تاريخية أو وطنية أو قومية أو دينية أو فنية ويعلن عنها بقرار من الوزير. وبذلك يتحدد العمر الزمني للتراث بسقف أعلى إذا تجاوزه خرج من نطاق التراث إلى الآثار.

المؤلف، بينما المصنف الذي آل إلى الملك العام هو مصنف معروف المؤلف ولكن انتهت المدة القانونية لحمايته.

إن آليات صون للتراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء تشمل التحديد والانتقال والتوثيق والترويج والبحث والحصر وهي تدابير تميز الصون عن الحماية التي تكون للتراث الثقافي المادي.

يترتب إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء عدة التزامات ينبغي القيام بها، منها إعداد برامج التخطيط التي تهدف إلى إبراز هذا التراث في المجتمع، وكذلك اتخاذ التدابير القانونية والتقنية والإدارية والمالية المناسبة من أجل القيام بهذا الصون، فضلاً عن القيام بإجراء الدراسات العلمية والتقنية والفنية وتشجيعها مع اتباع المنهج البحثي، والعمل على التثقيف والتوعية وتعزيز القدرات بين أفراد المجتمع.

إن إدراج أي عنصر من العناصر التراثية لمدينة سامراء سيترتب على ذلك الإدراج فوائد، منها: الدعم المالي والفني والتقني من قبل المنظمات العالمية ومنظمات المجتمع المدني، وكذلك إبراز القيمة العالمية للتراث الثقافي غير المادي لهذه المدينة المشرفة، مما سينعكس بدوره على الجانب السياحي والاقتصادي فضلاً عن الاجتماعي لتلك الجماعة (مجتمع سامراء) وبالتالي يؤدي إلى زيادة حركة السياحة بسبب إقبال أفراد جميع دول العالم لمعرفة التراث الثقافي لتلك الجماعة ومميزاته ومن ثم تحسن مستوى معيشة سكان تلك الجماعة فضلاً عن توفير فرص عمل وفيرة.

إن من أهم مصاديق التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء هي حسن الضيافة أثناء الممارسات الاجتماعية التي تجري فيها وبالأخص عند زيارة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام والممارسات الجماعية الأخرى كالتسبيح وتلاوة القرآن الكريم، وبهذا تكون مدينة سامراء مثالاً رائعاً للتعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

ثانياً: المقترحات

١- لإدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء على القائمة التمثيلية لليونسكو نقترح تكوين جهاز أو وحدة مركزية متخصصة من الممارسين والمختصين والجهات ذات العلاقة تضم ممثلاً عن العتبة العسكرية المقدسة مختصاً بالجانب التراثي، وممثلاً عن هيئة آثار سامراء وممثلاً عن جامعة سامراء مختصاً بالجانب التراثي، والآثاري وخبيراً ممارساً للتراث الثقافي غير المادي ومنظمات المجتمع المدني ذات العلاقة من أجل تسهيل إجراءات الصون والإدراج وبمشاركة أفراد المجتمع، وبإشراف مشترك من ممثل العراق في اليونسكو ودائرة العلاقات الثقافية في وزارة الثقافة، لاتخاذ التدابير اللازمة لضمان صون التراث الثقافي غير المادي الموجود على أراضيها وحصر ذلك التراث بقوائم، وإعداد المعلومات بشأنه من أجل إدراج هذا التراث.

٢- ندعو المشرع العراقي إلى وضع تشريع وطني خاص بتنظيم الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، أو تضمينه في قانون الآثار والتراث، على أن لا تؤدي تلك الحماية إلى تجميد هذا التراث أو تهميشه؛ لأنه متجدد ويشكل جزءاً من الحياة اليومية للشعوب ويتغير بتغيرها؛ ولذلك يلزم على المشرع مشاركة المجتمعات الأصلية عند وضع هذا التشريع؛ لأنها هي المالك الحقيقي لهذا التراث، مراعياً بذلك ما أفرزه التقدم العلمي والتكنلوجي والطرق الحديثة والتعبير عن هذا التراث بمختلف أنواعه.

٣- إعطاء دور فعال للمؤسسات الأكاديمية، وأساتذة الجامعات في حماية هذا التراث عن طريق الإسهام في عملية التوثيق، والترويج والتوعية.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب القانونية.

١. البكر، عصمت عبد المجيد، صبري محمد، الحماية القانونية للملكية الفكرية، ط٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٠.

٢. بجاوي، محمد صالح، التراث الشفهي الجزائري، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

٣. كارستن نيبور، رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، ترجمة سعاد هادي العمري وآخرين، الوراق، بيروت، ٢٠١٢.

٤. نواف، كنعان، حق المؤلف النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط٣، ٢٠٠٠.

ثانياً: الرسائل والبحوث

١. أكرم، محمود حسين، صديق محمد عبد الله، النظام القانوني للفكرة الأثرية، بحث منشور في المجلة الخاصة بالمؤتمر العلمي الرابع الخاص بالحماية القانونية للآثار والتراث الحضاري العراق إنموذجاً، كلية الحقوق، جامعة الموصل، ٢٠١١.

٢. خلف، حسام عبد الأمير، تحولات الحماية للتراث الثقافي في القانون الدولي من المادية إلى اللامادية: تطور مفاهيم، مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية، مجلد٩، العدد الثاني، ٢٠١٩.

٣. غالب، شيماء، انضمام العراق إلى اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد ١٨، العدد ٦٣.

٤. معلا، طلال، التراث الثقافي غير المادي تراث الشعوب الحية، مجلة أوراق دمشق، العدد الرابع، ٢٠١٧.

٥. الموسوي، عماد جاسم، سامراء في كتابات الرحالة العرب والأجانب، مجلة تراث سامراء، العدد ١، ٢٠٢٠.

٦. النهار، عمار محمد، التراث الثقافي غير المادي وآلية فهم اتفاقية اليونسكو ٢٠٠٣ م أجل تحقيق تنمية مستدامة، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق، السنة ٣٦، العدد ١٣٧، ٢٠١٨.

٧. اوجي، فراس ياوز عبد القادر، الحماية الجنائية للآثار، رسالة ماجستير، كلية القانون جامعة بغداد، ١٩٩٨.

٨. زيدان، محمد جياد، الحماية الجنائية الموضوعية للتراث الثقافي غير المادي، (بحث منشور) في مجلة العلوم القانونية، كلية القانون جامعة بغداد، العدد الثاني، ٢٠١٨.

٩. سعيد، ندى زهير، التراث الثقافي غير المادي من الوجهة القانونية، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، أبحاث المؤتمر الدولي السنوي الخامس، العدد ٣، ٢٠١٨، ج٥.

ثالثاً: القوانين والتعليمات:

١. قانون الآثار والتراث العراقي رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢.

٢. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٣. قانون انضمام جمهورية العراق إلى اتفاقية اليونسكو في شأن حماية التراث الثقافي غير المادي رقم ١٢ لسنة ٢٠٠٨.

٤. تعليمات تشكيلات ومهام دائرة العلاقات الثقافية العامة رقم (١) لسنة ٢٠٠٩، منشور بالوقائع العراقية، العدد ٤١٠٨، بتاريخ ٩/ ٢/ ٢٠٠٩.

٥. تعليمات تشكيلات الهيئة العامة للآثار والتراث ومهامها رقم (١) لسنة

٢٠١٦، منشورة في الوقائع العراقية، العدد ٤٤٢٦، بتاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠١٦.

رابعاً: المواقع الالكترونية

1.https://ich.unesco.org/doc/src/01851-AR.pdf

تاريخ آخر زيارة ١١/ ٣/ ٢٠٢١

2.https://ich.unesco.org/ar/RL/-00660

تاريخ آخر زيارة ٨/ ٣/ ٢٠٢١

3.https://ich.unesco.org/doc/src/01856-AR.pdf

تاريخ آخر زيارة ١٠/ ٣/ ٢٠٢١

4.https://wipolex.wipo.int/ar/legislation/members/profile/IQ

تاريخ آخر زيارة ١١/ ٣/ ٢٠٢١

البحث العاشر

الإمام الحسن العسكري عليه السلام مُعَلِّمَاً

دراسة تحليلية في سمات التفوق التربوي

أ.د. رياض كاظم عزوز
جامعة بابل
كلية التربية الأساسية

م. نجلاء ناصر حسين
جامعة بابل
كلية طب الاسنان

الملخص:

الحمد لله رب العالمين وأكمل الصلاة وأتم التسليم على أشرف خلائقه، وخاتم رسله، وأنبيائه، محمد الأمين على وحيه ورسالته، وعلى آله الذين هم موضع سره وعيبة علمه، ومؤئل حكمته صلاة طيبة لا نهاية لأمدها لا يحصيها العادون ولا يدركها المدركون.

وبعد...

قدم لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام منظومته التربوية بكل ألق حيث تنساب منها الكلمات بودق، جمال وإبداع من بالقول تفنن وصدق، فأعطى معاني للحرية والسلام ورقاب قد عتق، نجد أنفسنا أمام غزارة علم ينجنا فيه الباري من الغرق، نسير بخطاه قد سكن في قلوب متعلميه التي أسرت بمعلمها فكم من قلب قد علق.

حين تكون مع الشخصية العسكرية عليه السلام لابد من صلاة شكر، فأنت أمام معجم فكر وقاموس تربية ونداء حرية وصرخة تحرر وإرادة حياة وموجهات إنسانية للفوز بجنان عرضها السماوات والأرض.

وامتلك الإمام العسكري عليه السلام أرفع خصائص الموهبة والنبوغ وأسمى تكوينات العبقرية التي أظهرها بإبداع يقف العقل حائراً أمامها ولا يعدو ساحل بحرها، بل لا تدركها العقول مهما تبحرت ولا الوجدانيات مهما تفننت.

حاول الإمام عليه السلام أن ينقل للمتعلمين أنه في داخل كل واحد منهم كنزاً من القدرات والمواهب التي وصفها الله عزَّ وجلَّ حين قال لنا في محكم كتابه الكريم:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[1]

إن موضوع الإمام الحسن العسكري عليه السلام معلم لم تتصد له دراسات تتناسب مع أهميته ولم يخضع للتحليل والاستنتاج والاستنباط بما يحيط بأغلب جوانبه وقد يعزى السبب في ذلك إلى قلة المواقف التي نقلها التاريخ لنا عن الإمام العسكري عليه السلام مما يلزمنا بوصفنا باحثين باعتماد المنهج التحليلي لاستقراء الدرر التربوية للإمام عليه السلام واستكشافها والإفادة منها رغم أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام يمثل لنا قمة عليا على مدار عجلة التحضر البشري والتفوق التربوي.

عندما نشرع بالكتابة في مثل هذا النوع من البحوث تكون البداية عادةً بسطور محددة ثم نتساءل مع أنفسنا هل سنتمكن من إكماله أمام تركيز مواضيعنا على بعد واحد ألا وهو التربوي من جانب وقلة المراجع من جانب آخر وما أن تقرأ أقوال الإمام عليه السلام وحكمه ورسائله حتى تنفتح أمامنا بحارٌ من الأفكار فنغوص في أعماقها عائدين منها بالدرر والمرجان، وعندها نيقن أنه توفيق رباني وتسديد إلهي يحتاج إلى الشكر ليلاً ونهاراً.

يضع لنا الإمام عليه السلام نظاماً للحياة المنظمة على وفق أسس علمية مدروسة يمكن ان يفاد منه في تكوين مقاييس تربوية لشتى المجالات التربوية والنفسية.

وقد شمل البحث المباحث الآتية:

الأول: الإمام الحسن العسكري عليه السلام معلماً.

الثاني: دراسة تحليلية في سمات التفوق التربوي لدى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

الثالث: مقياس سمات التفوق التربوي لدى المعلم في ضوء رؤية الإمام الحسن

(١) سورة الذاريات، الآية٢١.

العسكري التطبيقية.

فكانت رحلة وما أجملها من رحلة ألق، خرجنا منها بنعم حيث الباري علينا قد أغدق، وقد أصبحنا بعدها في ودق، وبالفعل من قال: ستخرج بلآلئ وجواهر وكنوز قد صدق.

وأخيراً نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا ما فيه خير الدنيا والآخرة وأن يجعل هذا العمل ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

المبحث الأول: الإمام الحسن العسكري (معلماً)

الكتابة عن فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام بحر واسع عظيم الآفاق تغوص فيه لتخرج منه بلالئ، ودرر تسر النظر، وتبهج الروح، وتبقى الروح المؤمنة متعلّقة بهذا المشهد الجميل تشد الرحال إليه متى اشتقت لذلك، بل هي في حالة اشتياق تام لهذا المشهد الرباني الخالد فهو دستور للحياة ومخطط للوجود وسرٌ للتميز.

تفوق الإمام العسكري عليه السلام كما كان أهل بيته عليهم السلام وقدم لنا إنموذجاً عصرياً لمعلم فذ خبر متطلّبات مدرسته، وآليات نجاحها، وعمل عليها بتخطيط، وإتقان لتحقيق مفهوم الجودة والإتقان التربوي، لم تزده الصعاب إلا إصراراً ولم تصنع منه العقبات إلا قائداً ولم تزده التجارب رغم مرارتها إلا عزيمةً على أداء رسالته التربوية بجودة وإتقان، يصف محمد الشاكري وهو أحد تلامذة الإمام عليه السلام معلمه، قائلاً: (كان أُستاذي صالحاً من العلويين، لم أرَ قطّ مثله... فإذا جاء أستاذي سكنت الضجّة.. ثم يدخل فيجلس في مرتبة التي جُعلت له... ما رأيت قط أسدى منه)[1].

يمتلك الإمام عليه السلام رؤى متكاملة لبناء الإنسان وتكوين شخصيته وتفجير طاقته واستخراج مكنون ابداعاته جاعلاً العقل أساساً لانطلاق هذه المكونات **(حُسن الصورة: جمالُ ظاهر، وحُسن العقل جمالّ باطن)**[2] مما يسهل علينا إيجاد حقائق علمية، والبرهنة عليها، واتساع عملية التقدم المعرفي في المجالات كافة وبالنتيجة لينطلق به خطوات واسعة في سلم الحضارة والمجد.

إن قراءة متأنية في مدرسة الإمام الحسن العسكري عليه السلام نجد أنها ليست مدرسة ذات جدران بل هي مدرسة في الحياة غايتها بناء الإنسان فهو في البيت نموذجاً وقدوة وفي المسجد واعظاً وهادياً وفي الطريق مرشداً ومفسراً وفي السجن ناصحاً وموجهاً

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة وأعلام الدين، ص٣١٤.

(٢) القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ص٢٧٦.

إنه معلم لكل زمان ومكان؛ لذا خلدت نصائحه وحفرت ذكرها في وجدان المتعلمين قبل الأذهان.

في عمر سنتان وعند تهجيره مع والده الإمام علي الهادي عليه السلام من المدينة المنورة إلى سامراء ابتدأت رحلة الصعاب، وأكاد أجزم أنه قد قدر حجم المسؤولية، واستعد لها منذ هذه السنة التي جعلته يعيش حاملاً لرسالته التربوية على الرغم من صغر سنه الذي كبر بالتجارب وخبر بالصعاب.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام مشعل نور ومشكاة هداية وموسوعة تربية وتعليم رائدة عملية لم تثنيه الصعاب رغم شدتها بل زادته قوة وإصراراً على أداء الدور وتبليغ الرسالة التربوية التعليمية الخالدة بخلود معلمها وإصراره وعزيمته (كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالرغم من الضغط والكبت والاضطهاد الذي كان يعانيه، وعلى الرغم من الرقابة المشددة على بيته وعلى حركاته وسكناته وعلى من يدخل ويخرج، وعلى مّن له صلة بالإمام، بالرغم من هذه الأمور كلها، كان ينتهز الفرص ليؤدي بعض ما يلزم في حدود القدرة والإمكان، فتارة كان يجيب السائل على سؤاله شفوياً، وتارة كان يجيب على الرسائل الموجّهة إليه من شيعته أو غيرهم، وتارة كان يكتب الرسائل حول القضايا الشرعية والأمور العقائدية وغيرها، وأن هذه الكلمات أحسن تعاليم للحياة الدنيوية والدينية والأخروية، وكلها حكّم ومواعظ ونصائح تعالج جميع مشاكل الحياة الفردية والاجتماعية)[1].

بين جدران محرابه وروحانية عباداته ينطق ذلك الرجل العظيم بالحكمة والمنطق تجده يمد طلبته بالفكر الزاخر والإبداع النادر وتجدهم تواقين متلهفين للقاء معلمهم (مارس الإمام عليه السلام دور التربية والتوجيه والإعداد لخاصة أصحابه وقاعدته المؤمنة بمرجعتيه الفكرية والروحية لتحصينهم من الانحراف العقائدي

(١) الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، ص٢٤.

والفكري وتسليحهم بالفقه والمعرفة.. وكان من نتائج ذلك الإشراف والتواصل بين الإمام عليه السلام، وقاعدته أن اكتملت في عصره عليه السلام معالم مدرسة الفقهاء الرواة الذين كانوا يعيشون في أوساط الناس، وينقلون إليهم الأحكام والسنن والعقائد، واستوفت تلك المدرسة كل متطلبات المدرسة العلمية من حيث المنهج والمصدر والمادة.

لم يعتمد الإمام عليه السلام فلسفة مثالية صعبة التطبيق، ولا طبيعية تعتمد البيئة فحسب في تكوين الفرد ولا براغماتية عقلية لا تراعي دواخل الإنسان وخلجاته، فلسفته عليه السلام فلسفة محورها الإنسان، فلا يتغلب العقل على الوجدان ولا الطبيعة على الإنسان، فلسفة الذوبان في الذات الإلهية.

فلسفة الإمام العسكري عليه السلام فلسفة المعلم المتكامل الذي يمتلك قوة جاذبة تتعلّق فيها أنفس المتعلمين منجذبين إليها محققاً لمفهوم المعلم الجاذب والمتعلمين المنجذبين فهي علاقة مترابطة متماسكة متبادلة مترادفة.

أي مستوى من الرقي أراد الإمام عليه السلام أن يصل متعلموه إليه (... **كونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً**)[1].

لا يخفى على كل ذي لب أن كل كلمة لأئمة أهل البيت عليهم السلام هي إشعاع نور لطريق حاول الأعداء أن يقفلوا منافذه، وهي إشراقة أمل لغد أفضل يتصدى لاتجاهات أرادها الأعداء لإبعاد الجيل الناشئ عن قيمه، ومبادئه بل وأصوله، فنحن اليوم بمسيس الحاجة إلى درس فلسفي معاصر يعيد توازننا من خلال تسهيل عملية إيجاد حقائق علمية وثوابت معرفية والبرهنة عليها؛ ولذلك فالوقوف على مواقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام يمدنا بمعين لا ينضب من الموجهات المثالية لسلوكنا الإنساني الحقيقي في زمان قد حاول البعض قلب موازينه، والعبث ببنيته بل وتدمير هويته.

ولا نبالغ إذا قلنا إن حادثة الإمام عليه السلام مع البهلول لوحدها لهي كفيلة بكتابة

(١) الحرّاني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٣٦٢.

العشرات من الرسائل والأطاريح، فهي حادثة قيمية احتوت قيم العبادة والإخلاص والثبات، وهي حادثة توعوية احتوت مضامين خشية الباري، والابتعاد عن معاصيه، وهي حادثة تربوية احتوت أبعاد الإعداد الفكري للفتى في بداية حياته والإصرار على المبدأ، وهي حادثة نفسية احتوت أهداف علم النفس من حيث قوة الذات الإنسانية واستعدادها، فكم يحتاج منا كل مضمون من هذه المضامين من وقفة وتأمل ودراسة واستقصاء واستقراء.

ألا يجدر بنا أنْ نسأل أنفسنا أي قوة عملاقة حملها هذا الفتى تبصرنا بطرائق عيشنا ومفاتيح سعادتنا وموجهات سلوكنا حرمنا منها ينبغي العودة إليها والنهل منها؟

حاول الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يقدم لنا أصولاً للدرس التربوي والتعليمي مهتماً بدقائق الأمور (**من التواضع السلامُ على كُلّ من تمّر به، والجلوس دون شرف المجلس**)[1].

يقدم لنا الإمام عليه السلام دستوراً للعيش وأساساً للوجود بل يرسم لنا أسس السعادة في الوجود المبني على أساس الهدف وبذل أقصى الجهود لتحقيقه فمتى أدركت عظم هذا الهدف وسعيت من أجله (ما للعب خلقنا) واستطعت تحقيقه عندها ستكون مائز في مضمار سباقك بحيث تحصد الجنان (**إني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم**)[2].

ألسنا بحاجة إلى تطبيق فكر تربوي حكيم يزيل الغبار عن رؤى رائدة يصحح بها مسار أفكار حاول الغزو الثقافي، والفكري فرضها، فالقوة التي قدمها الإمام عليه السلام تمثل قوة عظمى تستطيع أن تقف في وجه هذا الغزو، وتقلعه من جذوره، صحيح أنه

(١) الحرّاني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧.

(٢) التستري، نور الله الحسيني المرعشي، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ج ١٢، ص ٤٧٣.

يتوغل في دواخل الإنسان ويعرف مواطن الضعف إلا أن الإمام عليه السلام يقدم أطروحة شاملة لكيفية تحدي هذه المواطن، والتغلّب عليها.

الفصل الثاني: دراسة تحليلية في سمات التفوق التربوي لدى الإمام العسكري عليه السلام

قدم الإمام عليه السلام دروسه التعليمية في مدرسته التربوية على وفق عمليات ثلاثة أسس عرفتها مؤسستنا التعليمية بعد مئات السنين وهي (التخطيط، التنفيذ، التقويم)، وسنعمل على تقديم توضيح تحليلي استقرائي لهذه العمليات وتوظيفها في فكره عليه السلام، وعلى النحو الآتي:

١ - التخطيط.

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام مصمماً حاذقاً ومخططاً ماهراً ومهندساً بارعاً لرؤيته الفكرية التي هي امتداد لرؤية جده الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله الذي ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾[١]

لقد هندس عليه السلام منهجه التربوي الذي علّمنا من خلاله أن رأس الحكمة وأساس الطريق العلمي القويم هو مخافة الله وجسد هذا القول قولاً وفعلاً منذ نعومة اظافره (**إني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم**)[٢]

ووضع الإمام عليه السلام أسساً هندسية للمواقف التعليمية وبرمجتها تتناغم مع قدرات المتعلمين، وإمكاناتهم حتى يكون التنفيذ لها حقيقياً واقعياً.

فعل الإمام عليه السلام قانون الاقتصاد التربوي بكل دقة، وحنكة، وعمل على تضمينه ووضعه أساس، ومنطلق للتصميم التربوي الفعال (**إن للسخاء مقدراً فإن زاد عليه فقد سرف وللحزم مقدراً فإن زاد عليه فهو حسُنّ، للاقتصاد مقدراً فإذا زاد عليه فهو تهوّر**)[٣].

---

(١) سورة النجم، الآية ٣.

(٢) التستري، نور الله الحسيني المرعشي، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مصدر السابق، ص٤٧٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥،

كان الإمام عليه السلام يؤمن بالهدفية إيماناً عميقاً ويضعها في أولويات البرمجة للمواقف التعليمية المختلفة (**ما للعب خلقنا**)[١].

هذه الأهداف التي وضعتها مؤسستنا التربوية في أولويات خططها الموضوعة كونها تساعد على تنسيق وتنظيم وتوجيه الغايات الكبرى، ولبناء الإنسان المتكامل عقلياً ووجدانياً ومهارياً، ذلك أن تحديد الأهداف التربوية ضرورياً لكل ضروب السلوك الواعي كونه يراد منها توجيه الجيل وبناء صرح المجتمع وتعيين أسلوب السلوك في حياة الفرد والجماعة حتى يجتاز البشر هذه الحياة بسعادة، ونظم وتعاون وانسجام وتفاؤل ورغبة وإقدام ووعي وتدبر وإحكام.

التطبيق

قدم لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام فلسفة عصرية لبناء الإنسان من خلال تقديمه للدرس النموذجي المتكامل، لاحظ طرحه أثناء الطلب من المتعلمين سماع آراءهم داعماً لمنطلقاتهم (**نفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة**)[٢] جاعلاً من التسامح أساساً للمحاورة الفكرية والعلاقة البناءة (**خير إخوانك ما نسى ذنبك إليه**)[٣]، ذلك أن التطبيق يمثل عصب العملية التربوية، والمجال الحيوي للنظرية التربوية التي يقدمها المعلم.

تظهر لنا هذه الأمثلة أن الإمام عليه السلام قد جسد عملية التدريس فناً وعلماً، فمن الناحية الفنية تعتمد على شخصية المعلم، وأسلوبه في التعامل مع المتعلمين وهي علم بذاته بقوانينه، وإجراءاته.

ص٣٧٧.

(١) التستري، نور الله الحسيني المرعشي، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مصدر السابق، ص٤٧٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣١٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٧٩.

كان عليه السلام يؤمن بحقيقة تربوية توصلت إليها الدراسات الحديثة بعد تجارب عدة وهي ينبغي على المعلم أن ينوع في طرائق التدريس ذلك أنه لا توجد طريقة واحدة مثلى تناسب المواقف التعليمية جميعها[١]، ويعمل على تطبيقها (فتارة كان يجيب السائل على سؤاله شفوياً، وتارة كان يجيب على الرسائل الموجّهة إليه، وتارة كان يكتب بعض الرسائل حول القضايا الشرعية وغيرها)، وأن هذه الموضوعات وتقديمها بهذه الطرائق المتنوعة (أحسن تعاليم للحياة الدنيوية والدينية والأُخروية، وكلها حكم ومواعظ ونصائح تعالج جميع مشاكل الحياة الفردية والاجتماعية)[٢].

قدم الإمام عليه السلام طريقة المحاضرة بأسلوب بلاغي جميل، لاحظ معي (**قد صعدنا ذرى الحق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية** فنحن **ليوث الوغى، وغيوث النّدى، وطعّان العدى، وفينا السيف، والقلم في العاجل، ولواء الحمد والحوض في الآجل، وأسباطنا حلفاء الدين، وخلفاء النبيين، ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم**)[٣].

ولا عجب فهو القائل: (**إن لكلام الله فضلاً على الكلام كفضل الله على خلقه، ولكَلامِنا فضل على كلام الناس كفضلنا عليهم**)[٤].

يقدم لنا الإمام عليه السلام أسلوباً بارعاً لفن الاستجواب قائماً على محاكاة الفكرة التي تدور في ذهن المتلقي بسؤال مقابل لسؤاله، والعمل على استخلاص الحقائق ودحض الأفكار السلبية بل يصف في نهاية الموقف التعليمي إن ما يتم التوصل إليه

---

(١) الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٦٥.

(٤) أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٢)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ط٢، دار الأضواء للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ص٤٢١.

ينبغي تعزيزه ببرهان عقلي.

سئل الإمام عليه السلام من أحدُ تلامذته: أخبرني يا مولاي عن العلّة التي تمنع القول عن اختيار إمام لأنفسهم.

فقال: مُصلح أو مفسد؟

فقلت: مُصلح.

قال: فهل يجوز أن تقع خبرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد بما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى

قال: فهي العلة: أوردها ببُرهان يثق به عقلك[1].

لاحظ معي كيف طبق الإمام أسلوب تفكير المتعلم مع نفسه الذي يفسح المجال أمامه واسعاً للربط بين أفكاره، وهو اتجاه حديث أكدت عليه الفلسفات التربوية المعاصرة بعد تجارب عدة، ومن ثم طرح عليه الإجابة الصحيحة التي أزالت الغموض وحررت الأفكار كونها حجة بالغة ودليلاً منطقياً.

وظف الإمام عليه السلام التفكير بأنواعه المختلفة ومنه التفكير التأملي الذي يعد من أكثر الأنواع أهمية بمهاراته المختلفة (وجود موقف، استيضاح المشكلة، تكوين الفروض واختبارها، العمل على بناء الفروض تعزيزاً) لاحظ معي المثال الآتي .

الرغبة في دخول الجنة (وجود موقف)، عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعتُ أبا محمد يقول: **(إن في الجنّة لَباباً يقال له: (المعروف) لا يدخله إلاّ أهل المعروف)**.

(١) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين واتمام النعمة، ص٤٥٤، باب ٤٣، حديث ٢١.

(استيضاح المشكلة)

حمدت الله ـ في نفسي ـ وفرحت بما أتكلفّه من حوائج الناس (تكوين الفروض واختبارها).

فنظر إليَّ أبا محمد وقال: (**نعم، قدم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا – هم أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم ـ يا أبا هاشم ـ ورحمك**)[١] (العمل على بناء الفروض تعزيزاً).

إن التفكير التأملي تفكير موجه؛ إذ يوجه العمليات العقلية إلى أهداف محددة لأن مجموعة معينة من الظروف تتطلب مجموعة معينة من الاستنتاجات التي تهدف إلى الوصول إلى هدف، فهو يرتبط بوجود مشكلة، وضرورة توافر حل لها عبر وسائل الاستقراء والاستكشاف معاً، ولا خلاف أن العقل يصبح نشطاً إذا ما واجه الفرد موقف مشكل، إذ تتشكل لديه رغبة جديدة في تحقيق هدف محدد[٢].

ويمكن القول إن الإمام عليه السلام قد وضع الأسس الأولى لنظرية معالجة المعلومات؛ إذ كان يعمل على توجيه أذهان أصحابه بطريقة عصرية طالباً منهم أنْ تختفي المعلومات غير المقبولة بمجرد وصولها إلى الذاكرة قصيرة المدى وأن تستقر المعلومات المقبولة في الذاكرة بعيدة المدى (**جرو إلينا كلَّ مودة، وادفعوا عنّا كل قبيح**)[٣].

تعنى نظرية معالجة المعلومات التي ظهرت في عصرنا الحاضر في بحث وتوضيح الخطوات التي يسلكها الأفراد في جمع المعلومات، وتنظيمها، وتذكرها وهي تقدم افتراضين مهمين في التعلم أولهما: إن التعلم عملية نشطة؛ ولذلك يجب أن

(١) الريشهري، محمد، الخير والبركة في الكتاب والسنة، ص١٧٢.

(٢) العفون، نادية حسين، الاتجاهات الحديثة في التدريس وتنمية التفكير، ص١٢٨.

(٣) الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٣٦١.

نقوم نحن بالبحث عنها واستخلاص ما نراه مناسباً.

منها (**جرو إلينا كلَّ مودة**)[١]، وثانيهما: إن المعرفة السابقة تؤثر على التعلم وتسهل من أمره.

و(لا شك أنّ المعلومات السابقة لدى متعلمي الإمام عليه السلام هي من تجعلهم يميزوا بين المودة والقبيح)؛ إذ إنّ نظرية معالجة المعلومات التي ظهرت في عصرنا الحديث تهتم بأنماط التفكير البشري وتفترض أنها تتم على غرار الحاسوب الحديث ولذلك فإنها تركز اهتمامها على المدخلات وطرائق الاختزان وطرائق الاسترجاع)[٢]، وهذا ما أكده الإمام بوضوح في قوله السابق للمتعلمين.

كان الإمام عازماً على تطبيق مبدأ الدافعية، وجعله في مقدمة أولويات عمله يقول عليه السلام: (**اذا نشطت القلوب فأودعُوها وإذا نفرت فودَّعوها**)[٣].

أكدت معظم نتائج الدراسات التربوية، والنفسية أهمية إثارة الدافعية للتعلم لدى المتعلمين باعتبارها تمثل الميل إلى بذل الجهد لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة في الموقف التعليمي.

وعلى أن يكون التعزيز متناسباً مع حجم العمل المنجز أو النشاط (**من مَدَح غير المستحقّ فقد قَامَ مقام المتَّهَم**)[٤].

استعمل الإمام عليه السلام الأمثلة المحسوسة بتشبيه دقيق ووصف عميق يقول عليه السلام: (**بسم الله الرحمن الرحيم، أقربُ إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها**)[٥].

(١) الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، مصدر السابق، ص ٣٦١.

(٢) قطامي، عبد الرحمن عدس ونايفة، مبادئ علم النفس، ص ٢٨.

(٣) الحلواني، الحسين بن محمد بن حسن بن نصر، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص ١٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٥) كشف الغمة، مصدر السابق، ج٢، ص٤٢٠.

كان الإمام عليه السلام يتعامل مع المواقف التعليمية التي تظهر أثناء الدرس فجأة دون أن تكون في الخطط الموضوعة للدرس بحكمة وسرعة بديهية وتخطيط فوري ومن ثم تنفيذ بشكل مبدئي على وفق القواعد والأسس بل توجيهها باتجاه الفائدة العلمية للمتعلمين، ولنأخذ المثال الآتي (كان المراؤون كالثوري وعباد البصري وغيرهم من المتزهدين المتصنعين الذين كانوا يلبسون الثياب الخشنة في الظاهر والثياب الناعمة تحتها لخداع العامة ونتيجة خداع هؤلاء المرائين تخيل بعض الغفلة والجهلة بأن الإسلام الصحيح هو ما يعرضه الثوري وأمثاله ولذلك أخذ ينتقد الأئمة وخصوصاً الإمام العسكري، وإن لم يظهره وكان يخفيه في النفس فقط ويقول: كيف يجوز للإمام أن يلبس الثياب الناعمة، ويترك طريقة هؤلاء المتزهدين؟ تخيل هذا المعنى كامل بن إبراهيم حينما دخل على الإمام العسكري فاضطر الإمام عليه السلام ان يدفع الشبهة التي حصلت في ذهن كامل وأمثاله مما رآه من هؤلاء المتزهدين، وما رآه من الإمام عليه السلام، ولذلك نرى الإمام عليه السلام يكشف عما كان مستوراً من كل أحد، ويري كامل ذلك الثوب الخشن الذي كان قد لبسه تحت ثيابه كي ينتبه بأن أمثال الثوري ليسوا على الطريقة المستقيمة بل هدفهم إغواء الناس فقط)[1].

لاحظ معي التطبيق العملي المفاجئ الذي طبقه الإمام عليه السلام في هذا الدرس مع متعلميه لإقناع أحدهم الذي ذهب تفكيره في اتجاه آخر مطبقاً أسلوب التعلم الجماعي ومدى تأثر متعلّميه بمعلمهم واقتداهم به، فهو يكشف لنا على أن المتعلّم أمام معلّمه أشبه ما يكون بلوحة فنية رسمها، وشكلها هذا المعلّم بشكل يدعو إلى الإعجاب والتقدير.

ويظهر لنا هذا الموقف مراقبة المعلم للمتعلمين أثناء الدرس، وضبط سلوكهم، وتوجيههم بما يحقق أهداف الدرس وغاياته.

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج٣، ص ٣٤٧.

تخيل معي أن الإمام عليه السلام يجسد هذا المعنى قبل ألف وأربعمئة سنة هذا المبدأ الذي أكدته النظريات الحديثة، والمعاصرة بمعنى آخر (حيوية المعلم، فهو تربوي وقاضٍ وصديق فينبغي عليه).

وملاحظة المتعلمين ومراقبتهم طوال الدرس، وإشعارهم بذلك، فالمراقبة الفاعلة والمستمرة لسلوك المتعلمين، وأنشطتهم من أفضل الوسائل للمحافظة على الانضباط.

إن الإمام العسكري عليه السلام أراد أن يوصل لمعلمي الأجيال رسالة مفادها أنّ المعلم الماهر، والحاذق هو الذي يستمد طاقاته، وفعالياته من تلامذته؛ لذلك نجد في أغلب الأمثلة السابقة التي قدمت في هذا البحث أنه كان يجيب عن السؤال بسؤال يجيب عنه التلميذ ويربطه مع أفكاره، ويجعله مفتاحاً للتعاون مع التلميذ لغرض التوصل للإجابة.

إضافة إلى ذلك فإنه يحقق هدفاً ثانياً من خلال ذلك وهو الربط بين الخبرات السابقة والحالية وهو ما تجسد بوقتنا الحاضر بمفهوم النظرية المعرفية التي ترى أن المعلومات الجديدة تكون ذات معنى بمقدار ارتباطها الحقيقي، وغير العشوائي بالمعلومات السابقة المتكونة في البنية المعرفية للمتعلم. واستعمل الإمام عليه السلام مهارة الغلق التعليمية في إنهاء دروسه (**احفظوا ما وصَّيتكم به، واستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام**)[1].

التقويم

للتقويم الذاتي لدى المتعلمين أهمية كبيرة في فكر الإمام المعلم الحسن العسكري عليه السلام فلكي تصبح إنساناً متفوقاً في اتصالك مع نفسك عليك أولاً أن تبدأ بالسيطرة على مهارات التواصل الداخلي، التجول، والبحث في الداخل ذلك

(١) الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، مصدر السابق، ص ٣٦٢.

ان القدرة على إدارة نفسك وصنع تميزها عن طريق حوارات بناءةً مع الذات تصل بالإنسان إلى السعادة المنشودة لهي البداية، والمنطلق لتحقيق التفوق المنشود حقيقة آمن بها الإمام عليه السلام وعمل على تطبيقها ذلك أن علماء النفس المعاصرون يقولون: (إن أعلى درجات فن الاستماع هو الاستماع للنفس).

وكان الإمام عليه السلام يطرح موضوعاً ويجد أن تلامذته قد فكروا فيه وقارنوه ذاتياً مع معاييرهم التقويمية فيتداخل معهم ليصل من خلال ذلك إلى نتيجة تقويمية أساسها الحوار مع الذات للتوصل إلى البرهان العقلي، إذ نجد ذلك واضحاً في عدد من الأمثلة نذكر منها المثال الآتي:

عن أبي هاشم ـ داود بن القاسم ـ الجعفري قال: سألت أبا محمد عن قول الله (عزّ وجلّ) ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ**﴾[1]، قال الإمام: **كُلُّهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذي لا يُقرُّ بالإمام**، فدمعت عيني، وجعلت أُفكِّر في نفسي في عظَم ما أعطى الله آل محمد (على محمد وآله السلام) فنظر إليَّ أبو محمد فقال: **الأمر أعظم مما حدَّثتك نفسك من عظيم شأن آل محمد فاحمد الله، فقد جُعلت مُستمسِّكاً بِحَبلهم، تُدعى يوم القيامة بهم، إذا دُعيَ كل أُناس بإمامهم، فابشر يا أبا هاشم فإنك على خير**[2].

وينبغي التأكيد هنا على أن التقويم الذاتي عملية توفر التربية المستديمة والتعلم الذاتي، وهما متطلبان لازمان لضمان سير التربية طول العمر في اتجاهها الصحيح[3].

وضع الإمام عليه السلام معايير علمية لتقويم المتعلمين (**كونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، وقربوا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح**)، وفي ضوئها يتم الحكم على الفرد أنه قد

---

(١) سورة فاطر، الآية ٣٢.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، مصدر السابق، ج٢، ص ٤١٩

(٣) دعمس، مصطفى نمر، إعداد وتأهيل المعلم.

اجتاز الاختبار.

يؤكد لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام على أهمية التقويم السري، ودوره في توجيه الإنسان وتعديل سلوكه، إذ يقول عليه السلام: (**من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه**)[١].

فالتقويم غير العلني يحفظ للإنسان كرامته، بل يشعره بأنّ الناصح له مخلص وصادق في نصحه لا يريد خدش كرامته تقبيحه، وهذا الشعور يسهم في دخول النصيحة إلى العقل، والقلب بصورة يتفاعل معها المراد اصلاحه، أو تغييره، أو تربيته[٢].

يقدم لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام أسلوباً مميزاً للتغذية الراجعة لأفكار المتعلمين الخاطئة قائماً على أساس مناقشة الفكرة الخاطئة بسؤال استقصائي يصل من خلاله المعلم إلى الإجابة الصحيحة التي حين ذاك يوضحها الإمام عليه السلام بدقة ووضوح، لاحظ معي:

عن أبي هاشم قال: سأل محمد بن صالح الأرمني أبا محمد عن قول الله: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٣]

فقال أبو محمد: (**هل يمحو الله إلّا ما كان، وهل يثبت إلّا مالم يكن؟**).

فقلت – في نفسي – : هذا خلاف ما يقول هشام بن الحكم: لا يعلم (الله) الشيء حتى يكون؟ فنظر إليّ أبو محمد، فقال: (**تعالى الجبّار الحاكم العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا مخلوق، والرب إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه**).

---

(١) الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، مصدر السابق، ص ٣٦٨.

(٢) العذاري، سعيد محمد، المنهج التربوي عند أهل البيت.

(٣) سورة الرعد، الآية ٣٩.

فقلت: أشهد أنك ولي الله وحُجته، والقائم بقسطه، وأنك على منهاج أمير المؤمنين وعلمه[١].

لاحظ أن الإمام عليه السلام يقدم لنا مفهوم التغذية الراجعة قبل ألف وأربعمئة سنة في حين تشير المصادر في عصرنا الحاضر أنه من المفاهيم التربوية الحديثة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين ولاقت اهتماماً كبيراً من التربويين وعلماء النفس على حد سواء وهو نظام تتداوله التربية وعلم النفس والفيزيولوجية وعلوم الاتصال والعلوم الاجتماعية والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والهندسة والفنون، وعرف على أنَّه (عبارة عن استجابة ضمن نظام للمعطي: (الاستجابة التي يقدمها المتعلم) جزءاً من النتائج)، وأكدت التجارب الحاضرة أهميته العظمى في عملية التعلم لا سيما في المواقف الصفية، إذ إنه ضروري ومهم في عمليات الرقابة والضبط والتحكم والتعديل التي ترافق، وتعقب عمليات التفاعل والتعليم الصفي[٢].

(١) الإربلي، كشف الغمة، ج٢، ص ٤١٩.

(٢) رفيق، بولحبال مربوحة نوار وقية، التغذية الراجعة ودورها في تحقيق أهداف حصة التربية البدنية والرياضية، الوادي العدد ٢٠، ٢٠١٦.

المبحث الثالث: مقياس مصمم لسمات التفوق في شخصية المعلم في ضوء أقوال ومواقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام

يقدم لنا الإمام عليه السلام نظاماً للحياة النموذجية على وفق أسس علمية مدروسة يمكن أن يفاد منه في تكوين مقاييس تربوية لشتى المجالات التربوية، والنفسية ومنها ما تم بناؤه في هذا البحث الذي يتعلق بسمات التفوق التربوي في شخصية المعلم في ضوء أقوال ومواقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

ويأتي هذا منسجماً مع توجهات دول العالم المعاصر إذ الملاحظ اليوم وبشكل ظاهر تسابق المجتمعات المتقدمة وسعي الأمم والبلدان في الكشف عن المتفوقين والموهبين والمبدعين ورعايتهم، فلقد أدركت تلك الدول أن قدرتها تعلو بموهبتها ومبدعيها، وأنها تتقدم على غيرها من الدول بعقول علمائها ومفكريها ومخترعيها، وهذه مسلمة بديهية لا تحتاج إلى تأكد، فالثروة لبشرية أفضل نفعاً وأعم فائدة، وأكثر عائداً من جميع الثروات المادية الأخرى، إذا ما أحسن استغلالها[1]. ولا شك في أن المعلم المتفوق هو من يصنع المتعلمين المتفوقين.

(١) مريزيق، محمد حسين قطناني وهشام يعقوب، تربية الموهبين وتنميتهم.

مقياس مصمم لسمات التفوق في شخصية المعلم في ضوء أقوال ومواقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ت	الفقرة
١	التصميم الماهر والحاذق للرؤية التربوية
٢	هندسة المنهج التربوي
٣	يقوم الموقف التعليمي على أسس هندسية
٤	يفعل المعلم قانون الاقتصاد التربوي
٥	ايمان المعلم بالهدفية ووضعها في أولويات البرمجة للمواقف التعليمية
٦	اعتماد فلسفة عصرية لبناء الإنسان
٧	تقديم درس أنموذجي متكامل
٨	سماع آراء المتعلمين ودعم منطلقاتهم
٩	التدرج في التعليم وتشجيع ممارساته الأولى
١٠	جعل التسامح اساساً للمحاورة الفكرية والعلاقة البناءة
١١	تجسيد مفهوم التدريس فناً وعلماً
١٢	التنوع في طرائق التدريس المستخدمة
١٣	تقديم طريقة المحاضرة بأسلوب بلاغي وجميل
١٤	يعتمد في طريقة المحاضرة الأفكار المنتجة
١٥	يعتمد في طريقة المحاضرة التشبيهات الدقيقة
١٦	تقديم فن الاستجواب بأسلوب بارع

١٧	محاكاة الفكرة التي تدور في ذهن المتلقي
١٨	العمل على استخلاص الحقائق
١٩	دحض الأفكار السلبية
٢٠	تعزيز ما يتم التوصل إليه ببرهان عقلي
٢١	تشجيع المتعلم على التفكير مع ذاته
٢٢	توظيف التفكير التأملي في الدرس
٢٣	توظيف استراتيجية معالجة المعلومات في الدرس
٢٤	إثارة الدافعية لدى المتعلم
٢٥	أن يكون التعزيز متناسباً مع حجم العمل المنجز
٢٦	التعامل مع المواقف المفاجئة بحكمة وسرعة بديهية
٢٧	اعتماد التطبيق العملي في المواقف المفاجئة
٢٨	اعتماد مبدأ أن المتعلم أمام معلمه أشبه بلوحة فنية
٢٩	مراقبة المعلم للمتعلمين أثناء الدرس وتوجيههم
٣٠	ان المعلم الماهر والحاذق هو الذي يستمد طاقاته وفعالياته من متعلميه
٣١	العمل على الربط بين الموضوع السابق والحالي لدى المتعلمين
٣٢	استخدام مهارة الغلق التعليمية

الخاتمة

قدم لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنموذجاً عصرياً للمعلم القائد والتربوي السايكولوجي الذي يحاكي أفكار المتعلم وقدراته ويجعلها الأساس لبناء الأفكار الخلاقة مما يسهم في تكوين رؤيته ورسم خيوط مستقبله.

فقدم لنا أنموذجاً يحتذى به للمعلم القدوة والأنموذج الأمثل الذي حاول أن يبعد متعلمه عن الأنا الضيقة ودائرتها الضيقة (**كفاك أدباً تجنبك ما تكره من غيرك**)[١]، وجسد ذلك قولاً وممارسة فعلاً ومضموناً، ففي أشد لحظات الضغط والمراقبة من قبل السلطات الحاكمة كان يهتم بمتعلميه محاولاً أن يرسم خطوط حياتهم موجهاً لقضاياهم معالجاً لمشاكلهم، فأي روح تربوية امتلكها الإمام عليه السلام بحيث لا يهتم لألمه ومعاناته، فهو المعلم المضحي لصدق قضيته وعظم رسالته (بالرغم من ذلك الجو المكهرب المكفهرّ، ومع وجود ذلك الضغط، والكبت المنبعث من تلك القلوب المليئة بالحقد والعداء بالرغم من هذه الأمور كان الإمام العسكري عليه السلام ينتهز كل فرصة ليؤدي لوازم القيادة العظمى التي القيت على كاهله..)[٢]، عاملاً على زرع روح الأخوة بين متعلميه(**المؤمن أخو المؤمن لأمّه وأبيه**)[٣]، واقفاً أمام الأعداء بقوة وصلابة (**ولما استقلّ عليه السلام بأعباء الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام الهادي عليه السلام توجهت سهام الأعداء إليه مباشرة، وقام المناوئون بمحاولات شيطانية، وجهود كافرة لإطفاء نور الله**)[٤]

كان الإمام عليه السلام يخبر أصحابه بأن عليهم إدارة أنفسهم بصورة حكيمة للفوز

(١) المجلس، بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٣٧٤.

(٢) الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، ص ١٨.

(٣) ابن شهرآشوب، أبي جعفر محمد بن علي السروي المازنداني، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٥.

(٤) الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، مصدر السابق، ص ١٧.

بماراثون التميز حيث رضا الباري (عز وجل)، ومن ثم الفوز بالجنان كأعظم جائزة فهو يضع الطريق أمامهم سالكاً ليتقلدوا ميداليات التفوق معتلين منصات التتويج، وإيصالهم إلى ذلك من خلال سعيه إلى تثبيت نسقه الإبداعي الذي يؤكد على تزوديهم بزاد التقوى الذي كان يغينه عن الدنيا وما فيها جاعلاً من الرحمة أساساً، وروى الكليني بسنده عن محمد بن إسماعيل قال: (حبس أبو محمد عند علي بن نارمش وهو أنصب الناس وأشدهم على آل أبي طالب وقيل له: افعل به وافعل، فما اقام عنده الا يوماً حتى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة، وأحسن الناس فيه قولاً)[1].

وإنا كلنا ندرك أن من البيان سحراً فلماذا لا نستخدم هذا السحر الحلال في معالجة الأخطاء؟

أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام ملجأ الأمان وأنوار السعادة لحياتنا الحاضرة والمستقبلية للفوز في سباق البقاء الخالد الأبدي (**نحن كهف لمن إلتجأ إلينا، ونور لمن استضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، مَن أحبَّنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار**)[2].

تدور في أذهاننا وتحاكي خلجاتنا الكثير من الأفكار والاستدلالات لفكر أئمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام التي لا تستوعبها مجلدات ولا تحدها موسوعات التي تمدنا بمعين لا ينضب من الموجهات المثالية لسلوكنا الإنساني الحقيقي متصدياً لجدلية الذات، والقدرة على ضبطه في ضوء متغيرات العصر وتحدياته الكبرى مقدماً اطروحة عملاقة تجمع بين التراث، والمعاصرة فهي لم تعد لعصر بل هي أطروحة لكل عصر، وينبغي القول إنّ كل ما قدمناه لا يعني إلا

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٨.

(٢) الكشي، محمد بن عمر، رجال الكشي، ج٢، ص٨١٤.

الجزء اليسير من هذا الفكر الواسع العملاق.

وفي الختام نلتمس رحمة الباري، ونردد دعاء الإمام العسكري عليه السلام:

(يا أسمع السامعين، ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صَلِّ على محمد وآل محمد وأوسع لي في رزقي، ومد لي في عمري، وامنن علي برحمتك، واجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإربلي، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ط٢، دار الأضواء للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

٢. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، حققه وإخرجه حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧- ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤. بولحبال مربوحة نوار وقية رفيق، التغذية الراجعة ودورها في تحقيق أهداف حصة التربية البدنية والرياضية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي العدد ٢٠، ٢٠١٦.

٥. الحرّاني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٦. التستري، نور الله الحسيني المرعشي، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، المكتبة الإسلامية، طهران، (د.ت).

٧. الحلواني، الحسين بن محمد بن حسن بن نصر، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، مدرسة الإمام المهدي، قم، إيران، ١٤٠٨م.

٨. دعمس، مصطفى نمردار، أعداد وتأهيل المعلم، عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.

٩. الريشهري، محمد، الخير والبركة في الكتاب والسنة، مركز بحوث دار الحديث، ١٤٢٣هـ.

١٠. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، جامعة المدرسين، قم، ١٤١١هـ.

١١. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، كتاب الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، إيران، ١٤١١هـ.

١٢. العذاري، سعيد محمد، المنهج التربوي عند أهل البيت، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٣. العفون، نادية حسين، الاتجاهات الحديثة في التدريس وتنمية التفكير، دار صفاء للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.

١٤. القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري من المهد إلى اللحد، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران،١٤١٢هـ.

١٥. قطامي، عبد الرحمن عدس ونايفة، مبادئ علم النفس، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢، ٢٠٠٢.

١٦. الكشي، محمد بن عمر (ت ٣٤٠هـ)، رجال الكشي، دانشگاه، مشهد، ١٣٤٨هـ.

١٧. الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، سلسلة المعارف الإسلامية.

١٨. المازنداني، أبي جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب السروي، (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء.

١٩. مريزيق، محمد حسين قطناني وهشام يعقوب، تربية الموهبين وتنميتهم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

البحث الحادي عشر

الأبعاد التربوية في فكر

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.م. صباح محمد حسين

جامعة ديالى

كلية العلوم الإسلامية

أ.م. عضيد عبد أحمد

جامعة ديالى

كلية العلوم الإسلامية

المقدمة:

إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الاثني عشرية، امتاز بالعلم والفقاهة والإلمام بعلوم الشرع وأصول التفسير ولم يترك باباً في العلم إلا كان له فيه خصلة، لقد عاش الإمام الحسن العسكري في كنف والده الإمام الهادي وهو ينهل من معين علمه حتى بزغت فيه كل مكامن العلوم لينال شرف الإمامة بعد أبيه.

فقد ركز الإمام الحسن العسكري على الجانب التربوي في بناء الإنسان؛ لأنه يعتبر أن التربية هي السبيل الوحيد التي تصحح مسار البشرية وينم عنها نتاج طيب، وفيما جاء عنه من أقوال، وحكم، ومرويات هي نهج توصل سائرها إلى سبل التربية الحقة.

إن التعاون بين المسلمين كان يمثل عاملاً من عوامل نجاح المجتمع بما يحقق حالة من الوئام والألفة بين أبناء المجتمع الواحد؛ ولذا كان دائماً يدعوا إلى إبداء المساعدة للآخرين فضلاً عما كان هو يبديه من أعمال المعونة التي كان يقوم فيها في غياهب الليل والناس نيام.

لذا فإن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في منهجه التربوي كان يجسد إرثاً يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وينتهي بأبيه الإمام الهادي عليه السلام فضلاً عن ذلك كان يمثل القرآن السبيل الأقوم والصراط الذي لم يحيدوا عنه في سيرتهم أبداً، وقد عد تفسيره المعروف بالتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري أحد الكتب المتداولة في مكتبة التفاسير الإسلامية.

وقد اشتمل بحثنا هذا على ثلاثة مباحث الأول منها هو عرض موجز لسيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أما المبحث الثاني فقد أوضحت فيه دور القرآن والسيرة العطرة للنبي وآله وأهميتهما في ترسيخ أسس التربية للفرد والمجتمع فيما جاء عنه عليه السلام، والمبحث الثالث وظفته في بيان الأبعاد التربوية التي ركز عليها الإمام الحسن العسكري في عصره والتي كان لها دور كبير في نجاح مشروعه التربوي الذي عمد إلى التركيز عليه وتطبيقه فقد عمد إلى ترسيخ مبدأ الوصية ودورها في الخلاص من حالة التشظي، والتشتت على مستوى الفرد والمجتمع، ثم اختتمت البحث بأهم ما توصلت إليه من نتائج والحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث الأول: إشراقة من سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ولد الإمام العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الآخر سنة (٢٣٢هـ) يوم الجمعة في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أشهر الأقوال[١]، وهذا ما رواه الطبري بالإسناد عن الإمام العسكري، أنه قال: (كان مولدي في ربيع الآخر سنة ٢٣٢ من الهجرة)[٢] ولدينا بعض الأحاديث الصريحة بولادته في المدينة منها حديث أبي حمزة نصير الخادم، وحديث أحمد بن عيسىٰ العلوي الذي يصرح برؤيته بصريا وهي قرية على ثلاثة أميال من المدينة[٣]، كما نصّ المؤرخون والمحدثون الذين قدمنا ذكرهم في ولادته على أنه ولد في المدينة ومنهم: الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، وابن الفتال، وابن الصباغ، والشبلنجي، والكنجي، والسويدي وغيرهم، وقال ياقوت: «ولد بالمدينة ونقل إلى سامراء»[٤].

ألقابه:

أشهر ألقاب الإمام أبي محمد هو العسكري، وقد أُطلق عليه وعلى أبيه؛ لأنهما سكنا عسكر المعتصم الذي بناه لجيشه، وهو اسم سُرّ من رأى، وقيل: هو اسم محلّة في سامراء، قال الشيخ الصدوق: سمعت مشايخنا رضي الله عنهم يقولون: إنّ المحلّة التي يسكنها الإمامان علي بن محمد والحسن بن علي بسرّ من رأى كانت تسمّى عسكر، فلذلك قيل لكلّ واحدٍ منهما: العسكري[٥].

---

(١) الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٣١، ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤، ص٤٥٥.

(٢) الطبري، دلائل الإمامة، ص٤٢٣، ص٣٨٤.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٥٠٩، ح١١، المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٣١.

(٤) الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص٣٢٨ـ

(٥) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٣٠، الصدوق، معاني الأخبار، ص٦٥.

كنيته:

اشتهر الإمام العسكري عليه السلام بكنية واحدة عرف بها عند سائر المؤرخين والمحدثين، هي أبو محمد، وذكر الطبري الإمامي أنه يكني أيضاً أبا الحسن ولم أجده في غيره، بل هي كنية أبيه [١].

عمره ومدة إمامته:

عمره يوم وافاه الأجل (٢٨) عاماً، فقد ولد في سنة ٢٣٢هـ واستشهد سنة ٢٦٠هـ، وهو بذلك يعدّ أصغر آبائه المعصومين عمراً، وعاش ٢٢ عاماً في ظلّ أبيه الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام الذي استشهد سنة ٢٥٤ هـ، ووصفه بقوله: «أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها»[٢].

ومدّة إمامته ست سنوات (٢٥٤ ـ ٢٦٠هـ) عاصر فيها من سلاطين بني العباس: المعتز (٢٥١ ـ ٢٥٥هـ)، والمهتدي (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ)، والمعتمد (٢٥٦ـ ٢٥٩هـ)[٣].

وقد ظهر أمر إمامته في عصر أبيه الهادي عليه السلام وتأكّد لدى الخاصة من أصحاب الإمام الهادي، والعامة من المسلمين أنه الإمام المفترض الطاعة بعد أبيه عليه السلام.

تولّى مهامّ الإمامة بعد أبيه واستمرّت إمامته نحواً من ست سنوات، مارس فيها مسؤولياته الكبرى في أحرج الظروف وأصعب الأيّام على أهل بيت الرسالة بعد أن عرف الحكّام العباسيون ـ وهم أحرص من غيرهم على استمرار حكمهم ـ أن المهدي من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ولد علي ومن ولد الحسين عليه السلام فكانوا

(١) الطبري، دلائل الإمامة، ص٤٢٤.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج١١، ص٣٢٧.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ج٤، ص٤٥٥.

يترصّدون أمره وينتظرون أيّامه كغيرهم، لا ليسلّموا له مقالد الحكم بل ليقضوا على آخر أمل للمستضعفين.

لقد كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام أستاذ العلماء وقدوة العابدين وزعيم المعارضة السياسية والعقائدية في عصره، وكان يشار إليه بالبنان، وتهفو إليه النفوس بالحبّ والولاء كما كانت تهفو إلى أبيه وجدّه اللذين عُرف كل منهما بابن الرضا عليهما السلام، كل هذا رغم معاداة السلطة لأهل البيت عليهم السلام وملاحقتها لهم ولشيعتهم.

المبحث الثاني: التربية مفهومها وأبعادها في القرآن والسنة

المطلب الأول: مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح: التربيةُ ظاهرةٌ اجتماعيّةٌ كونها تحدث في المجتمعات الإنسانيّة، فالتّربيةُ عمليةٌ تهتمُ بالفرد وسلوكه ضمن بيئته ومجتمعه الذي يعيش فيه، فهي لا تخدم الفرد بمعزل عن مجتمعه، إذ إنّها تهتمُ بالفرد والمجتمع على حدٍ سواء، وعليه فإنّ التّربيةَ تلعبُ الدّور الأكبر في نشأة الأمم وحياتها، فهي الأداة المُثلى للحفاظ على مقوّمات الحياة، بالإضافة إلى كونها الطّريق الأفضل لصقل مهارات الأفراد، والكشف عن موطن إبداعهم.

أولاً: مفهوم التربية لغة: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وربا يُربي على وزن خفى يُخفي، ومعناه نشأ وترعرع، ربّ يربُّ بوزن مدّ يمدُّ بمعنى أصلحه، وتولّى أمره وساسه، وقام عليه ورعاه[١].

ثانياً: التربية اصطلاحاً: وهِيَ تَبْلِيغ الشَّيْء إِلَى كَمَاله شَيْئاً فَشَيْئاً[٢] وعرفها بعض الباحثين بأنها (تنمية القابليات الإنسانيّة الكامنة في باطن الإنسان، وإخراجها إلى مرحلة الفعليّة)[٣].

إنّ الهدف من التّربية ـ بصورة عامّة ـ بناء الإنسان وإعداده، وتقويم جانب الخير فيه، وحذف كلِّ مظاهر الانحراف؛ إذ إنّها تهدف إلى غرس روح التفكير العلمي ـ الذي يُعدّ من أهمّ الأهداف التي تتولّاها التربية، وفيه يتمّ إصلاح الإنسان بالمطلق ـ في نفس الإنسان وزرع حبّ العِلم، والشوق إلى تحصيل المعرفة وتزويد الطفل الناشئ والشاب بالعلوم والمعارف والمهارات والخبرات اللّازمة[٤].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٠٤.

(٢) الكفوي، الكليات، ص٣١٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٠٤.

(٤) مؤسسة البلاغة، المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام، ص٢١.

وعليه فالعمليّة التّربوية هدفها بناء الإنسان بناءً صالحاً ليخدم نفسه ومجتمعه وبلده والإنسانية جمعاء، والقائمون على العملية التّربوية يسعون جاهدين إلى تضمين أفضل الفلسفات في ميادين التّربية والتعليم؛ للوصول إلى أفضل الأُطر والنظريات والأُسس التّربوية التي تُسهِم في بناء الناشئ الصغير، وجعله مشروعاً لبناء الإنسان المستقبلي.

وعليه؛ يجب أن تسعى التّربية بجميع أجهزتها وطاقاتها إلى تنمية الفكر الإنساني وتحريره من رِبقة الجهل والتقليد، وتنويره بالعِبَر والأحداث والآثار التّربوية.

المطلب الثاني: الأبعاد التربوية في القرآن والسنة

إنّ النظام الإسلامي نظام متكامل سعى منذ فجره الأول إلى بناء الإنسان بناءً متكاملاً حيث وجد لكل واقعة حكماً ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احاط بها، لذا عد المنهج الإسلامي منهج شمولي إنساني فالناس (صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[1] كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرغم كل الفوارق التي عانت منها المجتمعات إلّا أن الإسلام استطاع أن يزيل تلك النزعات والفوارق الطبقية.

ولقد سعى أهل البيت أن يجعلوا من سيرتهم منهجاً تطبيقاً لمبادئ الإسلام التربوية فيما جاء في القرآن وفيما ورثوه من سنة مطهرة عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فالإمام الحسن العسكري عليه السلام سليل تلك الشجرة الطيبة هو الآخر كان يؤكد كثيراً في الالتزام بخلق القرآن وأدب القرآن واتباع المنهج المحمدي إدراكاً منه انها كانت تطبيقاً عملياً لإرادة الله في بناء الإنسان الكامل.

فيبين لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام دور القرآن في ترسيخ أدب الطاعة التي انتدبها الله لعباده وخصهم بها، ومنهم أنبياءه عليهم السلام الذين كانوا محلاً لطاعة الله في كل

(١) مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الإسلام، ص٣٣.

حركاتهم وسكناتهم، فعن الشيخ الصدوق بسنده عن القاسم الهروي، قال: خرج توقيع من أبي محمد إلى بعض بني أسباط، قال: «كتبت إليه أخبره عن اختلاف الموالي وأسأله إظهار دليل، فكتب إليّ: إنّما خاطب الله عزَّ وجلَّ العاقل، ليس أحد يأتي بآية أو يظهر دليلاً أكثر مما جاء به خاتم النبيين، وسيد المرسلين، فقالوا: ساحر وكاهن وكذاب، وهدى الله من اهتدى، غير أن الأدلة يسكن إليها كثير من الناس، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ يأذن لنا، فنتكلم ويمنع فنصمت، ولو أحب ألا يُظهِر حقاً ما بعث النبيين مبشرين ومنذرين، فصدعوا بالحقّ في حال الضعف، والقوة، وينطقون في أوقات ليقضي الله أمره وينفذ حكمه» [١].

وإن دور الإمامة في تربية المجتمع يمثل أساس من الأسس التي اتبعها الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث تجسد ذلك المقام به عليه السلام فعن أحمد بن إسحاق، أنّه قال: «دخلت على مولانا أبي محمد الحسن بن علي العسكري فقال: يا أحمد، ما كان حالكم فيما كان فيه الناس من الشك والارتياب؟ فقلت له: يا سيدي لما ورد الكتاب لم يبق منا رجل ولا امرأة، ولا غلام بلغ الفهم إلا قال بالحق، فقال: أحمد الله على ذلك يا أحمد، أما علمتم أن الأرض لا تخلو من حجة، وأنا ذلك الحجة، أو قال: أنا الحجة»[٢].

تربية المجتمع على الإخلاص والطاعة لله تعالى، فيجعل القرب منه والبعد مقياساً للفرد باعتبار أن لقاءاته عليه السلام كانت قد تختص بأفراد أو انفار معدودين أي فئة مجتمعية محدودة، فيجعل الناس طبقات في إخلاصهم له، أو ابتعادهم عنه وهو بهذا يحاول أن يستثير في نفوسهم حالة من التنافس الإيجابي الذي قد يكون سبباً للفوز لكثير من الأفراد، فبعضهم يعيش البصيرة في عقله، وفي قلبه وفي روحه من أجل أن ينجو عندما يقف بين يدي الله، وهذا متمسك بهدي الإمام وسبيله، وبعضهم

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص١٨١.

(٢) النوري، خاتمة المستدرك، ج٤، ص٥٢.

أخذ العلم ممن يملك مسؤولية العلم، وعمقه وممن لا يملكهما، أو ممن يملك تقوي الحقيقة وممن لا يملكها، وهؤلاء مذبذبون ليس لديهم قاعدة ثابتة ينطلقون منها، ولا أرض يقفون عليها، وبعضهم استحوذ عليهم الشيطان، فأعمى بصيرتهم، وليس لهم شأن إلا مواجهة أهل الحق.

قال: مواصلاً كتابه الأول: «الناس فيَّ طبقات شتّى، فالمستبصر على سبيل نجاة متمسك بالحق، متعلق بفرع أصيل، غير شاك ولا مرتاب، لا يجد عنه ملجأً، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه. وطبقة استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الردّ على أهل الحقّ ودفع الحقّ بالباطل، حسداً من عند أنفسهم، فدع من ذهب يميناً وشمالاً، فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها في أهون السعي.

ذكرت، ما اختلف فيه مواليّ، فإذا كانت الوصية والكبر فلا ريب، ومن جلس مجالس الحكم فهو أولى بالحكم، أحسن رعاية من استرعيت، وإياك والإذاعة وطلب الرئاسة، فانهما يدعوان إلى الهلكة.

ذكرت شخوصك إلى فارس، فأشخص خار الله لك، وتدخل مصر إن شاء الله آمناً، واقرأ من تثق به من موالي السلام، ومرهم بتقوى الله العظيم، وأداء الأمانة، وأعلمهم أن المذيع علينا حرب لنا، قال: فلما قرأت: وتدخل مصر إن شاء الله، لم أعرف معنى ذلك، فقدمت إلى بغداد، وعزيمتي الخروج إلى فارس، فلم يتهيأ ذلك فخرجت إلى مصر»[1]، فهذا التقسيم يعكس لنا حالة من الوعي بالإحاطة بالأمور التي تمر بها عقيدة المجتمع ويبدون ان التشخيص دقيق جداً وهو يعكس المستوى الفكري والإدراكي الذي امتاز به الإمام الحسن العسكري عليه السلام والذي يثبت لنا من خلاله أنه صنو القرآن ووريث النبي الهاشمي.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٩٧.

لقد أحاطت بالإمام الحسن العسكري ظرف جعلته يركز على عنصر تربية المجتمع على قبول حالة الغيبة فكان يحتجب عنهم حينا، ويراسلهم من خلال المكاتب تارة أخرى فكان يحاول أن يجعل لعقيدة الغيبة موضعاً في نفوس الناس عامة وشيعته خاصة فكثيرا ما كان يرسل المكاتيب في أمر ما رغم وجوده بينهم وهو صورة من صور تربية المجتمع على تقبل حالة الغيبة التي كانت تمثل حجر الأساس للمشروع الإصلاحي الذي سيقوده الإمام صاحب العصر والزمان.

أ.م. صباح محمد حسين
أ.م. عضيد عبد أحمد

المبحث الثالث: الأبعاد التربوية عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إن التربية هو منهج اختطه المصلحون لهم سبيلاً، وهو ذات الخط متصل بالوحي الإلهي فهم مثال لما أراد الله فيما يدعون إليه من أبعاد تربوية سواء أكانت قولية فيما يروى عنهم أم فعلية فيما ورد عنهم من أفعال تشمل تجسيداً ترويا تطبيقاً الذي يكون ذا تأثير أكثر ووقع في النفس أكثر؛ لذا أكثر ما نراه حاضراً في سيرتهم العملية التي لم نبالغ إن قلنا إنها بكل تفاصيلها تمثل منهجاً تربوياً والإمام الحسن العسكري عليه السلام هو قطب من أقطاب الإصلاح هذه الوظيفة التي في أحد مفاهيمها هي وظيفة تناط بكل إنسان يدين بدين الله نظر لها تحت مفهوم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ ولكي نحقق الهدف في بيان الأبعاد التربوية يمكن أن نجعلها في مطلبين هما:

المطلب الأول: الأبعاد العقائدية: إنّ كل مجتمع زماني أو مكاني له طبيعة تحتم على المصلح أن يدور ضمنها ولا يخرج عن محوريتها؛ لأن مستوى تأثيره سيكون لا يعطي الأبعاد المرجوة له؛ لذا فقد نختزل الأبعاد التي ركز عليها الإمام الحسن العسكري عليه السلام التي يراها يمكن أن يكون لها أبعاد ليس في حينه بل قد تمتد اثارها لتصلنا نحن اليوم يمكن أن تكون لنا عبر ودروس منها لنا وللأجيال الكاملة ويمكن أن تكون تلك الأبعاد هي حلقة مكملة من حلقات وظيفة الإصلاح التي انتهجها أهل البيت عليهم السلام حتى يكتمل ذلك الصرح الإنساني الذي به يعم السلام والخير للبشرية جمعاء، ومن هذه الأبعاد:

أولاً: مبدأ التوحيد: إن تتبع السيرة القولية للأئمة عليهم السلام نلحظ أن من أولويات ما صدر عنهم كان يركز على مبدأ التوحيد فهم قد شخصوا العلة تشخيصاً دقيقاً وعرفوا أن هذه العلة التي إن انتابت الإنسان، فمن خلالها يفسد كل ما لديه من خير فالتوحيد هو الذي تبتني عليه عقيدة الإنسان لذا فلم يدع الإمام مناسبة دون أن يوجه أصحابه إلى التوحيد الخالص والتحذير من رواسب الشرك مهما دقّت

وصغرت، ومن ذلك ما رواه أبو هاشم الجعفري قال: «سمعت أبا محمد يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا اؤاخذ إلا بهذا، فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق، ينبغي للرجل أن يتفقّد من أمره ومن نفسه كلّ شيء»[١].

فكأنّ الإمام عرف ما في نفسه، وهناك أحاديث كثيرة عنه وعن آبائه: تذكر أنّ بعض الناس كان يسمع الجواب من الإمام وهو يفكرّ، أي لم يطرح السؤال بعد، حيث إنّ الملكة القدسية تجعله يعرف ما يضمرون من قبل أن يتحدّثوا به، فقال: «يا أبا هاشم، صدقت، فالزم ما حدّثت به نفسك، فإنّ الاشراك في الناس أخفى من دبيب الذرّ على الصفا في الليلة المظلمة، ومن دبيب الذرّ على المسح الأسود»[٢].

لقد سعى الإمام إلى تربية الفرد والمجتمع على نبذ كل ما يخالف هذه العقيدة فلا يمكن للإسلام بناء دون هذه العقيدة رغم دخل فيها ما دخل من اختلاجات إلّا أن الأئمة عالجوا مثل هذه الأمور بما يبدوه من نصح وإرشاد وتوجيه في المجالس العامة والخاصة، فقد كان الجدل يدور في صفات الله تعالى منذ عهد الإمام الباقر عليه السلام حتى عهد الإمام العسكري عليه السلام، ولعلّ أبرز المسائل التي كانت مدار البحث والجدل هي مسألة الرؤية، والتجسيم والتصوير، وكان منهج الأئمة هو أنهم يتحدثون بلغة القرآن وبأسلوبه وبمفرادته في العقيدة، ليوجّهوا الناس إلى الأخذ بالعناوين الكبرى في العقيدة من القرآن الكريم لا من غيره.

وعن يعقوب بن إسحاق، قال: «كتبت إلى أبي محمد أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّع: يا أبا يوسف، جل سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى»[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٥٠.

(٢) الطوسي، الغيبة، ج١، ص٢٣١.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٩٥.

قال: وسألته: «هل رأى رسول الله ربه؟ فوقّع: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ»[١].

وعن سهل بن زياد، قال: «كتب إلى أبي محمد سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد»[٢]، وهذا يدلّ على أن الجدل الكلامي في التوحيد كان يدور حتى في أوساط أتباع أهل البيت: «فمنهم من يقول هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه، فعلت متطولاً على عبدك؟»[٣]، والعبودية هنا من باب التواضع.

«فوقّع بخطّه: سألت عن التوحيد، وهكذا منكم معزول، الله واحد أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، وليس بجسم، ويصور ما يشاء، وليس بصورة جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٤].

ويبدو أنه عليه السلام أراد أن يعطي لنا درساً في التربية العقائدية ليبعدنا عن كل ما يشوش صفاء فطرتنا الإلهية السليمة من خلال الخوض في ما لا يصح من الاعتقادات المنحرفة أو العلوم التي قد لا نجني منها سوى الابتعاد عن الهدف الحقيقي فمن خلال ذلك السائل يدعونا ألا نستغرق في الجدل الكلامي عندما يتحدث عن الله سبحانه وتعالى، ولكن طلب إليه أن يقرأ كتاب الله فيما أنزله من آياته، فهو أعرف بنفسه من مخلوقاته كلها؛ لأن المخلوق لا يستطيع أن يعرف من ربّه إلا ما عرّفه ربه،

---

(١) الشيخ الصدوق، التّوحيد، ج١، ص١٠٨.

(٢) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٣، ص٢١٢.

(٣) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٣، ص٢١٣.

(٤) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص١٠٣.

وإلّا فلا يمكن للعقل أن يدرك صفاته جل جلاله ذاتياً، فهو ليس بجسم؛ لأنّه خالق الأجسام، وهو ليس بصورة لأنّه خالق الصورة ومبدعها، شخص لنا الخلل وأعطى لنا العلاج الناجع بالعودة إلى كتاب الله تلك العروة الوثقى الذي لا يحيد عن الحق من تمسك به.

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: «سأل محمد بن صالح الأرمني أبا محمد عن قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾[1] فقال: هل يمحو إلا ما كان، وهل يثبت إلا ما لم يكن. فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقول هشام: إنّه لا يعلم الشيء حتى يكون. فنظر إليّ أبو محمد فقال: تعالى الجبّار العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه، فقلت: أشهد أنّك ولي الله وحجته والقائم بقسطه، وأنّك على منهاج أمير المؤمنين»[2]، فلقد أكّد أن المخلوقين يحتاجون إلى معرفة الأشياء في صورتها الوجودية، أما الله سبحانه فهو الذي يخلق الوجود، فهو يعرف ما يريد أن يخلقه قبل أن يخلقه.

ثانيا: مبدأ الإمامة: رغم ان هذا المبدأ اختلف فيه السواد الأعظم للأمة إلّا أن الأئمة عليهم السلام في جميع أدبياتهم وما روي عنهم نلحظ اهتموا به اهتماماً بالغاً وأردوا ان يربوا اتباعهم عليه التربية الصحيحة فأصبحت الإمامة أحد الأصول في التربية لديهم فقد أكد الإمام العسكري عليه السلام في الكثير من كلماته على فرض الولاية لأهل البيت: وضرورة معرفتهم، والتصديق بهم والتمسك بهديهم وأداء حقوقهم التي جعلها الله لهم، ولولا ذلك لا يستكمل المرء خصال الإيمان.

ومن ذلك ما جاء في كتابٍ له عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري: «... إنّ الله بمنّه ورحمته لمّا فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لحاجةٍ منه

(١) سورة الرعد، الآية ٣٦.

(٢) الطوسي، الغيبة، ص٤٣٠، ٤٢١.

إليكم، بل برحمة منه ـ لا إله إلا هو ـ عليكم، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم لتسابقوا إلى؛ ولتتفاضل منازلكم في جنّته.

ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وجعل لكم باباً تستفتحون به أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، لولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخل مدينة إلا من بابها، فلمّا مَن عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم، قال الله في كتابه: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾[1] وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها ليحلَّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم، وأموالكم، ومآكلكم مشاربكم، قال الله تعالى: ﴿**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَىٰ**﴾[2]... »[3].

وفي حديث أبي هاشم الجعفري: «أنّ الإمام العسكري عليه السلام قال له مبيناً منزلة أهل البيت: ... ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله، ولا يكون مؤمناً حتى يكون لولايتهم مصدقاً، وبمعرفتهم موقناً»[4].

قال أبو هاشم: «وقلت في نفسي: اللهمّ اجعلني في حزبك وفي زمرتك. فأقبل عليّ أبو محمد عليه السلام فقال: أنت في حزبه، وفي زمرته إن كنت بالله مؤمناً ولرسوله مصدقاً، وبأوليائه عارفاً، ولهم تابعاً، فابشر ثم أبشر»[5]، فالانتماء إلى حزب الله ليس مجرد دعوى، بل هو ارتباط عقائدي، ومنهج سلوكي يقتضي الإيمان بالله، والتصديق

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٣) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٩١.

(٤) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٤٩.

(٥) الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٤٣.

برسوله صلى الله عليه وآله ومعرفة أوليائه، وبذلك حدّد عليه السلام مبدأ الولاية لله وللرسول صلى الله عليه وآله، ولعترته الطاهرة.

يظهر هنا العمق العقائدي الذي جعل للإمامة فهي ترتبط بمنظومة عقائدية متكاملة تبدأ بتوحيد الله والإقرار بنبوة ورسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ثم الإعتقاد بإمامة الأئمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله باعتبارهم الخط المكمل لمنهج الرسالة والمحافظ على تلك الروح التي جاء بها النبي محمد ليبثها في أجساد البشرية لتحيى وتعيش الخير والأمان بعيداً عن حالة التشتت، والضياع التي وقعت فيها الأمة مجرد أن أضاعت منهج أئمتها، وهذا ما شخصته السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها حين قالت: (وطاعَتَنا نظاماً لِلملّةِ، وإمامتَنا أمانا مِنَ الفُرقة)[1]، فقد طرحت السيدة الزهراء عليها السلام هنا مسألة الإمامة وتعني بذلك تنبيه الخليفة والناس بأن الإمامة وخلافة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي من شؤونهم، وقد أعطاها الله سبحانه لهم للحد من فرقة الناس ولجمعهم حول محور واحد.

وفي حديث آخر عن الحسن بن ظريف بيّن فيه الإمام العسكري عليه السلام المصداق البارز لحزب الله عند اختلاف الكلمة، قال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: ما معنى قول رسول الله لأمير المؤمنين عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة»[2].

وجاء في كتاب المحتضر للحسن بن سليمان عنه عليه السلام في هذا السياق ما يؤكد فضل أهل البيت: ووجوب ولايتهم، قال: «روي أنه وجد بخط مولانا أبي محمد العسكري عليه السلام:... فنحن السنام الأعظم، وفينا النبوة والولاية والكرم، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى، والأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا، ويقتفون آثارنا، وسيظهر

(١) الأنصاري، الشيخ محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ج١، ص٢٩.
(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٣٠٣.

حجة الله على الخلق بالسيف المسلول لإظهار الحق...» [١].

وفي كتابٍ آخر له عليه السلام إلى محمد بن الحسن بن شمّون: «... نحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استبصر بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبّنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار» [٢].

ثالثا: مبدأ التمهيد لغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: لقد انتهج الإمام العسكري عليه السلام على خطى أبيه عليه السلام في التخطيط لمستقبل الإمامة والتحضير لزمان الغيبة بتهيئة المقدمات الضرورية للانتقال من مرحلة الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة، وتعويد أتباعهم على ذلك فكراً وسلوكاً وهو صورة من صور التربية التي أراد الإمام أنْ يثيرها في نفوسنا وهو ان نكون منتظرين دوماً لفرج الله تعالى، ونصره وان يكون ارتباطنا بالله تعالى فهو وحده المخلص، والمنجي من كل بلاء من خلال إرسال من يراه مناسباً من عباده للخلاص من كل واقع مريض يعاني منه الفرد والمجتمع.

ان المشهد خطير والاحداث تتسارع وإمامة الإمام الثاني عشر على الأبواب والأعداء من الداخل، والخارج يسترقون السمع ويترصدون الأخبار؛ لذا فقد كانت المهمة التي نهض بها الإمام العسكري عليه السلام في هذا السبيل صعبة للغاية؛ ذلك لأنه والد الإمام الثاني عشر عليه السلام ويقع عليه العبء الأكبر في ترسيخ مبدأ الغيبة التي بدأت تباشيرها وأوشك زمانها في وقت عصيب عملت فيه السلطة الحاكمة على عزل الإمام عليه السلام عن أصحابه، ومواليه، وشدّدت الرقابة عليه، ووقفت ضدّه، وضدّ فكرة الغيبة بالذات رغم انها مفهوم تربوي قرآني فهذا نبي الله موسى غاب عن قومه أربعين ليلة كما يروي لنا القرآن ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ**﴾ [٣]، لذا

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٤٦.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٣٠٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

سعى الإمام إلى بث ذلك المبدأ في نفوس المسلمين ليحافظوا على ذلك السليل المبارك الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً، قَالَ ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً»[1]

لكن مع ذلك استطاع إمامنا الممتحن الصابر عليه السلام أن ينهض بهذه المهمة العسيرة بكلّ جدارة وقوة، فعمل على تأصيل هذا المبدأ العقائدي الذي هو من صميم الدين وضروریاته في نفوس أصحابه، وللحفاظ على خطّهم الرسالي من الضياع، والانهيار والتحذير من الاختلاف والفرقة وغيرها من التداعيات المحتملة للفترة الانتقالية من الظهور إلى الغيبة، كما استطاع أن يتّخذ تدابير الحيطة، والسرية للحفاظ على حياة ولده الحجة عليه السلام من الأعداء.

فقد اتخذ الإمام العسكري عليه السلام ومن قبله أبوه عليه السلام أُسلوباً شبيهاً بمنهج الإمام المهدي عليه السلام في الاحتجاب عن الناس وإيكال أمر تبليغ الأحكام وقبض الحقوق المالية وإيصال التواقيع الصادرة عن الإمام إلى الوكلاء الذين يختارهم من خاصة أصحابه، لغرض تهيئة الذهنية العامة؛ كي تستسيغ هذا الأسلوب ويحسن تقبّلها له.

ومن ذلك ما جاء في كتاب (إثبات الوصية) للمسعودي: «روي أنّ أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عددٍ يسير من خواصّه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام كان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان، وإن ذلك إنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمةً لغيبة صاحب الزمان عليه السلام لتألف الشيعة ذلك، ولا تنكر الغيبة، وتجري العادة

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج١٧، ص٤١٦، رقم الحديث، ١١٣١٣.

بالاحتجاب والاستتار»[1].

فقد طغى أُسلوب الاحتجاب على معظم حياة الإمام عليه السلام، تربية منه لاتباعه على ذلك استعدادا لغيبة ولده، فيكون اتخاذ نظام الوكلاء ألزم وأقرب، وكان هذا النظام ـ أي نظام الوكلاء ـ معمولاً به حتى قبل الإمامين العسكريين: لأنّه يحقّق ارتباط الأئمة: بالبلاد البعيدة ذات القواعد الموالية لهم: لكنه أصبح ظاهرة ملموسة تمارسها حتى القواعد القريبة خلال إمامة العسكريين عليهما السلام.

إن الإمام العسكري عليه السلام استطاع من خلال التخطيط للارتباط به عن طريق الوكلاء، أن يمهّد لنفس الأسلوب الذي اعتمده ولده الإمام المهدي عليه السلام خلال غيبته (٢٦٠ ـ ٣٢٩ هـ) وبذلك اعتاد المسلمون هذا الأمر، وتقبّلوه بشكل تدريجي.

المطلب الثاني: الأبعاد التربوية العملية: بعد أن عرضنا أهم ثلاث ركائز اعتمدها الإمام الحسن العسكري في تربية اتباعه عليها نحن الان بصدد بيان البعد العملي الذي نراه في سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والذي يعكس لنا سلوك تربوي ممنهج أراد الإمام عليه السلام ممن يحيطون فيه اتباعه وبثه للناس ليكون منهلا يمكن ان تسعد البشرية باتباعه، وجعلته في أمور أذكرها على سبيل الايجاز وهي:

أولاً: التربية النفسية: إن من أسس بناء الإنسان أن يبدأ ببناء نفسه، فمن حق النفس على صاحبها أن يجعلها بالمقام الذي يرضي الله وأن لا يحيد بها عن الحق وان لا يلبسها ثوب العار والشنار بل يجب عليه ان يدلها في عمله وسلوكه على مواطن الخير حتى تلمع نفسه ويطيب خلقه فيقبله الناس.

فكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام مثالاً يحتذى به في التربية فيروي أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، عامل السلطان على الضياع والخراج في قم فيقول: «ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في

(١) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٧٢.

هَديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد، والوزراء، وعامة الناس»[١].

فالإنسان إذا سعى إلى نفسه فزكاها وأحسن مقامها فإنه سينال من الله الرضا فيلبسه ثوب هيبته فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المؤمن يخشع له كلّ شيء، ويهابه كلّ شيء»[٢] وقال عليه السلام: «إذا كان مخلصاً أخاف الله منه كلّ شيء حتى هوام الأرض والسباع وطير الهواء»[٣].

وهكذا كانت سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام منهجاً في تربية النفس يقول عنه الراوندي: (... له بسالة تذلّ لها الملوك، وله هيبة تسخّر له الحيوانات كما سخّرت لآبائه: بتسخير الله لهم إياها، دلالة وعلامة على حجج الله، وله هيئة حسنة، تعظّمه الخاصة والعامة اضطراراً، ويبجّلونه ويقدّرونه لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وصلاحه وإصلاحه...)[٤].

ثانياً: التربية الخلقية: إن أحد مظاهر تربية النفس هو أنْ يجبلها على طيب الأخلاق ومكارمها فكانت سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام تجسيداً لأسس ومبادئ التربية الخلقية فقد وصفه أبوه علي الهادي عليه السلام، بقوله: «أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة... وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها»[٥] ونال الفضل والفضيلة بسماجة خلقه وطيب تعامله فعد من سادة قريش فقد ذكره أبي

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ص٢٨٥.
(٣) الراوندي، الدعوات، ص٢٢٧.
(٤) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٩٠٢.
(٥) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣١٩.

عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في تعداد صفاته وصفات آبائه المعصومين: قوله: «من الذي يعدّ من قريش أو من غيرهم ما يعدّه الطالبيون عشرة في نسق ؛كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاكٍ؟ فمنهم خلفاء، ومنهم مرشّحون: ابن ابن ابن ابن، هكذا إلى عشرة، وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهذا لم يتّفق لبيتٍ من بيوت العرب ولا من بيوت العجم»[١].

وروى خادمه «أنه عليه السلام كان قليل الأكل، وكان يحضره التين والعنب والخوخ وما شاكله، فيأكل منه الواحدة، والثنتين، ويقول: شل هذا يا محمد إلى صبيانك، فأقول: هذا كلّه؟ فيقول: خذه»[٢]، وفي ذلك درس لنا إلى في المواساة، فلا يريد ان يجعل ميزة بينه وبين خادمه، وهو بذلك يزيل سبب من أسباب الطبقية، والتفرقة بين أبناء الجنس البشري الواحد فضلاً عن الدين.

وقال عنه القطب الراوندي: «أما الحسن بن علي العسكري عليه السلام، فقد كانت أخلاقه كأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله... وكان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً، يحتمل الأثقال ولا يتضعضع للنوائب... أخلاقة على طريقة واحدة، خارقة للعادة»[٣]، وكان الإمام الحسن العسكري يواسي الفقراء بكل شي حتى في ملبسه فروي عن كامل بن إبراهيم المدني، وهو أحد أصحابه عليه السلام: «لما دخلت على سيّدي أبي محمد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه، فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان وينهانا عن لبس مثله؟ فقال: متبسماً: يا كامل ـ وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن على جلده ـ هذا لله وهذا لكم...»[٤].

(١) شرح نهج البلاغة ١٥، ٢٧٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٥٣.

(٣) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٩٠٢.

(٤) عباس القمي، الأنوار البهية، ص٣٤٨.

وكان عليه السلام يحثّ أصحابه على المعروف، فقد روى أبو هاشم الجعفري عنه عليه السلام أنه قال: «إن في الجنّة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف، قال: فحمدت الله تعالى في نفسي وفرحت بما أتكلّف به من حوائج الناس، فنظر إليّ أبو محمد عليه السلام فقال: نعم فَدُم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك»[١].

ويدعونا عليه السلام أنْ نتعامل مع الناس بما يحفظ لهم الكرامة والرفعة وهو سلوك أخلاقي جميل فيقول عليه السلام: (من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه) فيحاول ان يستر على عيوب الناس وفي ذلك صلاح للفرد وللمجتمع إذ إن النصيحة للعلن قد تسبب حالة من الإحراج والتشاحن وبالتالي لا تؤدي النصيحة دورها.

ويضع عليه السلام ميزاناً للتعامل لكل فرد يمكن من خلاله ان يسلم من الوقوع في الضرر فقال عليه السلام: «ان للسخاء مقداراً، فإن زاد عليه فهو سرف وللحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو جبن وللاقتصاد مقداراً، فإن زاد عليه فهو بخل وللشجاعة مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور»[٢]، فكل شي في الحياة إنما يكون ضمن حدود معينة كل زيادة عنها تمثلا فحشاً وخروجاً عن الحد فكلها خاضعة لقانون الله تعالى.

ثالثاً: التربية العلمية: لقد شخص الإمام العسكري عليه السلام الخلل الذي انتاب الأمة فالمشكلة هي مشكلة وعي وجهل أصاب قوم، ففسدت أفكارهم، وانحرفوا وظلوا وأظلوا، لذا كان يعتقد ان بالعلم يمكن أن يصل المجتمع إلى مراتب عالية من الوعي والإدراك، وأعطى لمجال التربية العلمية البعد الكبير في حياته فكان يحيط به ثلة من الطلبة وعمد إلى كتاب الله ففسره إيماناً منه بأهمية ما في القرآن من مباني تكون الشخصية الإسلامية.

---

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤، ص٤٦٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٧.

كان الإمام العسكري عليه السلام أعلم أهل زمانه، وقد بدت عليه مظاهر العلم والمعرفة منذ حداثة سنه، فقد روى المؤرخون «أنه رآه بهلول وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون، فظنّ أنه يتحسّر على ما في أيديهم، فقال: اشتري لك ما تلعب به؟ فقال: ما للعب خُلِقنا، فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾[١] ثمّ وعظه بأبيات من الشعر حتى خرّ مغشياً عليه»[٢].

من هذه الرواية ورغم صغر الإمام ان إدراكه للحقائق يضاهي قمم الجبال فرده للبهلول كان ينم عن ذلك الوعي وعن إرث خصب من الاباء إلى الابناء فاستطاع الإمام عليه السلام بعلمه الذي لا يجارى وفكره الثاقب، ونظره الصائب أن يكشف الحقائق ويظهر الدقائق، ومن ذلك أن السلطة أخرجته من السجن بعد أن شكّ الناس في دينهم وصبوا إلى دين النصرانية؛ لأن أحد الرهبان كان يستسقي فيهطل المطر، بينما يستسقي المسلمون فلم يسقوا، فكشف الإمام عليه السلام عن حيلة الراهب الذي كان يُخفي عظماً لأحد الأنبياء: بين أصابعه، فأزال الشك عن قلوب الناس وهدأت الفتنة[٣].

رابعاً: التربية العبادية: تمثل العبادة الجانب المهم في تربية الإنسان فكلما اقترب العبد من الله اتصف بصفاته وألبسه حلة من حلل جماله عزَّ وجلَّ، وكانت السيرة العبادية للإمام الحسن العسكري عليه السلام تمثل منهجاً في التربية، والسلوك المعرفي فقد كان كثير العبادة كثير الصلاة والصيام بل وضف جميع ما يدون في فلك حياته اليومية لله تعالى فجعل منه منهجاً عبادياً يقربه إلى الله تعالى، فالعمل عباده كان يحث عليه في مروياته فعنه عليه السلام قال: «لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض»[٤] وهو بذلك

(١) سورة المؤمنون، الآية١١٥.

(٢) التستري، إحقاق الحق ج١٢، ص٤٧٣.

(٣) الكعبي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، ص٥.

(٤) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ص٧٢.

يدعوا إلى العمل، وعدم التكاسل وإن ضمنت رزقك.

كان دأب الإمام العسكري عليه السلام التوجّه إلى الله تعالى، والانقطاع إليه في أحلك الظروف وأشدّها، فقد كان يحيى الأيام التي أمضاها في السجن بالصيام، والصلاة وتلاوة القرآن على رغم التضييق عليه.

وكثيراً ما سجن الإمام عليه السلام على يد الحكومة العباسية فقال الموكلون به في السجن: «أنه يصوم النهار ويقوم الليل كلّه لا يتكلّم، ولا يتشاغل بغير العبادة» (١)

وكان عليه السلام معروفاً بطول السجود، فقد روي عن أحد خدمه المعروف بمحمد الشاكري أنه قال: «كان استاذي أصلح من رأيت من العلويين، والهاشميين... كان يجلس في المحراب ويسجد، فأنام وانتبه وأنام وهو ساجد» (٢)

وقد جعل الإمام عليه السلام لعبادة معياراً فالأمر ليس بالصورة المطلقة فيقول عليه السلام قال: (إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقصروها على الفرائض) إن هذا النص يكشف لنا البعد التربوي الذي يحثنا عليه الإمام العسكري عليه السلام في باب العبادة فكثير من الناس قد يؤدي النوافل ولكن من دون إقبال من نفسه ويشعر بحالة من الثقل ولا فائدة بما يبديه من نوافل إنْ كان الحال هذا؛ لذا شخص الإمام العسكري الخلل وأعطى العلاج المناسب، وهو الاقتصار على الفرائض إذا كان الإنسان يعيش حالة من الإدبار.

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٣٤.

(٢) الطوسي، الغيبة، ج١، ص٢٤١.

الخاتمة ونتائج البحث:

١ـ لقد سعى الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى بناء مشروع تّربوي إسلامي، وقد نجح في إعداد ذلك المشروع الذي يصلح لكلّ المجتمعات من حيث التّربية والتعليم والتنشئة، أو من حيث حلّ المشكلات القائمة.

٢ـ إنّ الأساس الذي اعتمده الإمام الحسن العسكري عليه السلام في منهجه هو بناء الإنسان أينما وُجِد، ليتربّى وفقاً للقيم السماويّة الحقيقيّة الصادقة الملائمة لكلّ مكان، وزمان.

٣ـ لقد أثبتت التجارب الإنسانية أن التجربة الإسلامية هي التجربة الأنجح في التربية من خلال النص القرآني، ومن خلال الاتباع للنهج المحمدي الأصيل، فالمنهج الإسلامي يمتاز بالدقة، والواقعية

٤ـ إن أبعاد التّربية الإسلاميّة عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام لم تكن مع الإنسان الإنسانَ في محطة من دون أُخرى، فهي ترافقه في مسيرة حياته منذ نشأته إلى أن يأذن الله برحيله من هذه الدنيا، وتهتمّ به وهو جنين في بطن أُمّه إلى مرحلة ولادته، إلى طفولته، وصباه وشبابه، ورُشده وشيخوخته.

٥ـ تركيز الإمام الحسن العسكري عليه السلام على أهمّية استعمال الأساليب التّربوية الناجحة في التعامل مع الأبناء؛ لأنّ نجاح التّربية الإسلاميّة منوط بنجاح الأساليب التّربوية المستعملة.

٦ـ تأكيد الإمام العسكري عليه السلام في مواقف مختلفة على مبدأ التعامل مع الناس بصورة عأدلة، من غير تمييز، أو مفاضلة بين أحد على حساب آخر، فالكلّ سواء في العملية التّربوية، ومن دون تمايز بين غني أو فقير، أو غير ذلك.

٧ـ جعل الإمام الحسن العسكري عليه السلام مبدأ الانفتاح كعامل أساس في مكوّنات التّربية الإسلاميّة، مؤكّداً على ضرورة الابتعاد عن الانغلاق، والجمود

وعدم التفاعل مع مجريات الحداثة، بل إنّه عليه السلام خطَّ الأُسس العامّة للانفتاح التّربوي والعلمي الواعي على ما هو مفيد مع مراعاة بقاء التّربية الإسلاميّة هي الأصل، ولكن لا بأس بأخذ ما هو مفيد من النظريات التّربوية، أو العلمية الأُخرى.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم.

١) ابن بابويه، عليّ بن عبيد الله الأربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين صحابياً، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ.ق، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة ـ قم المقدسة ـ ١٤٠٥هـ.

٣) الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح رحمه الله (ت٦٩٣ هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، مكتبة بني هاشمي، تبريز – إيران – ١٣٨١ هـ.

٤) الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة المؤلف، تحقيق: الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٢هـ.

٥) ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي السروي المازندراني رحمه الله (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلمية – قم المقدسة.

٦) التستري، نور الله الحسيني المرعشي رحمه الله، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مع تعليقات النفيسة عامة، بقلم العلّامة البارع آية الله السيد شهاب الدين النجفي رحمه الله، مطبعة الإسلامية ـ تهران ـ سنة ١٣٩٣ ق.

٧) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر – بيروت – ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧م.

٨) الحياري، حسن أحمد، معالم في الفكر التربوي معالم في الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي، دار الأمر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١ م.

٩) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط٢، دار الحديث ـ قم. ١٤٢٢هـ.

١٠) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت ٣٨١ هـ)، التوحيد، تصحيح وتعليق، السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المشرفة.

١١) الصدوق، محمد بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

١٢) الصدوق، محمد بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، معاني الأخبار، دار المعرفة، بيروت ـ ١٣٩٩هـ.

١٣) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن رحمه الله (ت ٥٠٢ هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة - الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٤) الطبرسي، حسين النوري، خاتمة المستدرك، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ١٤١٥هـ.

١٥) الطبرسي، حسين النوري رحمه الله (ت ١٣٢٠ هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدسة، ط١، ١٤٠٧ هـ.

١٦) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم رحمه الله (من أعلام القرن الخامس)، دلائل الإمامة، تحقيق ونشر، مؤسسة البعثة ـ قم المقدسة ـ الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٧) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن رحمه الله (ت ٤٦٠ هـ)، الغيبة، تقديم، الشيخ آغا بزرگ الطهراني، ط٢، مكتبة بصيرتي - قم المقدسة - ١٣٨٥ هـ.

١٨) قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله رحمه الله (ت ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩ هـ.

١٩) قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله رحمه الله (ت ٥٧٣ هـ)، الدعوات، (سلوة الحزين)، تحقيق ونشر، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة - الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٠) القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، تحقيق ونشر، مؤسسة النشر الأسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المشرفة، ط١، ١٤١٧ هـ.

٢١) الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، مركز الرسالة، ط١.

٢٢) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٣) الكليني (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، أُصول الكافي، تصحيح الشيخ نجم الدين الآملي منشورات المكتبة الإسلامية - المطبعة الإسلامية، ١٣٨٨ هجري.

٢٤) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب رحمه الله (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، تصحيح وتعليق، على أكبر الغفاري، دار الأضواء - بيروت - ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٢٥) المجلسي رحمه الله (ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: ا نشر وتصوير، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣م.

٢٦) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، ضبط وتصحيح السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٧) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (ت ٣٤٦ هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة أنصاريان - قم المقدسة - ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

٢٨) مسند أحمد بن حنبل (ت٢٤١ هـ)، وبهامشه منتخب كنز العمال، الطبعة

الثانية ١٩٧٨، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٩) مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الإسلام، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٠) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة دار الكتب العربية الكبرى – مصر، الطبعة المحققة محمد أبو الفضل إبراهيم / نشر مكتبة المرعشي / قم.

٣١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله (ت ٤١٣ هـ)، الإرشاد، ط٣، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

البحث الثاني عشر

أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وأثرها في اكتساب القيم التربوية الإسلامية

أ.م.د. حيدر محسن سلمان الشّويليّ

الملخص:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأثرها في اكتساب القيم التربوية الإسلامية، وقد اشتمل مجتمع البحث على جميع طلبة كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار للعام الدراسي ٢٠١٢-٢٠١٣، وعددهم (٤٠٠) طالباً، وتكونت العينة من (٢٥٠) طالباً وطالبة.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي، كما تم استخدام استبانة وتم تطويرها بعد التأكد من صدقها وثباتها الذي بلغ (٠,٨٢) عن طريق إعادة التطبيق، وقد استخدم الباحث المتوسطات والنسب واختبارات (T.Test) لمناسبتها لأهداف البحث، وقد وزعت الاستبانة على عينة البحث، وبعد تطبيق الأداة. كشفت نتائج البحث أن لأقوال الإمام الحسن العسكري دوراً في اكتساب القيم التربوية الإسلامية

وتوصل الباحث إلى استنتاجات أهمها: إن لأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام دوراً في اكتساب القيم التربوية الإسلامية.

وأوصى الباحث بعدد من التوصيات منها ضرورة قيام المؤسسات بواجبها في مواجهة الغزو الثقافي الأجنبي، والعودة للموروث الثقافي المستمد من القرآن الكريم وأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام بما يحويه من قيم أصيلة تتناسب وتقاليدنا الإسلامية، وواقعنا التربوي.

كما اقترح الباحث: إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة الاتجاه والدافعية نحو أقوال وحكم ومواعظ الأئمة عليهم السلام لما تحتوي من قيم تربوية ودينية.

الفصل الأول: التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث:

إن حركة التربية المعاصرة بما تتخذه من استراتيجيات وتوجهات، وبما ترنو إليه من توقعات وآفاق، لتؤكد أن مجال التربية ميدان إبداع بقدر ما هو ميدان تحد واختبار. كما أن إيمان الباحث بقدسية المجال وسمو أهداف العاملين به هو دافع أسمى إلى إجراء مثل هذه الدراسات والبحوث، فالتربية بشكل عام تتطلب الالتزام بمحددات ودساتير ولوائح قيمة ينطلق منها العاملون في ممارستهم المختلفة، وفي إطار التقدم الهائل في مجالات التطبيق فإنها ـ أي التربية ـ أحوج ما تكون إلى تلك المحددات التي تدعم صواب ما يقرره وما يفعله كل فرد عامل بها.

وقد ركز هذا البحث على طلبة المرحلة الجامعية لما لهذه المرحلة من أهمية، وتعد من أخطر المراحل التي تواجه الآباء والمربين، اجتياز الشباب لهذه المرحلة بسلام يؤذن بأنه سوف يمضي في حياته صحيح النفس سوي الشخصية، أما إذا لم يخرج منها الشباب سليماً، فإن ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسي وسلوكه الاجتماعي في المستقبل[1].

ومن هنا، وبناءاً على ما سبق جاء البحث الحالي لتسليط الضوء على أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وتتمثل مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل هناك دور لأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في اكتساب القيم التربوية الإسلامية.

(١) محفوظ، محمد جمال الدين، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، ص٩.

ثانياً: أهمية البحث:

إن المدقق في المتغيرات العالمية المعاصرة التي تحدث في حياتنا اليوم يتبين له أنها أكثر من مجرد أزمات طارئة تنتهي بدخول العالم القرن الحادي والعشرين، أو بإحداث تعديلات طفيفة على سلوكياتنا، ومهاراتنا اليومية، بل إنها تشير إلى انبثاق عصر جديد فكراً ومفهوماً وتطبيقاً.

فالاهتمام بفئة الشباب في المجتمع، والانشغال بقضايا الشباب يعبر عن الاهتمام بمستقبل المجتمع الإنساني ككل، كما أن مرحلة الشباب لا تقل خطورة وتأثيراً في التنشئة الاجتماعية الكلية للإنسان عن مرحلة الطفولة المبكرة، وتعد مرحلة الشباب أكثر مراحل العمر تأثيراً بالتغيرات السريعة التي تطرح اختيارات عديدة فيما يتعلق بالالتزام بالحاضر، والمستقبل[1].

ولا سيما إنّ الشباب اليوم يتعرض لعوامل عديدة مثل العولمة والغزو الفكري، والآثار المترتبة عليهما في كافة المجالات مما يوجب على المؤسسات وضع تصور جديد للأهداف، لكي تتمكن من القيام بالدور اللازم والمهم في تدعيم القيم، كل هذا أوجد لدى الباحث المبررات الكافية للبحث في هذا المجال، وذلك لشعورهم بحجم التحديات التي تواجه قيم المجتمع العراقي والتي يحملها شبابه.

إن دراسة سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام تعتبر من الأسس القويمة للبناء الفكري والمنهج السلوكي لديننا الحنيف؛ لأنهم الامتداد الحقيقي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء، والحُماة الأُمناء لمفاهيم الرسالة وعقائدها من حالة التردي والتحريف والضلال.

من هنا فإننا بحاجة إلى دراسة متأملة، وقراءة متأنية تلمّ بأطراف تلك السيرة المشرقة بالعطاء، لنجعلها نصب أعيننا فنستجلي مواطن العبرة فيها، ونستلهم دروس العظمة منها، ونتعاطى مع دلالتها المتناغمة مع مسيرة الحياة بما تحمله من متطلبات

(١) محمد، محمد علي، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، ص٥.

ومستجدات على كافة مستويات الفكر والمنهج والسلوك.

وبناءاً على ما تقدم فقد تناول الباحث في هذا البحث موضوعاً يعتقد بأهميته القصوى في ظل التأثيرات المتنامية على الأجيال، ما دفع بالباحث لمحاولة التعرف على دور أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في اكتساب القيم التربوية الإسلامية؛ لأن القيم تمثل الأحكام التي يتبناها الأفراد للحكم على صوابية الأشياء أو عدم صوابيتها، فهي تمثل بوصلة للشباب توجههم إلى بر السلامة في ظل مخاطر محدقة بهم.

والإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، الذين حملوا رسالة الإسلام، وتبنّوا أهداف الدِّين الحنيف، ووهبوا حياتهم في سبيله، ووطّنوا أنفُسهم لمواجهة الكوارث، وتحدّي الصعاب والشدائد من أجل نشر قيمه وأهدافه، فما أعظم عائداتهم عليه، وما أكثر ألطافهم وأياديهم على المسلمين.

وفي ضوء ما تقدم تكمن أهمية البحث الحالي فيما يأتي:

١. أن هذا البحث يحاول أن يبرز أهمية الموضوع، وانعكاساته على قيم الشباب الناشئ في ظل المستجدات المتسارعة من حولهم: العالم الجديد، والعولمة، والغزو الثقافي.

٢. يسعى البحث الحالي للوصول إلى مقترحات، لكي يتمكن الشباب من مواكبة المستجدات الحادثة، والحفاظ على هويته الثقافية الإسلامية في ذات الوقت.

٣. في ضوء ما سبق فإنه من المؤمل بأن يشكل هذا البحث خطوة على طريق تقدم المجتمع العراقي، ويستفيد منها كل مطلع مهتم بشؤون المجتمع.

ومن هنا يعتقد الباحث أن هذا البحث قد يفيد الفئات التالية:

١. القائمين على المؤسسات التربوية، للنهوض بها؛ لتتلاءم وثقافة المجتمع،

وتساير قيمه ومعتقداته، والغزو الفكري، والأفكار الهدامة، وترسخ لدى الشباب القيم الأصيلة، وفي ذات الوقت تستجيب للتغيرات الحادثة أخذاً بمبدأ الأصالة، والمعاصرة.

٢. العاملين بميدان التنمية المجتمعية، خاصة مؤسسات المجتمع المدني وخدمة المجتمع من خلال تنمية القيم، مع توطيد العلاقة بين هذه المؤسسات، لتكثيف الجهود؛ لأجل تحقيق تقدم ملموس في عملية بناء المجتمع من خلال بناء الجيل الناشئ.

٣. القائمين على تطوير المؤسسات التربوية؛ للرقي بها لكي تتناسب وحاجات الشباب، وترسخ لديهم القيم التربوية الأصيلة والتي تسهم في بناء المجتمع الإسلامي.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة دور أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في اكتساب القيم التربوية الإسلامية.

رابعاً: حدود البحث:

١. الحد البشري: طلبة المرحلة الرابعة في كلية التربية للعلوم الصرفة – جامعة ذي قار.

٢. الحد الزماني: تم تطبيق أداة البحث في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ٢٠١٧ ـ ٢٠١٨.

٣. الحد المكاني: كلية التربية للعلوم الصرفة ـ جامعة ذي قار.

٤. الحد العلمي: أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

خامساً: تحديد المصطلحات.

أولاً: الدور

١. عرفه عبد الحميد١٩٨٦: أن الدور مفهوم اجتماعي يشير إلى نمط من الفعل المتوقع[١].

٢. عرفه مختار١٩٩٧ : نمط من الأفعال، أو التصرفات التي يتم تعلمها إما بشكل مقصود، أو بشكل عارض، ويقوم بها شخص ما في موقف يتضمن تفاعلاً)[٢]

ثانياً: الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام وأبوه الإمام الهادي عليه السلام[٣].

ثالثاً: القيم التربوية الإسلامية:

عرفها (زاهر، ١٩٨٤) بأنها: مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يشتربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة معينة لكي تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته أو اهتماماته[٤].

التعريف الإجرائي: هي صفات إنسانية إيجابية راقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية تؤدي بالمتعلم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة

---

(١) عبد الحميد، محمد نبيل. اتجاهات الزوجة والأبناء نحو تقاعد الزوج وعلاقة ذلك بالتوافق الأسري، ص١.

(٢) مختار، هادي رضا. عمل المرأة وأثره على عدم الاستقرار الأسري، دراسة ميدانية، ص٨.

(٣) عقيل، محسن. من أروع ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سلسلة روائع أقوال المعصومين، ص٥.

(٤) زاهر، ضياء. القيم في العملية التربوية، ص٨-٩.

التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها وهو الدين والعرف وأهداف المجتمع، وتصبح هذه القيم تربوية كلما أدت إلى النمو السوي لسلوك المتعلم، وكلما اكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيداً من القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين القبيح والجميل... إلخ.

الفصل الثاني: جوانب نظرية

إن البحث في سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام بوصفهم قادةً رساليين، وقدوة حسنة تتمثل بهم خصائص العظمة، والاستقامة، يعكس دورهم الإيجابي في تحريك طاقات الأمة باتجاه الوعي الرسالي للشريعة، وتعميق حركة الإسلام الأصيل في وجدانها، وحماية الرسالة من حالة التردي بالوقوف في وجه التيارات الفكرية المنحرفة.

أولاً: حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في سطور.

الإمام أبو محمد الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين حملوا رسالة الإسلام، وتبنوا أهداف الدين الحنيف ووهبوا حياتهم في سبيله، ووطنوا أنفسهم لمواجهة الكوارث، وتحدي الصعاب، والشدائد من أجل نشر قيمه وأهدافه، فما أعظم عائداتهم عليه، وما أكثر ألطافهم، وأياديهم على المسلمين[1].

وكنيته: هي أبو محمد، وكان هو وأبوه وجده عليهم السلام يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا.

ومن ألقابه: العسكري، الزكي، الخالص، الهادي، المهتدي، النقي، الصامت، الرقيق، السراج، المضيء، الشافي، المرضي.

ومكان ولادته في المدينة المنورة، وقيل: سر من رأى.

ومدة عمره الشريف: ٢٨ سنة، وقيل: ٢٩ سنة.

ومدة الإمامة: ٦ سنوات، وقيل: ٥ سنوات وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً.

---

(١) عقيل، محسن، من أروع ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سلسلة روائع أقوال المعصومين، ص٥.

ومكان شهادته هو يوم الجمعة ٨/ ربيع الأول/ عام ٢٦٠ هجرية، قتله المعتضد بالله العباسي بالسم، وروي عن الصدوق رحمه الله أنه من سمه المعتمد العباسي، ومدفنه في سامراء/ العراق، دفن مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام في داره وقد عاش عليه السلام[1].

ولقد كان الإمام عليه السلام فذاً من أفذاذ العقل البشري بمواهبه وطاقاته الثقافية والعلمية، وكما كان بطلاً من أبطال التاريخ، وذلك بصموده أمام الأحداث، وبإرادته الصلبة تجاه الحكم العباسي المنحرف، فقد تمرد الإمام على نظمه الفاسدة، وسعى إلى تحقيق الحق والعدل بين الناس.

أما مُثل الإمام أبي محمد عليه السلام ونزعاته، فهي تضارع مُثل آبائه ونزعاتهم، فقد تشابهوا واتحدوا جميعاً في بلوغ أسمى مراتب الفضائل والكمال. لقد كان هذا الإمام العظيم وحيد عصره في وفرة علومه.

يقول المؤرخون: إنه كان أعلم الناس بشؤون الدين وأحكام الشريعة، وان جميع علماء عصره كانوا محتاجين إلى الانتهال من نمير علومه، ومن مثله البارزة أنه كان أعبد الناس، وأشدهم حريجة في الدين، وقد آثر طاعة الله على كل شيء، وكذلك كان أحلم الناس، وأكظمهم للغيظ، وقد قابل من أساء إليه بالصفح والعفو عنه، وهناك ظاهرة أخرى من نزعاته أنه كان من أجود الناس، وأنداهم كفاً وأكثرهم إسعافاً للفقراء وإعانة للمحوجين، وقد قام بدور مهم في أعاش الفقراء، فقد نصب له وكلاء في كثير من مناطق العالم الإسلامي، وعهد إليهم بتوزيع الحقوق التي ترد إليه، على فقراء المسلمين، وضعفائهم مما أوجب إنعاشهم، وإنقاذهم من البؤس والحرمان في حين أنه كان يعيش عيش الفقراء، فلم يحفل بأي شيء من متع الدنيا، وملاذها، شأنه شأن آبائه الذين أعرضوا عن الدنيا واتجهوا صوب الله والدار الآخرة.

وقد شهد بمكانته، وعظيم منزلته خادمه الشاكري الذي لازم خدمته حينما

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١٠.

سئل عن منزلته، فقال: كان أستاذي ـ أشار إلى الإمام ـ صالحاً من بين العلويين، لم أر قط مثله، وكان يركب إلى دار الخلافة بسر من رأى في كل اثنين وخميس، قال: وكان يوم النوبة يحضر من الناس شيء عظيم، ويغصّ الشارعُ بالدواب والبغال والحمير والضجة، فلا يكون لأحد موضع يمشي ولا يدخل بينهم، قال: فإذا جاء أستاذي سكنت الضجة، وهدأ صهيل الخيل، ونهيق الحمير، وتفرقت البهائم حتى يصير الطريق واسعاً لا يحتاج أن يتوقى من الدواب نَحُفَّه ليزحمها، ثم يدخل، فيجلس في مرتبته التي جعلت له، فإذا أراد الخروج وصاح البوابون: هاتوا دابة أبي محمد، سكن صياح الناس، وصهيل الخيل، وتفرقت الدواب حتى يركب، ويمضي[1].

زواجه.

تروي كتب السيرة الشيعية أن علي الهادي عليه السلام بعث أحد خواص أصحابه وكان نخاساً لشراء أمة رومية معينة وصف له أوصافها، واسمها نرجس بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وتعود في نسبها إلى شمعون الصفا أحد حواري عيسى، فاشتراها النخاس وسلّمها إلى الهادي عليه السلام، الذي سلّمها بدوره إلى أخته حكيمة لتعلّمها أحكام الإسلام، وهكذا بقيت نرجس عند حكيمة حتى تزوّجها الحسن العسكري، فأنجبت له محمد المهدي بن الحسن عليه السلام، وهو الابن الوحيد الذي خلّفه الحسن العسكري عليه السلام، ويعتقد الشيعة أنه أخفياه الله بمعجزة منه في بطن السيدة نرجس حتى لا يعلم العباسيون بحملها وولدت الإمام المهدي عليه السلام الذي غاب الغيبة الصغرى عندما كان في السابعة من عمره، ومن ثم الغيبة الكبرى ولا زال غائباً حتى يومنا هذا.

مكارم أخلاقه.

نأتي هنا إلى ذكر مقومات تلك المنزلة والهيبة التي تتمثل بالملكات القدسية والخصال الروحانية التي اجتمعت في شخصه عليه السلام من العلم والعبادة والزهد

(١) الطوسي، الغيبة، ج١، ص٢٤٠.

والكرم والشجاعة وغيرها من معالي الفضيلة وعناصر العظمة التي تحلّى بها أهل هذا البيت عليهم السلام.

فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله في بيان منزلة الإمام ووجوب معرفته: (أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه)، فالانقطاع عن الإمام يجعل الإنسان في متاهة الحياة فيما يستجد عليه، فيضل السبيل إلى الله تعالى، وهذا يؤدي به إلى التهلكة.

وقال عليه السلام في الحث على الصبر: (ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فإن لكل يوم رزقاً جديداً)، فالصبر على الحاجة خير من المسألة حتى يأتي الرزق من الله، ليغنيك عن المسألة.

ولا بد للمؤمن أن يشكر على النعمة التي أنعمها الله، فالشكر دلالة على المعرفة بقدر النعمة، يقول عليه السلام في ذلك: (لا يَعرِفُ النِّعمَةَ إلّا الشاكِرُ، ولا يَشكُرُ النِّعمَةَ إلّا العارِفُ)، فالشاكر هو العارف والعكس صحيح.

ويحذر الإمام العسكري عليه السلام من الغضب فهو الأداة التي تسبق كل شر ومصيبة، فيقول: (الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ)، فالغضب يذهب العقل عن الإنسان ما يجعله عرضة لارتكاب الذنوب بالكلمة أو الفعل.

ويذكّر الإمام بحسن الجوار، ولا بد للجار أن يستر ما يراه من جاره إن كان فيه سيئة، وان ينشر ما يراه من محاسنه، يقول في ذلك: (مِنَ الْفَوَاقِرِ الَّتِي تَقْصِمُ الظَّهْرَ جَارٌ إِنْ رَأَى حَسَنَةً أَطْفَأَهَا وإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا).

أما تربية الأولاد فكان لها نصيب في حكم الإمام العسكري عليه السلام إذ يقول: (جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ فِي صِغَرِهِ تَدْعُو إِلَى الْعُقُوقِ فِي كِبَرِهِ)، فالجرأة التي يتعلّمها الطفل في صغره ستستمر معه حين يكبر وتؤدي به إلى عقوق الوالدين، فلا بد من

تربية الأولاد تربية صالحة تجعلهم بارين بوالديهم.

وحكم الإمام عليه السلام أكثر من أن تعدد في مؤلفات، وهذا نزر منها، يذكر الإمام عليه السلام أهمية السلام وهو من التواضع، يقول عليه السلام: (مِنَ التَّوَاضُعِ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ والْجُلُوسُ دُونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ). ومن الأمور التي نهى عنها الضحك من دون سبب وجعله من الجهل: (مِنَ الْجَهْلِ الضَّحِكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ).

وختاماً يبين الإمام عليه السلام لنا صفات المؤمن، وأولها صفة الورع يقول عليه السلام: (أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، أَعْبَدُ النَّاسِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الْفَرَائِضِ، أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْحَرَامَ، أَشَدُّ النَّاسِ اجْتِهَاداً مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ)، وأن يقدم له الموعظة سرا لا علانية يقول عليه السلام: (مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَهُ ومَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

وقد كان الإمام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام في معالي أخلاقه نفحة من نفحات الرسالة الإسلامية، فقد كان على جانب عظيم من سمو الأخلاق، يقابل الصديق والعدو بمكارم أخلاقه ومعالي صفاته، وكانت هذه الظاهرة من أبرز مكوناته النفسية، ورثها من آبائه وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس جميعاً بمكارم الأخلاق، وقد أثّرت مكارم أخلاقه على أعدائه والحاقدين عليه، فانقلبوا من بغضه إلى حبّه والإخلاص له، والانتصار على العدو في نظر الإمام عليه السلام ليس بالسلاح أو سوء الخلق، بل يكون بالورع والكرم والحلم، حيث يؤدّي إلى كثرة الأصدقاء الذين يثنون عليك، فالتقوى وحسن الطباع والسلم واللا عنف كلّها سمات تسمو بالإنسان فتحبّب الآخرين إليه، وكلّما ازداد حبّ الناس في المجتمع إليك زادت قوّتك في وجه أعدائك إنّه يقول عليه السلام: (مَن كان الورع سجيته، والكرم طبيعته، والحلم خلّته، كثر

(١) فاضل، ب ت، نقلاً عن مؤسسة علوم نهج البلاغة،
https://inahj.org/articlesandresearch/1423.

صديقه والثناء عليه، وانتصر من أعدائه بحُسن الثناء عليه)، وورد عنه عليه السلام أيضاً: (مَن كان الورع سجيّته، والأفضال حليته، انتصر من أعدائه بحُسن الثناء عليه، وتحصّن بالذِّكر الجميل من وصول نقص إليه). وكان من أجود الناس، وانداهم كفاً وأكثرهم إسعافاً للفقراء، وإعانة للمحتاجين، وقد قام بدور مهم في إنعاش الفقراء، فقد نصب له وكلاء في كثير من مناطق العالم الإسلامي، وعهد إليهم بتوزيع الحقوق التي ترد إليه على فقراء المسلمين وضعفائهم ممّا أوجب إنعاشهم وإنقاذهم من البؤس والحرمان في حين أنّه كان يعيش عيشة الفقراء، فلم يحفل بأي شيء من متع الحياة وملاذها، شأنه شأن آبائه الذين اعرضوا عن الدُّنيا وزهدوا فيها. وكان من الطبيعي تقدير الأُمّة بجميع طبقاتها للإمام أبي محمّد عليه السلام، وتعظيمها له، فقد وقفت على هديه وصلاحه، وعزوفه عن الدُّنيا، وإخلاصه للحقّ، وتفانيه في طاعة الله وعبادته، بالإضافة إلى ذلك فقد تبنّى الإمام القضايا المصيرية للعالم الإسلامي، ونادى بحقوق المسلمين في أكثر من مناسبة؛ ولذا يجب علينا أن ننمي فينا هذا الشعور الإنساني العظيم ونتعامل مع الآخرين بالمحبّة والرحمة والرأفة وأخلاق حسنة على مسير أهل البيت عليهم السلام، وكما قال الخالق في كتابه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[1]. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ينفتحوا على الناس من خلال قلب رؤوف حنون، ولسان ليّن لطيف عذب. وهذا ما يجب أن نتعلّمه في مجتمعاتنا، من أجل أن تكون المحبّة هي الوسيلة للهداية. هكذا ينبغي لنا أن ننفتح على الناس الذين نريد أن نوصل لهم رسالة الإسلام ومبادئ الدِّين الحنيف[2].

(١) سورة آل عمران، الآية١٥٩.

(2) https://alqabas.com/article/603762.

استشهاده عليه السلام

استشهد عليه السلام مسموماً في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ[١]، وقد سمه المعتمد العباسي[٢].

من وصايا الإمام العسكري عليه السلام وإرشاداته لشيعته

وتضمّنت وصايا الإمام ورسائله، بيان الأحكام الشرعيّة ومسائل الحلال والحرام كما اشتملت على خطوط للتعامل مع الآخرين وكان ذلك بمثابة منهاج سلوكي ليسير عليه شيعته، ويقيموا علائقهم وفقاً له فيما بينهم وبين أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه وإن اختلفوا معهم في المذهب والمعتقد، ومن هذه الوصايا:

١ ـ قوله عليه السلام: أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والإجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجرٍ، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صَلّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتّقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جُرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل فينا من حُسْن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، ولنا حقٌّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهيرٌ من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصّيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام.[٣]

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص٣٦٦. الأئمة الاثنا عشر، ص ١١٣. الكفعمي، مصباح الكفعمي، ص٥١٠. الدروس، ص١٥٤.

(٢) المجلسي، البحار، ج٥٠، ص٣٣٥. الكفعمي، مصباح الكفعمي، ص٥١٠.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٥٤٤.

٢ ـ وقال عليه السلام: أمرناكم بالتختّم في اليمين ونحن بين ظهرانيكم والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم فإنّه أوّل دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت.

وقال عليه السلام لهم: حدثوا بهذا شيعتنا(١).

٣ ـ وكتب الإمام الحسن العسكري عليه السلام وصيّته إلى أحد أعلام أصحابه، هو علي بن الحسين بن بابويه القمي جاء فيها:

أوصيك... بتقوى الله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والحلم عند الجهل، والتفقّه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ واجتناب الفواحش كلّها، وعليك بصلاة الليل فإنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيّتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتّى يعملوا به، وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج...(٢).

وبذلك رسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام منهجاً واضحاً لشيعته للسير عليه وهو يتضمّن مبادئ وأحكام الشريعة الإسلاميّة، وما تدعو إليه من خلق رفيع، وحسن تعامل مع الناس سواء أكانوا موافقين لشيعته في المبدأ أم مخالفين لهم، وتلك هي أخلاق الإسلام التي دعى إليها رسول الإنسانيّة محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٨١.

(٢) القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٣٢٠.

٤ ـ وصوّر الإمام الحسن العسكري عليه السلام الواقع الذي كان يعيشه وما كان يحتويه من اختلاف الناس، ومواليه بتوقيع خرج عنه عليه السلام إلى بعض مواليه حيث طلب من الإمام عليه السلام إظهار الدليل، فكتب أبو محمّد عليه السلام:

«وإنما خاطب الله عَزَّ وجَلَّ العاقل وليس أحد يأتي بآية ويظهر دليلاً أكثر ممّا جاء به خاتم النبيين وسيّد المرسلين، فقالوا: ساحر، وكاهن، وكذّاب، وهدى الله من اهتدى، غير أن الأدلّة يسكن إليها كثير من الناس، وذلك أن الله عَزَّ وجَلَّ يأذن لنا فنتكلّم، ويضع ويمنع فنصمت، ولو أحبّ أن لا يظهر حقاً ما بعث النبيين مبشّرين ومنذرين يصدعون بالحقّ في حال الضعف والقوّة، وينطقون في أوقات ليقضي الله أمره وينفذ حكمه.

الناس في طبقات شتى، والمستبصر على سبيل نجاة متمسك بالحقّ، متعلق بفرع أصيل غير شاك ولا مرتاب، لا يجد عنه ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحقّ من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الردّ على أهل الحقّ، ودفع الحقّ بالباطل، حسداً من عند أنفسهم فدع من ذهب يذهب يميناً وشمالاً فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جَمعها في أهون السعي، ذكرت ما اختلف فيه موالي فإذا كانت الوصيّة والكبر فلا ريب ومن جلس مجالس الحكم فهو أولى بالحكم، أحسن رعاية من استرعيت وإيّاك والإذاعة وطلب الرياسة فإنهما يدعوان إلى الهلكة »[1].

فضل بقعته وزيارته

عن الحسين بن روح، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «قبري بسرّ من رأى أمانٌ لأهل الخافقين».

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: قال لي أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: «قبري

(1) https://research.rafed.net/

بسرّ من رأى أمانٌ لأهل الجانبين».

وذكر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله هذه الزيارة للإمامين العسكريين عليهما السلام.

فقال: (إذا أردت قبريهما تغتسل وتتنظف، والبس ثوبيك الطاهرين، فإن وصلت إليها وإلا أومأت من الباب الذي على الشارع وتقول: السلام عليكما يا وليي الله، السلام عليكما يا حجتي الله، السلام عليكما يا نوري الله في ظلمات الأرض، السلام عليكما يا من بدا الله فيكما، أتيتكما عارفاً بحقكما، معادياً لأعدائكما، موالياً لأوليائكما، مؤمناً بما آمنتما به، كافراً بما كفرتما به، محققاً لما حققتما، مبطلاً لما أبطلتما، أسال الله ربي وربكما أن يجعل حظي من زيارتكما الصلاة على محمد وأهل بيته، وأن يرزقني مرافقتكما في الجنان مع آبائكما الصالحين، وأسأله أن يعتق رقبتي من النار، ويرزقني شفاعتكما ومصاحبتكما، ولا يفرق بيني وبينكما، ولا يسلبني حبكما وحب آبائكما الصالحين، ولا يجعله آخر العهد منكما ومن زيارتكما، وأنْ يحشرني معكما في الجنة برحمته.

اللهم ارزقني حبهما، وتوفّني على ملّتهما، والعن ظالمي آل محمد حقهم وانتقم منهم، اللهم العن الأولين منهم والآخرين، وضاعف عليهم العذاب الأليم إنّك على كلّ شيءٍ قدير، اللهم عجل فرج وليك وابن نبيك، واجعل فرجنا مع فرجهم يا أرحم الراحمين، وتجتهد أن تصلي عند قبريهما ركعتين، وإلا دخلت بعض المساجد وصليت ودعوت بما أحببت إنّ الله قريب مجيب).

وصلّى الله على الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعلى آبائه عليهم السلام وعلى ولده عليه السلام حجة الله في الأرض، سائلين الله أن ينفعنا ببركته وبركة آبائه، وأن يرزقنا شفاعتهم يوم لا ينفع مال، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[1].

(1) https://books.rafed.net/m/?type=c_fbook&b_id=263&page

ثانياً: أهمية اكتساب (القيم التربوية الإسلامية)

يعتقد الباحث أنه من الضرورة تناول موضوع القيم التربوية الإسلامية، وهو موضوع قديم وخطير، حيث تقوم لأجله الصراعات قديماً وحديثاً وكل حضارة تحاول نشر وفرض قيمها على الحضارات الأخرى مستخدمة عدة أساليب، وأدوات لتحقيق هذه الغاية.

وقد أقتصر الباحث في دراسته للقيم التربوية الإسلامية على القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية، ويمكن استعراض هذه القيم على النحو الأتي:

١. القيم الأخلاقية:

إنّ القيم الأخلاقية تمثل علاقة الإنسان بربه ومجتمعه، وبالكون الذي يعيش فيه، ونظرته إلى نفسه والى الآخرين وإلى سلوكه وكيفية ضبطه، وإلى مكانته من المجتمع بأنظمته وبماضيه وحاضره، ومستقبله، والتي تتمثل في مجموعة القوانين، والأهداف والمثل العليا بصورة تمثل الاستقرار، وتصلح للتنبؤ بالسلوك في المستقبل[١].

وقد استخلص الباحث عدداً من القيم الأخلاقية التي وجدها من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقاً مشتركاً بين العديد من الباحثين، أمثال: طهطاوي (١٩٩٦)، وسمارة (٢٠٠٠)، وصالح (٢٠٠١)، على كونها قيماً أخلاقية إسلامية أساسية، فيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقاً، وهي:

١. قيمة الصدق: من القيم المفضلة، وهي تعني قول الحق والتزام الحقيقة[٢].

٢. قيمة الإحسان: الإحسان إيثار وهو ثمرة طيبة للنفس النقية التقية المخلصة في العمل والعبادة، وقيمة الإحسان تعني أن لا يعطي الإنسان وهو كاره أو مجبر،

(١) عفيفي، محمد الهادي، في أصول التربية الأصول الفلسفية في التربية، ص٢٨٦.

(٢) محمد، محمد سيد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص٢١٣.

ولا هو متعجب، أو راضٍ عن نفسه؛ لأن ذلك إحسان ظاهري، وهذا يناقض معنى الإحسان كنوع من عبادة المؤمن لله[١].

٣.قيمة التواضع: التواضع صنفان، تواضع عامي، وهو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب، وتواضع خاصي، وهو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعاً، أو شريفاً[٢].

٤. قيمة الوفاء: تعني إيثار النفس الخالصة من شوائب الهوى، ويقظة القلب النقي من موافقة الشر، وتجنب لمهاوي الأنانية وإقبال على الجود والسخاء والعطاء[٣].

٥. قيمة الأمانة: تعني الأمانة مدى التزام الفرد بالمحافظة على ممتلكات الغير وعدم إتلافها وإعطاء الحق لصاحبه، ورد الأمانات إلى أهلها[٤].

*** أهمية القيم الأخلاقية**

تتمثل أهمية القيم الأخلاقية في عدة نقاط أهمها:

١. للقيم الأخلاقية دورها في تماسك المجتمع وسعادته، وبعده عن الفوضى والشقاء فضلاً عن دورها في إحداث التوازن، وتحقيق التكيف[٥].

٢. تعمل على تنمية الوازع الديني لدى الإنسان من دون أي تطرف أو مغالاة كما تعمل على تربية الضمير الإنساني، وحمايته من الأنانية، ونكران الذات في سبيل

(١) الشرقاوي، حس، نحو تربية إسلامية، ص١٣٩.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. منهاج العابدين، ص١٠٠.

(٣) الشرقاوي، حسن، نحو تربية إسلامية، ص١٥٥.

(٤) صالح، عايدة شعبان ديب، برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، ص٤٤.

(٥) حسن، السيد الشحات أحمد، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، ص٦٧.

صالح المجتمع[١].

وقد تبين للباحث مما تم استعراضه أن القيم الأخلاقية السابقة هي قيم أخلاقية أصيلة تتفق وتعاليم ديننا وعادات مجتمعنا، وأنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للشباب الجامعي، وهذا ما يبرر أهمية هذا البحث تنمية هذه القيم.

٢. القيم الاجتماعية:

حيث يعبر عنها باهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس، فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم، ويجد في ذلك إشباعاً له.[٢]

واستخلص الباحث عدداً من القيم الاجتماعية التي وجدها من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقاً مشتركاً بين العديد من الباحثين، أمثال: طهطاوي (١٩٩٦)، وبربخ (٢٠٠٠)، والهندي (٢٠٠١)، وزقوت (٢٠٠٠)، وسمارة (٢٠٠٠)، كونها قيماً اسلامية اجتماعية أساسية وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقاً، وهي:

١. قيمة التعاطف: وتعني وجود اتجاه لدى الفرد نحو مشاركة الآخرين في مشاعرهم وانفعالاتهم ومواقفهم المؤلمة وتفهم معاناتهم والإحساس بها[٣].

٢. قيمة بر الوالدين: يعتقد الباحث أن المقصود ببر الوالدين هو مدى التزام الابن بخدمة والديه والتذلل لهما، والسهر على راحتهما، وكسب رضاهما، والدعاء لهما بالرحمة، واحترامها في الكبر.

---

(١) بكر، عبد الجواد السيد، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ص٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٣) صالح، عايدة شعبان ديب، برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، ص٤٤.

٣. قيمة مساعدة الآخرين: تعرف على أنها مدى التزام الفرد بمساعدة من هو محتاج ومد يد العون له سواء أكان كبيراً أم صغيراً[١].

٤. تحمل المسئولية: يعتقد الباحث أن المقصود بقيمة تحمل المسؤولية هو قيام الفرد بواجباته تجاه دينه ومجتمعه وأسرته والمحيط الإنساني من منطلق قناعة ذاتية.

٥. قيمة احترام الآخرين :تعني مدى التزام الفرد باحترام من هو أكبر منه سناً قولاً وفعلاً[٢].

٦. قيمة الصداقة: صلة من الصلات التي تربط الفرد بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به، ويقتربون من حياته اقتراباً خطيراً لأمد طويل[٣].

٧. قيمة التعاون: تعني مشاركة الآخرين والتضامن معهم في كل ما يساعد على إسعاد الفرد والجماعة[٤].

*** أهمية القيم الاجتماعية**

تتمثل أهمية القيم الاجتماعية في عدة نقاط اهمها:

١. إن للقيم الاجتماعية دوراً في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة للفرد المسلم، كما تهدف إلى بناء وتنمية عامل الضبط الاجتماعي في الإنسان، وهو ضبط داخلي ينبع من ذات، أو ضمير الإنسان فيكون هادياً له إلى معرفة وتمييز المقبول وغير المقبول، والحلال من الحرام، وضبط خارجي يتمثل في الالتزام بتعاليم الإسلام

---

(١) صالح، عايدة شعبان ديب، برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. منهاج العابدين، ص١٨٤.

(٤) محمد، محمد سيد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص١٩٧.

المتعلقة بكل من أمور الحياة الاجتماعية المختلفة(١).

٢. تغرس لدى الشباب المسلم أن فعل الخير جزء لا يتجزأ من مهمة المسلم التي أمره الله بها، فمن هنا فكل فرد ينبغي أن يكون عضواً نافعاً في جماعته، يفعل الخير ويدعو إليه، ويكره الشر وينهي عنه، ويشارك في كل عمل ينهض بالمجتمع(٢).

وقد اتضح للباحث مما سبق أن القيم الاجتماعية الواردة آنفاً هي قيم حسنة تنسجم مع الأعراف الدينية السمحة والتعاليم الإنسانية والعادات المجتمعية السليمة، والتي لها أهميتها بالنسبة للشباب الجامعي، وهذا ما يؤكد أهمية تضمين برامج وسائل الإعلام لهذه القيم.

ثانياً: الغزو الثقافي:

أصبحت قضية الغزو الثقافي، والمجتمع العربي المعاصر من أهم القضايا التي تطرح نفسها بعد التطور الهائل في وسائل الإعلام، وثورة الاتصالات والمعلومات، وتقنيات الاتصال الجماهيرية العملاقة، وظهور عصر الأقمار الصناعية، ومن ثم أمكن النظر إلى هذه القضية على أنها من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في الوقت الحاضر(٣)، فالاختراق الثقافي كآلية متطورة تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة تتفاعل داخل المجتمعات العربية وتسري ببطء ولكن بثبات داخل منظومة القيم العربية، والإسلامية فتعمل على تفتيتها وتمزيقها من الداخل وإحلال القيم الأمريكية ذات الطابع الاستهلاكي محلها، ولا يخفى علينا الدور الذي يقوم به الاختراق الثقافي في إعاقة النمو المستقل للمجتمعات العربية سواء أكان اقتصادياً أم

(١) سمارة، سامي محمد، القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب، ص١٩٩.

(٢) القرضاوي، يوسف، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، ص٥٠.

(٣) محمد، محمد سيد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص٦٧١.

ثقافياً[١].

ثالثاً: مفهوم الدور في التربية:

يرتبط مفهوم الدور ارتباطاً عضوياً ووثيقاً بمفهوم المكانة؛ فكل فرد يلعب دائماً في مكان ـ بشكل شعوري ـ دوراً معيناً .ونحن نعرف بعضنا البعض في هذه الأدوار. فالدور يقدم نموذجاً شاملاً واتجاهات الأفراد، ويمثل إستراتيجية للتعامل مع نمط متكرر من المواقف، ويتم النمط نفسه من خلال المجتمع بشكل واضح إلى حد ما بوصفة وحدة، يتعرض؛ لأن يلعبه أفراد مختلفون بشكل مختلف، ويعد أساساً كبيراً لهوية الأفراد، وتحديد مكانة الأشخاص في المجتمع[٢].

وكل فرد يلعب عدة أدوار في المجتمع في آن واحد، مثلاً قد يكون أحد الأشخاص أباً، ومدرساً، وزوجاً، وغيرها من الأدوار الكثيرة في الوقت نفسه. والفرد يحدد في السلوك الاجتماعي الناضج دوره الخاص بتخيله لدور الآخرين إلى فكرة التداخل بين الأدوار التي يلعبها الشركاء في التفاعل الذي يحدد ما إذا كان التفاعل منسجماً ومنتجاً[٣] ويرى (أبو باشا) أنّ الدور هو مجموعة من الحقوق والالتزامات، ويقسمه إلى ثلاثة أقسام تتمثل في الآتي:

١ـ الأدوار الأساسية: تتمثل في تلك الأدوار المقترنة بالسن والنوع، وأحياناً بالانتماء الطبقي والعرقي، وهي التي تحدد مسبقاً معظم الوظائف المتاحة للفرد، والتي تفرض سلوك المجموعات كلّ منها تجاه الأخرى، وتجاه المواقف الاجتماعية المختلفة.

٢ـ الأدوار العامة: تتمثل في تلك التي تتضمن فرض التزامات واسعة على

(١) عبد الرحمن، عواطف. قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي، ص٦٣.

(٢) أبو باشا، نبوية حلمي، الأدوار المتغيرة للمرأة، ص٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٧.

أصحابها اتجاه الأدوار الأخرى المتاحة أمامهم، أو من جهة أخرى تجاه العلاقات الفردية فيما بينهم.

٣ـ الأدوار المستقلة: وهي تلك التي ليس لها سوى ارتباطات قليلة بالأدوار الأخرى سواء من ناحية الاتصال بها، أو من ناحية سلوك الناس نحو صاحبها. ويعرف (بدوي) الدور بوصفه السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة[١]، ويقسمه إلى نوعين:

١ـ الدور المكتسب: وهو الدور الذي تحدده المعايير الثقافية، وهو مجموعة من أنواع السلوك المتوقعة لمن يقوم بدور معين.

٢ـ الدور المفروض: وهو الدور الذي ينتسب للطفل منذ ولادته، أو عند بلوغه سناً معينة؛ كدوره كذكر أم أنثى، كما إن مراحل العمر المختلفة تقترن بتوقعات مختلفة، وكذلك فإن الأدوار التي تقوم على أساس عضوية الفرد في جماعة سلالية، أو دينية هي أدوار مفروضة[٢].

رابعاً: دور الإسلام في التربية.

أن أي حياة لا تبنى على العقيدة الإسلامية الصحيحة هي حياة لا تحمل أي خير ولا تشمل أي إصلاح، وأي تربية لا تستمد من العقيدة الإسلامية، ولا تنبع منها هي تربية قاصرة على بلوغ مرادها، وتحقيق أهدافها، إذ العقيدة ذات فاعلية كبرى وأهمية قصوى في توجيه سلوك الفرد نحو الخير والصلاح[٣].

أما القرآن الكريم فهو منهج عظيم لحياة هادفة شريفة، حيث إنه دستور ونظام شامل متكامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية، الأخلاقية، الاجتماعية، الاقتصادية،

(١) بدوي، زكي، قاموس العلوم الاجتماعية، ص٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠.

(٣) الحمد، حمد بن ناصر بن محمد. العقيدة نبع التربية، ص١٨.

البيئية، الصحية، النفسية، الروحية، الجسمية، والسياسية. وينبغي لمن يريد أن يحيا حياة كريمة، وآمنة أن يفهم ما جاء في القرآن الكريم، ويدرسه ويتدبر معانيه وأحكامه ويعمل بها، ويطبق ما جاء فيه من قوانين ونظم في كافة جوانب الحياة،

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون آيات القرآن الكريم خمساً، خمساً، لا يتجاوز لغيرها حتى يحفظون الآيات الخمس الأولى، ويفهمونها، ويعملون بما فيها[1].

ولقد أصبح المسلمون خير أمة أخرجت للناس، ثم قامت بنشر الإسلام وتعاليمه للناس حتى وسع أقطار العالم، واعتنق الناس الإسلام طواعية دون إكراه، لما لمسوه في المسلمين من كمال عقيدتهم، وحسن أخلاقهم وجميل عشرتهم. كما أن مسائل الإيمان إذا استقرت في النفوس وتعلقت بها القلوب، واطمأنت إليها تحركت الجوارح على ضوئها، ومالم تبلغ هذا المبلغ لا تعد عقيدة بمعناها الحقيقي الذي مداره على اللزوم والاستيثاق والتأكد المبني على الإدراك التام.

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي، ص١٠.

الفصل الثالث: منهجية البحث وإجراءاته

أولاً: منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي؛ لأنه يتلاءم وطبيعة بحثه وهو يهتم بتصوير واقع الظاهرة التربوية والنفسية والكشف عن أبعادها[١] والبحث الوصفي هو الذي يعني بالدراسات التي تهتم بجمع الحقائق وتفسيرها المرتبطة بطبيعة جماعة من الناس، أو عدد الأشياء أو سلسلة من الأحداث.. أو الموضوعات التي يرغب الباحث في دراستها[٢].

ثانياً: مجتمع البحث وعينته.

اشتمل مجتمع البحث على جميع الطلبة في كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار المرحلة الرابعة للعام الدراسي ٢٠١٢/ ٢٠١٣، وعددهم (٤٠٠) طالباً وطالبة، وقد اختار الباحث عينة من الطلبة بلغ عددهم (٢٥٠) طالباً، من مجتمع البحث.

ثالثاً: أداة البحث.

يكثر استخدام الاستبانات في البحوث التربوية ولاسيما الوصفية منها، حيث تسعى الاستبانة إلى الحصول على معلومات وحقائق محددة عن المشكلة المعينة ولتحقيق أهداف البحث، ولجمع المزيد من البيانات والمعلومات والحقائق المتعلقة بالبحث ولبناء هذا الاستبانة قام الباحث بالإجراءات التالية:

١. الاطلاع على سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٢. الاطلاع على الأدب التربوي المتصل بموضوع البحث.

---

(١) الزوبعي، عبد الجليل إبراهيم ومحمد أحمد الغنام، مناهج البحث في التربية، ص١٥.

(٢) داود، عزيز حنا، أنور حسين، مناهج البحث التربوي، ص١٦٠.

* وقد اعتمد الباحث في إعداد الأداة لاستخراج أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام التي تتلاءم مع طبيعة بحثه، على ثلاثة مصادر وهي:

١- بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٢- الكافي.

٣- من أروع ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وبعد بناء الاستبانة قام الباحث بإجراء الصدق والثبات للتحقق من صلاحية تطبيقه على أفراد العينة، وقد تكونت الاستبانة من (٣٠) فقرة وهي أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام. وتم التأكد من الإجراءات الآتية لغرض تطبيق الأداة على عينة البحث.

أولا: الصدق: يقصد بصدق الأداة أن تقيس ما وضعت؛ لأجل قياسه وتحقق الأهداف التي وضعت لها قبل إعدادها[1]، وقد اعتمد الباحث

١. صدق المحكمين: قام الباحث بعرض الصورة الأولية للاستبيان على عدد من الخبراء والمختصين في المجال التربوي وعلوم القرآن، وذلك بهدف معرفة آرائهم وملاحظاتهم، ومقترحاتهم حول فقرات الاستبيان ومدى تحقيقها لأهداف البحث، وبعد ذلك قام الباحث بتفريغ مجموعة الملاحظات التي أبداها المحكمون، وفي ضوئها قام الباحث بإعادة صياغة بعض الفقرات التي لم يتم الإجماع على ملاءمتها، حيث وصلت أداة البحث إلى صورتها النهائية (٣٠) قول من أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٢. صدق الاتساق الداخلي: قام الباحث بتطبيق أداة البحث على عينة

(١) اللقاني، أحمد والجمل، علي، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، ص١٥.

استطلاعية من مجتمع البحث الأصلي مكونة من (٧٥) طالباً، بهدف حساب صدق وثبات الأداة للتحقق من إمكانية تطبيقها على عينة البحث الكلية. ولحساب صدق الاتساق الداخلي، فقد قام الباحث بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية.

ثانياً: ثبات الأداة: يعني الثبات أنه إذا طبق مقياس على مجموعة من الأفراد ورصدت درجات كل فرد في هذا المقياس ثم أعيد إجراء نفس المقياس على نفس هذه المجموعة ورصدت أيضاً درجات كل فرد، فإن الترتيب النسبي للأفراد في المرة الأولى يكون قريباً لترتيبهم النسبي في المرة الثانية[1].

وقد قام الباحث بحساب ثبات الأداة بالطريقة التالية:

تم حساب ثبات الاستبيان باستخدام طريقة التجزئة النصفية، وذلك من خلال إيجاد معامل الارتباط (لبيرسون) بين مجموع درجات الفقرات الفردية ومجموع درجات الفقرات الزوجية، حيث تم حساب معامل الارتباط بين النصفين بمعأدلة (بيرسون)، كما تم تعديل طول الأداة باستخدام معأدلة (سبيرمان براون) للمجالات الزوجية الفقرات) النصفين متساويين، (بمعأدلة جتمان» للمجالات الفردية عدد الفقرات) النصفين غير متساويين

مما سبق يتضح أن الأداة تتسم بدرجة عالية من الصدق، والثبات والذي يعد إشارة إلى أن النتائج ستكون صادقة وعلى درجة عالية من الموثوقية.

رابعاً: تطبيق أداة البحث.

بعد أن تم إعداد الأداة في صورته النهائية، قام الباحث بتوزيع الأداة على طلبة كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار/ المرحلة الرابعة، التي تم اختيارها

(١) أبو ناهية، صلاح الدين، الطرق الإحصائية في البحث والتدريس، ص١٧٩.

لتطبيق الدراسة الميدانية، حيث بلغ عدد الاستبيانات التي تم توزيعها وجمعها (٢٥٠) استبياناً، وبعد استثناء عدد ٥٠ استبياناً كعينة استطلاعية عشوائية ليتم من خلالها التحقق من صدق وثبات الاستبيان، تم التعامل مع عينة الدراسة (٢٠٠) وهذا العدد يشكل نسبة حوالي (٥٠٪) من المجتمع الأصلي.

وبعد جمع البيانات ونظراً لصعوبة التحليل اليدوي للبيانات لكثرة عدد الفقرات وضخامة عدد أفراد العينة استعمل الباحث برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لجأ الباحث لاستخدام البرنامج لتفريغ، وتحليل البيانات للتوصل لنتائج البحث.

خامساً: المعالجة الإحصائية: لقد تممت معالجة البيانات باستخدام الحاسوب حسب برنامج SPSS برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية بهدف الإجابة عن أسئلة البحث، وقد استخدم الباحث من الأساليب الإحصائية :الوسط المرجح، والوزن المئوي.

الفصل الرابع: عَرض النتائج وتفسيرها والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

أولاً: عرض النتائج وتفسيرها:

سيتم في هذا الفصل عرض النتائج التي توصل إليها البحث، وهي كما يأتي:

١. النتائج المتعلقة بالسؤال الذي نص على التالي: « هل هناك دور لأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في اكتساب القيم التربوية الإسلامية "؟

للإجابة عن السؤال: قام الباحث بحساب الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات، وتبين أنّ كل فقرات الأداة حصلت على موافقة عينة البحث وبنسب متفاوتة، والجدول رقم (١) يوضح تلك النتائج، مع الأخذ في الاعتبار أن درجة الموافقة النهائية من وجهة نظر عينة البحث تمت بناءً على قيمة الوسط المرجح والنسب المئوية، وهي على النحو الأتي:

١. كبيرة: إذا كان الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات (٣,٥٠ فأعلى أو ٨٧,٥٠ ٪ فأعلى).

٢.متوسطة: إذا كان الوسط المرجح، والوزن المئوي للفقرات تتراوح فيما بين (أقل من ٣,٥٠ – ٢,٥٠ أو أقل من ٨٧,٥٠ – ٦٢,٥٠ ٪)

٣.ضعيفة: إذا كان الوسط المرجح، والوزن المئوي للفقرات تتراوح فيما بين (أقل من ٢,٥٠ – ١,٥٠ أو أقل من ٦٢,٥٠ – ٣٧,٥٠ ٪)

٤.منعدمة: إذا كان الوسط المرجح، والوزن المئوي للفقرات (أقل من ١,٥٠ أو أقل من ٣٧,٥٠ ٪).

الجدول رقم (١)

يوضح الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات

ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي	مدى توافق الفقرة
١	خير إخوانك من نسي ذنبك إليه	٢,٧٧	٪٩٢,٣٣	كبيرة
٢	كفاك أدباً تجنبك ما تكره من غيرك	٢,٧٧	٪٩٢,٣٣	كبيرة
٣	أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته	٢,٧٧	٪٩٢,٣٣	كبيرة
٤	لا تكرم الرجل بما يشق عليه	٢,٧٥	٪٩٢	كبيرة
٥	من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة	٢,٧٥	٪٩٢	كبيرة
٦	ومن لم يتق وجوه الناس لم يتق الله	٢,٧٥	٪٩٢	كبيرة
٧	التواضع نعمة لا يحسد عليها	٢,٧٤	٪٩١,٣٣	كبيرة
٨	من وعظ أخاه سراً فقد زانه. ومن وعظه علانية فقد شانه	٢,٧٤	٪٩١,٣٣	كبيرة
٩	من الفواقر التي تقصم الظهر جار إن رأى حسنة أخفاها، وإن رأى سيئة أفشاها	٢,٧٤	٪٩١,٣٣	كبيرة
١٠	صديق الجاهل تعب	٢,٧٣	٪٩١,٢٤	كبيرة
١١	لا تمار فيذهب بهاؤك، ولا تمازح فيتجرأ عليك	٢,٧٣	٪٩١,٢٤	كبيرة

ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي	مدى توافق الفقرة
١٢	احذر كل ذي ساكن الطرف	٢,٧٢	٪٩١,٢٢	كبيرة
١٣	إن للحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور	٢,٧٢	٪٩١,٢٢	كبيرة
١٤	ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون	٢,٧٢	٪٩١,٢٢	كبيرة
١٥	أقل الناس راحة الحقود	٢,٧١	٪٩١,١١	كبيرة
١٦	الحكمة لا تبخ في الطباع الفاسدة	٢,٧١	٪٩١,١١	كبيرة
١٧	من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم	٢,٧٠	٪٩١,٤	كبيرة
١٨	لا خير في شيء أصله حرام ولا يحل استعماله	٢,٧٠	٪٩١,٤	كبيرة
١٩	ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله	٢,٧٠	٪٩١,٤	كبيرة
٢٠	أزهد الناس من ترك الحرام	٢,٦٩	٪٩٠,٨٨	كبيرة
٢١	إن للسخاء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف	٢,٦٩	٪٩٠,٨٨	كبيرة
٢٢	جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب	٢,٦٩	٪٩٠,٨٨	كبيرة
٢٣	اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره	٢,٦٨	٪٩٠,٧٦	كبيرة

ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي	مدى توافق الفقرة
٢٤	الغضب مفتاح كل شر	٢,٦٨	٩٠,٧٦٪	كبيرة
٢٥	من الجهل الضحك من غير عجب	٢,٦٨	٩٠,٧٦٪	كبيرة
٢٦	من كان الورع سجيته والكرم طبيعته والحلم خلته، كثر صديقه، والثناء عليه، من أعدائه بحسن الثناء عليه	٢,٦٧	٨٩,٦٥٪	كبيرة
٢٧	فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وإنما تنالها في أوانها	٢,٦٧	٨٩,٦٥٪	كبيرة
٢٨	من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي	٢,٦٧	٨٩,٦٥٪	كبيرة
٢٩	حسن العقل جمال باطن	٢,٦٥	٨٨,٣٣٪	كبيرة
٣٠	جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره	٢,٦٥	٨٨,٣٣٪	كبيرة
المعدل العام للفقرات		**٢,٤٥**	**٨٨,٢١**	**كبيـرة**

ثانياً: تفسير النتائج

١. **نتيجة السؤال:** وفيما يأتي عرضاً تفصيلياً لنتائج هذا السؤال، وهي كالأتي:

- جاءت جميع الفقرات بدرجة كبيرة.

وهذا يعني أن تقدير الطلبة لأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في اكتساب القيم التربوية الإسلامية كان بدرجة كبيرة.

ويرى الباحث أن نتيجة دراسته ترجع إلى مدى حاجة الطلبة لتلك الأقوال في حياتهم، وهذا يستدعي مضاعفة الجهود المبذولة لإعداد الأجيال في ضوء سيرة الأئمة عليهم السلام، وأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام والتي تتناسب والأخلاق الحميدة المنبثقة من ديننا الحنيف.

كما يرجع الباحث نتيجة هذا السؤال إلى أن الشباب من طلبة التعليم الجامعي الذين طبقت عليهم الدراسة يتمتعون بقدر متساوٍ من الأدوار لأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام التي تسعى لتنمية القيم لديهم، فالشباب في هذه المرحلة يسعون للحصول على القبول الاجتماعي وهذا يلبي الحاجة السيكولوجية لديهم وهي تقبل الذات.

ثالثاً: الاستنتاجات.

١. أن يتم التركيز في المؤسسات التربوية والتعليمية على أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام لما لها من أهمية وتأثير في اكتساب القيم التربوية الإسلامية.

٢. تساهم أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام بدور فاعل في غرس القيم التربوية الإسلامية في نفوس الشباب الجامعي، ولها دور في البناء الذاتي للفرد.

٣. يرى الطلبة الجامعيون أن تطبيقهم لأقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام تسهم في زيادة خبراتهم، والمساعدة في خدمة المجتمع، والثقة بالنفس، وتنمية

شخصياتهم الاجتماعية تأتي في مقدمة الفوائد التي يجنونها من هذه الأقوال ويرون إنها ذات أهمية مرتفعة جداً.

٤. يرى الطلبة الجامعيون الذين شاركوا في البحث الحالي على أهمية غرس القيم الإسلامية في السنوات المبكرة للنمو، وتفعيل متابعة سِيَرِ الأئمة عليهم السلام في تثقيف أفراد المجتمع.

رابعاً: التوصيات.

في ضوء النتائج التي أسفر عنها البحث يقترح الباحث التوصيات الآتية:

١. ضرورة قيام المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية بواجبها في مواجهة الغزو الثقافي الأجنبي، والعودة للموروث الثقافي المستمد من القرآن الكريم بما يحويه من قيم أصيلة تتناسب، وتقاليدنا الإسلامية، وواقعنا التربوي.

٢. إصدار نشرات للتعريف بالبرامج التربوية الدينية التي تنظمها المؤسسات الحكومية، والأهلية.

٣. دعوة الجهات المسؤولة بتوفير التشريعات اللازمة لتنظيم برامج الشباب.

خامساً: المقترحات.

١. إجراء دراسة تجريبية لمعرفة أثر أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام على التحصيل الدراسي.

٢. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة الاتجاه، والدافعية نحو البرامج التربوية الدينية.

٣. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة فعالية ممارسة طلاب الجامعات للأنشطة الإعلامية الدينية.

المصادر

١) أبو العينين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، ط١، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

٢) أبو باشا، نبوية حلمي، الأدوار المتغيرة للمرأة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٩ م.

٣) أبو ناهية، صلاح الدين، الطرق الإحصائية في البحث والتدريس، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤) الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٧٩م.

٥) بدوي، زكي، قاموس العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٥ م.

٦) بكر، عبد الجواد السيد، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣ م.

٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة، إيران ـ قم، نشر آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤هـ.

٨) حسن، السيد الشحات أحمد. الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩) الحسيني، جمال الدين أحمد بن علي. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، ١٩٩٦م.

١٠) الحمد، حمد بن ناصر بن محمد. العقيدة نبع التربية، ط ١، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

١١) داود، عزيز حنا، أنور حسين. مناهج البحث التربوي. جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠ م.

١٢) دخيل، علي محمد علي. سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ط ١، الجزء السادس، مؤسسة أحمد للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

١٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، الناشر، دار الحديث ـ قم، تأريخ الإصدار، ١٤٢٢هـ.

١٤) زاهر، ضياء. القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٤م.

١٥) زقوت، حنان. الاتجاه نحو التحديث لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة في ضوء بعض القيم السائدة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٠م.

١٦) الزوبعي، عبد الجليل إبراهيم ومحمد أحمد الغنام. مناهج البحث في التربية، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤م.

١٧) سمارة، سامي محمد. القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٠م.

١٨) الشرقاوي، حسن. نحو تربية إسلامية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٣م.

١٩) صالح، عايدة شعبان ديب، برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠١م.

٢٠) الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م.

٢١) طهطاوي، سيد أحمد. القيم التربوية في القصص القرآني، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٢) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن توفى ٤٦٠هـ، الغيبة، إيران، قم المقدسة، مؤسسة المعارف الإسلامية، سنة الإصدار ١٤١١هـ.

٢٣) عبد الحميد، محمد نبيل. اتجاهات الزوجة والأبناء نحو تقاعد الزوج وعلاقة ذلك بالتوافق الأسري، رسالة دكتوراه، قسم علم النفس، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٦م.

٢٤) عبد الرحمن، عواطف. قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي١٩٩٧م.

٢٥) عفيفي، محمد الهادي، في أصول التربية الأصول الفلسفية في التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٦) عقيل، محسن. من أروع ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سلسلة روائع أقوال المعصومين، دار الحجة البيضاء، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.

٢٧) علام، صلاح الدين محمود، الأساليب الإحصائية الاستدلالية البارامترية واللابارامترية في تحليل بيانات البحوث النفسية والتربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٨) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. منهاج العابدين، تقديم الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢٩) القرضاوي، يوسف، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٠) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. تفسير القرطبي، دار الشعب،

القاهرة، ١٣٧٢.

٣١) القمي، عباس، الأنوار البهية توفي (١٣٥٩هـ)، تحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٢) الكليني رحمه الله، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٣) اللقاني، أحمد والجمل، علي. معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٤) المجلسي رحمه الله، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي (ت١١١١هـ). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، مؤسسة الوفاء، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٥) محفوظ، محمد جمال الدين، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٣٦) محمد، محمد سيد. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، مجلة الأزهر، ١٩٨٤م.

٣٧) محمد، محمد علي. الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٨) مختار، هادي رضا. عمل المرأة وأثره على عدم الاستقرار الأسري، دراسة ميدانية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد ٢، الكويت١٩٩٧م.

٣٩) المسعودي، مروج الذهب، ب ت، ج ٤، ص ١١٠.

40) https://research.rafed.net

41) https://inahj.org/articlesandresearch/1423

42) https://alqabas.com/article/603762

البحث الثالث عشر

الأبعاد التربوية في

مقولات الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.م.د. فاضل كاظم صادق العبادي

جامعة ذي قار

كلية الآداب ـ قسم التاريخ

الملخص

تميزت سيرة أهل البيت عليهم السلام بالفضيلة، والعطاء ونشر أكبر بين الناس والدعوة إلى العمل الصالح، وكان الجانب التربوي، والإرشادي قد احتل مكاناً واضحاً في مسيرة هؤلاء المعصومين فكان هذا سعيهم في حياتهم وهم يتعاملون مع مختلف طبقات المجتمع فهدفهم الأسمى سعادة الآخرين ورقي، وتطور أبناء المجتمع بكل فئاته.

وللإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام وكأنه مهمة في الجانب التربوي والوعظي فالذي يقرأ وصاياه، وكلماته وحكمه المختلفة يجد في تراث هذا الإمام الهمام ما يرسم خارطة متكاملة في مجال تربية الإنسان والأخذ به طريق الهداية والصلاح، ونحن في هذه الأيام ما أشدنا حاجة لإشاعة الجوانب الخلقية، والتربوية لمعالجة الكثير من المشاكل التي تعصف بالمجتمع، فبات الرجوع إلى تراث أهل البيت عليهم السلام في هذا الجانب من أولى أولويات المجتمع، وفي ذلك نجاة وحياة للأمة وأبنائها.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن أهل البيت عليهم السلام هم نبع من الفيض الإلهي، وهم نور الله في الأرض حيث مثلوا الدين بكل مبادئه وقيمه خير تمثيل وأفضل تجسيد، فكلامهم واضح في فعلهم وعملهم مصداق لقولهم، ولعل أكثر ما اهتم به أهل البيت عليهم السلام هو جانب الوعظ والإرشاد التربوي؛ لما حدث في الأمة مسارات من الانحراف، والضلال أدت إلى أفعال مشينة استدعت من الأئمة المعصومين عليهم السلام المبادرة، والإسراع في معالجة ذلك وهكذا كان الجانب التربوي طريقاً ومنهجاً لعلاج مشاكل وأزمات المجتمع آنذاك.

إن دراسة تاريخ الأئمة الأطهار عليهم السلام إنما تزيد القلب بهجة والخاطر سروراً والعقل نماءً ورقياً والبحث رونقاً وجمالاً فالحديث عنهم (صلوات الله عليهم) إنما هو حديث عن الحب والخير، والحياة السعيدة الآمنة المطمئنة فهؤلاء الأطهار هم أبناء تلك الدوحة المحمدية الزكية حيث بعث جدهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين فمصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، فهذه الرسالة السماوية إنما جاءت لعموم الناس حملها الرسول لكافة البشرية ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

وهكذا، فالكتابة والبحث في السيرة العطرة لآل بيت الرسول عليهم السلام هي سبر في بحار الأنوار، وأعالي الجنان وسبيل نجاة، وخارطة طريق لحاضر وصفاء ومستقبل مشرق، فالقرب منهم إنما قرب من الله تعالى فهم العروة الوثقى من استمسك بها نجا ومن ضل عنها خاب وهلك.

---

(١) سورة يونس، الآية٥٧.

(٢) سورة سبأ، الآية٢٨.

وتأسيساً على ما تقدم جاءت فكرة هذا البحث في الكتابة عن الأبعاد التربوية في مقولات الإمام المعصوم الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (عليه وعلى آبائه الكرام ألف تحية وسلام) إذ ما أحوجنا في هذه الأيام ونحن نعاني من مشاكل وأزمات على مستويات الحياة المختلفة ما أحوجنا الرجوع إلى تراث أهل هذا البيت الذين طهرهم الله وأعطاهم هذا المقام الرفيع في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1].

فالباحث المتمعن ليجد في تراث أهل البيت وهو يتأمل هذا الموروث الطاهر بعناية واهتمام ليجد فيه دواء ونجاة من العلل، والأمراض التي يعاني منها الناس في حاضرنا ونحن نغرق في هذا السيل العارم من الآفات، والآهات التي تحاصرنا من كل حدب وصوب، فصار لزاماً علينا، والأمر كذلك الأخذ من هذا المعين الذي لا ينضب، والمنهل الذي لا ينقطع حتى نداوي ما نداوي، ونرمم ما نرمم ما خسرناه في مختلف أوجه حياتنا فهذا الفكر المحمدي المبارك إنما فيه شفاء للناس، وبلسماً لكل معاناتهم وجروحهم.

(١) سورة الأحزاب، الآية٣٣.

المبحث الأول: لمحة مركزة عن حياة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام وعصره

ومن فيوضات هذه الشجرة المباركة يطل علينا تراث الإمام العسكري عليه السلام الذي أجاد أيما إجادة في توصيف مسائل كثيرة تخص جوانب تربوية مختلفة، وقبل هذا فالإمام العسكري عليه السلام غني عن التعريف، والإشارة، فهو الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين سيد الشهداء بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كانت ولادته في المدينة المنورة[١].

كانت ولادته على الأرجح في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ثلاثين ومائتين للهجرة، أما وفاته ففي ربيع الأول في الثامن منه للسنة نفسها[٢].

وأمه فاسمها حديث وقيل: سليل[٣]، وكنيته أبو محمد التي كناه بها أبوه الإمام علي الهادي عليه السلام، فهي أبو محمد[٤]، وأشهر ألقابه على الإطلاق (العسكري) وأصل التسمية تعود إلى محلة العسكر في سامراء التي سكنها الإمام الهادي ومن بعده العسكري عليهما السلام[٥].

---

(١) المفيد، الإرشاد، ص٣٧٧؛ الطوسي، التهذيب ج٦، ص٩٢؛ الصغير، الإمام الحسن العسكري، ص١٦.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣؛ المفيد، الإرشاد، ص٣٧٧ وص٣٨٩، الطوسي، التهذيب، ج٦، ص٩٢؛ الصغير، المصدر السابق، ص١٦.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٢؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٣٧٢؛ الصغير، المصدر السابق، ص١٧.

(٤) الصغير، المصدر السابق، ص١٧.

(٥) الصدوق، علل الشرائع، ص٢٤١، الصغير، الإمام العسكري، ص١٨.

تربى الإمام العسكري في كنف أبيه الإمام علي الهادي على مدى اثنين وعشرين عاماً منذ ولادته في ٢٣٢هـ حتى شهادة أبيه الإمام الهادي عليه السلام الذي نص على إمامة العسكري من بعده[١].

ومعروف معاصرة الإمام لبعض من الخلفاء العباسيين، المعتز بالله[٢]، والمهتدي بالله[٣]، والمعتمد على الله[٤]، وفي أيامهم سيطر الأتراك على مقدرات الخلافة العباسية وانتشرت مظاهر الضعف والانحلال والاضطهاد والانحراف على مستويات الحياة المختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية[٥]، ومما لا شك فيه مراقبة العباسيين للإمام العسكري ومضايقته، وتحشيد مختلف إمكانياتهم للحيلولة من دون أخذ الإمام لدوره في التوعية والإرشاد وبناء الأمة آنذاك[٦].

وللإمام العسكري تراثه الذي توزع بين رسائل، ووصايا وحكم وكلمات قصار وتفسير، وأدعية مثلت فكر هذا الإمام المعصوم الهمام، وله كذلك الكثير من

---

(١) محمد حسن آل ياسين، الإمام العسكري، ص٣٢.

(٢) المعتز بالله، هو ابن المتوكل العباسي وقد وصل إلى الحكم بعد عزل المستعين عام ٢٥٢هـ وكان تحت سيطرة الأتراك وبيدهم زمام الأمور الذين خلعوه، ثم قتلوه بعد ذلك سنة ٢٥٥هـ. ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢١٧.

(٣) المهتدي بالله، وهو ثاني الخلفاء المعاصرين للإمام العسكري عليه السلام تولى الحكم بعد مقتل أخيه المعتز سنة ٢٥٥هـ وكان العوبة بيد الأتراك الذين قتلوه بعد ذلك سنة ٢٥٦هـ. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٦، ص٤١١، ج٧، ص٧٨.

(٤) المعتمد بالله، تولى الخلافة سنة ٢٥٦ بعد مقتل المهتدي وكان مولعاً باللهو والفساد والخلاعة والمجون مات عام ٢٧٩هـ. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٤، ص٤١٢ وما بعدها.

(٥) الصغير، الإمام الحسن العسكري، ص٧٠ وما بعدها من الصفحات؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري، ص٧٢ وما بعدها.

(٦) الصغير، الإمام الحسن العسكري، ص٧٠ وما بعدها من الصفحات؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري، ص٧٢ وما بعدها.

التلاميذ الذين درسوا على يديه، وأخذوا من علمه الغزير الشيء الكثير، ولقد أورد الشيخ المجلسي جملة من هؤلاء التلاميذ منهم علي بن جعفر، وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، وداود بن أبي يزيد النيسابوري، ومحمد بن علي بن بلال، وعبد الله بن جعفر الحميري القمي، وأبو عمرو عثمان بن سعيد الزيات، وإسحاق بن الربيع الكوفي، وأبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي، وإبراهيم بن عبيد الله بن إبراهيم النيسابوري، وعبدوس العطار، وأبو طالب الحسن بن جعفر، وأبو البختري والحسين بن روح النوبختي[١].

هؤلاء كانوا من أبرز الأصحاب الذين من خلالهم أوصل الإمام عليه السلام ما كان يريد إيصاله إلى شيعته من التبليغ والوصايا والفتوى والإرشاد والنصح. ولابن شهرآشوب تصنيف آخر لأصحاب الإمام من الرواة والثقاة والوكلاء والأصحاب[٢].

(١) موسوعة الإمام العسكري، ص١١٣؛ القزويني، المصدر السابق، ص١١٤؛ الصغير، المصدر السابق، ص٨٦؛ القزويني، المصدر السابق.

(٢) الصغير، المصدر السابق، ص٩٣.

المبحث الثاني: الأبعاد التربوية في وصايا الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

ويمكن للباحث وهو يتقصّى عصر الإمام وما نشره العباسيون من فساد وانحراف وخطايا لوثت المجتمع آنذاك يجد أنْ لابد للإمام العسكري من فلسفة وطريقة في الإرشاد والتربية؛ ولأنّ الإنسان لم يخلق سدى وإنما لحكمة أرادها الباري عزَّ وجلَّ أساسها استخلاف هذا الإنسان على هذه الأرض، قال تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، وأيضاً ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[2]، فالمفهوم من الآيتين الكريمتين استخلاف الله للإنسان ومراقبة الله لذلك الإنسان عما يقوم به من عمل، ونشاط على هذه الأرض فمسالة الاستخلاف إنما هي مسؤولية كبرى، وأمانة عظمى تتوجب الالتزام بالمبادئ الأخلاقية، والمعاني السامية، والسجايا المحمودة حتى يتحقق الارتقاء إلى مستوى تلك الأمانة وهذه المسؤولية؛ ولأننا نعلم أنّ هذه المنزلة لا ينالها إلا من هو ذو حظ عظيم وهؤلاء هم الرسول، وآل بيته الطيبين الطاهرين ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[3]، فصار لزاماً على الإمام عليه السلام النهوض وبقوة لمواجهة ما كان سائداً في مجتمعه من تخبط وضياع وأمراض وأوجاع وأخلاقيات يندى لها الجبين تضر بالإسلام والمسلمين.

ومن هذا المنطلق بات لزاماً علينا السير على هداهم وتطبيق وصاياهم والأخذ بمقولاتهم، ومن ذلك نعرف أن فريضة البحث قائمة على أساس إعداد الإنسان، وبنائه بناءً صحيحاً وتأهيله بشكل معافى قوياً ناضجاً من الناحيتين المادية، والمعنوية العضلية والذهنية، وذلك يكون من خلال السير على منهج الله العظيم، وطريقه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) سورة يونس، الآية ١٤.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٥.

القويم وخير من مثل ذلك هم الرسول الكريم محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين المنتجين.

وها نحن في هذا البحث نحاول متواضعين قطف ثمار غصن من الدوحة المحمدية المباركة الزكية ممثلة بالإمام العسكري عليه السلام، فما ترك لنا شيئاً في مجال الأخلاق والتربية إلا وأشار إليه فهو عليه السلام على الرغم من قصر عمره الكريم كثرت حكمه ومقولاته فهي إنما تحمل الكبير العديد، والشيء المستفيض من المعاني، والقيم، والأحكام، والفكر الهمام فتعالوا معنا نستجلي ما سطره هذا الإمام ابن سيد الأنام ما هو حرز لنا وخلاص من الذنوب والآثام.

ففي الخطاب التربوي للإمام العسكري ما تمثل في الدعوة إلى ترك المعاصي والذنوب وكل عمل حرام ففي ذلك، قوله عليه السلام: (**أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب وأزهد الناس من ترك الحرام**)[١]، فالاجتهاد بذل الجهد في عمل شاق، وهو الطاقة المبذولة من قبل الإنسان في مواجهة مسألة معينة[٢]، والزهد كذلك فهو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو ضد الرغبة، والحرص على الدنيا[٣]، والتزهيد في الشيء هو خلاف الترغيب فيه[٤].

لو أمعنا النظر مليّاً لعرفنا كيف أن المصطلحين الاجتهاد، والزهد كلاهما يعنيان ترويض النفس الإنسانية وتربيتها بشكل صحيح من خلال الابتعاد بها عن الشهوات والملذات التي تهبط بالإنسان إلى مستويات دنيا عند الانغماس في الأجواء غير الصحيحة من صور الموبقات، والرذائل وفي ذلك يؤنب الإمام عليه السلام من يقع في هذا من المؤمنين

---

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٦٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة جهد.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله)[١]، وفي هذا وصف دقيق للحالة التي يصير عليها الإنسان عندما يقع أسيراً لملذاته، وشهواته حتى يصبح ذليلاً، ولعل الذل أدنى واقسى حال يشهده ابن آدم فالذلة ضعف ما بعده ضعف، واستكانة يجد هذا الإنسان نفسه وهو في أضعف حال محتقراً لنفسه بسبب ما وصل إليه من مهانة، وخسران أولها خسران نفسه بين أبناء أهله، ومجتمعه وفي ذلك تستذكر قول الإمام علي عليه السلام **(شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى اجره)**[٢]، وهو بيان لقوله تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[٣]، الملاحظة الدقيقة جداً في متابعة سلوك الإنسان في هذه الحياة لابد لها من دفع الإنسان باتجاه تنقية وتهذيب نفسه من كل الأدران التي ألمت به بسبب تعلقه بالدنيا وسعيه غير المشروع باتجاه الحصول على الملذات والشهوات وحتى يقي الإنسان نفسه يرى الإمام العسكري عليه السلام، وهي رؤية تربوية بالطبع ضرورة السير في طريق الاجتهاد والزهد وهما مسلكان مهمان لترويض النفس حتى تدخل في ساحة التربية الصحيحة.

وترويض النفس لعلها من أصعب الخطوات والمسالك التي تأخذ بيد أبناء البشر نحو الصلاح والكمال وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام: (وإنما **هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق)**[٤].

من هذا القول الكريم نفهم جملة من الأمور وأولها ان سلاح الترويض هو التقوى التي تعد هي الأخرى مفتاحاً وباباً لكل السلوكيات الحسنة كالاجتهاد والزهد ولا سيما إذا ما عرفنا التقوى هي معيار التفاضل عند الله ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ**

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٧١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١١٨.

(٣) سورة الزلزلة، الآية٧ ـ ٨.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب، ص٤٥.

الله أَتْقَاكُمْ﴾[١] وهذا يأتي مقترناً بوصية لإمامنا العسكري عليه السلام حين قال: (**أوصيكم بتقوى الله**)[٢]؛ ولأن التقوى كما يصفهاالإمام الصادق عليه السلام (**أن لا يفقدك الله حين أمرك ولا يراك حيث نهاك**)[٣]، فهي أُسُ درجات الفضيلة وميزانها الواضح فهكذا وضعها الإمام العسكري في مقدمة قوله هذا حينما أوصى شيعته في مقولة رائعة جاء فيها: (**أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد**)[٤].

المتأمل لهذه الكلمات العظيمة يتبين فيها بناءً تربوياً صلداً لشخصية قادرة على الوصول لدرجات عليا في القرب من الله سبحانه وتعالى والفوز برضائه وجنته فمرضاته عزوجل غاية الآمال ومنتهى الطموح فجاءت التقوى في الوصية مقترنة بالورع فالورع قرين التقوى فهو التحرج والكف عن المحارم وهو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات[٥].

والتقوى حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، وهي جعل النفس في وقاية مما نخاف والابتعاد عن حرمات الله خوفاً ووقاية منه سبحانه وتعالى[٦]، وقد وصف الله سبحانه وتعالى التقوى بخير الزاد وأحسنه ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[٧]، وهي لباس

---

(١) سورة الحجرات، الآية١٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية١٣.

(٣) ابن شعبة، المصدر السابق، ص٣٦٦؛ المجلسي، المصدر السابق، ج٥٠، ص٣٧٢.

(٤) الكليني، الكافي، ج٣، ص٩٣.

(٥) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٨؛ المجلسي، المصدر السابق، ج٥٠، ص٣٧٢.

(٦) ابن منظور، لسان العرب مادة وقى.

(٧) المصدر نفسه.

خير أيضاً (**ولباس التقوى خير**)[١].

وللتقوى ثمار وعواقب من رياض وجنات، فذلك يتضح في عديد آيات قرآنية مباركة منها ﴿**مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٢]، وأيضاً ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[٣]، وأيضاً ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[٤]، هكذا إذن كيف أن التقوى هي مفتاح الرضا الإلهي وانها المنعطف الكبير في حياة الإنسان المسلم التي تؤدي به إلى الفلاح في الدارين الدنيا والآخرة بعدها ينتقل الإمام العسكري إلى سجية وصفة يجب على الإنسان التحلي بها ألا وهي مسألة الصدق يقول عليه السلام في الوصية: (**وصدق الحديث**)[٥]، ومعروف عن الصدق ما يعطيه من هيبة ووقار وعز وعرفان للشخص الذي يتصف بتلك الصفة، وكان رسولنا الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله كان معروفاً قبل بعثته النبوية الشريفة انه الصادق الأمين فحينما يتربى الإنسان على الصدق يصبح عنصراً فاعلاً مهماً في الحياة قادراً على أداء مهامه المنوطة به بكل جد وأمانة حينما يقتنع أن الصدق مفتاح كل علو ونجاة وهنا نستذكر قول الإمام الحسين عليه السلام في خطابه المشهور يوم عاشوراء: (**ما تعمدت الكذب مذ عرفت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه**)[٦].

وفي ذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (**إن الله لم يبعث نبياً الا بصدق الحديث**

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) الأعراف، الآية ٢٦.

(٣) سورة يوسف، الآية ٩٠.

(٤) سورة الطلاق، الآية ٢٠.

(٥) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٦؛ المجلسي، المصدر السابق، ج٥٠، ص٣٧١.

(٦) المقرم، مقتل الإمام الحسين، ص٧٢.

وأداء الأمانة إلى البر والفاجر)[١]، وقول الإمام هذا مصداق وترجمان لقول جده رسول الله صلى الله عليه وآله: **(لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج وطنطنتهم بالليل ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة)**[٢].

ولا يفهم من هذا الحديث كما يفسره آخرون أن هناك استخفافاً بالصلاة والصوم والحج وإنما الذي يصلي ويصوم ويحج ولا يلتزم بالصدق فليس من عباداته شيء حيث إن الصدق وحسن الأخلاق وأداء الأمانة هي المخرجات الصحيحة للصوم والصلاة والحج والزكاة وفي ذلك ورد عن الإمام علي عليه السلام: **(لسان الحال اصدق من لسان المقال)**[٣].

إذ يطرح الإمام علي عليه السلام قضية في غاية الدقة والأهمية هي اقتران القول بالفعل والعمل ولربما هذه من الآفات التي ابتلي بها مجتمعنا في الوقت الحاضر أن من الناس سيما من تولوا مسؤولية الأمة ينظرون ويتكلمون ويقولون فترحب الناس بما يصرحون به وتستبشر خيراً، وتنتظر ولكن في المحصلة أن لا عمل ولا شيء ملموس على أرض الواقع فيذهب القول هباءً ورماداً فيصبح هؤلاء القائلون سنعمل وسنفعل كذابون أفاقون فتحدث الفجوة ثم القطيعة بين الهرم ورأسه، ويحدث ما يحدث من الأزمات والمشاكل التي تقود إلى الإنهيار والسقوط وأساس ذلك عدم اقتران القول بالفعل، وهكذا ورد عن الإمام علي عليه السلام: **(إن الصادق لمكرم جليل والكاذب لمهان ذليل)**[٤]، وحتى يكون المسلم مؤمناً صحيحاً قوياً فعليه الالتزام بالصدق، إذ لخص هذا إمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك بقولٍ رائع ما أحوجنا ونحن في هذه الأيام العمل به، والسر في معنى هذا القول العتيد، إذ ورد عنه قوله: **(الايمان ان**

(١) الكليني، الكافي، ج٢، ص١٤ الحديث رقم ١.

(٢) المجلسي، المصدر السابق، ج٧١، ص٩ الحديث رقم ١٣.

(٣) الآمدي، غرر الحكم، الحكمة ٧٦٣٦.

(٤) المصدر نفسه، الحكمة ٣٤٠٩.

تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)[١].

ومن كل ما تقدم نعرف كيف أن إمامنا العسكري عليه السلام نهل من فيض آبائه وأجداده الكرام في بيان أهمية الصدق، وأثره في بناء شخصية الإنسان المسلم بعد ذلك ينتقل الإمام العسكري بوصيته إلى قوله: (**وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر**)[٢]، وأول ما نتلمس في ذلك هذا النفس الإنساني العالي في التعامل مع الآخرين الذي جسده إمامنا العسكري مع الأبرار، والفجار على حد سواء في مسألة رد الأمانة إلى أصحابها (**فالناس صنفان إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**)[٣].

ويبدو للذي يتأمل هذا القول يجد فيه معنى كبير مفاده لو تعامل الإنسان البار الصالح بأمانة وإخلاص ونزاهة وعفة مع ذاك الفاجر ليتأثر هذا الفاجر بأخلاق البار الصالح، وسيكون سبباً في جلبه لطريق الهداية، والإيمان حينما يجد فيه من الصفات الحميدة ما يجعله قدوة يقتدى به من قبل الفاجر الذي سيتحول إلى طريق الصالحين الأبرار. وهكذا يتكاثر الأبرار شيئاً فشيئاً فيصلح المجتمع، وترتقي الأمة، بعدها ينتقل الإمام العسكري إلى الوصية في (**إطالة السجود**)[٤]، ومعروف ما للسجود من أهمية في أنها إذعان لله، واعترافاً بقدرته عزَّ وجلَّ وخضوعاً من الإنسان المسلم لإرادة الباري عزَّ وجلَّ وتعظيماً لمكانة السميع العليم.

وللمتأمل النبيه في الوصية بالسجود أنه يراها جاءت بعد الوصية بالتقوى والورع والصدق والأمانة وهذا يفهم منه دعوة الإمام الالتزام أولاً بهذه الصفات التي تؤهل الإنسان المسلم إلى مرحلة السجود الصحيح الذي يقبله الله سبحانه

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٠٩.

(٢) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٩؛ المجلسي، المصدر السابق، ج٥٠، ص٣٧٣.

(٣) نهج البلاغة، عهد الاشتر.

(٤) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٦؛ المجلسي، المصدر السابق، ج٥٠، ص٣٧٢.

وتعالى إذ كان مقترناً بالتقوى والورع والصدق والأمانة.

بعد ذلك ينتقل الإمام العسكري عليه السلام إلى الوصية (**وحسن الجوار**)[١]. وحسن الجوار كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام (**ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى**)[٢]، والجوار في فكر آل البيت عليهم السلام وحتى يوصف بالحسن والجمال فلابد من تحمل أذى الجيران والصبر على ما يقومون به من أخطاء وهفوات وممارسات غير صحيحة والهدف من ذلك كما قلنا سابقاً هو خلق القدوة الحسنة التي يقتدى بها فجارك عندما يراك أنّك تحسن إليه وهو يسيء لك فسيأتي اليوم الذي يتأثر فيه بخلقك الكريم وينظم إلى قائمة الخيرين المؤمنين.

هذا السلوك الحسن سيقود إلى نتائج إيجابية تدر على صاحبها بالخير والصلاح والبركة والفلاح والى ذلك أشار الإمام الصادق عليه السلام (**حسن الجوار يزيد في الرزق**)[٣]، وكذلك (**حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الأعمار**)[٤]، ويرى الإمام علي عليه السلام أنّ من ثمار حسن الجوار (**من أحسن إلى جيرانه كثر خدمه**)[٥]، بمعنى الذي يتعاون ويخدم الناس ولا سيما الجيران فسيجد بعون الله تعالى من يعاونه، ويخدمه ويقف معه سيما في الأوقات التي يكون فيها بأمس الحاجة إلى العون، والإحسان على أساس قاعدة من أحسن للناس فإنما يحسن لنفسه.

وبعدها يخلص الإمام العسكري إلى نتيجة مهمة (**وبهذا جاء محمد** صلى الله عليه وآله)[٦]

---

(١) المصدران السابقان والصفحات نفسها.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٦٨٦.

(٣) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٤) الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٦٧، الحديث ٨.

(٥) الآمدي، المصدر السابق، الحكمة ٧٩٦٧.

(٦) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٧٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٧٢.

وهذا أمر لا مناص من الانتباه إليه جيداً فصناعة الشخصية التي تربى صحية معافاة فلابد لها من التقوى والورع والصدق والأمانة وإطالة السجود، وحسن الجوار الذي هو دين وأخلاق وشريعة نبينا صلى الله عليه وآله وفي ذلك تكاملية تربوية دقيقة حيث يرى أمامنا العسكري عليه السلام **(فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا شيعي فيسرني ذلك)**[1].

في نظرة تحليلية فاحصة لهذا القول قليل الكلمات كبير المحتوى كثير القيم السامية يستشف منه كيفية تكوين وبناء الشخصية الشيعية التي لابد لها من مواصفات وسجايا وسلوك وعمل وتفاني وابتعاد عن الأنانية وحب الذات والبعد عن بهرجة الدنيا وزخرفتها ليس بمعنى الزهد المتطرف والرهينة غير المقبولة، وإنما على أساس قول الإمام علي عليه السلام: **(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)**[2]، إذن العملان الدنيوي، والأخروي يسيران بخطين متوازيين.

والمقصود بالشخصية الشيعية التي يطلب الإمام العسكري بناؤها إنما هي الشخصية الإنسانية بمعنى مفهوم الشخصية الشيعية هنا ليس بالمعنى الطائفي الضيق بقدر ما هي شخصية تبنى على أساس اتباعها منهج رسالي إنساني وهو طريق محمد وآل بيت محمد الأطياب الأطهار، فتكامل هكذا أفراد هو سرور، وبهجة تغمر نفس وعقل الإمام العسكري إذ فيسرني ذلك فمسألة سرور الإمام ليس بالشيء السهل؛ لأنه سرور وبهجة محمد صلى الله عليه وآله، وكذلك الإمام علي، وأبناؤه المعصومين عليهم السلام الذي هو قائم على رضا الله تعالى، وسروره، فهو جل في علاه يباهي ملائكته الصالحين بسلوك العباد لما يسيرون في طريق الصواب والفضيلة.

هذا الأمر يقودنا إلى الحديث عن صفات الشيعة، فورد عن الإمام الحسن

---

(١) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٧٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٧٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٧.

العسكري عليه السلام وشيعة علي عليه السلام **هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يؤثرون اخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث يأمرهم، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يقتدون بعلي في إكرام إخوانهم)**[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **(شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة وأهل الزهد والعبادة أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة القائمون بالليل الصائمون بالنهار يزكون أموالهم ويحجون البيت ويجتنبون كل محرم)**[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام ورد أيضاً: **(شيعتنا من قدم ما استحسن، وأمسك ما استقبح واظهر الجميل، وسارع بالأمر الجليل رغبة إلى رحمة الجليل فذاك منا وإلينا ومعنا حيثما كنا)**[٣]، وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: **(ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء)**[٤]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: **(فإنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده، وعمل لخالقه ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر)**[٥].

ولا زلنا مع وصية الإمام العسكري عليه السلام التي يوصي بها شيعته ومحبيه: **(وكونوا**

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري، ص٣١٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٤٥، ص١٤٩.

(٤) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٩٥.

(٥) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٦٦؛ المجلسي، المصدر السابق، ج٤٥، ص٧٢.

زيناً ولا تكونوا شيناً جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فإنه ما قيل فينا حسن فحن أهله وما قيل من سوء فما نحن كذلك لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب)[1].

وفي ذلك تكليف آخر يعكس صورة مهمة في الجانب التربوي، وهي حسن خلق اتباع أهل البيت، إذ لابد لهؤلاء الاتباع من إعطاء صورة فاضلة جميلة عن أنفسهم حتى يصيروا بمستوى تقدير، وقبول أهل البيت عليهم السلام، وعندها يصبح هؤلاء الأتباع محل فخر وثناء فهم عكسوا صورة يعتد بها فصاروا زيناً يعتز به والعكس صحح فالسلوك الطالح لا يعتز به أي إنسان.

(١) المجلسي، المصدر السابق، ج٤٥، ص٧٧.

المبحث الثالث: الأبعاد التربوية في أقوال وحكم الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

ولإمامنا العسكري عليه السلام كلمات وحكم مليئة بالدروس والعبر التربوية فمنها قوله: (**قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه**)[١]، وهذا درس في كيفية التعامل مع الناس والابتعاد عن الغضب والحمق وعدم السيطرة على النفس والمشاعر وهنا كيف يكون موضع القلب في فم الأحمق يعني أنه يتكلم فجأة ويستفز لأي موقف حتى السهل البسيط، ولا يتروى عن قول الأشياء غير النافعة دائماً هو سريع الانفعال، وهذا لا يجوز ولا حري باتباع أهل البيت كونهم كذلك فالحكيم العاقل من كان فمه في قلبه كناية عن الرؤية والكياسة والتفكير والتفكر قبل أي قول أو تبني أي من المواقف فلا ينطق إلّا بعد استنطاق قلبه ووجدانه حتى يصدر منه الصحيح اللائق الذي يعطي المجلس رونقاً وبهاءاً.

وفي مجال بناء الإنسان في إعداده لمعاونة ومساندة الآخرين ولا سيما المقربون قال الإمام العسكري عليه السلام: (**خصلتان ليس فوقهما شيء الإيمان بالله ونفع الإخوان**)[٢]، وهكذا يضع الإمام عليه السلام مسألة مساعدة الإخوان من المؤمنين في مستوى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإخوة التي يقصدها الإمام عليه السلام ليست أخوة رابطة الدم إنّما هي الأخوة بالله وهي العلاقة الإنسانية وما أحوجنا هذه الأيام إلى تلك المساعدة وهذه الأخوة القائمة على النفع والمعاونة يخرج فيها الإنسان من مساحة الإنانية الضيقة وحبه لنفسه إلى مساحة أوسع تذوب فيها مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة والأمة ومن هنا يتوضح محاولة الإمام لدفع اتباع أهل البيت دخول عالم التضحية وإبداء أكثر ما يمكن من الجهد والمساعدة للآخرين وفي ذلك درس آخر من دروس بناء

(١) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٩.

الشخصية التربوية.

وفي جانب النشأة الأسرية وعلاقة الأب بأبنائه حذر الإمام عليه السلام من جرأة الولد على والده وعلى الأب إبداء الحرص التام في مراقبة تصرفات الأبناء في صغرهم وعدم السماح لهم بالتجاوز عليه أياً كان هذا التجاوز، وقد يستغل الأبناء الصغار فريضة انهم صغار وأطفال ويحاولون التجرأ على آبائهم ففي ذلك مضار مستقبلية على الآباء وورد ذلك في قول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (**جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره**)[1]، فهذا الولد لما يبدأ بالجرأة والتجاوز ولم يجد من يمنعه من ذلك فسيتصور في قناعته صحة فعله، وهو ما يقوده إلى العقوق والعصيان تجاه الوالد وتلك لفتةٌ بارعة رائعة من الإمام العسكري ففي إشارة وتنويه إلى مقولة (**التعلم في الصغر كالنقش على الحجر**)، فيكون من الصعوبة التخلص من هذه التصرفات في المستقبل.

ومن التفاتاته ولمحاته (سلام الله عليه) التي تدخل في خانة مراعاة نفوس ومشاعر الآخرين قوله عليه السلام: (**لا تكرم الرجل بما يشق عليه**)[2]، وموضوعة الكرم رغم أهميتها وجمال مضمونها فهي من الأخلاق الحسنة، وهي صفة محبوبة إذا ما تحلى الإنسان بها غير أنّ رؤية الموضوع عند الإمام له بعد آخر في طبيعة الكرم نفسه فعلينا مراعاة المستوى المادي والمعاشي فإذا كان الإكرام لا يتناسب مع قدرة المُكَرم الاقتصادية حيث لا يستطع رد مثله فيصبح في وضع محرج إذ لا طاقة له برده. فهنا يستحسن أن يكون الكرم متناسباً مع قدرات الإنسان المادية والاجتماعية.

وما دمنا في الحديث عن مراعاة الحالة النفسية للآخرين فله عليه السلام مقولة رائعة في جانب البناء التربوي تحدث فيها الإمام عن الوعظ فرغم أهميته لكن له من الضوابط

---

(١) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٩.

ما تحكمه (**من وعظ اخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه**)[١]، فحينما تعظ أخاك سراً وتبصره بالذي يجب أن يكون عليه فهو والحالة كذلك سيكون أكثر استعدادا لسماع النصيحة والوعظ فهو لا يقع تحت وطأة آخرين يسمعون ما يقوله الواعظ فطبيعة الوعظ السري للآخرين فيه فن الشفافية ورعاية المشاعر الشيء الكثير فذلك يخلق تفكيراً ورغبة في الإصغاء من أجل معرفة مواطن الخلل ومعالجتها سواء بنفسه أو يطلب مساعدة الآخرين بعد اقتناعه التام بأهمية وضرورة المعالجة غير أن الموعظة العلنية تجعل الآخرين يطلعون على مثالب وهفوات وأخطاء ذلك الشخص الذي تتم موعظته فهو حتماً سيتذمر ويظل يفكر كيف بعضهم اطلع على عوراته ومثالبه ويبقى منشغلاً كيف أن هؤلاء عرفوا ما هو فيه من نقص وخلل فعند ذلك لا تأخذ منه الموعظة الهدف المراد منها تحقيقه، والمتتبع لسلوك وأقوال وخطابات أهل البيت عليهم السلام يجد واضحاً مراعاتهم لمشاعر وأحاسيس الناس وهم يتعاملون ويوجهون هؤلاء بطريقة لا تخدش، ولا تؤذي من يريدون وعظه وإرشاده وتقديم النصح له وقد ذكر لنا الكثير من تلك المواقف في مجال مراعاة ومداراة خواطر الآخرين وهذا موضوع بمفرده يستحق الدراسة والبحث.

ومتابعة لموضوعة استكمال تربية الشخصية الشيعة ورد عن الإمام عليه السلام قولاً قيماً جاء فيه: (**ما ترك الحق عزيز إلا ذل**)[٢]، إذ يعد الحق منهج الحياة الصحيح فهو يبني الحياة ويطورها وبعكسه الباطل الذي يدمر الحياة ويؤدي بالإنسان إلى مهاوي الردى والانحلال وفي هذا القول العسكري معنىً كبيراً في توصيف العزة هي ليست بالمال والبنين والجاه والمنصب وإنما بمدى وقدرة هذا الشخص أو ذاك الالتزام بطريق الحق والسير فيه لماذا؟ لأنه يعطي من يتخذه سبيلاً، يعطيه بهاءً ووقاراً وعزة وهيبة رغم كثرة المغريات، والملذات، والشهوات التي تكون موجودة في طريق الباطل وقد

(١) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٩.

التفت إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مقولته المشهورة: (**لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه**)[1]، فسلوك طريق الحق مهما كلف من مخاطر وصعوبات إنما عز وفخر لمن سار فيه والحياد عنه ذل ومهانة ولنا في محمد وآل محمد (عليهم الصلاة والسلام) القدوة الحسنة كيف نالوا وفازوا بهذا الخلود الأبدي وقبله مرضاة الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم كانوا قرينوا الحق والسائرون فيه. أما أعدائهم الذين جانبوا الحق، وأهملوه كيف نالوا سخط الله وغضبه، إذ لم يجنوا من باطلهم إلا ملذات دنيوية سرعان ما زالت وظل العار والشنار يلاحقهم إلى الأبد.

وفي مجال العظة والإرشاد التي تؤدي إلى متانة، وقوة البناء التربوي للإنسان يذكرنا الإمام العسكري بقول مفاده أنْ لابد من مراجعة مستمرة لما نعمل وما نسلك، وما نتصرف هذه المراجعة التي تقوم على محاسبة النفس ضرورة لابد منها في تربية هذه النفس من منطلق قصر الحياة الدنيا مهما طال عمر الإنسان، فنهايته الموت، ولعل في الذكر الدائم للموت، وعدم نسيانه إنما تمنع الإنسان من التجاوز على حقوق الآخرين ومن عمل الخطايا، والموبقات، والحرام فهو يتذكر دائماً بقائه المؤقت في هذه الحياة، إذ ليس من المنطق، والحكمة أنك تفعل حراماً وتسير في الباطل حيث لا شيء يدوم يقول عليه السلام: (**إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة**)[2].

ونستشف من هذا القول الكريم درساً في مجال ما نسميه إذا جاز لنا التعبير بالتربية التاريخية، والمقصود به تربية الشخصية، والنشأ من خلال دراسة التاريخ والاتعاظ من دروسه، فالإمام العسكري هو ربيب القرآن الكريم، ولسانه الناطق فهو من شأن قوله هذا يذكرنا بما جاء في كتاب الله العزيز من آيات بينات تدعو الناس جميعاً إلى تأمل أخبار الماضين والسير في الأرض والاطلاع على ما جرى عليهم وما

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١١٣.

(٢) المجلسي، المصدر السابق ـ ج٤٥، ص١١٤.

حل بهم؛ لأنهم حادوا عن طريق الله فليعلم الناس أنهم في آجال منقوصة وأيام معدودة، فليأخذ العبرة من الماضين ولا سيما غير الصالحين منهم كيف آلو وأين حلوا ففي القرآن الكريم العديد من الآيات تدعونا إلى السير في الأرض والنظر إلى عاقبة الأولين قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(١)، وفي قوله عز من قائل: ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(٢)، وذكر تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾(٣) وأيضاً: ﴿**فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(٤)، وكذلك: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(٥)، وفي نفس المعنى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾(٦) وقوله العزيز: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**﴾(٧)، وآيات أخرى بينات تحدثت عن نفس الموضوع والفكرة(٨)، حيث إن السبيل الصحيح لمعرفة معنى ومضمون حركة التاريخ الإنساني، وفهم علاقة الماضي بالحاضر والتطلع إلى المستقبل

(١) سورة ال عمران، الآية١٣٧.

(٢) سورة الانعام، الآية١١.

(٣) سورة يوسف، الآية١٠٩.

(٤) سورة النحل، الآية٣٦.

(٥) سورة الحج، الآية٤٦.

(٦) سورة النمل، الآية٦٩.

(٧) سورة الروم، الآية٩.

(٨) سور، الروم، الآية٤٢؛ فاطر، الآية٤٤؛ غافر، الآية٢١؛ غافر، الآية٨٢، محمد الآية.

لا يتم بالرجوع إلى كتاب الله العزيز القرآن الكريم[١]، إذ سبب وجوب رجوعنا إلى القرآن الكريم في فهم حركة التاريخ، ومعرفة قوانين وسنن هذا التاريخ الحاكمة انما يعود إلى عجز وضعف الإمكانات، والوسائل الإنسانية على إدراك، ومعرفة ذلك[٢].

ولغرض أخذ العبرة من الماضين وفي مجال التربية التاريخية، وردت أحاديث عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله توضح سبب هلاك هؤلاء، وكيف سخط الله عليهم **(إنما اهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[٣]، وقوله صلى الله عليه وآله **(أبشروا واملوا ما يسركم فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أنْ تنبسط عليكم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)**[٤]، وقال كذلك: **(إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنّه لا يحل لك ذلك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)**[٥].

وورد كذلك عن الإمام علي عليه السلام في رسالته إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام يحثه فيها إلى تأمل أحوال الماضين الأولين لأخذ العبرة ومعرفة التجربة وهو درس في مجال التربية من التاريخ: **(أحيي قلبك بالموعظة... وأعرض عليه أخبار الماضين**

---

(١) الكفيشي، عامر، حركة التاريخ في القرآن الكريم، ص٢٥؛ خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص١٢٠. للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع ينظر كذلك محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص٢٧.

(٢) الكفيشي، المصدر السابق، ص٢٥؛ خليل، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٣) البخاري، الحديث ٣٢٨٨؛ ملم الحديث ١٦٨٨.

(٤) البخاري، الحديث ٣٢٨٨؛ ملم الحديث ١٦٨٨.

(٥) أبو داود، السنن، الحديث ٤٣٣٦؛ الترمذي، السنن ٣٠٤٨.

وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا)[١]، وقال عليه السلام في نفس الرسالة: **(أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى غدوت كأحدهم، بل كأني بما انتهي إليَّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره)**[٢].

فإذا نفعل إذن ونحن نطلع إلى تاريخ من سبقونا وماضي من رحلوا إلى ماذا نخلص هنا يدلنا الإمام العسكري عليه السلام أين يكمن الفوز والنجاح، قائلاً: **(من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة)**[٣]، وذلك من أعظم الدروس التاريخ التربوية.

وفي جانب آخر فللإمام حديث عن أدب الجلوس في المجالس في قوله: **(من رضي بدون الشرف في المجلس لم يزل الله، وملائكته يصلون عليه حتى يقوم)**[٤]، وهنا يدعو الإمام عليه السلام إلى التواضع فمكانة الإنسان ليس الجلوس في هذا المكان، أو ذاك ولكن المكانة تكون فيما يقدمه هذا الإنسان من خير وعطاء للآخرين، فصدر المجلس أو المكان المميز فيه ليس دليلاً على مكانة الإنسان من عدمها، فكثيراً ما تصدر المجالس العديد من الطغاة والجبابرة الذين كانوا وبالاً على الناس فعلو الإنسان، ودنوه ليس بمكان مجلسه، بل بقدر انجازه وعمله وحين ذاك تكون قلوب الناس وضمائرهم أرضاً لجلوسه يتربع عليها عزيزاً مكرماً كما هم محمد وآله الأخيار عليهم صلوات الله وسلامه.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١؛ وينظر: محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص٦٧.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١؛ شمس الدين، المصدر السابق، ص٦٨.

(٣) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٩.

(٤) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

ومن الكبائر التي يراها إمامنا الحسن العسكري عليه السلام وهو درسٌ آخر في التربية وبناء الشخصية الصحيحة هي: **(من الفواقر التي تقصم الظهر جار إذا رأى حسنة أخفاها وإن رأى سيئة افشاها)**[1]، الفواقر هي العظام وهنا يصف الإمام الحالة بالفاقرة للدلالة على خطورة تصرف الجار هذا، والعواقب المترتبة عليه، وهو درس لنا في حسن الجوار والإمام هنا يعلمنا موضوعاً في غاية الأهمية، إذ لابد من إظهار الأشياء الحسنة وفي هذا ورد عن إمامنا جعفر الصادق عليه السلام قوله: **(شيعتنا من قدم ما استحسن وامسك ما استقبح)**[2]، فالهدف من إظهار، وإفشاء الأمور الحسنة والتصرفات والمواقف الطيبة حتى تكون قدورة حسنة طيبة لمن يريد الاقتداء بها، والإمساك عن السيئة إنّما أولاً وعظ صاحبها بشكل سري كما أشير سابقاً وحتى لا تنتشر هذه السيئة عندما تكون على مرأى ومسمع الجميع.

ولعل الذي أشير إليه من مقولات لإمامنا العسكري إنما هو القليل والذي ورد عنه في هذا الجانب لكثير كثير، إذ يستدعي من الدراسات والبحوث الشيء والجهد الكبير لغرض الالمام به، وبالتالي فأرجو من الله التوفيق في هذا البحث الذي هو عن مقدمة لبحوث ودراسات كثيرة تبرز وتوضح وتظهر الأبعاد والجوانب التربوية في فكر الإمام العسكري عليه السلام، حيث لب البحث إنما يقوم على وجوب الأخذ من هذا التراث القيم، ليستقيم الأمر وتهنأ الحياة وترتقي الأمة إلى درجات العلى والإزدهار.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٩٧.

(٢) ابن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٨.

الخاتمة

بعد هذا العرض المركز لخطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام في جانبه التربوي نخرج بخلاصة تمثل ما هدف إليه الإمام، وهي ما يأتي:

أولاً: كان خطاب الإمام العسكري عليه السلام في أبعاده التربوية قائماً على وجوب الرجوع إلى الله سبحانه، وتعالى وتبين مبادئ الإسلام الحنيف التي تمثل أساساً متيناً لتقويم مسيرة الإنسان، وتوجيهه نحو الفضيلة وفعل الخير.

ثانياً: أراد الإمام العسكري من المجتمع التمسك بالحق وما يدعو إليه معنى الحق وماذا تمثل فلسفة الحق، والسير فيه في بناء الإنسان، وشخصيته إذا سار على الطريق القويم، والابتعاد عن الباطل الذي يأخذ بالإنسان إلى طريق الذل والمهانة.

ثالثاً: أكد الإمام عليه السلام على أهمية التربية التاريخية والاستفادة من دروس الماضي من خلال تأمل الإنسان لنفسه كيف هو من أجل محتوم، وأيام معدودة منقوصة فهو بالتالي عليه قراءة التاريخ ليرى مصير من سبقه حيث لا يبقى إلا العمل الصالح الذي يفيد الإنسان يوم القيامة.

رابعاً: صرّح الإمام العسكري وجوب ابتعاد الإنسان المؤمن عن الملذات والشهوات التي تكون سبباً في ذل الإنسان وخنوعه بسبب وقوعه تحت طائلة اللذائذ المحرمة التي كانت بداية لانهيار شعوب، والأمم وليس أفراداً وجماعات.

خامساً: واستكمالاً للموضوع أعلاه نجد الإمام عليه السلام يصف أشد الناس اجتهاداً هو من ترك الذنوب، وأزهد الناس من ابتعد عن الحرام والمحرمات.

سادساً: أوصانا الإمام في موضوعة الأمانة، والصدق وضرورة الالتزام بهما باعتبارهما من الصفات الحسنة التي تعطي درساً تربوياً مهماً إذ يرى عليه السلام ضرورة التعامل الصادق، وأداء الأمانة ليس مع المسلمين، والمؤمنين فقط وإنما حتى مع الفجار غير الأبرار.

سابعاً: ربط الإمام عليه السلام بين الإيمان ومساعدة الآخرين من الأقارب، والأباعد حينما جعل معاونة الإخوان مساوية للإيمان، وهذا أمر في غاية الأهمية علينا التأمل فيه ونحن نتعامل مع الناس في حياتنا اليومية.

ثامناً: راعى الإمام العسكري الجانب النفسي والمشاعر الإنسانية عندما يتعامل بعضنا مع الاخر سيما عندما نقدم النصيحة والإرشاد للآخرين فلابد من مراعاة الأوضاع النفسية فالنصيحة يجب أن تكون سرية غير جارحة بأسلوب هادئ فيه الكثير من الشفافية والاحترام.

تاسعاً: أعطى الإمام عليه السلام ومن قبله آباؤه وأجداده مواصفات وسمات وسجايا للشخصية التي يريد صاحبها اتباع أهل البيت، وينطبق عليه وصف الشيعي والتشيع.

عاشراً: ومسك ختام النتائج الذي يعد هو الهدف من البحث فالواجب علينا كاتباع لأهل البيت علينا الالتزام بكل ما ورد من وصايا وحكم، وأقوال حتى نستطيع بناء أنفسنا تربوياً، وأخلاقياً لنصبح مواطنين صالحين قادرين على النهوض بمجتمعنا لتحقيق الرقي والتقدم لنكون فعلاً خير من يمثل خلافة الله في الأرض باتباعنا نهج طريق محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

المصادر

- **القرآن الكريم**

١. ابن خلكان، أحمد بن محمد الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٢).

٢. ابن شعبة، الحسن بن علي الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ).

٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية (بيروت، ٢٠٠٩).

٤. آل ياسين، محمد حسن، الإمام الحسن بن علي العسكري، المطبعة العربية، (بيروت، ٢٠٠٠).

٥. الآمدي، عبد الواحد بن محمد ، غرر الحكم ودرر الكلم، ط١، (بيروت، ١٩٩٢).

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير (دمشق، ٢٠٢٠).

٧. الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٩٦).

٨. خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣، (بيروت، ١٩٨١).

٩. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، (قم، ٢٠٠٠).

١٠. شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي، ط١، (قم، ١٤٠٥هـ).

١١. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، دار المعارف (بيروت، ١٣٨٩هـ).

١٢. الصغير، محمد حسين، الإمام الحسن العسكري، وحدة الهدف وتعدد الأساليب، العتبة العلوية، (النجف، ٢٠١٢).

١٣. الطوسي، محمد بن علي، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الخرسان، (النجف الأشرف، ١٣٧٧هـ).

١٤. عبده، محمد، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، دار المعرفة (بيروت، د.ت).

١٥. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري، مطبعة النعمان، (النجف الأشرف، ١٩٨٠).

١٦. الكفيشي، عامر، حركة التاريخ في القرآن الكريم، دار الهادي (بيروت، ٢٠٠٣).

١٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، (طهران، ١٣٨٣ق.ش).

١٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، (طهران، ١٣٨٥).

١٩. مسلم، الحجاج بن مسلم، الصحيح، دار طيبة، (بيروت، ٢٠٠٦).

٢٠. المفيد، محمد بن النعمان، الإرشاد، (النجف، ١٣٢٩هـ).

٢١. المقرّم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، (قم، ٢٠١٢).

٢٢. مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، موسوعة الإمام العسكري، (قم، ١٤٢٠هـ).

البحث الرابع عشر

قبسات من نور الإمام الحسن العسكري عليه السلام في رحاب التربية والأخلاق

أ.د.ابتسام صاحب موسى الزويني
جامعة بابل
كلية التربية الأساسية

أ.م. رائدة حسين حميد
جامعة الفرات الأوسط
الكلية التقنية / المسيب

أ.م.د. راسم أحمد عبيّس الجريّاوي
جامعة بابل
كلية التربية الأساسية

الخلاصة:

تناول هذا البحث سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وولادته والألقاب التي نسبت له وإخوته، ومعجزاته والمأساة التي تعرض إليها، وما قام به العباسيون عندما تم سجنه وتوصية السجان بأن يضيق عليه في السجن كما تناول البحث علم الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

أما على الصعيد التربوي، والأخلاقي فكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام مدرسة فكرية تمثلت بالعديد من صحابته، وتلامذته التي كانت مسؤوليتهم نشر الأخلاق بين الناس ونشر ثقافة آل بيت النبوة (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

الكلمات المفتاحية، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، رحاب التربية، الأخلاق.

أ.د. ابتسام صاحب - أ.م. رائدة حسين
أ.م.د. راسم أحمد الجريّاوي

المقدمة

الحمد لله حقّ حمده والصلاة والسلام على خير خلقه نبينا محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين، والحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، ولا سّيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل، والأصفياء أبي القاسم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله.

هذا البحث وإن كان صغير الحجم إلا أنه تضمن فوائد عدة، وهي أن الأئمة صلوات الله عليهم لم يشغلهم ما يمرّ عليهم من مصائب، وما يقع عليهم من ظلم، وما تحوطهم به الأيام من محن متتالية عن دورهم في إبلاغ رسالات ربهم، والحفاظ على دين الله عزّ وجلّ وسنّة جدّهم محمدٍ صلى الله عليه وآله، وهداية الناس إلى طريق المولى سبحانه، إن الإمام العسكري عليه السلام مارس دوره في توعية وتثقيف وتهيئة الأمة بسرية تامة، ولم يمنعه تضييق الحكّام عليه، ومراقبتهم الشديدة لتحركاته، فأسس شبكات التواصل السرية بينه وبين الأمة.

ولما كانت الأمم تعتني بحياة عظمائها وكبارها، وتشيّد لهم النصب التذكارية، وتُدَرِس حياتهم للأجيال؛ لأنها ترى في ذلك دعماً لحضارتها، وتشييداً لدعوتها؛ فجدير بالأمة الإسلامية أن تدرس حياة أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، وتبحث عن آثارهم، وتنقب عن أخبارهم، ولتأخذ من علمهم وعملهم وسيرهم نموذجاً حياً يوصلها إلى الرقي والسعادة، ويحقق لها الخير المنشود.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، هو الإمام الحسن العسكريّ بن الإمام عليّ الهادي بن الإمام محمّد الجواد بن الإمام عليّ الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام عليّ السجّاد زين العابدين بن الإمام الحسين سيّد الشهداء بن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم أفضل الصلاة والسّلام، وجدّه الأعلى المصطفى محمّد سيّد الأنبياء والمرسلين صلوات الله

عليه وعلى آله الطاهرين.

وما يخصّنا في هذا البحث هو أخذ قبسات من نوره، وتوجيهه الناس في حياتهم في رحاب الأخلاق والتربية، وأهم ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وصية مباركة شريفة إلى شيعته ومحبيه، وقد إمتازت الوصية بتعليمات مهمة في دعوتها إلى السلم والتعايش السلمي بين الناس عامة، وبين المؤمنين خاصة؛ لأنهم عليهم السلام امتداد للنبي صلى الله عليه وآله ورسالته العالمية التي بُعِثَ بها، ومن هنا جاءت أهمية البحث، وسبب اختيارنا له.

وختاماً نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا مسدداً خدمة لأهل بيت النبوة، وأن يجعلنا من أتباعهم ومواليهم إلى يوم نلقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، والأئمة الهداة المهديين.

المبحث الأول: ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

اختلف المؤرخون في المكان والزمان الذي ولد فيه الإمام عليه السلام، أما عن مكان ولادته فقال بعضهم: ولد في المدينة المنورة، وقال الآخر: في سامراء، أما عن زمان ولادته فقد تعددت فقالوا: ولد سنة ٢٣٠هـ أو ٢٣١هـ أو٢٣٣هـ، وورد عن الإمام الحسن العسكري أنه قال: (كان مولدي في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومئتين بالمدينة)[١]

في اليوم العاشر من الربيع الثاني من عام ٢٣٢ هـ وفي مدينة الرسول استقبل بيت الإمام الهادي عليه السلام الإمام عليه السلام من امرأة فاضلة وهي من السيدات الزاكيات في عفتها وورعها وطهارتها، واختلف الرواة في اسمها الكريم، فقالوا: هي السيدة الجليلة (حُديث)، وكانت تسمّى بـ (سليل)، و(سُمانة)، و(سوسن)[٢]، وكانت من العارفات الصالحات على وفق بعض من ترجم حياتها[٣].

عاش مع أبيه قرابة ثلاث وعشرين سنة، ثمّ كانت إمامته عليه السلام من سنة ٢٥٤ هجريّة إلى سنة ٢٦٠ هجريّة، حيث لم تَطل إلّا خمس سنين وأشهراً، أو ما يقرب من ست سنوات.

ألقابه

١- العسكريّ: كما في اللوح الذي أهداه الله تعالى إلى رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، وذكر ابن خلّكان أنّه هو ووالده عليّ الهادي عليهما السلام عُرِفا بهذا اللقب نسبةً إلى العسكر، وهي المحلّة المعروفة في (سُرّ مَن رأى) إذ أشخصهما المتوكّل إليها، فأقام الإمام الهادي عليه السلام فيها عشرين سنة وتسعة أشهر، فنُسب هو وولده الحسن عليه السلام إليها.

---

(١) الطبري، دلائل الإمامة، ص ٢٢٣.

(٢) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص١٦.

(٣) عبد الوهاب، عيون المعجزات، ص ١٢٣.

٢- الرفيق: كما في صحيفة اللوح المقدّس الذي كان محفوظاً عند فاطمة الزهراء عليها السّلام، وقد نَقَل ذلك جابر بن عبدالله الأنصاريّ ذلك بعد أن قرأه، (... أبو محمد الحسن بن علي الرفيق...)[١].

٣- الزكيّ: هكذا ورد على لسان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله حين عدّد أوصياءه، ثمّ الزكيّ الحسن بن عليّ، ثمّ..)[٢]ـ

٤- الفاضل: كما في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أملاها على أمير المؤمنين عليه السلام، وفيها، (ياعليّ، إنّه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً.. فإذا حضرتك الوفاة فسلِّمْها إلى ابني الحسن... فإذا حضرته الوفاة فلْيُسلِّمْها إلى ابنه الحسن الفاضل...)[٣].

٥- الأمين: وهذا اللقب الشريف ورد أيضاً على لسان النبيّ الهادي (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسّلام)، حين عدّد أوصياءه لجندل اليهوديّ وقد سأله عن أسمائهم ليتمسّك بهم، فقال له، (يا جندل، أوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل... إلى أن قال، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده الحسن ابنه يُدعى بالأمين..)[٤].

٦- الصادق: عن سلمان الفارسي أنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: (إذا افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة... وأما النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين.. والصادقان علي والحسن...)[٥].

٧- الصامت الأمين على سر الله: فعن سلمان الفارسي، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر إلي قال: (يا سلمان إن الله تبارك لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا وجعل

---

(١) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٣ عن كمال الدين، ج١ ص٣٠٧.

(٢) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٣ عن كمال الدين ٢٥٨

(٣) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٤ عن الغيبة، ص٦٩.

(٤) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٤ عن كفاية الأثر، ص٧٥.

(٥) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٥ عن كفاية الأثر ص٤٠.

له اثني عشر نقيباً... ثم خلق منا ومن صلب الحسين تسعة أئمة.. ثم الحسن بن علي الصامت الأمين على سر الله...)[١].

٨- سراج أهل الجنة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا واردكم على الحوض.. والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به..)[٢].

وكان يلقب بالهادي، والشفيع، والتقي، والنقي، والنادب، والمعطي، وخزانة الوصيين،... وغير ذلك من الألقاب التي تعكس خصاله الحميدة، كما يلّقب هو وأبوه الهادي وجدّه الإمام الجواد بـ(ابن الرضا)[٣].

أوصافه:

وصفه بعض معاصريه بما يأتي، أسمر الملامح، أعين، حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حديث السن، له هيبة وجلال[٤]، وقد وصف جلاله وعظمة شأنه وزير البلاط العباسي في عصر المعتمد أحمد بن عبيد الله بن خاقان كما جاء في رواية الكليني: «ما رأيت ولا عرفت، بِسُرّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، ولا سمعت بمثله، في هديه وسكوته وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان، وجميع بني هاشم وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم الخطر، وكذلك القواد والوزراء والكتّاب وعوام الناس، وما سألت عنه أحداً من بني هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على أهل بيته

(١) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٥ عن الانصاف ص ١٤١.
(٢) حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٦ عن الاستبصار، ص٢٣.
(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٢١.
(٤) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، ص٤٩٠.

ومشايخه وغيرهم ولم أر له ولياً، ولا عدواً إلّا ويحسن القول فيه والثناء عليه»[١]

إخوته:

١ ـ الحسين، ٢ ـ محمّد، ٣ ـ جعفر.

ولد الإمام عليه السلام:

لم يكن للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام من الأولاد إلّا ولده المسمّى باسم رسول الله صلى الله عليه وآله والمكنّى بكنيته، وهو الحجّة بن الحسن المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وجعلنا من شيعته ومُواليه ومن المنتظرين له.

زوجة الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

المرأة الجليلة الطاهرة (نرجس)، أو مليكة بنت يشوعا بن قيصر (ملك الروم)، أُمّها من وُلد الحواريّين، وتُنسب إلى شمعون وصيّ عيسى عليه السلام.

وكانت تسمى مليكة، ونرجس، وسوسن، وريحانة، وصقيل، وسبب تعدد الأسماء يرجع إلى أن الخليفة وظف جواسيس يأتونه بأخبار الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومن هي حامل من نسائه[٢].

ولمليكة قصّة طويلة في شأن زواجها من الإمام العسكريّ عليه السلام، أوردها الشيخ الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة)، كما رواها الطبريّ الإماميّ في (دلائل الإمامة)، والطوسيّ في (الغَيبة).

وفضلاً عن حظوة هذه المرأة الشريفة بالاقتران مع إمام معصوم، فقد حَظِيَت أيضاً بأنها كانت أُمّاً لخاتم الوصيّين الإمام المهديّ المنتظر (صلوات الله عليه)، وقد عانت ما عانت من المصائب التي أنزلها حكّام بني العبّاس بالبيت العلويّ.

---

(١) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، ص٤٨٢.

(٢) الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٢٩.

الإمام العسكري بشهادة معاصريه،

أثرت رسالة الإمام العسكري عليه السلام على الفيلسوف أبي إسحاق الكندي، وهو من علماء العراق، وكان كافراً لا يقبل الإسلام، وكان يظن أنّ الآيات القرآنية لا تتلاءم مع الأخرى؛ لذا أقبل على تأليف كتاب يجمع تناقضات القرآن.

جاء أحد تلامذة الكندي إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: «أما فيكم رجلٌ رشيد يردع أستاذكم الكندي عمّا أخذ من تشاغله بالقرآن؟»

فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض العلمي عليه في هذا وفي غيره.

فقال الإمام العسكري عليه السلام: تؤدي إليه ما ألقيه إليك؟

قال التلميذ: نعم.

فقال الإمام عليه السلام: فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما بسبيله، فإذا وقعت الأُنسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها.

فإنه يقول: سل؟

فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننت إنك قد ذهبت إليها؟

فيقول لك الأستاذ الكندي: إنّه من الجائز.

فقل له: «فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه».

فصار التلميذ إلى أستاذه وتلطف في مؤانسته، وعاونه في تأليفه مدة من الزمن حتى قال له: هل يمكن أن الله عزَّ وجلَّ أراد غير ما فهمت من الآيات القرآنية؟

فتفكر الأستاذ، ثم قال: أعد عليّ المسألة مرة أخرى.

فأعاد عليه التلميذ المسألة كما ألقاها إليه الإمام العسكري عليه السلام.

فقال الأستاذ: نعم إنه جائز أن الله عزّ وجلّ أراد غير هذا المعنى الذي ذهبت إليه من المعاني الظاهرية للقرآن، وأرى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.

ثم قال لتلميذه: «أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟».

فقال التلميذ: إنه شيء عرض قلبي، فأوردته عليك.

قال الأستاذ الكندي: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة فعرِّفني من أين لك هذا؟

فقال التلميذ: أمرني به الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

فقال الكندي: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت.

ثم دعا الفيلسوف العراقي الكندي بالنار، وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٤، قصص الأئمة عليهم السلام، ص٣٤١.

المبحث الثاني: معجزات الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إن شخصية الإمام العسكري عليه السلام ربانية مليئة بالإعجاز، وظهرت معجزاته وكراماته في صغير الأمور وكبيرها، فهو يعرف ما في ذهنك، ويجيبك على سؤال فكرت فيه، ويستجيب الله تعالى دعاءه فوراً، وتعرفه الحيوانات وتخضع له، وعلمه الرباني يتجدد ولا ينضب.

ونختار في هذا المبحث مجموعة نماذج:

مأساته عليه السلام

- الإمام عليه السلام بين السباع:

- روى الكليني عن علي بن محمد، عن بعض أصحابنا قال: سلم أبو محمد عليه السلام إلى نحرير فكان يضيق عليه ويؤذيه، قال: فقالت له امرأته: ويلك اتق الله، لما تدري من في منزلك، وعرفته صلاحه، وقالت: إني أخاف عليك منه، فقال: لأرمينّه بين السباع، ثم فعل ذلك به فرئي عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله.

- الإمام عليه السلام في السجن:

روى الكليني، عن علي بن محمد، عن محمد بن إسماعيل العلوي قال: حبس أبو محمد عند علي بن نارمش وهو أنصب الناس، وأشدهم على آل أبي طالب، وقيل له: أفعل به وافعل فما أقام عنده إلا يوماً حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً.

- قال المفيد: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمد، فقالوا له: ضيق عليه ولما توسع.

فقال لهم صالح: ما أصنع به وقد وكلت به رجلين شر من قدرت عليه فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، ثم أمر بإحضار الموكلين، فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار، ويقوم الليل كله لا يتكلم، ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا، وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا فلما سمع ذلك العباسيون انصرفوا خاسئين.

نماذج من مرويات الإمام عليه السلام في الفقه والآداب.

١. في الكافي (٣/ ٧٢): عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الطهر على الطهر عشر حسنات».

٢. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما زار مسلم أخاه في الله، إلا ناداه الله عزَّ وجلَّ، أيها الزائر طبت وطابت لك الجنة»[١].

٣. وروي عن عبد الله بن سنان أن الإمام الصادق عليه السلام قرأ هذه الآية، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً.فقال أبو عبد الله عليه السلام، فما ثواب من أدخل عليه السرور فقلت، جعلت فداك عشر حسنات فقال،إي والله وألف ألف حسنة)[٢].

٤. في الكافي: ٥/ ٥٢٦)، (عنه..عن الإمام الصاق عليه السلام، قال: أتدري كيف بايع رسول الله صلى الله عليه وآله النساء؟ قلت: الله أعلم وابن رسوله أعلم، قال: جمعهن حوله ثم دعا بتور برام (سطل) فصب فيه نضوحاً، ثم غمس يده فيه، ثم قال: إسمعن يا هؤلاء أبايعكن على أن لاتشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن ولا تزنين ولاتقتلن أولادكن ولاتأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولاتعصين بعولتكن في معروف، أقررتن؟ قلن: نعم، فأخرج يده من التور، ثم قال لهن: إغمسن أيديكن، ففعلن فكانت يد رسول

(١) الصدوق، ثواب الأعمال/ ١٨٥.

(٢) الكليني، الكافي، ٢/ ١٩٢.

الله الطاهرة صلى الله عليه وآله أطيب من أن يمس بها كف أنثى ليست له بمَحْرَم).

٥. في الكافي (٥/ ٥٤)، (عنه.. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته).

علم الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وسنتناول هنا جزءاً يسيراً من نماذج علم الإمام الحسن العسكري (عليه أفضل الصلاة والسلام)، منها وعلى النحو الآتي:

١- توحيد الله تعالى وتنزيهه:

(كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله، كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه ؟ فوقع عليه السلام، يا أبا يوسف، جل سيدي ومولاي، والمنعم عليَّ وعلى آبائي أن يُرى، قال وسألته، هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع، إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله صلى الله عليه وآله بقلبه من نور عظمته ما أحب)[1].

٢- فضل تعليم المسلمين والدفاع عن التشيع:

قال عليه السلام: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فقالت: إن لي والدة ضعيفة، وقد لُبس عليها في أمر صلاتها شئ، وقد بعثتني إليك أسألك؟ فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، ثمّ ثنَّت فأجابت، ثمّ ثلثت فأجابت إلى أن عشرت فأجابت. ثم خجلت من الكثرة فقالت، لا أشقُّ عليك يا بنت رسول الله ! قالت فاطمة عليها السلام، هاتي وسلي عما بدا لك أرأيت من اكتُرِيَ يوماً ليصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مئة ألف دينار أيثقل عليه؟ فقالت: لا ! فقالت عليها السلام: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليَّ ! سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٩٥ .

وجِدهم في إرشاد عباد الله، حتى يُخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزَّ وجلَّ، أيّها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم، والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم كما خلعوا عليكم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مئة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم.

ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم، وقالت فاطمة: يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فضل ما هو مشوب بالتنقيص والكدر).[1]

- وقال عليه السلام: قال الإمام الجواد عليه السلام: «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس فكل من أبصر بشمعته دعا له بخير، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة. فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار، والله يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن أعتقه ما هو أفضل من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها، لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة»[2].

٣- الإمام الحسن العسكري عليه السلام يحفظ حيثية المسلمين،

كان الإمام عليه السلام في عصر المتوكل العباسي سجيناً في مدينة سامراء، بسبب دفاعه عن الحق، وفي تلك السنة أصاب الناس القحط بسبب عدم نزول الأمطار،

---

(١) الإمام الحسن العسكري عليه السلام، علي الكوراني، ص١٥١.

(٢) الإمام محمد الجواد عليه السلام، علي الكوراني، ص ١٥٢-١٥٣

وجفت الأراضي الزراعية، وهلكت المواشي؛ ولذا خرج المسلمون ثلاثة أيام متوالية إلى الصحراء وصلوا صلاة الاستسقاء، فلم تمطر السماء في اليوم الرابع خرج كبير علماء النصارى(الجاثليق) مع النصارى، فدعوا ونزل المطر في ذلك اليوم.

في اليوم الخامس خرج المسلمون إلى الصحراء وصلوا صلاة الاستسقاء فلم تمطر السماء، فشكوا في دينهم وكادت الفتنة ان تطيح بقلوبهم، وقرر النصارى أنْ يخرجوا في اليوم السادس مع الجاثليق إلى الصحراء، ويدعوا بنزول المطر حتى يصيب المسلمين خجل، وذلة عند نزول المطر.

فذكر المتوكل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأمر بإحضاره من الحبس فقال له: ادرك دين جدك يا أبا الحسن.

فخرجت النصارى مع الجاثليق في اليوم السادس إلى الصحراء، وخرج الإمام عليه السلام مع بعض غلمانه فقال لغلام له: أدخل مع النصارى، وعندما يرفع الجاثليق يده للدعاء خذ من يده اليمنى ما فيها.

دخل الغلام بين جماعة النصارى وجلس إلى جانب الجاثليق، ولما رفع يده للدعاء أخذ الغلام من بين انامل الجاثليق عظماً أسود، وقال له: استسق الآن، فاستسقى النصارى، فلم يستجب لهم في ذلك اليوم وخجل المسيحيون وعادوا.

وسأل المتوكل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن العظم، فقال الإمام عليه السلام: «أخذه من قبر نبي ولا يكشف عظم نبي إلا وتمطر السماء»[1].

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٥.

المبحث الثالث: التربية والأخلاق عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إن أهل البيت عليهم السلام هم معدن النبوة، وأعلام الهدى، وأهل البلاغة والفصاحة، وحديثهم هو قبسٌ من نور الكلام الإلهي، وإضاءةٌ من هدي المنطق النبويّ، وشعلةٌ وضّاءة في سبيل هداية الأمّة، تتعدّد مسارات إشعاعها لتشمل نواحي الفكر والعقيدة المختلفة، وتغطّي جوانب الحياة كافة، ولقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام جهوداً حثيثةً في سبيل تصحيح جوانب الإنحراف الطارئة في حياة الأمة المختلفة، وإصلاح ما فسد من أُمور المسلمين بعد رحيل جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فوقفوا بوجه التيارات المنحرفة، ودافعوا عن معالم الدين الحنيف، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين إلى قيام يوم الدين.

ولنأخذ قبسات من نور الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التربية وعلى النحو الآتي:

١- مفهوم الإخوة، قال الإمام الحسن العسكري في مفهوم الإخوة: «خير إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك له»[١]، نرى أنّ الإمام عليه السلام يوصي ببناء علاقات طيبة بين الإخوة المسلمين؛ لأنها تجعل منهم قوة واحدة.

٢- حقوق الإخوان

في قول له عليه السلام في هذا الجانب: «وأعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها، اعظمهم عند الله شأناً»[٢]، ويوضح لنا أن الإسلام هو دين التآخي، والتآلف، ويقدم المثل الصالح في نسج علاقات تقوم على الإخوة الصادقة.

٣- تربية الأولاد: فكان لها نصيب في حكم الإمام العسكري عليه السلام، إذ يقول:

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٤١، ص٥٥.

«جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ فِي صِغَرِهِ تَدْعُو إِلَى الْعُقُوقِ فِي كِبَرِهِ»[١]، فالجرأة التي يتعلّمها الطفل في صغره ستستمر معه حين يكبر، وتؤدي به إلى عقوق الوالدين، فلا بد من تربية الأولاد تربية صالحة تجعلهم بارين بوالديهم.

٤- يذكر الإمام عليه السلام أهمية السلام وهو من التواضع، إذ يقول عليه السلام: «مِنَ التَّوَاضُعِ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ والْجُلُوسُ دُونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ»[٢]، ومن الأمور التي نهى عنها الضحك من دون سبب وجعله من الجهل، «مِنَ الْجَهْلِ الضَّحِكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ»[٣].

٥- ويبين الإمام عليه السلام لنا صفات المؤمن، وأولها صفة الورع يقول عليه السلام: «أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، أَعْبَدُ النَّاسِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الْفَرَائِضِ، أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْحَرَامَ، أَشَدُّ النَّاسِ اجْتِهَاداً مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ»[٤]، وأن يقدم له الموعظة سرّاً لا علانية، يقول عليه السلام: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَهُ ومَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ»[٥].

٦- أما ما يراه الإمام عليه السلام في المنهج التربوي الفردي، والاجتماعي في وصيته:

١. تقوى الله، وما فيه من آثار في الدنيا والآخرة.

٢. الورع في الدين، وما فيه من آثار في الدنيا والآخرة.

٣. الاجتهاد لله تعالى، وما فيه من جهاد للنفس، واستعداد للتضحية في سبيله.

٤. صدق الحديث، وما فيه من آثار أخلاقية عظيمة على الإنسان وتربيته.

---

(١) الحراني، تحف العقول، ج١، ص٦٩، الريشهري، ميزان الحكمة، ج١٣، ص٥٠١.

(٢) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٩٩

(٣) الحراني، تحف العقول، ٤٨٧، الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٦٦.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٣

(٥) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٣

٥. أداء الأمانة إلى جميع الناس، وما فيها من آثار أخلاقية على الفرد والمجتمع.

فلو تأملنا في هذه الموضوعات التربوية (التقوى)، (الورع)، (الاجتهاد)، (صدق الحديث)، (أداء الأمانة)، لرأينا حقيقة المنهج التربوي الفردي والاجتماعي الذي تؤكد عليه هذه الوصية المباركة في الفقرات المعينة منها، فهذه العلاقات الخمس تنظم العلاقة بين العبد وربه، وبين العبد ونفسه، وبين العبد والآخرين، وهذا هو صراط التكامل التربوي والأخلاقي.

٦. طول السجود، كناية عن المحافظة على الخضوع، والخشوع في الصلاة والمحافظة عليها.

٧. حسن الجوار، وفيه ما فيه من الآثار الاجتماعية العظيمة، وعظمة ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله.

٨. التواصل مع الآخرين وهي: (الصلاة معهم، حضور الجنائز، عيادة المريض، أداء الحقوق).

٩. الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام، وفي ذلك شرف للإنسان في الدنيا والآخرة.

١٠. المحافظة على حق الأئمة عليهم السلام بالاطلاع على حقوقهم، ونشرها، والعمل عليها.

١١. الإكثار من ذكر الله تعالى، وما فيه من كرامة الإنسان في ذكر محبوبه، وسيده على الدوام.

١٢. الإكثار من ذكر الموت، وما فيه من مراقبة الإنسان نفسه، والتفكر في حياته، وما سيذهب إليه.

١٣. الإكثار من تلاوة القرآن، وما فيه من الاستماع إلى تعاليم الله عزَّ وجلَّ وأثره في تزكية النفس.

١٤. الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد، وما فيه من العلاقة بالأئمة عليهم السلام واستذكار مقامهم، وشرفهم، وكرامتهم.

مكارم الأخلاق في أقوال وحكم الإمام العسكري عليه السلام.

كثيراً ما اهتم الإسلام بالجانب الأخلاقي، وأنّ الاهتمام بجانب تربية الفرد دينياً منذ الطفولة يحقق لنا ولجميع افراد المجتمع قدراً كبيراً من الأمانة وما يترتب عليها من حفظ لأوقات العمل، والممتلكات وقدراً لا يستهان به من الإخلاص وما يترتب عليه من بذل قصارى الجهد في إتقان العمل وجودة الإنتاج، وكثير من المصالح العامة التي لا تتحقق إلا بمكارم الأخلاق، والتي عُني بها الإسلام كثيراً.

وإن لأهمية التربية الأخلاقية بما تنشره من الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون، والالتزام وغيرها، وما إلى ذلك مما يتحلّى به الفرد فهو وسيلة للتخلص من ازدياد الجرائم والانحرافات، ويصبح الفرد خير وسيلة لبناء المجتمع والأمة، بعد نبذ العداوة والبغضاء والشر الذي يمزق المجتمع ويجعله ضعيفاً، فالتربية الأخلاقية تجعل من الفرد متسارعاً لتحقيق الخير والسعادة الفردية وسعادة المجتمع، وهي ضرورية لصيانة الأجيال، والحفاظ عليهم من تسرب الفساد إلى نفوسهم، كل هذا وما تغرسه التربية الأخلاقية فهي تعمل من البداية على بناء النشأة، والحفاظ عليهم، بغرس المحبة والتعاون والإخاء وقلع جذور الشر من أعماقها، وعليها أن تعمل على حصانة الفرد من الأمراض الأخلاقية التي قد تؤثر بهم بسبب انتقالهم إلى مجتمعات مختلفة، فهي التي تزين الإنسان بالآداب الجميلة الزاهية.

وقد ورد في أحاديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن الأخلاق أحاديث كثيرة سنرد بعضاً منها وكما يأتي:

١. ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله في بيان منزلة الإمام ووجوب معرفته: «أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر

على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه»[١].

٢. وقال عليه السلام في الحث على الصبر: «ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فإن لكل يوم رزقا جديدا»[٢]، ويقول عليه السلام، «لا يَعرِفُ النِّعمَةَ إلاّ الشاكِرُ، ولا يَشكُرُ النِّعمَةَ إلّا العارِفُ»[٣].

٣. تربية الأولاد فكان لها نصيب في حكم الإمام العسكري عليه السلام، إذ يقول، «جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ فِي صِغَرِهِ تَدْعُو إِلَى الْعُقُوقِ فِي كِبَرِهِ»[٤].

٤. يذكر الإمام عليه السلام أهمية (السلام) وهو من التواضع يقول عليه السلام، «مِنَ التَّوَاضُعِ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ والْجُلُوسُ دُونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ»[٥].

٥. ويذكّر الإمام عليه السلام بحسن الجوار، ويقول في ذلك: «مِنَ الْفَوَاقِرِ الَّتِي تَقْصِمُ الظَّهْرَ جَارٌ إِنْ رَأَى حَسَنَةً أَطْفَأَهَا وإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا»[٦].

٦. وبيّن الإمام عليه السلام صفات المؤمن وأولها صفة الورع، إذ يقول عليه السلام: «أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، أَعْبَدُ النَّاسِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الْفَرَائِضِ، أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْحَرَامَ، أَشَدُّ النَّاسِ اجْتِهَاداً مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ»[٧]، وأن يقدم له الموعظة سرّاً لا علانيةً يقول عليه السلام: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَهُ ومَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ»[٨].

---

(١) القمي، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، ج٨، ص٧٤٢.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٢٢٤.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ص٦-٩

(٤) الحراني، تحف العقول، ج١، ص٦٩.

(٥) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٩٩.

(٦) الحراني، تحف العقول، ج١، ص٦٨.

(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٣.

(٨) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٣.

٧. قال عليه السلام في ذكر الإحسان والابتعاد عن الكراهية والحقد، «خير إخوانك من نسي ذنبك، وذكر إحسانك إليه».

٨. قال عليه السلام: «أولى الناس بالمحبّة منهم من أمّلوه».

٩. قوله عليه السلام في وصف الأعداء: قال: «أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته».

١٠. قوله عليه السلام في وصف الناس: «حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن».

ويحذر الإمام العسكري عليه السلام من أمور ينبغي الابتعاد عنها ومنها:

١. الغضب فهو الأداة التي تسبق كل شر ومصيبة، فيقول عليه السلام: «الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»(١)، فالغضب يذهب العقل عن الإنسان ما يجعله عرضة لارتكاب الذنوب بالكلام، أو الفعل.

٢. الضحك من دون سبب وجعله من الجهل، يقول عليه السلام: «مِنَ الْجَهْلِ الضَّحِكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ»(٢).

٣. الكذب في قوله عليه السلام: «جعلت الخبائث في بيت، والكذب مفاتيحها».

٤. قال عليه السلام: «الجهل خصم، والحلم حكم، ولم يعرف راحة القلوب من لم يجرّعه الحلم غصص الصبر والغيظ».

٥. قال عليه السلام: «من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة».

٦. قال عليه السلام: «صديق الجاهل تعب».

٧. قال عليه السلام في مراعاة أحوال الناس: «ليس من الأدب إظهار الفرح عند

---

(١) الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٢، ص٥٩٨.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٦٦.

المحزون».

تفسير الإمام العسكري عليه السلام[1].

نذكر عدَّة موارد لتفسير الإمام العسكري عليه السلام للقرآنَ الكريم،

١. لقد شغلَتْ الحروفُ المقطَّعة بالَ المفسِّرين، وعالجَ الإمام تلك المُعضلة بأحسن الوجوه وأقصرها، إذ قال عليه السلام: «كَذبَتْ قُريشٌ، واليَهودُ بالقرآنِ، وقَالوا سِحْر مبين تقوَّلَه».

قال تعالى: ﴿**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[2].

أي، يَا مُحَمَّد، هَذا الكِتَاب الَّذي نزَّلنَاهُ عَليكَ هُوَ الحُروفُ المقطَّعَة التي منها (أَلِف)، (لام)، و(مِيم)، وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأْتُوا بِمِثْلِهِ إنْ كُنتُم صَادِقِين، واسْتَعينُوا عَلَى ذَلِكَ بِسَائِرِ شُهَدَائِكُم.

ثُمَّ بيَّن أنَّهُم لا يَقدرُونَ عَلَيه بِقَولِهِ، ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[3].

٢. كان أهل الشغب والجدل يلقون حِبالَ الشَكِّ في طريق المسلمين، فيقولون، إنَّكم تقولون في صلواتكم: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾[4].

فسَّر الإمام العسكري الآية قاطعاً لِشَغَبِهِم، فقال: «أَدِمْ لَنَا تَوفِيقَكَ الَّذي بِهِ أطَعْنَاكَ فِي مَاضِي أيَّامِنا، حَتَّى نُطِيعَكَ كَذَلِكَ فِي مُسْتَقبَلِ أعْمَالِنَا».

وفسَّر الإمام الصراط بقوله: «الصِّراطَ المُستَقِيم هو صِراطان، صراطٌ في الدُّنيا،

(١) موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ج١، ص١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١-٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٤) سورة الفاتحة، الآية ٥.

وصراطٌ في الآخِرَة، أمَّا الأوَّل فَهو مَا قَصُر عَنْ الغُلُوِّ، وارتَفَع عَن التَّقصيرِ، واستقامَ فَلَمْ يَعْدِلْ إلى شَيءٍ مِنَ البَاطِلِ، وأمَّا الطَّرِيقُ الآخَرِ فَهوَ طَرِيقُ المُؤمِنِينَ إلى الجَنَّة الَّذي هُو مُستَقِيم، لا يَعدِلُونَ عَن الجَنَّةِ إلَى النَّارِ، وَلا إلى غَيرِ النَّارِ سِوَى الجَنَّة»[١].

٣. ربما يغترُّ الغافلُ بظاهر قوله سبحانه وتعالى، ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾[٢]. ويتصوَّر أنَّ المراد من النعمة هو المَالُ، والأولادُ، وصِحَّة البدن، وإنْ كان كُلُّ هذا نعمة من الله، ولكن المراد من الآية بقرينة قوله، ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾[٣]، هُو نِعْمة التوفيق والهداية.

ولأجلِ ذلك نَرى أنَّ الإمام العسكري يفسِّر هذا المعنى بقوله: «قُولُوا، اِهْدِنَا صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَليهِمْ بالتَّوفِيقِ لِدِينِكَ وَطَاعَتِكَ، وَهُم الَّذينَ قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ، ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾»[٤].[٥].

٤. لقد تفشَّتْ آنذاك فكرة عدم علمه سُبْحانه بالأشياء قبل أن تُخلق، تأثُّراً بتصوِّرات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة عن اليونان.

فيقول محمد بن صالح، سألتُه عن قول الله: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٦]، فقال الإمام العسكري: «هَلْ يَمحُو إلاَّ مَا كَانَ، وَهَلْ يُثبِتُ إلاَّ مَا لَمْ يَكُنْ».

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٤٤.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٦

(٣) سورة الفاتحة، الآية ٦

(٤) سورة النساء، الآية ٦٩

(٥) مفاهيم القرآن، ج١٠ ، ص٣٤٩.

(٦) سورة الرعد، الآية ٣٩.

فقلتُ في نفسي، هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطي، أنه لا يعلم الشيء حتى يكون.

فنظر إليَّ شزراً، وقال: «تَعَالَى اللهُ الجَبَّارُ العَالِمُ بالشَّيءِ قَبلَ كَونِهِ، الخَالِقُ إذْ لا مَخْلُوق، والرَّبُّ إذْ لا مَرْبوب، والقَادِرُ قَبْل المَقْدُورِ عَلَيه»[1].

شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

كان سجن المعتمد له هذه المرة قصيراً أقل من شهر، ولما وصل إلى البيت اعتلَّ قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان[2]، (لما اعتل بعث (الخليفة) إلى أبي (وزيره) أن ابن الرضا قد اعتلَّ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير، فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين، فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساءً، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة، أُخبر أنه قد ضَعُفَ، فأمر المتطببين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفي، فصارت سر من رأى ضجة واحدة، وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر وُلده وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة، ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته، وعطلت الأسواق، وركبت بنو هاشم والقواد، وأبي، وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سرمن رأى يومئذ شبيهاً

---

(١) الإمام العسكري عليه السلام، ص١١٧.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٤.

بالقيامة))[1].

واصل الإمام عليه السلام عمله ونشاطه إلى آخر يوم، (قال إسماعيل بن علي: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام في المرضة التي مات فيها وأنا عنده، إذ قال لخادمه عقيد وكان الخادم أسود نوبياً قد خدم من قبله علي بن محمد، وهو رَبِيُّ الحسن عليه السلام فقال له: يا عقيد إغْلِ لي ماءً بمصطكي، فأغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية أم الخلف عليه السلام، فلما صار القدح في يديه، وهمَّ بشربه فجعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن عليه السلام فتركه من يده، وقال لعقيد: أدخل البيت فإنك ترى صبياً ساجداً فأتني به.

قال أبو سهل: قال عقيد: فدخلت أتحرى فإذا أنا بصبي ساجد رافع سبابته نحو السماء، فسلمت عليه فأوجز في صلاته، فقلت: إن سيدي يأمرك بالخروج إليه، إذا جاءت أمه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام، قال أبو سهل: فلما مثل الصبي بين يديه سلم، وإذا هو دريُّ اللون، وفي شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن عليه السلام بكى، وقال: يا سيد أهل بيته، إسقني الماء فإني ذاهب إلى ربي، وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده، ثم حرك شفتيه ثم سقاه، فلما شربه قال: هيئوني للصلاة، فطرح في حجره منديل، فوضأه الصبي واحدة واحدة ومسح على رأسه وقدميه.

فقال له أبو محمد عليه السلام أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي وأنت حجة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيي، وأنا ولدتك وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت خاتم الأوصياء الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وبشر بك

(١) الإمام العسكري عليه السلام، ص١٦٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسماك وكناك، بذلك عهد إلي أبي عن آبائك الطاهرين (صلى الله على أهل البيت)، ربنا إنه حميد مجيد، ومات الحسن بن علي من وقته (صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

(١) الطوسي، الغيبة، ص٢٧٢.

الخاتمة

الحسن بن علي العسكري عليه السلام (٢٦٠-٢٣٢هـ)، هو الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الاثني عشرية، وقد لقّب بالعسكري لفرض الإقامة الجبرية عليه وعلى أبيه عليه السلام من قبل السلطة العباسية في سامراء التي كانت يومها معسكراً للجند، وكان الهدف من ذلك تشديد المراقبة على الإمام عليه السلام وعدم السماح له بالاتصال بأتباعه والمقربين منه.

وبسبب المضايقات التي كان يعانيها الإمام العسكري عليه السلام في زمانه اختار نواباً للاتصال بشيعته، وكان عثمان بن سعيد أحد نوابه الذي تولى النيابة في حياته وبعد وفاته، وبقي فيها حتى عصر الغيبة الصغرى، فأصبح كأول وكيل ونائب خاص للإمام المهدي عليه السلام.

ترك الإمام العسكري عليه السلام مجموعة من الأحاديث في مجال التفسير والأخلاق، والقضايا العقائدية فضلاً عن الأدعية.

مرض الإمام العسكري عليه السلام في بداية شهر ربيع الأول من سنة ٢٦٠ هـ، من أثر السم، واستشهد في الثامن من الشهر نفسه، ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه الإمام الهادي عليه السلام. (المكان الذي يشتهر اليوم بحرم العسكريين).

تناول البحث سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والنشاطات التربوية والجهادية وإسهاماته في التفسير، ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن معاناته من الحكام وما لاقاه في فترة حكمهم من التضييق، والسجن المستمر إلى أن استشهد على يد الحكام الظلمة.

المصادر

ـ القرآن الكريم

١) ابن شهرآشوب، الثاقب في المناقب، تح، نبيل رضا عموان، مؤسسة انصاريان، قم، ط١، ١٠١١هـ.

٢) التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ط ٢، ٢٠١٢م.

٣) الحراني، ابن شعبة، أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين رحمه الله من أعلام القرن الرابع، تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، ١٤٠٤هـ.

٤) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٦، ١٩٩٠.

٥) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مدينة قم المقدسة، دار الحديث، ١٤١٦، التنقيح الثاني.

٦) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق، وتعليق، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

٧) الطبرسي، أبو النصر الحسن بن فضل (ت ١٠٤يـ/ ١١١٦م)، عيون أخبار الرضا، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الإعلامي، بيروت، لبنان، ط١٠يـ / ١٥٤٠م.

٨) الطبرسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري، تاريخ النشر، ١٤١٣هـ. ١٣٧١ هـ ش، الناشر، مركز النشرـ مكتب الإعلام الإسلامي.

٩) الطبري، محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، من أعلام القرن الخامس تحقيق ونشر مؤسسة البعثة قم المقدسة ط١، ١٤١٣.

١٠) الغرابي، مها نادر عبد الحسين، التربية عند أئمة أهل البيت (دراسة فلسفية تحليلية)، ط١، كربلاء المقدسة، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧.

١١) القمي، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، دار الأسوة للنشر والطباعة، التابعة لمنظمة النشر الخيرية، ١٤١٦.

١٢) الكاظمي، الشيخ عماد، إشراقات تربوية في وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

https//albayyna-new.net/content.php?id=9869

١٣) الكليني، الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب رحمه الله (ت٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥.

١٤) المازندراني، أبي جعفر رشيد الدين محمد محمد بن علي بن شهرآشوب السروي رحمه الله، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلمية، قم المقدسة.

١٥) المجلسي، محمد باقر بن محمد (ت١١١٠)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، نشر وتصوير، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣.

١٦) مستدرك سفينة البحار، لعلي النمازي الشاهرودي، تحقيق وتصحيح، الشيخ حسن بن علي النمازي، ١٤١٩، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بمدينة قم المقدسة.

١٧) مسند الإمام العسكري، جمعه الشيخ عزيز الله العطاردي، د.ت.

١٨) عبد الوهاب، حسين، حقوق الطبع محفوظة للناشر محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

١٩) مناقب آل الرسول، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٦٣٢ يـ/ ١٥١٢ م.

٢٠) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، بإشراف سماحة آية الله أبو القاسم الخزعلي، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، السيد محمد الحسيني القزويني وآخرون.

٢١) يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عام الكتب، ٢٠٠٢.

البحث الخامس عشر

التربية

عند الإمامين العسكريين عليهما السلام

عباس حسين مكسّر الشرع

الملخص

تناول الباحث بعد ذكر المقدمة، التربية عند الإمامين العسكريين عليهما السلام، وعرفها وبين مفهومها ثم قسم البحث إلى مطلبين: فكان الأول التربية عند الإمام الهادي عليه السلام، حيث تناول ولادته، وصفاته، وسعيه في حوائج المؤمنين، وذكر شيء من معجزاته، ونبذة من كلامه، وموقفه مع المتوكل، وبعد وفاته ما ذكره في حق ولده، ثم جهده في مجال بناء النفس، وقسم إلى جانبين: (تهذيبي، تنظيمي)، وبيان نظام الوكالة وهو من روائعه عليه السلام، ومواجهته للفرق الضالة، وبعض من قصار كلماته.

والمطلب الثاني: التربية عند الإمام العسكري عليه السلام، في ولادته، وذكر شيء من أخباره، ووصيته لشيعته، وحثه على الصبر، والحذر من الغضب، ووصاياه في حسن الجوار، وتقوية الأواصر الاجتماعية، وموقفه من الحركات الفكرية، وأصحاب العقائد المنحرفة، وتربية أصحابه في مواجهتهم، وإرشاداته في الرجوع إلى الحجة، وبعض من كلماته القصار.

المقدمة

شغلت التربية ـ أساليبها وميدانها المناسب وطرق تطبيقها والجهة المستهدفة ومقدار الفائدة ـ المربين من العلماء والأكابر ولا سيما سيدهم وسيدنا الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وما دأب عليه الأئمة المعصومون عليهم السلام في صلاح المجتمع امتثالاً للأوامر الإلهية، ومع انحراف المجتمع تكبر المسؤولية على عاتق المربين ومن هنا برز الدور الذي أدّاه الإمامان العسكريان عليهما السلام في مواجهة الفرق الضالة والمنحرفة من جهة ومن جهة أخرى تربية المؤمنين على وفق التعاليم السماوية، وما هذا البحث إلا نواة لجهد نطمح أن نوفق فيه لإظهار هذه المعاني السامية في تربية الإمامين العسكريين عليهما السلام للمجتمع.

التربية لغة

التَّرْبِيَةُ، رَبَّتَ الصَّبِيَّ: أي رَبَّبَه. وضَرْبُ المَرْأَةِ بيَدِها قَليلاً قَليلاً على جَنْبِ الصَّبِيِّ لينَامَ[1]، والتربية إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَه[2]، ورَبَوْتُ في بَني فلان أَرْبُو نَشَأْتُ فيهِم، ورَبَّيْتُ فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُه ورَبَبْتُه ورَبَّبْته بمعنى واحد. الجوهري: رَبَّيْته تَرْبِيَة، وتَرَبَّيْته أَي غَذَوْتُه، قال: هَذا لكل ما يَنْمِي كالوَلَد والزَّرْع ونحوه. وتقول: زَنْجَبيل مُرَبّىً ومُرَبَّبٌ أَيضاً أَي معمول بالرُّبِّ، والأُرْبِيَّة، بالضم والتشديد: أَصل الفَخِذِ، وأَصله أُرْبُوَّة فاستثقلوا التشديد على الواو، وهما أُرْبِيَّتان، وقيل: الأُرْبِيَّة ما بَيْنَ أَعْلى الفَخِذ وأَسْفَل البَطْنِ، وقال اللحياني: هي أَصل الفخذ مما يلي البطنَ وهي فُعْلِيَّة، وقيل: الأُرْبِيّة قَرِيبَة من العانَة، قال: وللإِنسان أُرْبِيَّتان وهما العانَة والرُّفْغُ تَحْتَها. وأُرْبِيَّة الرجل: أَهلُ بَيْتِه وبنُو عَمِّه لا

(١) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ج٩، ص٤٣١ مادة ربت.

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٣٦، مادة رب.

تكون الأُرْبِيَّة من غيرهم[١]. ويقال التربية: ربَوت في حِجره أربو رَبوا ورُبُوّا ورَبِيتُ أربَى رَباء ورُبِيّا: نشأت، وربّاه فتَرَبّى، والفاعل المُرَبِّي[٢].

مفهوم التربية:

إن التربية قد ارتبطت بظهور الإنسان على الأرض، وإحساسه بنفسه، وتعامله في نطاق الأسرة ثم الجماعة، ويحدثنا مؤرخو التربية أن الصغار كانوا يتعلمون من الكبار في المجتمعات الأولى عن طريق التقليد والمحاكاة، أو عن طريق المشاركة فيما يقوم به الكبار سعياً وراء ضروريات الحياة، بطريقة عفوية يهيئ الأطفال عن طريقها لاكتساب المهارات العملية في الحياة، والقرآن الكريم يحدثنا أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد البشر تربوياً بتعليمهم منذ أن خلق سيدنا آدم وأودع فيهم القوى والطاقات التي تمكنهم من استعمار الأرض وإظهار ما أودع الله فيها من كنوز وخيرات، فكان الإنسان هو الخليفة الذي سلم أمر الأرض إليه، وأعطي من العلم ما ييسر له استعمال خاصية اللغات برموزها، وإشاراتها إلى الأشياء، والأشخاص، وإعطائها المسميات التي تميزها، وهذه القدرة التي أودعها الله في الإنسان هي سُر من أسرار تكريمه للإنسان على كثير ممن خلق، وترفعه إلى المعرفة والعلم فوق درجات الملائكة هي درجة مسؤوليات الخلافة في الأرض[٣].

يقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٠٧، مادة ربا.

(٢) موسى، الإفصاح في فقة اللغة، ج١، ٢١٤، مادة التربية.

(٣) محجوب، عباس، التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، ص١٠١.

إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

المطلب الأول: التربية عند الإمام الهادي عليه السلام:

ولادته:

ولد الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليهما السلام بالمدينة يوم الاثنين ثاني رجب من سنة أربع عشرة ومائتين، وقيل: ليلة النصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين، أمه: أم ولد يقال لها: سمانة، وتعرف بالسيدة، وتكنى أم الفضل، مغربية. قال محمد بن الفرخ بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر: دعاني أبو جعفر الجواد عليه السلام فأعلمني أن قافلة قد قدمت فيها نخاس معه جواري، ودفع إليَّ ستين ديناراً وأمرني بابتياع جارية وصفها، فمضيت فعملت بما أمرني به، فكانت تلك الجارية أم أبي الحسن عليه السلام[1].

صفاته:

كان الإمام الهادي عليه السلام فقيهاً جميلاً مهيباً، إذا صمت عَلَتْه هيبةٌ ووقار، وإذا تكلّم سَمَاه البهاء، وكان بالليل مقبلاً على القبلة لا يفتر ساعة، وكانت أخلاقه أخلاق آبائه عليهم السلام[2].

فقد تميّزت ولاية الإمام الهادي عليه السلام على المستوى الفكري، والثقافي الذي بلغته، فجاءت الخطوات التي اتخذها استجابة للواقع الراهن آنذاك مع استشراف بعيد للمستقبل.

سعيه في حاجة المؤمنين:

قيل: إن أبا الحسن الهادي عليه السلام كان يوماً قد خرج من سر من رأى إلى قرية لمهم عرض له، فجاء رجل من الأعراب يطلبه، فقيل: له قد ذهب إلى الموضع الفلاني،

---

(١) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص ٧١٩ - ٧٢١.

(٢) مؤسسة كاشف الغطاء العامة، الدليل، ص٨٣.

فقصده فلما وصل إليه قال له: ما حاجتك؟ فقال: أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدك علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ركبني دين فادح أثقلني حمله، ولم أر من أقصده لقضائه سواك، فقال له أبو الحسن عليه السلام: طب نفساً وقر عيناً، ثم أنزله، فلما أصبح ذلك اليوم قال أبو الحسن: أريد منك حاجة، الله الله أن تخالفني فيها، فقال له الأعرابي: لا أخالفك، فكتب أبو الحسن ورقة بخطه معترفاً فيها أن عليه للأعرابي مالاً عينه فيها يرجح على دينه، فقال: خذ هذا الخط فإذا وصلت إلى سُرَّ من رأى أحضر إليَّ وعندي جماعة فطالبني به، وأغلظ القول عليّ في ترك إيفائك إياه، الله الله في مخالفتي. فقال: أفعل، وأخذ الخط فلما وصل أبو الحسن إلى سر من رأى وحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة وغيرهم حضر ذلك الرجل، وأخرج الخط وطالبه وقال كما أوصاه، فَأَلَانَ أبو الحسن له القول ورققه له وجعل يعتذر إليه ووعده بوفائه وطيبه نفسه، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكل فأمر أن يحمل إلى أبي الحسن ثلاثون ألف درهم، فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي، فقال له: خذ هذا المال فاقض منه دينك وأنفق الباقي على عيالك وأهلك واعذرنا، فقال له الأعرابي: يا بن رسول الله والله إن أملي كان يقصر عن ثلث هذا المال، ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته، وأخذ المال وانصرف[1].

في ذكر شيء من معجزات الهادي عليه السلام:

قال أبو طالب: وهو ما حدثني به مقبل الديلمي، قال: (كان رجل بالكوفة له صاحب يقول بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال له صاحب كان يميل إلى ناحيتنا ويقول بأمرنا: لا تقل بإمامة عبد الله فإنها باطلة، وقل بالحق، قال: وما الحق لأتبعه؟ قال: الإمامة في موسى بن جعفر عليهما السلام ومن بعده. قال له الفطحي: ومن الإمام اليوم منهم؟ قال: علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام. قال له: فهل من دليل

(١) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص ٧٢٢ - ٧٢٣.

استدل به على ما قلت؟ قال: نعم. قال: ما هو؟ قال: أضمر في نفسك ما تشاء وألقه بسر من رأى فإنه يخبرك به. قال: نعم، فخرجا إلى العسكر وقصدا شارع أبي أحمد، فأخبرا أن أبا الحسن علي بن محمد مولانا راكب في دار المتوكل، فجلسا ينتظران عوده. فقال الفطحي لصاحبه: إن كان صاحبك هذا إماماً فإنه حين يرجع، ويراني يعلم ما قصدت له فخبرني به من غير أن أخبره، قال: فوقفنا إلى أن عاد أبو الحسن عليه السلام من موكب المتوكل، وبين يديه الشاكرية ومن ورائه الركبية يشيعونه إلى داره، قال: فلما بلغ إلى الموضع الذي فيه الرجلان التفت إلى الرجل الفطحي، فتفل بشيء من فيه في صدر الفطحي كأنه عرق البيض فالتصق في صدر الرجل كمثل دارة الدرهم، وفيه سطر مكتوب بخضرة، ما كان عبد الله هناك ولا كذلك، قال: فقرأه الناس وقالوا له: ما هذا؟ فأخبرهم وصاحبه بقصتهما، فأخذ الفطحي التراب من الأرض بيده فوضعه على رأسه وقال: تباً لما كنت عليه قبل يومي هذا والحمد لله على حسن هدايته، وقال: بإمامته[1].

نبذة من كلام الإمام الهادي عليه السلام:

قال: وسمعته يقول: «اسم الله الأعظم ثلاث وسبعون حرفاً، فإنما كان عند آصف منه حرف واحد فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان عليه السلام، ثم بسطت الأرض في أقل من طرفة العين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب»[2].

ومن كلام الهادي عليه السلام: «من سأل فوق قدر الحق كان أولى بالحرمان»، وقال: «صلاح من جهل الكرامة هوانه»، وكان عليه السلام يقول: «الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك مع القدرة»، وقال: «الناس في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال»، وكان

(١) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص ٧٢٥ - ٧٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٢٩.

يقول في مناجاته في الليل: «إلهي مشتت قد ورد، وفقير قد قصد، لا تخيب مسعاه، وارحمه واغفر له خطاه»، وقال عليه السلام: «من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه». وقال: «المقادير تريك ما لا يخطر ببالك»، وقال: «شر الرزية سوء الخلق»، وسئل عليه السلام عن الحزم فقال: «هو أن تنتظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك»، وقال عليه السلام: «الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك، والفقر شره النفس وشدة القنوط، والمذلة اتباع اليسير والنظر في الحقير»، وقال عليه السلام: «راكب الحرون أسير نفسه، والجاهل أسير لسانه»، وقال عليه السلام: «المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقد الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون [فيه] المغالبة، والمغالبة أس أسباب القطيعة».

وقال عليه السلام: «العتاب مفتاح المقال، والعتاب خير من الحقد».

وقال لبعض الثقات عنده وقد أكثر في تقريظه: «أقبل على ما بك، فإن كثرة الملق يهجم على الفطنة، فإذا حللت من أخيك في [محل] الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية».

وقال عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان»، وقال يحيى بن عبد الحميد الحماني: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لرجلٍ ذم إليه ولداً له فقال له: «العقوق ثكل من لم يثكل».

وقال عليه السلام: «الحسد ماحق الحسنات، والزهو جالب المقت، والعجب صارف عن طلب العلم، داع إلى التخبط في الجهل، والبخل أذم الأخلاق، والطمع سجية سيئة».

وقال عليه السلام: «مخالطة الأشرار يدل على شر مخالطهم، والكفر للنعم أمارة البطر وسبب للتغير، واللجاجة مسلبة للسلامة ومؤذنة بالندامة، والهمز فكاهة السفهاء، والنزق صناعة الجهال، ومعصية الإخوان يورث النسيان، والعقوق يعقب القلة ويؤدي إلى الذلة».

وقال عليه السلام لبعض أصحابه: «السهر ألذ للمنام، والجوع أزيد في طيب الطعام.

وقال عليه السلام: اذكر مصرعك بين يدي أهلك فلا طبيب يمنعك ولا حبيب ينفعك»[١].

وقال علي بن أحمد الصيمري الكاتب: تزوجت ابنة جعفر بن محمد الكاتب فأحببتها حباً لم يحب أحد أحداً مثله، فأبطأ عليَّ الولد فصرت إلى أبي الحسن الهادي فذكرت له ذلك فتبسم وقال: اتخذ خاتماً فصه فيروزج واكتب عليه:

يسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٢].

قال: ففعلت ذلك، فما أتى عليَّ حول حتى رزقت منها ولداً ذكراً[٣].

وكتب عليه السلام إلى أحمد بن إسماعيل بن يقطين في سنة سبع وعشرين ومئتين: «بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها منة، وألا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فيعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه وليس خالق إلا الله، وكل ما دون الله مخلوق، والقرآن كلام الله، فانبذ بنفسك، وبالمخالفين في القرآن إلى أسمائه التي سماه الله بها، وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون، ولا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم وهم من الساعة مشفقون»[٤].

---

(١) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص٧٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية٨٩.

(٣) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص٧٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٣١.

وكتب إلى بعض أهل همدان: ليس مع سوء الظن بنا إيمان، وقيل: قدم إلى المتوكل رجل نصراني قد فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه بشركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا، واختلفوا عليه: فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن عليه السلام وسؤاله عن ذلك، قال: فلما قرأ الكتاب كتب عليه السلام: يضرب حتى يموت. فأنكر يحيى بن أكثم ذلك، وأنكر فقهاء العسكر، فقالوا: يا أمير المؤمنين سل عن هذا فإنه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجئ به سنة، وكتب إليه المتوكل: إن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجئ به سنة ولا نطق به كتاب، ففسر لنا لم أوجبت عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾(١).

وقال عليه السلام: إن الله تعالى جعل أشبه شيء بالحق الباطل فسماه الشبهة، ثم بثهما في الخلق جميعاً لامتحان الخلق، فمن ميز الحق من الباطل وعرفه كان الفائز، وقد سماهم الله جل وعز: أولو النهى وأولو الألباب وأولو الأبصار، فقال: فاعتبروا يا أولي الألباب ويا أولي النهى ويا أولي الأبصار، وعمى قوم آخرون فلزم الشبهة، فألزم قلوبهم الزيغ بما اتبعوا من الباطل **﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾**(٢).(٣)

وكتب السبري بن سلامة إلى أبي الحسن عليه السلام سأله عن الغالية ومذاهبهم وما

(١) سورة غافر، الايات ٨٤ – ٨٥.

(٢) سورة غافر، الآية ٥.

(٣) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص٧٣٢.

يدعون إليه وما يتخوف من معرتهم على ضعف إخوانه، ويسأله الدعاء له ولإخوانه في ذلك. فأجاب عليه السلام: «عدل الله عنكم ما سلكوا فيه من الغلو، فحسبهم أن يبرأ الله جل وعز وأولياؤه منهم، وجعل الله ما أنتم عليه مستقراً ولا جعله مستودعاً، وثبتكم بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، ولا أضلكم بعد إذ هداكم، وأحمد الله كثيراً وأشكره»، وقال سهل بن زياد: كتب إليه بعض أصحابنا يسأله أن يعلمه دعوة جامعة للدنيا والآخرة، فكتب إليه: «أكثر من الاستغفار والحمد فإنك تدرك بذلك الخير كله»، وقال الحميري: كتبت إليه يختلف إلينا أخباركم فكيف العمل بها؟ قال: فكتب إلي: من لزم رأس العين لم يختلف عليه أمره، إنها تخرج من مخرجها وهي بيضاء صافية نقية فتخالطها الأكدار في طريقها، قال: فكتبت إليه: كيف لنا برأس العين وقد حيل بيننا وبينه؟ قال: فكتب إلي هي مبذولة لمن طلبها إلا لمن أرادها بإلحاد»[1].

وقال أحمد بن إسحاق: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس. فكتب: «لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي، والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات»، وقال عليه السلام: «ما استراح ذوو الحرص». وقال: «صناعة الأيام السلب، وشرط الزمان الإفاتة، والحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة»، وقال عليه السلام: «الأخلاق يتصفحها المجالسة»، وقال: «من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي»، وقال عليه السلام: «إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوء حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور فيه أغلب من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يرى ذلك منه»[2].

---

(١) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص ٧٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣٣.

وله عليه السلام مع المتوكل:

كان قد سعي به عند المتوكل، وقيل: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته. وأوهموه أنّه يطلب الأمر لنفسه، فوجّه إليه بعدّة من الأتراك ليلاً، فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة، يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، وليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل يستعمل الشراب، وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، وقيل له: لم يكن في منزله شيء ممّا قيل عنه، ولا حبالة يتعلّق عليه بها، فناوله المتوكل الكأس التي كانت بيده فقال الإمام الهادي عليه السلام:

والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه، وقال له: أنشدني شعراً أستحسنه. فقال: إني لقليل الرواية للشعر، قال: لا بدّ أن تنشدني، فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرّجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا!

ناداهم صائح من بعد ما قبروا ... أين الأسرّة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل بكاءً شديداً حتى بلّت دموعه لحيته، وبكى من حضر. ثم أمر برفع الشراب[1].

(١) ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص١٠٨.

وفي رسالة المتوكل العباسي:

وهو الد خصوم الإمام الهادي عليه السلام خاصة والعلويين عامة، اعترافاً بعظمة الإمام وجلالة قدره، وعظيم مكانة (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، إن أمير المؤمنين عارف بقدرك، رايج لقرابتك، موجب لحقك مؤثر من الأمور فيك، وفي أهل بيتك لما فيه صلاح حالك وحالهم، ويثبت عزك وعزهم وإدخال الأمر عليك وعليهم...)[١].

ومن كلام دار بين الإمام الهادي عليه السلام والمتوكل فقال له: «لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه، ولا النصيحة ممن صرفت سوطك إليه، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له. وقال لبعض مواليه: ألفوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا الزيادة منها بالشكر عليها، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما أعطيت، وأمنع شيء لما سلبت، فاحملوها على مطية لا تبطئ إذا ركبت ولا تسبق إذا تقدمت، أدرك من سبق إلى الجنة، ونجا من هرب من النار»[٢].

وفاة أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليهما السلام:

توفي عليه السلام في آخر ملك المعتز، وقد كمل عمره أربعين سنة، وقيل: إحدى وأربعين سنة، يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب، وقيل: لخمس بقين من جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين من الهجرة. ودفن في داره بسر من رأى، وكان نقش خاتمه: أفلح من تمسك بالحق[٣].

ذكره لولده (عليه وعليهم السلام):

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عليه السلام: «إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ

(١) القزويني، رجال تركوا بصمات، ص ٢٥٦.

(٢) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص ٧٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣٤.

الْقَائِمُ»[١].

وقد سمع الإمام الهادي عليه السلام حين يبشر بحفيده المهدي عليه السلام يقول: «لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه، قال الراوي فقلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا: الحجة من آل النبي صلى الله عليه وآله»[٢].

وخلف من الولد: أبا محمد الحسن العسكري وهو الإمام بعده، والحسين، ومحمداً، وجعفراً، وابنته عائشة، والعقب من ولد علي بن محمد الهادي عليه السلام في أبي محمد الحسن بن علي العسكري وأبي عبد الله جعفر بن علي الزكي. والعقب من جعفر بن علي في علي بن جعفر، من ولده: أبو جعفر محمد بن عبد الله بن علي الأشقر، وعقب علي في ثلاثة: عبد الله، وجعفر، وإسماعيل[٣].

وللإمام الهادي عليه السلام في زيارة الإمام المهدي عليه السلام: اللهم فكما وفقتني للإيمان بنبيك والتصديق لدعوته، ومننت علي بطاعته واتباع ملته، وهديتني إلى معرفته ومعرفة الأئمة من ذريته، وأكملت بمعرفتهم الإيمان، وقبلت بولايتهم وطاعتهم الأعمال، واستعبدت بالصلاة عليهم عبادك، وجعلتهم مفتاحاً للدعاء وسبباً للإجابة، فصل عليهم أجمعين، واجعلني بهم عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين... اللهم أنجز لهم وعدك، وطهر بسيف قائمهم أرضك، وأقم به حدودك المعطلة، وأحكامك المهملة والمبدلة، وأحي به القلوب الميتة، واجمع به الأهواء المتفرقة، واجل به صدأ الجور عن طريقتك، حتى يظهر الحق على يديه في أحسن صورته، ويهلك الباطل وأهله بنور دولته، ولا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق)[٤].

(١) ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، النص ٢ .

(٢) القزويني، رجال تركوا بصمات، ص ٢٥٦.

(٣) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص ٧٣٤.

(٤) الريشهري، أهل البيت في الكتاب والسنة، ص ٥١١.

وثمة حكمة إلهية في تمديد عمر إمامة الإمام الهادي لثلاثة وثلاثين عاماً لتكون كافية لإنجاز هذه المهمة الرسالية والحضارية، علماً أنه عليه السلام، تولّى الإمامة بعد أبيه الإمام محمد الجواد، وهو ابن ثمان سنين وقد استخدم الإمام الهادي عليه السلام منهجاً تربوياً متكاملاً من أجل بناء المجتمع الصالح وحصانته في مواجهة الانحراف وتقديم نموذج للمجتمع الإيماني الذي كان يمثله أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وهذا المجتمع لا بد من بنائه من الداخل والخارج؛ ولذلك اعتمد في مجال بناء النفس على ركنين هما:

الأول: بناء النفس من خلال تهذيبها وربطها بخالقها تعالى (الجانب التهذيبي)

الثاني: بناءها من أجل قدرتها على تجاوز المحن والصعاب (الجانب التنظيمي)

ولابد من بيانهما بالتفصيل وكما يلي:

الجانب الأول: الجانب التهذيبي:

عن الإمام عليه السلام قال لأحد مواليه: «كاتب فلاناً وقل له: إن الله إذا أراد بعبد خيراً، إذا عوتب قبل»[1]، فالإمام يحدد أن الإنسان في مسألة حب الظهور لا بد أن يتقبل النقد وأن يرضى بالتعرف على عيوبه من أجل إصلاحها، ويقول أيضاً عليه السلام: «من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع، ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين ومن أسخط الخالق فقمن أن يحل به سخط المخلوقين»[2].

وقال أيضاً عليه السلام: «من أمن مكر الله وأليم عذابه أخذه تكبّر حتى يحل به قضاؤه ونافذ أمره، ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرّض ونشر

وقد اعتمد الإمام وسائل كثيرة للبناء الروحي للمجتمع، منها: الرسائل المكتوبة، الربط بالمعصومين عبر ظاهرة الزيارة، فقد صدر عنه (الزيارة الجامعة،

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص١٨٢.

وزيارة أمير المؤمنين يوم الغدير، وزيارات متعددة للأئمة عليهم السلام).

الجانب الثاني: الجانب التنظيمي:

إن مفهوم الإمامة الذي يعني قيادة الأمة إلى الخير، والصلاح في الدنيا والأخرة اقتضت من الإمام أن يمارس الجانب التنظيمي في المجتمع من أجل حمايته من حبائل السلطة الغاشمة التي كانت تتربص بالمؤمنين وبإمامهم عليه السلام الدوائر.

وكانت حياة الإمام عليه السلام مقرونة برقابة شديدة من قبل الحكّام العباسيين، ورغم ذلك كان للتشيع انتشاره في كل العالم الإسلامي، واتبع الإمام أسلوب الوكالة للارتباط بأتباعه، وشيعته في العالم، فكيف كان هذا النظام؟

كيفية العمل نظام الوكالة:

كان الوكلاء يتولون تنظيم عملية الاتصال بين الإمام عليه السلام والشيعة خصوصاً في العناوين التالي:

١ - استلام الخمس من الشيعة وإيصاله للإمام عليه السلام.

٢ - الإجابة على المسائل الفقهية والعقائدية.

٣ - التعريف بالإمام عليه السلام وتمهيد الأرضية له، وكان ارتباط هؤلاء بالإمام عليه السلام يتم غالباً من خلال كتب يرسلونها إليه مع من يوثق به، وكان من وكلاء الإمام الهادي عليه السلام علي بن جعفر الوكيل، وقد سُعي به إلى المتوكل فقبض عليه وحبس، وقضى فترة طويلة في السجن. وإبراهيم بن محمد الهمداني وغيرهم.

العلاقة بين الوكلاء والناس:

لقد نظم الإمام عليه السلام العلاقة بين الوكلاء أنفسهم، بحيث يبقى كل وكيل ضمن دائرة عمله بشكل منظم من دون التعرض لدائرة عمل الآخر، وقد كتب عليه السلام كتاباً وجهه إلى أيوب بن نوح وكان من وكلائه عليه السلام أمره فيه بعدم الإكثار بينه وبين أبي علي

وكيل أخر وأن يلزم كل واحدٍ منهما ما وكل به، وأمر بالقيام فيه في أمر ناحيته، وأوصى أبا علي أيضاً بمثل ما أوصى به أيوب، وطلب من الإثنين أن يتولى كل واحد منهما الشؤون المالية لما يليه من الشيعة، وألّا يقبلا شيئاً من أموال شيعة المناطق الأخرى.

ونظم عليه السلام كذلك العلاقة بين الوكيل وبين الشيعة المتواجدين في ناحيته، فاعتبر أن طاعة الوكيل هي طاعة له عليه السلام، والكتاب التالي نموذج لمنهجية إدارة الإمام عليه السلام للشيعة، قال: (نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها والمدائن والسواد وما يليها:

«أحمد الله إليكم ما أنا عليه من عافية وحسن عائدته، وأصلي على نبيه وآله أفضل صلواته وأكمل رحمته ورأفته، وإني أقمت أبا علي بن راشد مقام الحسين بن عبد ربه ومن كان قبله من وكلائي وصار في منزلته عندي، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم، ليقبض حقي وارتضيته لكم، وقدمته في ذلك وهو أهله وموضعه.

فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك وإليَّ، وألّا تجعلوا له على أنفسكم علة، فعليكم بالخروج عن ذلك، والتسرع إلى طاعة الله وتحليل أموالكم والحقن لدمائكم»[1].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[2].

﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾[4].

(١) البيشوائي، سيرة الأئمة، ص٥١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٤) سورة ال عمران، الآيات ١٠٢ - ١٠٣.

فقد أوجبت في طاعته طاعتي، والخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني، فالزموا الطريق يأجركم الله ويزيدكم من فضله، فإن الله بما عنده واسع كريم، متطول على عباده رحيم، نحن وأنتم في وديعة الله، وحفظته، وكتبته بخطي والحمد لله كثيراً وأكد على ضرورة تمهيد الطريق أمام الوكيل وتسهيل مهمته، يقول عليه السلام: «فعليك بالطاعة له والتسليم إليه جميع الحق قِبلك، وأن تحض موالي على ذلك وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته، فذلك توفير علينا، ومحبوب لدينا ولك به جزاء من الله وأجر»(١).

تربية العلماء والقادة:

قال الإمام الهادي عليه السلام: «تأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبّينا وأهل ولايتنا يوم القيامة، والأنوار تسطع من تيجانهم»(٢).

ورث الإمام الهادي من الأئمة المعصومين عليهم السلام، جيلاً من العلماء والفقهاء ممن كانوا يروون عنهم ويحفظون سيرتهم ويحملون منهجهم، وقد تميز دوره عليه السلام في أنه ربّى جيلاً من العلماء الوكلاء ممن لا يقتصر نشاطهم في حدود حلقات الدرس وتلقي العلوم الدينية، وإنما يتحملوا أعباء متابعة شؤون الناس، وحاجاتهم، ومشاكلهم، وما يعترضهم من فتن وإشكالات في مختلف نواحي الحياة، وقد انتشر هؤلاء في البلاد الإسلامية المترامية الأطراف على مساحة (تضم اليوم تسعة وسبعين دولة، وإذا نظرنا إلى التاريخ نجد أن تعيين الوكلاء من قبل الإمام لم يكن يعرف عند الأئمة عليهم السلام قبل الإمام الهادي الذي كان يوكل نواباً له في كل المناطق الإسلامية)(٣).

وقد ترجم الشيخ الطوسي لمئة وخمسة وثمانين تلميذاً وراوياً ممن درسوا على يد

(١) البيشوائي، سيرة الأئمة، ص٥١٤.

(٢) الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج١، ص ٢٥٧.

(٣) اليوسفي، التاريخ الإسلامي.

الإمام ورووا عنه، وعندما نطالع بعض تلكم التراجم نجد في رسائل الإمام الهادي إلى وكلائه ما تتضمن تفاصيل دقيقة في كيفية صرف الأموال على مستحقيها، ومتابعة شؤون الوكلاء، وطبيعة علاقاتهم الاجتماعية إلى جانب التأكيد للشيعة بنزاهتهم وصدقهم وولائهم، بما يعزز المصداقية لهم في المجتمع[١].

ومن أبرز الأسماء اللامعة: أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، وهو أول من سكن مدينة قم، وجاء في المصادر أنه شيخ القميين، ووجيههم وفقيههم، وأيضاً؛ الفضل بن شاذان، يعد من أساطين العلماء، ومن أبرز رجالات العلم والفكر في عصره، كتب في مختلف العلوم والفنون والمعارف الإسلامية، وألف فيها ما يزيد على مئة وثمانين مؤلفاً، كما من القامات أيضاً؛ إبراهيم بن محمد الهمداني، الذي وردت التزكية بحقه من الإمام الهادي عليه السلام بخط يده[٢].

تربية مواليه لمواجهة الفرق الضالة:

لكل واحد من الأئمة مباحثات في عهده مع أهل الأديان الباطلة، ويظهره الله عليهم فيفلجهم ويدفع شبهاتهم فيُسلِم لذلك بعضهم، فقد ذكر جماعة من الخاصة وغيرهم إنّ الناس في أيام الهادي عليه السلام أجدبوا، وحصل القحط لقلّة الغيث، فخرج المسلمون يستسقون فما أمطروا، وخرج من بعدهم أهل الكتاب واستسقوا فبعث الله المطر وخجل المسلمون لذلك وطالت ألسِنَة أهل الذمّة عليهم، وصار توهين في الدين فخشى الخليفة من الخلل على خلافته، واستشار من يثق به في كيفية الاستظهار على أهل الكتاب، فأُرشِد إلى الهادي عليه السلام فاستغاث به بعد أن بعث له وبأنّ الدين قد حصلت فيه ذلّةٌ ووهن، فقال الإمام الهادي عليه السلام له مُرْ أهلَ الكتاب أن يخرجوا ثانياً ويستسقوا، فإذا خرجوا ورفعوا أيديهم إلى الدعاء فعيّن رجلاً أن يكون بالقرب من

(١) الطوسي، رجال الطوسي.

(٢) سيرة الإمام الهادي.

راهبهم فإذا رفع يده فليأخذ الشيء الذي، فإذا أخذه فليأمره بالدعاء، ففعل الخليفة ذلك، فلمّا رفع الراهب يده أخذ الرجل الموَّظف من بين أصابعه عظماً ثم قال له: أدعو فكلما دعا تقشع الغيم وانقطع المطر فعاد كأنه يدعو الله بعدم المطر، فسأل الإمام عليه السلام فقال: هذا عظم نبي وكلما كشف إلى السماء هطلت، وبعد أن دفن ذلك العظم خرج الإمام الهادي عليه السلام بنفسه إلى الصحراء، فلما أصحر بالمسلمين دعى الله فانهملت السماء بالمطر حتى جاءته الناس أفواجاً يسألونه أن يدعو الله تعالى أن ينقطع المطر[1].

إن وجود شريحة من العلماء الرساليين ممن يحملون هموم الأمة، له مدخلية في إنجاح هذه المهمة لحاجة أفراد الأمة إلى قامات مثل هشام بن الحكم، ومحمد بن مسلم، ومؤمن الطاق، وجابر بن يزيد الجعفي، الذين عاصروا الإمام الصادق عليه السلام، وخاضوا بين يديه المناظرات العلمية والفكرية مع أصحاب البدع والزندقة والتشكيك، ولابد أن نأخذ بعين الاعتبار الفترة الزمنية بين الإمام الصادق، والإمام الهادي عليه السلام حيث اشتدّ عود المذاهب والفرق التي انتهج كلٌ منها طريقاً عدّه هو الحق، وهو الذي يمثل الإسلام دون سواه، ولا سيما إذا عرفنا أن الاعتزال ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تحول إلى المذهب الرسمي للدولة الإسلامية في عهد المأمون العباسي، وراح رموز المعتزلة يجوبون البلاد وينشرون عقيدتهم وما يحملونه من أفكار، أكثرها خطورة خلق القرآن، وأن لا وجود لكلام الله ـ تعالى ـ في الكتاب المجيد، ولا علاقة بين الآيات القرآنية، والأحداث التي وقعت في المجتمع الإسلامي الأول.

كما اشتد التوجه إلى الخرافات في العقيدة في أوساط الأمة بسبب سياسات الجور والظلم التي مورست بحق المسلمين مما خلق لديهم مشاكل وعقد نفسية، ومشاعر مثل؛ الخوف، واليأس، والضِعة، وهو ما انعكس مباشرة على الحالة الإيمانية لتكون

(١) ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص١٢٨، الحديث الثاني.

الثغرة لأصحاب المذاهب بأن يبتدعوا سبلاً وهمية للخلاص من الواقع السيء[١].

كلمات قصار للإمام الهادي عليه السلام:

١. «لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك فيه»[٢].

٢. « السهر الذ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام»[٣].

٣. « الإمام بعدي ابني الحسن، وبعد الحسن ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٤].

٤. «البخل أذم الأخلاق»[٥].

٥. «الجاهل أسير لسانه»[٦].

٦. «اذكر حسرات التفريط، تأخذ بقديم الحزم»[٧].

٧. «العتاب خير من الحقد»[٨].

٨. « الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة»[٩].

---

(١) سيرة الإمام الهادي.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة ج١، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٤.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٤.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٦٤٨.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٦٧٤.

٩. «من اتقى الله يتقى»[١].

١٠. «لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله»[٢].

١١. «الطمع سجية سيئة»[٣].

١٢. قال الإمام الهادي عليه السلام للمتوكل: «لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه، ولا الوفاء لمن غدرت به، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك به، فإنما قلب غيرك كقلبك له»[٤].

١٣. قول الإمام الهادي عليه السلام لسائل: «فأسال عنه عبد العظيم الحسني واقرأه مني السلام»[٥].

روى إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر محمد الجواد من المدينة إلى بغداد طلبة المعتصم، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ فبكى حتى ابتلت لحيته ثم التفت إليّ فقال: الأمر من بعدي لولدي علي.

فمحصلة النص الوارد من كل إمام على الإمام الذي يليه، تقودنا إلى قطع الشك والريب في مقام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام؛ ذلك لأن التسلسل منته إلى كتاب الله والرسول صلى الله عليه وآله، وهكذا يكون نص الإمام الجواد عليه السلام على ولده الإمام علي الهادي

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٨٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٨٧.

(٣) المحمودي، نهج السعادة، ج٧، ص٤٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٦٠.

(٥) الصدر، دروس في علم الأصول، ج٢، ١٤٣.

مستمسكاً ودليلاً على مكانة وعظمة شخصية الإمام الهادي عليه السلام شاهداً له بالعلم والورع والكفاءة لاحتلال موقع الإمامة والقيادة والمرجعية في الأمة[١].

المطلب الثاني: التربية عند الإمام العسكري عليه السلام:

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كنيته أبو محمد ولد بالمدينة في ربيع الآخر من سنة اثنين وثلاثين ومائتين للهجرة وقبض بسر من رأى لثمان خلون من ربيع الأول سنة ستين ومائتين وكان سنه يومئذٍ ثمان وعشرين سنة، وأمه أم ولد يقال لها: حديث وقبره إلى جانب قبر أبيه عليه السلام في البيت الذي دفن فيه أبوه بدارهما بسر من رأى[٢].

وسمي الإمام الحسن عليه السلام بالعسكري نسبة إلى محلة العسكر في مدينة سامراء التي كان يسكنها هو وأبوه الإمام الهادي عليه السلام من قبل، وقد وردت النصوص على إمامته عليه السلام. فعن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام: «أبو محمد ابني أصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامنا، فما كنت سائلي عنه، فاسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه»، وعن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كون، وأعوذ بالله، فإلى من؟ قال: «عهدي إلى الأكبر من ولدى، يعنى الحسن»[٣]

في ذكر شيء من أخبار العسكري عليه السلام:

قال أبو الحسن محمد بن هارون بن موسى: حدثني أبي رضي الله عنه، قال: كنت في دهليز لأبي علي محمد بن همام (رحمه الله تعالى) على دكة وضعها، إذ مرَّ بنا شيخ كبير عليه دراعة، فسلّم على أبي علي محمد بن همام، فردَّ عليه السلام ومضى، فقال لي: تدري

(١) القزويني، رجال تركوا بصمات، ص٢٤١.

(٢) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، ص٩٢.

(٣) القزويني، رجال تركوا بصمات، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

من هذا؟ فقلت: لا، فقال: شاكري لمولانا أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، أفتشتهي أن تسمع من أحاديثه عنه شيئاً؟ قلت: نعم، فقال لي: معك شيء تعطيه؟ فقلت: معي درهمان صحيحان. فقال: هما يكفيانه. فمضيت خلفه فلقيته بموضع كذا فقلت: أبو علي يقول لك: تنشط للمصير إلينا. فقال: نعم، فجاء إلى أبي علي فجلس إليه، فغمزني أبو علي أن أسلم إليه الدرهمين، فسلّمتهما إليه، فقال: ما يحتاج إلى هذا، ثم أخذهما. فقال له أبو علي: يا أبا عبد الله حدثنا عن أبي محمد عليه السلام مما رأيت. فقال: كان أستاذي صالحاً من بين العلويين لم أر مثله، وكان يركب إلى دار الخلافة بسر من رأى في كل اثنين وخميس. قال أبو عبد الله محمد الشاكري: وكان يوم النوبة يحضر من الناس خلق عظيم ويغص الشارع بالدواب والبغال والحمير والضجة فلا يكون لأحد من موضع يمشي ولا يدخل بينهم. قال: فإذا جاء أستاذي سكتت الضجة وهدأ صهيل الخيل ونهاق الحمير وتفرق الناس حتى يصير الطريق واسعاً لا يحتاج ان يتوقى من الدواب تحفه ليزحمها، ثم يدخل فيجلس في مرتبته التي جعلت له، فإذا أراد الخروج وقال البوابون: هاتوا دابة أبي محمد سكن صياح الناس وصهيل الخيل وتفرقت الدواب حتى يركب ويمشي، وقال الشاكري أيضاً: واستدعاه يوماً الخليفة فشق ذلك عليه وخاف أن يكون قد سعي إليه به بعض من يحسده من العلويين والهاشميين على مرتبته، فركب ومضى إليه، فلما حصل في الدار قيل له أن الخليفة قد قام ولكن اجلس في مرتبتك وانصرف، قال: فانصرف وجاء في سوق الدواب وفيها من الضجة والمصادمة، واختلاف الناس شيء كثير، قال: فلما دخل إليها سكتت الضجة، وهدأت الدواب. قال: وجلس إلى نخاس كان يشتري له الدواب، قال: فجئ له بفرس كبوس لا يقدر أحد أن يدنو منه. قال: فباعوه إياه بوكس، فقال لي: يا محمد قم فاطرح السرج عليه، قال: فقمت وعلمت أنه لا يقول لي إلا ما لا يؤذيني، فحللت الحزام وطرحت السرج عليه، هذا ولم يتحرك، وجئت لأمضي به فجاء النخاس فقال: ليس يباع فقال: سلمه إليه، قال: فجاء النخاس ليأخذه، فالتفت إليه التفاتة ذهب منه منهزماً، قال:

وركب ومضينا، فلحقنا النخاس، فقال: صاحبه يقول: أشفقت من أن يرده فإن كان قد علم ما فيه من الكبس فليشتره، فقال له أستاذي: قد علمت، فقال: قد بعتك. فقال لي: خذه، فأخذته وجئت به إلى الإصطبل، فما تحرك ولا آذاني، فركبه أستاذي فلما نزل جاء إليه فأخذ باذنه اليمنى فرقاه، ثم أخذ باذنه اليسرى فرقاه. قال: فوالله لقد كنت أطرح الشعير له وأفرقه من يديه فلا يتحرك هذا ببركة أستاذي، وكان هذا الفرس يقال له: الصؤول يزحم بصاحبه حتى يزحم به الحيطان، يقوم على رجليه ويلطم صاحبه»[1].

وصية الإمام العسكري عليه السلام لشيعته:

حث الإمام على حصول الألفة بين أبناء الأمة سواء أكانوا قائلين بولاية أهل البيت أم لا، وهذا ما يحصل فيه حفظ الدين وسلامة الأمة من التفرق، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي، فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله، لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصيتكم به، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام»[2].

---

(١) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، ص٧٣٩.

(٢) الريشهري، أهل البيت في الكتاب والسنة، ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

قال الإمام العسكري عليه السلام: «وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل والديكم وأحقهما بشكركم محمّد وعلي»، وقال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعلي ابوا هذه الأمة، ولحقّنا أعظم من حق والديهم، فانّا ننقذهم ـ إن أطاعونا ـ من النّار إلى دار القرار، ولنلحقهم من العبودية بخيار الأحرار، وأما قوله: وذي القربى، وهم من قراباتك من أبيك وأمّك، قيل لك: اعرف حقّهم كما أخذ به العهد على بني إسرائيل، وأخذ عليكم معاشر أمّة محمّد بمعرفة قربات محمّد الذين هم الأئمّة بعده، ومن يليهم بعد من خيار أهل دينهم[١].

وقال عليه السلام في الحث على الصبر: «ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فإن لكل يوم رزقاً جديداً»[٢]، فالصبر على الحاجة خير من المسألة حتى يأتي الرزق من الله، ليغنيك عن المسألة.

ولا بد على المؤمن أن يشكر على النعمة التي أنعمها الله، فالشكر دلالة على المعرفة بقدر النعمة، يقول عليه السلام في ذلك: «لا يَعرِفُ النِّعمَةَ إلّا الشاكِرُ، ولا يَشكُرُ النِّعمَةَ إلّا العارِفُ»[٣]، فالشاكر هو العارف والعكس صحيح.

ويحذر الإمام العسكري عليه السلام من الغضب، فهو الأداة التي تسبق كل شر ومصيبة، فيقول: «الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»[٤]، فالغضب يذهب العقل عن الإنسان ما يجعله عرضة لارتكاب الذنوب بالكلم، أو الفعل.

ويذكّر الإمام عليه السلام بحسن الجوار، ولا بد للجار أن يستر ما يراه من جاره إن كان فيه سيئة، وأن ينشر ما يراه من محاسنه يقول في ذلك: «مِنَ الْفَوَاقِرِ الَّتِي تَقْصِمُ

(١) اليوسفي الغروي، آيات الأنوار في فضائل النبي وآله الأطهار عليهم السلام، ص٣٨.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٢٤.

(٣) الديلمي، أعلام الدين، ص٣١٣.

(٤) الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٢، ص٥٩٨.

الظَّهْرَ جَارٌ إِنْ رَأَى حَسَنَةً أَطْفَأَهَا وإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا»[١].

أما تربية الأولاد فكان لها نصيب في حكم الإمام العسكري عليه السلام

إذ يقول: «جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ فِي صِغَرِهِ تَدْعُو إِلَى الْعُقُوقِ فِي كِبَرِهِ»[٢]، فالجرأة التي يتعلّمها الطفل في صغره ستستمر معه حين يكبر، وتؤدي به إلى عقوق الوالدين، فلا بد من تربية الأولاد تربية صالحة تجعلهم بارين بوالديهم.

وحكم الإمام عليه السلام أكثر من أن تعدد في مؤلفات، وهذا نزر منها، يذكر الإمام عليه السلام أهمية السلام وهو من التواضع يقول عليه السلام: «مِنَ التَّوَاضُعِ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ والْجُلُوسُ دُونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ»[٣]، ومن الأمور التي نهى عنها الضحك من دون سبب وجعله من الجهل: «مِنَ الْجَهْلِ الضَّحِكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ»[٤].

وختاما يبين الإمام عليه السلام لنا صفات المؤمن وأولها صفة الورع يقول عليه السلام: «أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، أَعْبَدُ النَّاسِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الْفَرَائِضِ، أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْحَرَامَ، أَشَدُّ النَّاسِ اجْتِهَاداً مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ»[٥]، وأن يقدم له الموعظة سراً لا علانية يقول عليه السلام: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَهُ ومَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ»[٦].

ثم تعهد نفوس أصحابه تربية، وتهذيباً، فقال عليه السلام: «ليعن قويكم ضعيفكم وليعطف غنيكم على فقيركم، وليساعد ذو الجاه منكم بجاهه من لا جاه له، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسراركم ولا تحملوا الناس على رقابنا، وانظروا

(١) الحراني،تحف العقول، ج١، ص٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٦٩.

(٣) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٩٩.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٧.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٣.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٣.

أمرنا وما جاءكم عنا منه، فإن وجدتموه موافق للقرآن فهو قولنا، وما لم يكن موافقاً للقرآن فقفوا عنده وردوه إلينا، حتى نشرحه لكم كما شرح لنا»[١].

ورغبهم في الخير فقال عليه السلام: «إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة، والموت يأتي بغتة من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يدرك له، من أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه»[٢].

ودعاهم إلى اكتساب المعروف بقوله عليه السلام: «إن في الجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف»[٣].

وحاول أن يثبت الفضائل الخلقية لدى أتباعه ليكونوا رسولاً ناطقاً بين الناس بفعلهم وعملهم عن أهل البيت عليهم السلام، ودلهم على مواطن ذلك، فقال عليه السلام: «اتقوا الله، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتطهير من الله، لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فإن في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله عشر حسنات»[٤].

---

(١) الديلمي، أعلام الدين، ص٣١٤.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٦٧.

دور الإمام في تقوية الأواصر الاجتماعية

ومما يشار إليه دور الإمام في تقوية الأواصر الاجتماعية بين المسلمين فأثر عنه في هذا الباب أقوال منها: «خصلتان ليس فوقهما شيء الإيمان بالله ونصح الأخوان»[١] ورغب في قضاء حوائج الأخوان ومعرفة حقوقهم، فقال عليه السلام: «أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شاناً ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام»[٢]

موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الحركات الفكرية:

لابد من القول إن بعض الأفراد قد يذهب ضحية على أثر ما تصاب به الأمة ممن يدعون العلم وظاهرهم أنيق، وباطنهم بذيء، وهنا كان لابد لهذه الأمة من منقذ ينقذها من تلك المشاكل، فكان وجود الإمام في هذه الفترة هو الشخص المناسب لهذه المهمة. حيث ظهرت العديد من الفرق التي أضلت المسلمين تحت عنوان الهداية، أو العلم، فكان للإمام موقفاً حازماً تجاه هذه الفرق، ولعل من أبرزها.

فرقة يقال لهم: الواقفة، ويقال: الممطورة وإنما سموا بذلك؛ لأنهم قالوا وسميت بإمامة موسى بن جعفر بعد أبيه جعفراً، وزعموا أنه حي لا يموت وانه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ووقفوا على القول بإمامته وأنكروا إمامة علي بن موسى من بعده[٣].

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٧ ينظر: السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص٢٩٠.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٣) السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص٢٩٠.

الإمام العسكري عليه السلام وأصحاب العقائد المنحرفة:

ويحدثنا التأريخ أن بعض المنحرفين عن عقيدة التوحيد غالوا في أئمة أهل البيت عليهم السلام ووصفوهم بأوصاف الألوهية، فتبرأ أهل البيت عليهم السلام من ذلك الضلال ولعنوهم وحاربوهم، فقد روى إدريس بن زياد الكفرتوثائي، قال: كنت أقول في أئمة أهل البيت عليهم السلام قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبى محمد عليه السلام فقدمت وعلى أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكان حمام، فذهب بي النوم، فما انتبهت إلا بمقرعة أبى محمد، قرعني بها حتى استيقظت، فعرفته، فقمت قائماً أقبل قدميه وفخذه، وهو راكب والغلمان من حوله، فكان أول ما تلقاني به أن قال: يا إدريس: ﴿... **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[1]، فقلت: حسبي يا مولاي، وإنما جئت أسألك عن هذا، قال: فتركني ومضى»[2].

تربية أصحابه:

عمل الإمام العسكريّ عليه السلام على تربية أصحابه تربيةً خاصّة، ولا سيَّما أنه يعلم أنه آخر الأئمّة ظهوراً بين الناس إذا صحّ التعبير، وأن عليه التمهيد لولادة ابنه الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وللإيمان بغيْبته، مع العلم أنّه ليس وحده مَنْ مهَّد لفترة الغَيْبة، وإنّما ابتدأ ذلك منذ عهد الإمام الجواد عليه السلام، ويليه الإمام الهادي عليه السلام، وصولاً إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، فقد ركَّزوا (سلام الله عليهم) على توصية شيعتهم بأن يكونوا في أعلى درجات الأخلاق وحُسْن المعاملة مع الناس.

فقال الإمام العسكري عليه السلام: «من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانيةً فقد شانه»[3].

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتين ٢٦ـ٢٧.

(٢) القزويني، رجال تركوا بصمات، ص ٢٤٧.

(٣) المدرسي، من هدى القرآن، ج١٥، ص١٦٦.

مسألة الرجوع إلى الحجّة:

أمّا في مسألة الرجوع إلى الحجّة في الحكم الشرعيّ والقضاء فقد رُوي عنه عليه السلام أنّه قال: «فأمّا مَنْ كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوامّ أن يقلِّدوه»(١).

وهكذا يكون قد بيَّن صفات المرجعيّة الرشيدة التي يجب الرجوع إليها، والاحتكام عندها، فهو أمرٌ بالرجوع إلى الفقيه العالم، ما دامت تتوفَّر فيه هذه الشروط الأربعة. ومما ورد بعنوان تصديق الإمام لبعض الروايات بعينها على نحو القضية الخارجية مثل كتاب يوم وليلة ليونس بن عبد الرحمن حيث قال الإمام العسكري عليه السلام بعد نظره فيه وتصفحه كله: «هذا ديني ودين آبائي، وهو الحق كله»(٢).

ولا شكَّ أن حضور المعصوم عليه السلام، سواء كان نبيّاً أو إماماً، بين الناس نعمةٌ إلهيّة كُبرى، يستحقُّها المخلصون والأتقياء والأبرار، وقد يحضر في مجتمعٍ فاسد في غالبيَّته، ولكنّ ذلك لمصلحة إتمام الحجّة على الخَلْق. وأمّا غَيْبته فهي لِحِكْمةٍ ومصلحة فها هم آباؤه أجمعون قد قُتلوا وسُجنوا ونُفوا وطُوردوا، فهل يبقى حاضراً ظاهراً ليلقى مصيرهم وتخلو الأرض من حجّةٍ لله. إذاً هي الغَيْبة التي تهدف إلى حفظه من كَيْد أعدائه، ويريد أصحاباً أوفياء مخلصين أوفياء للدِّين، ومخلصين لله ورسالاته، لا يريد أوفياء للسلاح، أو المال، أو المناصب، يريد أصحاباً إذا أمرهم بترك ما حرَّمه الله، ممَّا اعتادوه وأقاموا عليه بُنيان حياتهم الفرديّة والأُسَريّة والاجتماعيّة، أطاعوه، إذا أمرهم بترك الربا تركوه، وإذا أمرهم بعدم سرقة الكهرباء، والماء والتلفون اجتنبوه، إذا أمرهم بلباسٍ محتشِم متوافِقٍ مع تعاليم الشريعة الغرّاء وقصّةِ شَعْرٍ سويّة فعلوه. إذا أمرهم بأن لا يطلقوا الرَّصاص في الهواء، ولو لَمْلَقَاة، امتثلوا أمره، فكم يبقى معه

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، ص٣٠٠.

(٢) الخرازي، عمدة الأصول، ج٥، ص٢٥١.

من تلك الملايين؟ وإذا كانت النتيجة في هذه الأمور، فلو وصل العدد إلى ما يكفيه لخَرَج، وإلاّ لانْخدشَتْ مقولة اللُّطْف الإلهيّ، ولعُدَّ عليه السلام ـ والعياذُ بالله ـ من المقصِّرين الطامعين في راحة البال والدَّعَة، وهذا غيرُ متصوَّرٍ في حقِّه عليه السلام. فعن غير واحدٍ من أصحابنا، عن محمد بن همام، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحارث، عن المفضَّل بن عمر، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعتُ جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: فقلتُ له: يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال عليه السلام: «إي والذي بعثني بالنبوّة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإنْ تجلَّلها سحاب. يا جابر، هذا من مكنون سرّ الله، ومخزون علمه، فاكتمه إلّا عن أهله»[١].

كلمات قصار للإمام العسكري عليه السلام:

١. قال عليه السلام: «خير إخوانك من نسي ذنبك إليه»[٢].

٢. وقال عليه السلام: «الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج، والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه»[٣].

٣. وقد سئل عن الحجة والإمام بعده؟ فقال عليه السلام: ابني محمد، وهو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميته جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[٤].

---

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٥٣.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٠.

٤. « من أنس بالله استوحش من الناس»[١].

٥. «ما من بلية إلا ولله فيها نعمة تحيط بها»[٢].

٦. «من رضي بدون الشرف في المجلس لم يزل الله، وملائكته يصلون عليه حتى يقوم»[٣].

٧. « حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن»[٤].

٨. «الجهل خصم»[٥].

٩. « من لم يحسن أن يمنع، لم يحسن أن يعطي»[٦].

١٠. «أقل الناس راحة الحقود»[٧].

١١. « ما ترك الحق عزيز إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز»[٨].

١٢. «أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً»[٩].

١٣. «من لم يتق وجوه الناس لم يتق الله»[١٠].

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٤٨٤.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٦٤٨.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٦٥٥.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٦٦٣.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٧١٨.

١٤. وقال عليه السلام: «شيعة علي عليه السلام هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم، أو وقعوا على الموت، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم من حيث أمرهم، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يقتدون بعلي في إكرام إخوانهم المؤمنين»(١).

١٥. وقال عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم»(٢).

١٦. وقال الإمام العسكري عليه السلام: «قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: دخل محمد بن علي بن مسلم بن شهاب الزهري على علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام وهو كئيب حزين، فقال له زين العابدين: ما بالك مهموماً مغموماً؟ قال يا بن رسول الله هموم وغموم تتوالى علي لما امتحنت به من جهة حساد نعمتي، والطامعين في، وممن أرجوه وممن أحسنت إليه فيخلف ظني، فقال علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: احفظ لسانك تملك به إخوانك. قال الزهري: يا بن رسول الله إني أحسن إليهم بما يبدر من كلامي. قال علي بن الحسين عليه السلام: هيهات هيهات: إياك وان تعجب من نفسك بذلك، وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه نكرا، يمكنك لأن توسعه عذراً، ثم قال: يا زهري من لم يكن عقله أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه»(٣).

١٧. «ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله»(٤).

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص١٥٣٨.

(٢) المحمودي، نهج السعادة، ج٧، ص٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص٣٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٣٧.

١٨. «كلم الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى: إلهي ما جزاء من صلى الصلاة لوقتها، قال: أعطيته سؤله، وأبيحه جنتي»[١].

١٩. قال الإمام العسكري عليه السلام: سئل أمير المؤمنين عليه السلام من أعظم الناس حسرة، قال: من رأى ماله في ميزان غيره، وأدخله الله به النار، وأدخل وارثه الجنة»[٢].

٢٠. وقال عليه السلام: «ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك، فإن لكل يوم رزقاً جديداً، وأعلم أن الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء، فأصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه، فما أقرب الصنع من الملهوف، والأمن من الهارب المخوف، فربما كانت الغير نوع من أدب الله، والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وإنما تنالها في أوانها، واعلم أن المدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في جميع أمورك يصلح حالك، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط»[٣].

٢١. وقال عليه السلام: «كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا: هذا سحر مبين تقوله، فقال الله: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: يا محمد، هذا الكتاب الذي أنزلته إليك هو الحروف المقطعة التي منها (ألم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا بذلك بسائر شهدائكم، ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[٤].

---

(١) المحمودي، نهج السعادة، ج٨، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٩٤.

(٤) السبحاني، الأقسام في القرآن الكريم، ص٥٩.

٢٢. وقال عليه السلام: «جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها الكذب»[١].

٢٣. وقوله عليه السلام في بني فضال:

«خذوا ما رووا، وذروا ما رأوا»[٢].

وقال أبو يحيى المغربي:

يا راكب الشهباء تعمل تحته سلّم على قبر بسامـــــراء

قبر الإمام العسكري وابـنه وسمي أحمد خاتم الخلفاء[٣]

وفاة الإمام العسكري عليه السلام:

عاصر الإمام العسكري عليه السلام المعتز والمهتدي والمعتمد من خلفاء بني العباس وقد لاقى التضييق والعنت والإرهاب والملاحقة والسجن من قبلهم، وكان آخر الذين عاصرهم الإمام هو المعتمد، وكان خليعاً ميالاً إلى اللهو واللذات، منصرفاً إلى العزف والغناء واقتراف المحرمات، مما أوجب كراهية الناس له. وقد زاد من غيظ المعتمد إجماع الأمة على تعظيم الإمام العسكري عليه السلام وتبجيله وتقديمه بالفضل على جميع العلويين والعباسيين، في الوقت الذي كان المعتمد العباسي مكروهاً لدى الأمة، فأجمع رأيه على الفتك بالإمام عليه السلام واغتياله، فدس له سماً قاتلاً، أثر فيه فلازم الفراش عدة أيام يعاني آلاماً مريرة وقاسية، وهو صابر محتسب حتى استشهد عليه السلام وعمره ثمان وعشرون عاماً، فقد كانت وفاته عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ في سر من رأى (سامراء) المشرفة[٤].

---

(١) الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص٣٣٦.

(٢) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١، ص٦٧.

(٣) العاملي، أعيان الشيعة، ج٢، ض٤٤٥.

(٤) القزويني، رجال تركوا بصمات، ص ٢٤٨.

الاستنتاجات:

١. إن أهل البيت ومنهم الإمامين العسكريين عليهما السلام اتخذوا سبلاً متعددة لتربية المؤمنين.

٢. إنهم عليهما السلام ملكوا قلوب الناس بسبب إيلائهم حوائج الناس أهمية قصوى.

٣. إن لتربية العلماء والقادة أثره في المجتمع المؤمن.

٤. إن الإمامين العسكريين عليهما السلام بذلا جهداً لتربية مواليهم، وإعدادهم لمواجهة الفرق الضالة.

التوصيات:

١. بحث مفصل يتناول العمل بنظام الوكالة وبصمة الإمام الهادي عليه السلام فيه.

٢. بحث دور الإمام العسكري عليه السلام في تقوية الأواصر الاجتماعية بين المؤمنين.

٣. سلسلة أبحاث التربية عند أهل البيت ودراسة دور كل إمام منهم عليهما السلام في التربية ومنهجيته مع ظروفه الخاصة.

الخاتمة

إن الغور في بحر أهل البيت عليهم السلام، واقتناء دررهم من النعم الجليلة التي تحتاج إلى التوفيق، ونسأل الله أن يديم علينا توفيقه للوقوف على هذه الدرر والمساهمة بإبرازها للمجتمع المؤمن ومع أن ما كتب في سيرة الأئمة، وتاريخهم، وتسليط الأضواء على جوانب متعددة من حياتهم عليهم السلام إلا أنه هناك الكثير من ما يمكن أن يرصده الباحثون ويحققوا به جهوداً علمية نأمل أن نكون منهم.

وقد كتب هذا البحث في سامراء المقدسة من جوار الإمامين العسكريين عليهما السلام في فترة تشرفنا بخدمتهم نسأل الله أن يديم علينا هذا الشرف والحمد لله رب العالمين.

المصادر

ـ القرآن الكريم

١) ابن بابويه، علي بن الحسين، الإمامة والتبصرة من الحيرة، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف ـ قم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، ٧١١ هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٣) البيشوائي، مهدي، سيرة الأئمة، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٤) تفسير الإمام العسكري، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، المطبعة، مهر ـ قم المقدسة، ربيع الأول ١٤٠٩هـ.

٥) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٤ ـ ١٣٦٣ ش.

٦) الخرازي، محسن، عمدة الأصول، مؤسسة در راه حق، قم، ١٤٢٢هـ.

٧) الخوئي، معجم رجال الحديث، أهم مصادر رجال الحديث عند الشيعة، ١٤١٣ - ١٩٩٢م.

٨) الديلمي، ت ق ٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم.

٩) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، ت٤٠١ هـ، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٠) الريشهري، محمد، أهل البيت في الكتاب والسنة، دار الحديث، ١٣٧٥ ش.

١١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، ١٤١٦هـ.

١٢) السبحاني، جعفر، الأئمة الإثني عشر، مصادر سيرة النبي والأئمة.

١٣) السبحاني، جعفر، الأقسام في القرآن الكريم، مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ.

١٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

١٥) الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ.

١٦) الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد، ت ٣٨٥هـ، المحيط في اللغة، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٧) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش.

١٨) ابن طولون، شمس الدين محمد الحنفي، الأئمة الاثنا عشر، بلا تاريخ وطبعة.

١٩) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، (تحقيق الخرسان)، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ.

٢٠) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ١٤١٥ هـ.

٢١) الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول، قم، ١٤٢٠ هـ.

٢٢) المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠٠٨.

٢٣) العاملي، ابن حاتم، الدر النظيم، مصادر سيرة النبي والأئمة.

٢٤) العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة.

٢٥) المجلسي، العلّامة، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م.

٢٦) القزويني، لطيف، رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ، مصادر التاريخ.

٢٧) القمي، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الأسوة، قم، ١٤١٤هـ.

٢٨) محجوب، عباس، التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٨٠م.

٢٩) المحمودي، نهج السعادة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٣٠) المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، دار محبي الحسين، طهران، ١٤١٩ هـ. ق.

٣١) موسى، حسين يوسف، الإفصاح في فقه اللغة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٠ هـ.

٣٢) مؤسسة كاشف الغطاء العامة، الدليل، ١٤٠٠هـ.

٣٣) الهلالي، سليم بن قيس كتاب سليم بن قيس الهلالي، الهادي إيران؛ قم ١٤٠٥هـ.

٣٤) اليوسفي الغروي، محمود، آيات الأنوار في فضائل النبي وآله الأطهار عليهم السلام، دار النشر إسلام، قم المقدسة، ١٤١٣ هـ. ق.

٣٥) اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مؤسسة الهادي ـ قم، ربيع الثاني ١٤١٧هـ.

البحث السادس عشر

حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

في تأصيل الحكم الرشيد

دراسة تحليلية

أ. د. وليد عبد الحميد خلف

جامعة الكوفة/ كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الملك، والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير المبعوث هادياً للعالمين ورحمة، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين.

يرى البعض أن مقولة «الحكم الرشيد» من مقولات عصر ما بعد الحداثة، وأنها استجابة فكرية واعية لتحديات أنظمة الحكم الاستبدادية، وممارساتها الأنانية التعسفية حول العالم، وتداعياتها السلبية في واقع الحياة بما في ذلك انتهاكات حقوق الإنسان، والفساد الإداري والمالي، وإعاقة التنمية بجميع أبعادها، ونحو ذلك من سلبيات الحكم اللارشيد.

ومعلوم أنه منذ أن تشكل المجتمع البشري على هذه الأرض ظهرت السلطات الحاكمة، وتكونت أنظمة الحكم، وتبلورت إشكاليات العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ولكن مما يؤسف له حقاً أن يصبح الحكم وسيلة تسلّط الحكام على المحكومين طيلة تاريخ البشرية، تسلّطاً استبدادياً تعسفياً في الأعم الأغلب، وتصارع الحكام وتنازعوا وتقاتلوا على مقاليد الحكم، وكان الثمن شقاء الإنسان على هذه الأرض، وتعاسته، فجرت الدماء بحاراً والدموع مدراراً، ووقعت الحوادث المريعة، وارتكبت المجازر الفظيعة، وامتلأت الأرض ظلماً وجوراً واضطهاداً، وخوفاً ومعاناة وآلاماً، وفقراً وعوزاً وحرماناً، وتعذيباً وقهراً وقمعاً.

وفي خضم كل ذلك جاء الوحي الإلهي بالحل الناجع الحقيقي، والذي فيه الخلاص من ويلات الحكم الجائر، ألا وهو «الحكم الرشيد»، وقد حمله الأنبياء وأوصيائهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إلى الناس كافة حكاماً ومحكومين،

فاستشعر الطغاة الخطر على أنظمة حكمهم الجائرة، فحاربوا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام واضطهدوهم، بل وقتلوهم تحت كل حجر ومدر.

واستشعرت البشرية أهمية الحكم الرشيد وضرورته في واقع الحياة، ونظّرت له النخب الواعية، وتدبرته عقول المفكرين، وخصوصاً في عصرنا هذا.

ولكن الحقيقة التي لا بد من تبيانها أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وقبل أكثر من أربعة عشر قرناً قد أصلوا أروع ما يتصوره الإنسان عن الحكم الرشيد، ويحلم به كل ذلك بمشروع شمولي تكاملي واقعي.

ولما كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام دور خاص في حمل هذا المشروع الريادي فكرياً، والتثقيف به معرفياً، والتمهيد لتطبيقه فعلياً، فقد كان هذا دافعاً للبحث في حركيته المباركة والتي تضمنت كل ذلك تأصيلاً رائعاً، في ظل معاناة شديدة من بطش الحكم الجائر الفاسد المفسد.

ولأهمية هذا الموضوع في عصرنا الحاضر آثرت خوض غمار البحث فيه، ولاستنطاق الحقيقة في كل ذلك، والبرهنة على فرضياته، فقد قسمته على المباحث الآتية، وبعد بذل الجهد، فقد جاء في حلته هذه، فإن أحسنت فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وإلا فعذري بذل مجهودي.

المبحث الأول: الحكم الرشيد وفقا لرؤية الأمم المتحدة والفلسفات المعاصرة:

وأخيراً بعد أن عانت البشرية من الاضطهاد والتعسف، والتنكيل والتعذيب، والقتل والتشريد، والحروب والمجاعات، والحرمان، والآلام، والمآسي بجميع صنوفها وأشكالها وميادينها، توصلت المؤسسات، والمنظمات الدولية بمفكريها ومنظريها في عصرنا هذا إلى نظرية «الحكم الرشيد» على أمل تطبيقها في واقع حياة الأمم والشعوب، للخلاص من كل تلك الفظائع؛ ولذا بدأت الحملة الدولية الراهنة للتثقيف بمقولة «الحكم الرشيد»، وتسويقها في بلدان العالم باستخدام جميع وسائل الاتصال والتواصل الحديثة، وبآليات التنفيذ المختلفة[١].

مفهوم الحكم الرشيد:

إذا كان الحكم ما تفعله الدولة بمعنى إدارة الدولة، فإن الحكم الرشيد ما يجب أن تفعله الدولة، ومع أن المفكرين والباحثين المختصين اتفقوا على ذلك إلا أنهم اختلفوا في تعريف الحكم الرشيد باختلاف رؤاهم وفلسفاتهم، وباختلاف أبعاد مفهوم الحكم الرشيد السياسية، والاقتصادية، والإنسانية[٢].

والحكم الرشيد موضوع إنساني؛ لأنه الحكم الذي يعزز ويدعم ويصون رفاه الإنسان، ويقوم على توسيع قدرات البشر، وخياراتهم، وفرصهم، وحرياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويسعى إلى تمثيل كافة فئات الشعب تمثيلاً كاملاً، وتكون مسؤولة أمامه لضمان مصالح جميع أفراد الشعب[٣].

---

(١) ينظر: د. برهان زريق، السلطة السياسية ومسألة الحكم الصالح الرشيد ، الناشر: وزارة الإعلام السورية، الطبعة الأولى، (دمشق، ٢٠١٦ م) : ص٢٩٠ وما بعدها .

(٢) ينظر: العجلوني: أ. د. محمد محمود، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية ـ بحث علمي منشور في المجلة العربية للإدارة والصادرة عن المنظمة العربية للتنمية الإدارية ـ جامعة الدول العربية، المجلد(٣٩)، العدد(٤)، (ديسمبر، ٢٠١٩): ص٤.

(٣) ينظر: العجلوني، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية: ص٥.

وفي رؤية الأمم المتحدة أن الحكم الرشيد: رسم السياسة العامة للدولة وعلاقاتها الداخلية والخارجية بما يحقق الاستقرار والأمن، والتخطيط للتنمية المستدامة الشاملة بما فيها التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وممارسة السلطة السياسية لإدارة شؤون المجتمع وموارده بمشاركة السلطات الثلاث ومؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص وفق ما هو مرسوم ومتفق عليه لتحقيق التطور والرفاهية والحياة الأفضل للإنسان(١).

أما وفق رؤية «البنك الدولي» فالحكم الرشيد أساس السياسات الاقتصادية الصحيحة، لأنه أسلوب ممارسة السلطة في إدارة الموارد الاقتصادية والاجتماعية للبلاد من أجل التنمية(٢).

ووفق رؤية منظمة الشفافية الدولية: أن الحكم الرشيد هو الغاية الحاصلة من تكاتف جهود كل من الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني ومختلف المواطنين في مكافحة ظاهرة الفساد، بداية من جمع المعلومات وتحليلها ونشرها لزيادة الوعي العام حول الظاهرة، وخلق آليات تمكن هذه الأطراف من القضاء على الظاهرة أو على الأقل التقليص منها(٣).

---

(١) ينظر: الأمم المتحدة ـ المفوضية السامية لحقوق الإنسان والحكم الرشيد، نبذة عن الحكم الرشيد، منشور على موقع «الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي» الرابط: https://www.ohchr.org/AR/Issues/Development/GoodGovernance/Pages/AboutGoodGovernance.aspx) .

(٢) ينظر: العجلوني، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية: ص٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: البابلي: د. نبيل، الحكم الرشيد الأبعاد والمعايير والمتطلبات، الناشر: المعهد المصري للدراسات، (إسطنبول، يناير ٢٠١٨ م) : ص٢ .

أركان ومقومات الحكم الرشيد:

لقد وضعت المؤسسات والمنظمات الدولية أركانا ومقومات للحكم الرشيد، هي: (المشاركة، والشفافية، والمسائلة والمحاسبة، والفاعلية، وحسن الاستجابة، وسيادة الحقوق والقانون، والمساواة والاندماج الاجتماعي، والرؤية الاستراتيجية)[1].

ولهذه المبادئ والمقومات أهمية كبيرة، يمكن إيجاز بعضها بما يأتي:

١ ـ إن مشاركة المواطنين في صنع وتنفيذ السياسات العامة يعزز الاندماج الاجتماعي، ويحول من دون اتساع نطاق التهميش على أسس سياسية، واقتصادية واجتماعية، وتضمن المشاركة الجماهيرية استمرار السياسات لفترة طويلة، كما أن المشاركة تساعد على ترشيد المصالح المتناقضة، والتوصل إلى صيغة للصالح العام تحقق رغبات قطاعات عريضة من المجموع الشعبي.

٢ ـ إن الشفافية بمعنى الانفتاح، وحرية تداول المعلومات العلنية المتعلقة بإدارة موارد الدولة، والمرتبطة بالمسائلة تحقق النزاهة العامة في الواقع.

٣ ـ إن المسائلة سواء كانت رأسية يمارسها المواطن عبر صندوق الانتخاب، أو كانت أفقيه تمارسها الهيئات الرقابية المعنية تؤدي إلى توضيح جوانب القضايا العامة، ونشر المعلومات المتصلة بها على الملأ، فتتعمق الشفافية، وتتحقق النزاهة.

٤ ـ بسيادة حكم القانون يصبح المواطنون جميعاً أمامه سواء بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الدين أو العرق أو الوضع الاجتماعي، أو المركز السياسي، وفي ظل حكم القانون تتحقق المصلحة العامة والخاصة وتتم المحافظ عليهما، ودفع عجلة التقدم والاستثمار والرفاهية والازدهار إلى أمام.

---

(١) ينظر: المدونة العلمية «ستار شمس»، الحكم الرشيد (مفهوم، أهمية، معايير، مكونات، معوقات)، منشور على موقع (شمس) (الرابط: https://www.starshams.com/) .

٥ ـ إن الرؤية الاستراتيجية والفاعلية وحسن الاستجابة تجعل الدولة قادرة على إدارة الموارد العامة بكفاءة عالية علماً أن الاستخدام الكفوء للموارد العامة يحتاج إلى العلم بالسياسات والقواعد التي تخدم الصالح العام، وتدريب الجهاز الإداري المعني بتنفيذ تلك السياسات في مختلف المجالات المهنية التخصصية، ولا بد في كل ذلك من الالتزام بتحقيق الصالح العام[١].

وبناء عليه لا يتحقق الحكم الرشيد وفق رؤية «برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» إلا بممارسة قيادات سياسية منتخبة وكوادر إدارية ملتزمة بتطوير موارد المجتمع وبتقدم المواطنين وبتحسين نوعية حياتهم ورفاهيتهم وبرضاهم عبر مشاركتهم ودعمهم[٢].

ضرورة الحكم الرشيد وأهميته:

تتجلى ضرورة الحكم الرشيد وأهميته بأمور، أهمها:

١ ـ ارتباط الحكم الرشيد ارتباطاً عكسياً بالفساد،، فإذا حل الحكم الرشيد انخفض مستوى الفساد، وإذا غاب الحكم الرشيد حل الفساد بأشكاله وتجلياته المتنوعة، سواء أكان فساداً نظامياً من قمة الهرم إلى أسفل وبأنه آلية لتسيير الحياة السياسية أو الإدارية أو الاقتصادية، أم كان فساداً محدوداً في نطاقه بأنه سلوك شخصي للأفراد العاملين في المجال العام أكثر مما يعبر عن ممارسة عامة مستقرة.

٢ ـ إذا غاب الحكم الرشيد لا يحل الفساد فقط، بل تهدر الموارد أيضاً، فلن تبنى البنية الأساسية للوطن؛ لأن الموارد توجه حينئذٍ لمصالح الفاسدين، وتنحرف

---

(١) ينظر: سامح فوزي، الحكم الرشيد (الموسوعة السياسية للشباب ـ ١٩)، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (القاهرة، ٢٠٠٧ م) : ص٣٧ وما بعدها .

(٢) ينظر: زغيشي: مصطفى، دور الحكم الراشد في تجسيد العدالة الانتقالية ـ أطروحة دكتوراه ، جامعة باتنه الحاج لخضر، (الجزائر، ٢٠١٩ ـ ٢٠٢٠ م) : ص٢٠٩ .

القرارات المتعلقة بالإنفاق العام لتتجه إلى مشاريع لا تخدم المواطنين، أو تذهب لأغراض غير إنتاجية وبلا جدوى للمواطن.

٣ ـ إذا غاب الحكم الرشيد يحل المشروع الشخصي الأناني محل المشروع العام الجماعي، ويجري تحويل الموارد العامة إلى الخزائن الخاصة، وما يترتب على ذلك من نهب المال العام، والهروب من المجتمع، وتعطيل النظام القانوني، وسيادة المال وحكم الساسة.

٤ ـ إذا غاب الحكم الرشيد تركزت السلطة في شخص الحاكم وفي أيدي حاشيته وبطانته دون مشاركة غيرهم فيها، يستغلونها في تحقيق مصالحهم الخاصة وإشباع رغباتهم بشراهة في حكم شمولي استبدادي، وليصبحوا في حصانة مطلقة فوق القانون، بلا خضوع لمسائلة ولا رقيب ولا حسيب.

وكل ذلك يؤدي إلى تزايد معدلات الإحباط الاجتماعي، والعنف السياسي، وإخفاق التنمية، بل ويؤدي إلى انهيار الدولة ذاتها، ومن هنا نفهم ضرورة الحكم الرشيد وأهميته، وبه يتحقق استكمال بناء الدولة الحديثة على أساس حكم القانون والمسائلة والمشاركة والحريات والإدارة الكفوء للموارد العامة، وقبل ذلك الالتزام بتحقيق الصالح العام سواء من قبل الحكومة أو الأفراد في المجتمع [١].

والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن الحكم الرشيد ضرورة ملحة في المجتمع البشري لأهميته الاستراتيجية؛ لأنه بمختلف أبعاده شرط أساس لتحقيق التنمية البشرية وتحسين مستويات المعيشة، وذلك من خلال إيجاد البيئة السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية اللازمة لتحقيق تطلعات ورغبات الشعوب التواقة للحرية، والعدالة الاجتماعية التي تعتمد على الشفافية والمشاركة والمسائلة وسيادة حكم القانون، وذلك من خلال وجود مؤسسات ذات كفاءة وفعالية تستجيب

(١) ينظر: سامح فوزي، الحكم الرشيد: ص٤٢ وما بعدها .

لاحتياجات المجتمع بجميع فئاته [١].

ولكل ذلك؛ ولأن الحكم الرشيد المنشود حكم يهدف من بين أمور أخرى إلى إقامة العدل الذي لا استثناء معه والحرية التي لا ازدواجية فيها فإنه يصبح واجب التطبيق في واقع حياة الإنسان [٢].

(١) ينظر: د. عادل جار الله معزب، الحكم الرشيد والتنمية البشرية في البلاد العربية، الناشر: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، (برلين، ٢٠٢٠ م): ص١٣ .

(٢) ينظر: البابلي، الحكم الرشيد الأبعاد والمعايير والمتطلبات: ص١٣ .

المبحث الثاني: حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأسيس للحكم الرشيد:

من المعلوم أن مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام مشروع واحد لا اختلاف فيه أبداً، وأن لكل منهم حركيته في واقع الحياة بحسب الظروف المحيطة به ومجريات الأمور، وأن الإمام اللاحق يكمل مسيرة الأئمة الذين سبقوه [1]؛ ولذا فإن مشروعهم عليهم السلام في الحكم الرشيد مشروع واحد منذ أن أرسى قواعده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى تطبيقه بتمامه وكماله على يد الإمام المهدي المنتظر الحجة ابن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهم السلام.

ولكن لحركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأسيس للحكم الرشيد خصوصية خاصة لظروفها العصيبة من جهة، ولميزته وشخصيته عليه السلام من جهة ثانية، ولماهية حركيته من جهة أخرى، مما اقتضى إيجاز البحث في مطلبين:

المطلب الأول ـ ظروف حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام وميزته وشخصيته:

أولا ـ ظروف حركيته عليه السلام: إن الظروف المحيطة بحركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبسبب الحكم اللارشيد القائم حينها، كانت ظروفاً عصيبةً ومعقدةً وحرجة للغاية؛ لأن السائد في عصره عليه السلام:

١ ـ الاضطراب السياسي والصراع على السلطة، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ سيطرة الأتراك على السلطة سيطرة فعلية بعد أن ازداد نفوذهم وقويت شوكتهم، بأن أصبحوا قادة الجيش وولاة الأمصار، وأصحاب القرار، ولكنهم أبقوا على الحكام العباسيين حكاماً شكليين، يقتلون من شاءوا منهم كقتلهم «المتوكل»

---

(١) ينظر: الشفتي: السيد أسد الله محمد باقر الجيلاني (ت: ١٢٩٠ هـ)، الإمامة، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة مسجد حجة الإسلام الشفتي في أصفهان، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١١ هـ): ص٧ وما بعدها.

و«المهتدي»، ويخلعون من شاءوا كخلعهم المعتز والمؤيد ابني المتوكل من ولاية العهد، كما استولوا على بيوت الأموال واختلسوا خزينة الدولة كما يحلو لهم [١].

ب ـ صراع الحكام العباسيين الفاسدين وتقاتلهم على السلطة، كقيام «المنتصر» العباسي في سنة (٢٤٧ هـ) وبالاتفاق مع جماعة من الأمراء بقتل أبيه «المتوكل» العباسي ووزيره «الفتح بن خاقان» والاستيلاء على السلطة [٢]، وكخلع «المستعين» العباسي من الخلافة في سنة (٢٥٢ هـ)، ثم قتله بعد ذلك[٣].

ت ـ انفصال أقاليم الدولة العباسية، واستقلال الولاة بالسلطة الفعلية فيها، وإعلان التمرد والعصيان الشعبي وأعمال الشغب والفتن والقتل، وظهور الحركات المسلحة المتطرفة، كحركة صاحب الزنج، وحركة الخوارج الشراة[٤].

٢ ـ تفشي الأمراض والأوبئة الفتاكة التي راح ضحيتها الآلاف المؤلفة من الناس في بغداد وسامراء وواسط وغيرها[٥].

---

(١) ينظر: الكعبي: علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ: ص١٤ .

(٢) ينظر: ابن الطقطقي: أبو جعفر محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت: ٧٠٩ هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي، الطبعة الأولى، (حلب، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م): ص٢٣٤ .

(٣) ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، الناشر: دار التراث، الطبعة: الثانية، (بيروت، ١٣٨٧ هـ): ٩ / ٣٤٨ وما بعدها .

(٤) ينظر: ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م): ٦ / ١١٧ وما بعدها .

(٥) ينظر: اليعقوبي: أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، الناشر: دار صادر، الطبعة السادسة، (بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م) : ٢ / ٥١٠ .

٣ ـ سياسات البطش والتنكيل والقهر والتقتيل والتشريد والتضييق، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ تعرض أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وشيعته إلى السجن المشدد والتعذيب الذي عبر عنه العلماء والمؤرخون بـ «ضيق الحبس، وكلب القيد»(١)، وقد اعترف بذلك وزير العباسيين «عبيد بن خاقان» بقوله مخاطباً أخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام «جعفر» بما نصه: «إن السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يتهيأ له ذلك»(٢).

ب ـ الجرائم والفظائع والمجازر التي ارتكبها والي العباسيين على قم الطاغية الشرير «موسى بن يحيى» حينما اضطهد شيعة الإمام العسكري عليه السلام، ونشر الظلم فيهم والبغي عليهم (٣).

٤ ـ مع أن إيرادات خزينة الدولة العباسية حينها كانت أموالاً طائلة إلا أنها لم تكن تنفق فيما ينبغي أن تنفق فيه كالصحة والتعليم والتنمية وغيرها، بل كانت تذهب إلى جيوب الحكام العباسيين ووزرائهم والمتنفذين وأعوانهم، يستأثرون بها وينفقونها بإسراف وتبذير في شؤونهم الخاصة وعلى ملذاتهم وشهواتهم ومجالس اللهو والغناء

---

(١) ينظر: المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (ت: ٣٤٦ هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، (قم المقدسة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م): ص٢٤٩ .

(٢) الطبرسي: أمين الإسلام الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، (قم المشرفة، ١٤١٧هـ) ٢ / ١٣٥: ٢ / ١٤٩ .

(٣) ينظر: القرشي: الشيخ باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وتحليل، الناشر: دار الكتاب الإسلامي: ص٢٠٦ .

والمجون ونحوها [١]، وقد تركوا وراءهم الأموال المكدسة من الدنانير والذهب واللؤلؤ والياقوت ونحوها [٢].

ومما يجدر ذكره أن من مظاهر الفساد المالي ظاهرة الإسراف في إنفاق الأموال الطائلة على الشعراء الذين يمدحون الحكام العباسيين ووزرائهم وأعوانهم، فمثلاً قيل عن المتوكل العباسي: «ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطى المتوكل»، ومن أمثلة ذلك أنه أغدق الأموال الطائلة على الشاعر «مروان بن أبي الجنوب» حتى أثرى فخاطب المتوكل بقوله:

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فأجابه المتوكل بقوله: لا أمسك حتى يغرقك جودي [٣].

ومما يجدر ذكره أن الفساد المالي قد بلغ ذروته في تلك الحقبة التاريخية حتى أنه أصبح سلوكاً لا يمكن تجاوزه، فمثلاً عندما حاول وزير المستعين العباسي «أبو صالح محمد بن يزداد» ضبط أموال خزينة الدولة شرع الأمراء بمحاولات قتله علانية فهرب طالباً النجاة [٤].

---

(١) ينظر: ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، (القاهرة، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م): ص١١٨ وما بعدها .

(٢) ينظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م): ١١ / ٥ وما بعدها .

(٣) ينظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م): ص٢٧٦ .

(٤) ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص٢٣٩ .

لقد أدى كل ذلك إلى أمور خطيرة وكارثية على الأمة من أهمها:

أولاً: كراهية الناس الشديدة للحكام الفاسدين [١]، وغضبهم العارم على السلطة الجائرة [٢].

ثانياً: الأزمات والركود الاقتصادي، فازداد الفقراء فقراً، والحكام والمتنفذون ثراء فاحشاً حيث تركزت الثروات بيد العباسيين والمتنفذين في بلاطهم وحواشيهم يهدرونها ويبددونها في الترف والبذخ، والناس يعانون الفقر والفاقة وغلاء المعيشة وارتفاع الأسعار أضعافاً مضاعفة فتدهورت الأوضاع تدهوراً خطيراً أدى إلى حدوث الفتن والاضطرابات [٣].

٥ـ اندلاع الثورات الشعبية: لكل تلك الأسباب، ولبلوغ فساد السلطة العباسية الحاكمة وأعوانها والمتنفذين فيها حداً مهولاً يمثل من بين أمور أخرى تراكمات وتداعيات الفساد المتنامي نمواً هائلاً منذ أن غصبت الخلافة الإسلامية وأصبحت ملكاً عضوضاً، فقد اندلعت الثورات الشعبية في مختلف أرجاء البلدان الإسلامية، وقد تزعم الطالبيون كثيراً منها[٤]، ولعل من أسباب ذلك تجاوز السلطات العباسية على المقدسات الإسلامية وعلى رموز المسلمين، كما فعل المتوكل العباسي حينما أمر بهدم مرقد الإمام الحسين عليه السلام وهدم ما حوله، فعم الاستياء والغضب الشعبي مدينة بغداد، حتى كتب أهاليها شتم المتوكل على الحيطان، والمساجد، وهجاه الشعراء[٥].

وفي خضم كل ذلك نهض الإمام الحسن العسكري عليه السلام بأعباء الإمامة الكبرى

---

(١) ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٨٩ .

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ١١ / ٧ .

(٣) ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٩٩ وما بعدها .

(٤) ينظر: الكعبي: علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ: ص٢٦ .

(٥) ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٧٥ .

بجميع أبعادها ومسؤولياتها وعمره الشريف اثنان وعشرون سنة؛ ولأن الإمامة منصب إلهي نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أمور الدين والدنيا[١]، فإن مشروع الحكم الإلهي الرشيد منوط بالإمام، وبما أنه عليه السلام إمام ذلك الزمان فلا بد أن يقوم بأمرين خطيرين:

الأول: مواجهة الحاكم الفاسد، والتصدي للحكم الجائر، ومحاولة تصحيح مسيرة الأمة؛ لأنه عليه السلام صاحب مشروع «الحكم الرشيد» على وفق ضوابط الوحي الإلهي، ومن بين أمور أخرى كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يمثل الجبهة المعارضة للحكم العباسي التي كانت تنعى على الحكام العباسيين الفاسدين وأعوانهم مظالمهم وفسادهم وابتعادهم عن الحق والعدل والهدى، واستبدادهم بثروات الأمة وسرقتهم لأقواتها، واتخذ عليه السلام ألوان المعارضة الممكنة، وقد وقف إلى جانب الفقراء والمحرومين الذين كانوا يعانون الضيق والبؤس بسبب نهب ثروات الأمة[٢].

الثاني: التمهيد لمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحكم الرشيد والذي سوف يتولى تطبيقه في مشارق الأرض ومغاربها ولده الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، تمهيداً عقدياً ونفسياً واجتماعياً، والتثقيف به تثقيفاً استثنائياً، إلى حد أن تتهيأ الأمة بأفرادها وجماعاتها إلى القيام بكامل المسؤولية للمشاركة فيه مهما طال الزمن.

ثانيا ـ ميزته عليه السلام في التأسيس للحكم الرشيد: مما امتاز به الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن غيره، أن حباه الله تعالى والد المصلح الفعلي والحاكم الرشيد الحقيقي في مستقبل البشرية المشرق، بعد أن تتأهل الأمة لتطبيق مشروع الحكم الرشيد تطبيقاً تكاملياً شمولياً، وبأن يكون إمام زمان شاع فيه الفساد والصراع والفتن وعم

(١) ينظر: الميلاني :السيد علي الحسيني، الإمامة في أهم الكتب الكلامية وعقيدة الشيعة الإمامية، الناشر: منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١٣ هـ): ص٢٢ .

(٢) ينظر: القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٢٠٠ .

الاضطراب والدمار والخراب، وقد ترتب على ذلك أمران:

الأول ـ قيام السلطات العباسية الحاكمة الفاسدة وأجهزتها القمعية باضطهاد الإمام عليه السلام بأساليب متعددة، كالتضييق وفرض الإقامة الجبرية عليه، وسجنه في طوامير السجون، ومحاولات اغتياله والتخلّص منه مراراً وتكراراً[١]، منها: الأمر الذي أصدره «المعتز العباسي» إلى «سعيد الحاجب» بأن يخرج الإمام عليه السلام إلى الكوفة فيقتله في الطريق إليها، ولكن الله تعالى انتقم من «المعتز» فخلع بعد ثلاثة أيام من ذلك وقتل قبل تنفيذ أمره هذا[٢]، ولاحقاً اضطهد «المهتدي العباسي» الإمام العسكري عليه السلام فسجنه ثم قرر قتله، ولكن شاء الله تعالى أن يقتل الأتراك «المهتدي العباسي» سنة (٢٥٦ هـ) قبل تنفيذ جريمته باغتيال الإمام عليه السلام، وأخيراً تمكن «المعتمد العباسي» من اغتيال الإمام الحسن العسكري عليه السلام حينما دس له سماً قاتلاً[٣]، فاستشهد وهو في ريعان الشباب، إذ كان عمره الشريف ثمان وعشرون سنة[٤].

الثاني ـ حماية ورعاية ولده مصلح البشرية عجل الله تعالى فرجه الشريف وحاكمها المستقبلي الرشيد، وفقاً لاستراتيجية دقيقة تجمع بين إخفائه عن أعين السلطات الحاكمة، والتي سخّرت جميع إمكانياتها للقضاء على أمل الأمة في الخلاص المنشود بعد تيقنها من أن الإمام

(١) ينظر: الكنعاني: د. نغم حسن، المواقف السياسية للأئمة الاثني عشر عليهم السلام، الناشر: الراصد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م): ص٣١٩.

(٢) ينظر: ابن شهرآشوب: أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة: د. يوسف البقاعي، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م): ٤ / ٤٦٤.

(٣) ينظر: الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢/ ١٣١، القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٢٦٧.

(٤) ينظر: المفيد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، (قم، ١٤١٣ هـ): ٢ / ٣٣٦.

الموعود عليه السلام سوف يطيح بعروش الجبابرة الظلمة، مما توجب إبعاده عن أجهزتها الاستخبارية والقمعية من جهة، وإظهاره لأعيان الأمة ونخبها وتعريف شيعته به، وبأحواله وشؤونه، وتبشريهم بدوره الإنقاذي مستقبلاً من جهة أخرى.

ومن الوسائل التي استخدمها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تلك المرحلة العصيبة أسلوب الدعاء للتعبير عن آلام الأمة وآمالها وهمومها ومعاناتها، بما في ذلك الأوضاع السياسية الخطيرة السائدة في عصره، والتي قلبت المعايير الاجتماعية، ونسفت القيم والمبادئ، وأضرت بالأمة حين انتشرت الفتن المروعة، واستولى السفلة والمجرمون على السلطة، فعطلوا الأحكام، وأذلوا الناس، ونهبوا الأموال، وغيّروا معالم الدين، وأحالوا حياة الأحرار والمصلحين إلى جحيم لا يطاق، وقد كشف الإمام عليه السلام في أدعيته التي عجزت السلطات عن طمسها عن عظيم الألم الذي يجيش في صدره من الحكم الفاسد كل هذا مع البشرى بالخلاص في يوم الخلاص على يد ولده الحاكم الرشيد في مستقبل الأيام، فمما جاء في بعض دعائه عليه السلام: «اللهُمَّ: وَقَدْ شَمَلَنَا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا غَشْوَةُ الْحَيْرَةِ، وَقَارَعَنَا الذُّلُّ وَ الصَّغَارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنَا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكَ، وَابْتَزَّ أُمُورَنَا مَعَادِنُ الْأَبْنِ مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ، وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ، وَإِفْسَادِ بِلَادِكَ.

اللهُمَّ: وَقَدْ عَادَ فَيْئُنَا دُولَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ، وَإِمَارَتُنَا غَلَبَةً بَعْدَ الْمُشُورَةِ، وَعُدْنَا مِيرَاثاً بَعْدَ الِاخْتِيَارِ لِلْأُمَّةِ، فَاشْتُرِيَتِ الْمَلَاهِي وَالْمَعَازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ، وَ حَكَمَ فِي أَبْشَارِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ، وَوَلِيَ الْقِيَامَ بِأُمُورِهِمْ فَاسِقُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، فَلَا ذَائِدٌ يَذُودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ، وَلَا رَاعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، وَلَا ذُو شَفَقَةٍ يُشْبِعُ الْكَبِدَ الْحَرَّى مِنْ مَسْغَبَةٍ، فَهُمْ أُولُو ضَرَعٍ بِدَارٍ مَضِيعَةٍ، وَأُسَرَاءُ مَسْكَنَةٍ، وَخُلَفَاءُ كَآبَةٍ وَذِلَّةٍ.

اللهُمَّ وَقَدِ اسْتَحْصَدَ زَرْعُ الْبَاطِلِ، وَبَلَغَ نِهَايَتَهُ، وَاسْتَحْكَمَ عَمُودُهُ، وَاسْتَجْمَعَ طَرِيدُهُ، وَخَذْرَفَ وَلِيدُهُ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ.

اللهُمَّ: فَأَتِحْ لَهُ مِنَ الْحَقِّ يَداً حَاصِدَةً تَصْرَعُ قَائِمَهُ، وَتَهْشِمُ سُوقَهُ، وَتَجُبُّ سَنَامَهُ، وَتَجْدَعُ مَرَاغِمَهُ، لِيَسْتَخْفِيَ الْبَاطِلُ بِقُبْحِ صُورَتِهِ، وَيَظْهَرَ الْحَقُّ بِحُسْنِ حِلْيَتِهِ.

اللهُمَّ: وَلَا تَدَعْ لِلْجَوْرِ دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا، وَلَا جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا، وَلَا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَّقْتَهَا، وَلَا سَرِيَّةَ ثِقْلٍ إِلَّا خَفَّفْتَهَا، وَلَا قَائِمَةَ عُلُوٍّ إِلَّا حَطَطْتَهَا، وَلَا رَافِعَةَ عَلَمٍ إِلَّا نَكَّسْتَهَا، وَلَا خَضْرَاءَ إِلَّا أَبَرْتَهَا.

اللهُمَّ: وَكَوِّرْ شَمْسَهُ، وَحُطَّ نُورَهُ، وَاطْمِسْ ذِكْرَهُ، وَارْمِ بِالْحَقِّ رَأْسَهُ، وَفُضَّ جُيُوشَهُ، وَارْعَبْ قُلُوبَ أَهْلِهِ.

اللهُمَّ: وَلَا تَدَعْ مِنْهُ بَقِيَّةً إِلَّا أَفْنَيْتَ، وَلَا بِنْيَةً إِلَّا سَوَّيْتَ، وَلَا حَلْقَةً إِلَّا قَصَمْتَ، وَلَا سِلَاحاً إِلَّا أَكْلَلْتَ، وَلَا حَدّاً إِلَّا فَلَلْتَ، وَلَا كُرَاعاً إِلَّا اجْتَحْتَ، وَلَا حَامِلَةَ عَلَمٍ إِلَّا نَكَسْتَ.

اللهُمَّ: وَأَرِنَا أَنْصَارَهُ عَبَادِيدَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ، وَشَتَّى بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَمُقْنِعِي الرُّؤُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَى الْأُمَّةِ.

اللهُمَّ: وَأَسْفِرْ لَنَا عَنْ نَهَارِ الْعَدْلِ، وَأَرِنَاهُ سَرْمَداً لَا ظُلْمَةَ فِيهِ، وَ نُوراً لَا شَوْبَ مَعَهُ، وَاهْطِلْ عَلَيْنَا نَاشِئَتَهُ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا بَرَكَتَهُ، وَأَدِلْ لَهُ مِمَّنْ نَاوَاهُ، وَانْصُرْهُ عَلَى مَنْ عَادَاهُ.

اللهُمَّ: وَأَظْهِرِ الْحَقَّ، وَأَصْبِحْ بِهِ فِي غَسَقِ الظُّلَمِ، وَبُهَمِ الْحَيْرَةِ، اللهُمَّ وَأَحْيِ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ، وَالْآرَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاغِبَةَ، وَأَرِحْ بِهِ الْأَبْدَانَ اللَّاغِبَةَ الْمُتْعَبَةَ... اللهُمَّ: وَالدَّاعِي إِلَيْكَ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبَادِكَ، الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ، الْمُحْتَاجُ إِلَى مَعُونَتِكَ عَلَى طَاعَتِكَ، إِذْ ابْتَدَأْتَهُ بِنِعْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُ أَثْوَابَ كَرَامَتِكَ، وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ مَحَبَّةَ طَاعَتِكَ، وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَحَبَّتِكَ، وَوَفَّقْتَهُ لِلْقِيَامِ بِمَا أَغْمَضَ فِيهِ أَهْلُ زَمَانِهِ مِنْ أَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُ مَفْزَعاً لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ، وَنَاصِراً لِمَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرَكَ، وَمُجَدِّداً

لِمَا عُطِّلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ، وَمُشَيِّداً لِمَا رُدَّ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَ آلِهِ سَلَامُكَ وَصَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ.

فَاجْعَلْهُ اللهُمَّ فِي حِصَانَةٍ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ، وَأَشْرِقْ بِهِ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ بُغَاةِ الدِّينِ، وَبَلِّغْ بِهِ أَفْضَلَ مَا بَلَّغْتَ بِهِ الْقَائِمِينَ بِقِسْطِكَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّينَ...»[1].

إن هذا الدعاء الجليل من أهم الوثائق السياسية الحافلة بما عانته الأمة في عصر الإمام العسكري عليه السلام من الظلم والاضطهاد والجور، وما يتوخاه لهم من إقامة العدل السياسي والاجتماعي على يد ولده الحاكم الرشيد عجل الله فرجه الشريف والذي سيكون حكمه الحق المحض [2].

ثالثاً ـ شخصيته عليه السلام الحركية في التأسيس للحكم الرشيد:

ترتبط حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأسيس للحكم الرشيد بأمرين مهمين:

الأول: شخصيته الفذة، والتي كان لها حضور فاعل في الساحة رغم قمع السلطات الحاكمة وبطشها، لكونه عليه السلام الفرد الأكمل بشهادة أعدائه واعتراف مضطهديه قبل غيرهم، فكان فاعلاً بحكمة وحنكة، مؤثراً بفاعلية وروية، مغيّراً بهدوء وقناعة حتى أجمع الناس في عصره على تعظيمه والاعتراف له بالفضل والتفوق على جميع العلويين والعباسيين، بل وكان الحكام العباسيون والوزراء وقادة الجيش مع شدة عداوتهم له يهابونه ويعظمونه ويعترفون بفضله إجلالاً واحتراماً، ومن الشواهد على ذلك:

---

(١) ابن طاووس: السيد جمال العارفين علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني الحلي (ت: ٦٦٤ هـ): مهج الدعوات ومنهج العنايات، الناشر: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، الطبعة الأولى، (طهران، ١٤٣٠ هـ): ص٩٢ وما بعدها .

(٢) ينظر: القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٢١٣ .

١ ـ شهادة عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت: ٢٦٣ هـ)، والذي كان وزيراً للحاكمين العباسيين المتوكل والمعتمد بقوله: (لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس، ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا ـ يشير إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ فإن هذا يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه)[١].

٢ ـ شهادة أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت: ٣٠٧ هـ)، والذي كان عامل الخراج والضياع في كورة قم، وابن وزير المعتمد العباسي، والمعروف بنصبه وعداوته لأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومع كل هذا قال في مجلس عام سنة (٢٧٨ هـ): (ما رأيت، ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء والعامة)[٢].

٣ ـ شهادة سجّانه «صالح بن وصيف» حينما أعلن عجزه أمام شخصية الإمام العسكري عليه السلام العظيمة بقوله للحكام العباسيين الذين أوصوه بتشديد التضييق على الإمام عليه السلام، بقوله معترفاً بعجزه: «وما أصنع وقد وكّلت به رجلين من أشر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم»[٣].

---

(١) الصدوق: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم المقدسة، ١٤٠٥ هـ): ص٧١ .

(٢) الفتال النيسابوري: الحافظ أبو علي محمد بن الحسن بن علي (ت: ٥٠٨ هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: غلام حسين المجيدي ومجتبى الفرجي، الناشر: دليل ما، الطبعة الثانية، (قم المقدسة، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م): ١ / ٥٦١ .

(٣) الكليني: ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ / ٩٤١ م)، أصول الكافي،

الثاني: قيام الإمام الحسن العسكري عليه السلام بحمل المنهج التنظيري والتطبيقي الذي أعلنه آباؤه أئمة أهل البيت عليهم السلام على أتم وجه، لإرشاد الأمة إرشاداً معرفياً عقدياً واعياً، وإعدادها إعداداً إيمانياً تربوياً لتكون قادرة على تحمل مسؤوليتها إيجابياً في التهيئة لمشروع الحكم الرشيد المأمول وإرساء دعائمه، بفاعلية وشراكة حقيقية، ومن خصائص منهج الإمام العسكري عليه السلام في ذلك تهيئة الأمة نفسياً واجتماعياً، وذلك بترسيخ الإيمان في قلوب المؤمنين، وزيادتهم وعياً وبصيرة، ليكونوا صالحين مصلحين للمساهمة في تحقيق الإصلاح الذاتي والعام على الصعيدين الفردي والمجتمعي، إنطلاقاً من مبدأ «انتظار الفرج» انتظاراً إيجابياً، وتسليحهم بسلاح «الصبر» في مواجهة الأهوال والخطوب والشدائد، وليكون كل فرد منهم أصلب من الجبل لا تحركه عواصف الدهر، صامداً أمام طغيان الجبابرة، يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام في رسالته إلى الفقيه الكبير أبي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي: «عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي، يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر...»[1].

ومما يجدر ذكره أن العمل بهذه الوصية تكليف شرعي في عصر الغيبة، وحتى ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ليحكم حكماً رشيداً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورا، فكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام بحق الممهد المباشر لذلك.

منشورات الفجر، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م): ١ / ٣٢٨ .

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٥٩ .

المطلب الثاني ـ ماهية حركية الإمام العسكري عليه السلام:

تتجلى ماهية حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأسيس للحكم الرشيد من جهات:

الأولى ـ حمل تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتبيانه ونشره، وتثقيف الأمة به، بكل ما تتطلبه هذه المسؤولية الرائدة من: إعداد وتدريب، وتعليم النخب العلمية وأعلام الأمة، للقيام بدورهم الريادي في دراسة، وتفهم هذا التراث العظيم، ونشره معرفياً بجميع أبعاده، والإفادة منه في تصحيح المفاهيم، وتعليم الأمة، والتصدي للانحرافات الفكرية، ورد الشبهات [١].

وبلغت ذروة ذلك عندما نصبه الله تعالى إماماً لبريته، بعد ما بلغه الإمام علي الهادي عليه السلام: بقوله: «يا بني أحدث لله شكراً، فقد أحدث فيك أمراً»[٢]، وكانت مسؤولية الإمام الحسن العسكري عليه السلام المحافظة على رؤى الأئمة عليهم السلام في الوجود، والكون والحياة والإنسان بما في ذلك مشروعهم في الحكم الرشيد كما هو، والتصدي لمحاولات تشويهه وطمس معالمه ومحوه، ولما كان هذا الأمر يتطلب إعداداً خاصاً وقبولاً من الأمة، فقد أوصى الإمام علي الهادي عليه السلام المقربين إليه ليبلغوا الأمة قوله: «أبو محمد ابني أصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي عنه فاسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه»[٣].

---

(١) ينظر: المجلسي: الشيخ محمد باقر الإصفهاني (ت: ١١١١هـ) / بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الثانية ـ مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م): ٢٦ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤، و: ٥٠ / ٢٤٧ وما بعدها .

(٢) المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ص٢٣٧.

(٣) المفيد، الإرشاد: ٢ / ٣١٩ .

الثانية ـ مجاهدة الحكم الفاسد المفسد بالوسائل السلمية، وأهمها التطبيق التام لمبدأ «التقية» بمفهومه الإيجابي وبفلسفته الحركية، ومن ذلك قوله عليه السلام لمحمد بن عبد العزيز البلخي: «إنما هو الكتمان أو القتل، فاتق الله على نفسك»[١] وحتى أمر عليه السلام أصحابه بقوله: «ألا لا يسلمنَّ عليَّ أحد، ولا يشير إليَّ بيده، ولا يومئ أحدكم، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم»[٢] علماً أن هذا لا يعني التخلي عن مجاهدة الحكام الفاسدين، بل هو تكتيك مرحلي بوعي تام، محدود بحدوده تحت تأثير تحديات الظروف السياسية، وفي هذا النصوص أيضا دلالة على:

أ ـ معرفة الإمام عليه السلام التفصيلية والدقيقة بتحركات الحكم الفاسد ضد حركيته المباركة، وضد الأتباع المخلصين حَمَلَة مشروع الحكم الرشيد.

ب ـ تبيان فساد الحكم الفاسد للأمة وتعريته أمام أنظارها، وإعلام الجمهور وتثقيفهم به بجميع الوسائل المتاحة ببعديها القولي والسلوكي، مع تحمل الأهوال والصعاب والتضحية والمحن والخطوب، لأن هذا الجانب من حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام منازلة للحكم العباسي الجائر، وإطاحة بمشروعيته المزعومة، ومقارعة لتسلط الأتراك الاستبدادي وتحكم الظلمة بالأمة ومقدراتها، وتزييف لمواقف النفعيين والوصوليين، وتفنيد لمواقف وعاظ السلاطين.

الثالثة: إسعاف الناس الذين يعانون شظف العيش نتيجة الفساد المالي للحكم الفاسد وقيامه بهدر المال العام وإنفاقه على رجال السلطة الحاكمة في شؤونهم

---

(١) الإربلي: أبو الحسن بهاء الدين عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت: ٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: علي آل كوثر، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، طبعة دار التعارف، (بيروت، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م): ٤ / ٩٤.

(٢) الراوندي: الشيخ قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، التحقيق والنشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، (قم المشرفة، ١٤٠٩ هـ): ١ / ٤٣٩.

الشخصية، بل وفي ترفهم ومجونهم وحفلاتهم، حيث اتبع الإمام الحسن العسكري عليه السلام لرفع معاناة الناس جميع الوسائل المتاحة، بما فيها تفعيل دور النخب الرسالية الواعية في المجتمع للنهوض بواقع الأمة في المجالات الممكنة، كجباية الأموال الشرعية وإعادة توزيعها على مستحقيها توزيعاً عادلاً، لتحقيق الرفاه الاقتصادي لأبناء الأمة حتى في المناطق البعيدة كجرجان على سبيل المثال، والتي كان من نخبها والواسطة بينهم وبين الامام عليه السلام جعفر بن الشريف الجرجاني[1].

الرابعة ـ الابتعاد عن المعارضة السياسية التي تسعى لتحقيق أهدافها الخاصة ومصالحها الضيقة ونيل مكاسبها المادية بعيداً عن الرشد والحق والهدى، ومن جهة أخرى النأي عن الحركات المسلحة غير الملتزمة بالحاكمية الإلهية، والمترتب على عدم التزامها هذا اقتراف المظالم والمفاسد، مما يؤدي إلى المزيد من مآسي الأمة وويلاتها، كنفي الإمام الحسن العسكري عليه السلام وانكاره ادعاء علاقة صاحب الزنج بأهل البيت عليهم السلام بقوله: «صاحب الزنج ليس من أهل البيت»[2]، وفي هذا دلالة على أن حركية أئمة أهل البيت السياسية في إقامة الحكم الإلهي الرشيد لتحقيق صلاح العباد وعمارة البلاد بالوسائل والآليات المنضبطة بالقيم والمبادئ الإسلامية السامية، لا بهدف المعارضة المسلحة لتولي الحكم والتسلط على رقاب الناس، كما هي حقيقة حركة صاحب الزنج الذي ادعى زوراً وبهتاناً الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام.

الخامسة: الإشراف المباشر على إعداد الكوادر المؤهلة (الوكلاء ونخب الأتباع)

---

(١) ينظر: ابن حمزة: الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي (ت: ٥٦٠ هـ)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، (قم المقدسة، ١٤١٩ هـ): ص٢١٤ وما بعدها .

(٢) الجزائري: السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي (ت: ١١١٢ هـ)، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م): ٢ / ٥٠٢ .

لتحمل مسؤولية العمل المناهض للحكم الفاسد الجائر، وتبيان فساده وجوره للأمة، وتزييف ادعاءات مشروعيته بالدليل والحجة والبرهان، ولكن بسرية وخفاء مع دقة التنظيم واعتماد الوسائل السلمية المتاحة، كل ذلك في ظرف رهيب وعصيب وفي ظل رقابة مشددة من السلطة الحاكمة، فمن الشواهد على ذلك توجيه الإمام العسكري عليه السلام أحد أتباعه «داود بن الأسود» بقوله: «وإذا سمعتَ لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرتَ بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرِّفه من أنت، فإننا ببلد سوء، ومصر سوء، وامض في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا، فاعلم ذلك»[1].

لقد عمل الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تلك الظروف العصيبة والمعاناة الرهيبة في حركيته المباركة على الحفاظ على النخبة الصالحة من الأمة في أصعب الظروف وأشدها قساوة مع حثها على أداء دورها المأمول بحكمة وروية وهدوء وتعقل.

وحققت جهود الإمام عليه السلام في ذلك أهدافها، فكانت الكوادر التي أعدها عليه السلام على قدر تحمل مسؤولياتها المنوطة بها، ودقة حركيتها في العمل الرسالي المطلوب، فكانوا ينظمون اجتماعاتهم لتدارس آليات تنفيذ أوامر الإمام العسكري عليه السلام، والالتزام التام بتوجيهاته على أنها خارطة طريق لهم، فمما ذكر بشأن ذلك ما رواه علي بن جعفر الحلبي، قال: (اجتمعنا بالعسكر، وترصّدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه.....)[2].

السادسة ـ التثقيف بهدوء والإعداد المباشر للحكم الرشيد الحقيقي والذي

(١) البحراني: السيد هاشم بن سليمان الكتكاني الموسوي (ت: ١١٠٧ هـ)، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١٣ ه): ٧ / ٦٤٣ .

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح: ١/ ٤٣٩ .

سيتحقق في نهاية المطاف مهما طال الأمد في دولة ولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، والذي سوف يتميز بمميزات منها:

١ ـ الإطاحة بحكومات الجبارين المستكبرين، ودكّ عروش الفاسدين المفسدين، وتقويض نفوذ النفعيين والوصوليين.

٢ ـ إقامة دولة الأمن والأمان والاطمئنان، والرفاه والرخاء والاستقرار، فلا ظلم فيها ولا جور، ولا فتن ولا دسائس، ولا صراع ولا نزاع.

٣ ـ تحقيق العدالة الاجتماعية التامة الشاملة المطلقة حتى يعم العدل والإحسان والخير، مما يؤدي إلى وحدة النسيج الاجتماعي على مبادئ الأخوة والمحبة والألفة.

٤ ـ تنمية الموارد الطبيعية على أفضل وجه، وتقسم الموارد المالية على الجميع بالتساوي دون تمايز، أو استئثار حتى يستغني جميع الناس فلا يبقى محتاج أبدا.

٥ ـ تحرير السلطة القضائية من المؤثرات البشرية، وتكون أحكامها بالدين الخالص، فيعاد لكل صاحب حق حقه، ولا يصيب أحدا ظلم، ولا ينال إنسانا حيف.

٦ ـ التكامل الإيماني، والرقي العلمي، والعمق المعرفي، والوعي الفكري، والنضج العقلي، والتألق الإبداعي [1].

---

(١) ينظر: جعفريان: رسول / الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، الناشر: دار الحق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م): ١ / ٢٤٦ وما بعدها، الموسوي: ياسين، أضواء على دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الناشر: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الثالثة، (النجف الأشرف، ١٤٢٨ هـ): ص٧١ وما بعدها، الهديبي: حبيب إبراهيم / الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ملتقى سنن الأنبياء عليهم السلام وخصائص الدولة الكريمة، الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م): ص٣, ١ وما بعدها، العذاري: سعيد كاظم / معالم الحكومة في عهد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، الناشر: منصف، الطبعة الأولى، (طهران، ١٣٨٣ ه ش): ص١١١ وما بعدها .

ولا شك في أن هذا هو الحكم الرشيد في تاريخ البشرية فعلاً وقولاً، مفهوماً وفلسفةً، حقاً وصدقاً، لا ما يدعيه المدعون.

المبحث الثالث: فلسفة الحكم الرشيد وفقا لحركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

والحقيقة التي يجب بيانها أن «الحكم الرشيد «مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ أن أرسى قواعده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بناء على ما أصله الوحي الإلهي وأسسه رسول الله صلى الله عليه وآله تنظيرا وتطبيقا في دولته الكريمة، فأما تنظيرا فشواهده كثيرة أهمها مضامين «نهج البلاغة «بما فيها عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه، وأما تطبيقا فمصاديقه كثيرة وثقتها المصادر والمراجع المعتمدة في مقدمتها كتب التاريخ والسير والتراجم والحديث، ونهض بفحواه الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حركيته الميمونة.

إن مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم السياسية لم تكن طلبا للسلطة أبدا، ولا لتحقيق أي مكسب شخصي، بل لإعلاء حاكمية الله تعالى في أرضه، ولتحقيق الإصلاح الحقيقي في العالم، والعدالة التامة المطلقة في المجتمع البشري، وسيادة القانون الإلهي على الجميع بلا استثناء ولا حصانة، وقد عبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بقوله: «اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ»[1]، ولا شك أن ذلك هو الحكم الرشيد بتمامه وكماله.

لقد سبق مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحكم الرشيد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بأكثر من ألف وأربعمائة عام منذ أن أعلنه الإمام أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام على رؤوس الأشهاد، وكان محوراً من محاور حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في عصر عرف

(١) نهج البلاغة: ص٣٠٥.

باستمرارية الحكم الفاسد وتعاقب الطغاة في التسلط على قيادة الأمة، ويمكننا تبيان أهم معالم ذلك بما يأتي:

أولًا ـ الحكم لا بد أن يكون رشيداً، وإلا لم يكن حكماً مأمولاً متناسباً مع إنسانية الإنسان وفلسفة الاستخلاف في الأرض، ولكان الحاكم غير الرشيد جائرا (أي ظالما لنفسه قبل أن يكون ظالما لغيره)؛ لأنه قد استولى على السلطة التي ليست له ولا هو كفؤ لها فظلم نفسه وظلم الناس، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «دَوْلَةُ الْأَوْغَادِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْجَوْرِ وَالْفَسَادِ»(١).

ثانياً ـ الحكم مسؤولية تكليفية لا مناصب تشريفية قائم على فلسفة دقيقة ترتبط بوجود الإنسان، ومسؤوليته ودوره في الحياة، وللحكم أهداف وبرامج وغايات، فالحكم تنمية مستدامة للإنسان كل إنسان، وللموارد بأجمعها على أساس الحق والعدل والإنصاف والكرامة الإنسانية، وهذا ما شدد عليه، وأكده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ: حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا (أي على وُجُوهها) السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ»(٢).

ثالثاً: لما كان للحكم الرشيد فلسفة حضارية وقيم نبيلة في مشروع أئمة أهل

(١) الآمدي: القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت: ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م)، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: المصطفى الدّرايتي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، لا . ت): ص٣٤٧.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٠٩ .

البيت عليهم السلام الريادي، فلا بد أن يكون قائماً على:

١ ـ إقامة الحق ودفع الباطل في كل زمان ومكان مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال لأن ذلك من ثوابت حياة الإنسان المرتبطة بوجوده، وأروع تعبير عن ذلك ما رواه عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ بقوله: «دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ ؟ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا، فَقَالَ عليه السلام: وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا»[١]، ويقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «ما ترك الحق عزيز إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز».

٢ ـ سيادة الإنصاف: وهو رعاية العدالة والمساواة بين الأشخاص أو الجهات في تأدية ما لهم من الحقوق [٢]، وهذا من مقومات الحكم الرشيد وفقا لمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام فجعلوه فرضاً إلزامياً للأمة بأفرادها وجماعاتها، ومن أمثلة ذلك الأمر الصادر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ونصه: «وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ»[٣]، والإنصاف للناس جميعا بلا فرق، ولا تمييز تنفيذاً لأمره عليه السلام «عَامِلْ سَائِرَ النَّاسِ بِالْإِنْصَافِ، وَعَامِلِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِيثَارِ»[٤]، بل والزيادة على ذلك بالتحلي بمكارم الأخلاق على قاعدة: «العَفوُّ عمّن ظَلَمَك، وصِلَةُ مَن قَطَعَك، وإعطاءُ مَن حَرَمَك، وقَولُ الحقِّ وَلَو عَلَى نَفسِك»[٥].

---

(١) نهج البلاغة: ص١٣٠ .

(٢) ينظر: المصطفوي: الميرزا حسن بن الشيخ محمد رحيم التبريزي (ت: ١٤٢٦ هـ)،لتحقيق في كلمات القرآن الكريم، الناشر: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، الطبعة الأولى، (طهران، ١٣٨٥ هـ ش): ١٢ / ١٦١ .

(٣) نهج البلاغة: ص٦٤٤ .

(٤) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٩٤ .

(٥) الطبرسي: ثقة الإسلام الشيخ أبو الفضل علي بن الشيخ رضي الدين (ت: أوائل القرن السابع

وعند تطبيق مبدأ الإنصاف في الحياة السياسية والاجتماعية يتم القضاء على الخلاف بين الناس ويسود الوئام والانسجام بين الأفراد والأمم والشعوب، وهذا أحد أهداف الحكم الرشيد السامية، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الْإِنْصَافُ يَرْفَعُ الْخِلَافَ وَيُوجِب الِائْتِلَاف»(١)

٣ ـ مكافحة الظلم والقضاء عليه بجميع الوسائل الممكنة والآليات المتاحة، وهذا ما ألزم به أئمة أهل البيت عليهم السلام الأمة جميعا بأفرادها وجماعاتها، فالكل من موقعه ملزم بتنفيذ ذلك حتى جاء في آخر ما أوصى به الإمام أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: «وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»(٢)، وهي وصية التزم بها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حركيته قولاً وفعلاً، مع تأكيده على تحذير الإمام الصادق عليه السلام الأمة بقوله: «الْعَامِلُ بِالظُّلْمِ، والْمُعِينُ لَه، والرَّاضِي بِه، شُرَكَاءُ ثَلَاثَتُهُمْ»(٣)، ويقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «ما أحد ظلم وبغى فأفلح، الويل لمن أخذته أصابع المظلومين»(٤).

الهجري)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، الناشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١٨): ص٣٨١ .

(١) الواسطي: الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي (القرن السادس الهجري)، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسني البيرجندي، الناشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٣٧٦ هـ ش): ص٢٦ .

(٢) العلوي: أبو طالب الإمام يحيى بن الحسين بن هارون الزيدي العلوي (ت: ٤٢٤ ه)، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، رتبه على الأبواب: القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام الزيدي (ت: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، (صنعاء، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م): ص١٢٦ .

(٣) الكليني، أصول الكافي: ٢ / ١٩٢ .

(٤) الشامي: جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز المشغري العاملي (القرن السابع الهجري)، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،

وإذا كان الظلم تضييع الحدود والحقوق والتعدي والتقصير، فظلم النفس بالتقصير في تأدية حقوقها وإضاعتها ومنعها من بلوغ كمالها المنشود وإلحاق الضرر بها في الدنيا والآخرة، وأما ظلم الناس فبالتعدي عليهم وتضييع حقوقهم في أنفسهم وأهلهم وأموالهم وأعراضهم وجميع شؤونهم، وإلحاق الضرر والأذى بهم بالقول والفعل والسلوك والمواقف وغيرها [١].

وفي مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي حمله الإمام الحسن العسكري عليه السلام تبصير الناس بالمظالم وتنفيرهم منها، سواء أكانت المظالم ظلم النفس أم ظلم الغير ومن حيث: (المفهوم، والدوافع، والآثار، والنتائج)، وكان منهجه عليه السلام منهجا توعويا إرشاديا للنجاة من الظلم والظالمين، وعلى أساس مقولة جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا حَدَتْكَ الْقُدْرَةُ عَلَى ظُلْمِ النَّاسِ فَاذْكُرْ قُدْرَةَ الله سُبْحَانَهُ عَلَى عُقُوبَتِكَ، وَذَهَابَ مَا آتَيْتَ إِلَيْهِمْ عَنْهُمْ، وَبَقَاءَهُ عَلَيْكَ»[٢]، وقوله عليه السلام أيضا: «أُذْكُرْ عِنْدَ اَلظُّلْمِ عَدْلَ اَللهَّ فِيكَ، وَعِنْدَ اَلْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اَللهَّ عَلَيْكَ»[٣].

علما أن الظلم في مشروعهم عليهم السلام لا يقتصر على إلحاق الضرر والأذى بالإنسان بل يتعداه إلى إلحاق الضرر، والأذى بأي مخلوق كان، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَالله لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ»[٤].

الطبعة الثانية، (قم المقدسة، ١٤٣١ هـ): ص٧٤٩ .

(١) ينظر: المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٧ / ٢٠٥ وما بعدها .

(٢) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٧ .

(٣) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ص٧٧ .

(٤) نهج البلاغة: ص٥٣٠ .

٤ ـ تحقيق الإصلاح الحقيقي الفعلي: الإصلاح نقيض الإفساد، وهو من الصلاح ومعناه الخير والصواب، وهو ضد الفساد، سواء كان ذلك في الذات أم في القول والفعل والسلوك والموقف، ويتحقق الإصلاح برفع النقص والفساد عن الآراء والأخلاق والأقوال والأفعال والمواقف حتى لا يبقى فيها أي جهة فساد، وبما أن الصلاح والفساد نقيضان فإن الإصلاح ينتفي بتحقق الإفساد كما أن الإفساد ينعدم بوجود الإصلاح[١].

ولما كان الإصلاح من مبادئ حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تأصيل الحكم الرشيد فقد بيّن للأمة أساس نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام والتي أعلنها من قبل في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية بقوله عليه السلام: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَنْ قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومَنْ ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِين»[٢].

٥ـ ـ القضاء على الفساد الإداري والمالي: يتسع مفهوم الفساد الإداري والمالي ليشمل الكثير من الأعمال والانحرافات الوظيفية والمالية السلبية غير المشروعة التي يقوم بها عضو الجهاز الإداري الحكومي، من خلال الانحراف المتعمد في تنفيذ العمل الإداري الرسمي، واستغلال الوظيفة العمومية الممنوحة له، لتحقيق أهداف خاصة بعيدا عن المصلحة العامة، فالفساد الإداري تعبير عن الانحرافات والمخالفات الإدارية، والوظيفية، والفساد المالي تعبير عن الانحرافات المالية ومخالفة القواعد

(١) ينظر: المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٦ / ٣٢١ وما بعدها .

(٢) الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨ هـ) / مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي ، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة أنوار الهدى (قم، ١٤١٨ هـ : ١ / ٨٨ .

والأحكام التي تنظم سير العمل المالي [١].

وفي مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام للحكم الرشيد والذي تبناه الإمام الحسن العسكري عليه السلام التركيز على أمرين مهمين [٢]:

الأول: الحكم الشرعي بحرمة الفساد الإداري والمالي وحرمة الأموال والمنافع التي يجنيها الشخص الفاسد من هذا الفساد، والحكم عليه بوجوب التوبة الفورية وإعادة الأموال والحقوق إلى أصحابها الشرعيين من جهة وتحمله جميع المسؤوليات والتبعات المترتبة على فساده.

الثاني: الحكم الشرعي بوجوب مكافحة الفساد الإداري والمالي على الجميع (كل من موقعه وحسبه)، وحتمية اجتثاث الفساد المذكور من جذوره، ورفع آثاره السلبية، ومعالجة تداعياته.

يقول الإمام العسكري عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ أَصْلُه حَرَامٌ، ولَا يَحِلُّ اسْتِعْمَالُه»[٣]، وفي مشروعهم عليهم السلام منهج دقيق للقضاء على الفساد الإداري والمالي، أهم معالمه:

أ ـ تثقيف الأمة بعواقب الفساد الإداري، والمالي المهولة، وفي مقدماتها انهيار

(١) ينظر: د. قاسم علوان سعيد و د. سهاد عادل أحمد، الفساد الإداري والمالي (المفهوم ـ الأسباب ـ الآثار ـ وسائل المكافحة)، بحث علمي منشور في: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، الناشر: جامعة تكريت، المجلد (٦)، العدد (١٨)، (ربيع الأول/ ١٤٣٥ هـ ـ كانون الثاني / ٢٠١٤ م): ص٥ وما بعدها .

(٢) ينظر: النجفي: شيخ الفقهاء والمحققين الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر (ت: ١٢٦٦ هـ) / جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق وتعليق: الشيخ حيدر الدباغ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤٣٠ هـ): ٢٣ / ٢٦٠ وما بعدها .

(٣) الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ) / الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٣٨٠ هـ ش): ٣ / ٨٦ .

الحضارات، وسقوط الدول، وانتشار الخراب، وازدياد الطبقة الحاكمة ثراءً من السحت الحرام، وعموم الناس فقراً وفاقة وعوزاً وحرماناً، وهذا ما حدث فعلاً في عصر الإمام العسكري عليه السلام والذي تصدى له بواقعية في إطار حركيته المباركة، علماً أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد حذر من ذلك بقوله: «وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ»(١).

ب ـ التزام الحاكم الرشيد بوجوب حفظ الأموال العامة وعدم الاستئثار بها أو بشيء من حقوق الرعية (الشعب) من دون أي استثناء، ومهما كانت الظروف والملابسات والأحوال، ومن الشواهد الفعلية الحية في مشروعهم عليهم السلام ما عبّر عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ، أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظًى»(٢).

ت ـ تنفيذ الإصلاح الشامل تنفيذاً فورياً والقضاء على ظاهرة الفساد بقوة وشجاعة مهما كانت العقبات وعظمت التحديات، وقد بذل الإمام الحسن العسكري عليه السلام جهده وجهيده في ذلك حتى استشهاده، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ»(٣)، ولا يكون ذلك إلا

(١) نهج البلاغة: ص٦٥٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٧ .

بأفعال حقيقية منجزة فعلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعلى كل حاكم رشيد أن يقتدي به، وأهم هذه المنجزات [١]:

أولاً: مصادرة جميع الأموال التي استحوذ عليها الفاسدون وإعادتها بتمامها وكمالها إلى خزينة الأمة، حتى قال عليه السلام: «وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ»[٢].

ثانياً: تطهير أجهزة الدولة ومفاصل المجتمع من الفاسدين، وضربهم بيد من حديد بجميع الوسائل والآليات المتاحة كعزل الولاة الفاسدين.

ثالثاً: التطبيق الفوري للعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة على الجميع، وبما يحقق الرفاه الاقتصادي لجميع أفراد الأمة وتشييد حضارتها.

رابعاً: التصدي الحازم للفاسدين الذين يعملون جاهدين على إشاعة الفوضى والاضطراب ببسالة من دون خوف ولا وجل.

خامساً: الالتزام التام بحقوق الإنسان كالمساواة في الحقوق والواجبات والامتيازات والثروات وأمام القانون، والحرية السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.

سادساً: العمل الجاد والمثمر على تحقيق التآخي بين الجميع، ووحدة النسيج الاجتماعي، والتعايش الإنساني، وتربية الأمة، وتهذيب الفرد، ونشر الوعي، والعلم والمعرفة، والقضاء على الجهل والتعصب والأنانية.

ث ـ إبعاد كل من ثبت تورطه بالفساد عن أي منصب مستقبلاً عملاً بوصية

(١) ينظر: القرشي: الشيخ باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر، التوزيع: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، (١٤٢٢ هـ/ ٢٠٢٢ م): ١١ / ٢٦ وما بعدها .

(٢) نهج البلاغة: ص٩٧ .

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده للصحابي الجليل مالك الأشتر رضي الله عنه بقوله: «شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ»(١)، بل ويؤكد على حتمية معاقبة المفسدين، وليكونوا عبرة لغيرهم فلا يتجرأ أحد على اقتراف جرائم الفساد مستقبلاً بقوله عليه السلام: «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ»(٢).

(١) نهج البلاغة: ص٦٤٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص٦٤٨ .

المبحث الرابع: مسؤوليات الحكم الرشيد وضروریاته وفقا لحركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

إن لكل من الحاكم والحكم الرشيد في مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام مسؤوليات، وله ضروريات يتقوم بها، وكان ذلك عماد حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في إرساء دعائم الحكم الرشيد في المستقبل المأمول، ويمكن إيجاز ذلك في مطالب:

المطلب الأول ـ مسؤوليات الحكم الرشيد:

الحكم الرشيد وفقا لمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام: نظام مسؤول أمام الله تعالى، وبموجبه تكون السلطة والقيادة وظيفة لتحقيق سعادة الناس وخيرهم طبقا لما وضعه الله تعالى، وعليه لا يتسلم السلطة ولا يتبوأ القيادة إلا الأكمل الأصلح، يعاونه أصحاب الكفاءات والخبرات والمهارات والقدرات، ممن يتميزون بأعلى درجات النزاهة والعفة والانضباط، والمؤهلين من جميع الجهات على إدارة الدولة بمواردها ومفاصلها وشؤونها، لتحقيق التنمية والتقدم والازدهار والرفاه لجميع الناس، وبناء شراكة حقيقية بينهم في واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وضمان مصالحهم جميعا دون تمييز وبلا استثناء، وتحقيق متطلباتهم، وتلبية حاجاتهم، وسياستهم بالعدل والمساواة، وتمثيلهم تمثيلا حقيقيا فعليا.

إن مسؤولية الحكم الرشيد في هذا المشروع الريادي التصحيحي النهضوي مسؤولية تكليفية تشاركية مسؤولية الجميع بدءا بالأكمل وانتهاء بالأبسط، ويتشارك فيه الجميع)، تؤطره القيم الإنسانية النبيلة، وكما يأتي:

أ ـ أما كونها مسؤولية تكليفية؛ فلأن الحكم الرشيد تكليف إلهي ينهض به الفرد الأكمل الأعلم الأقدر المعصوم عن الخلل والزلل والنقص المتصف بصفات الكمال الإنساني، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ،

لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»[1].

ب ـ وأما كونها تشاركية؛ فلأنه يجب على جميع المكلفين المشاركة في الحكم الرشيد، كل من موقعه وبحسب مؤهلاته وقدراته، وفي مقدمتهم العلماء والخبراء الأكفاء، مشاركة تفاعلية كاملة بآليات، أهمها:

١ ـ مؤازرة الحاكم الرشيد وإعانته في شؤون الحكم، ومناقشته في القرارات السياسية والإدارية، بموضوعية وعلمية ومهنية وإخلاص، للتفهم والتدبر والتنفيذ بوعي وإدراك.

٢ ـ التناصح والتعاون بين جميع أفراد الشعب مهما كانوا، وبغض النظر عن انتماءاتهم وفروقاتهم الاجتماعية والطبقية والدينية والمالية.

٣ ـ الحرية التامة في الرأي والتعبير، وقول الحق، وتبيين الحقيقة في جميع الأمور والأحوال، وللجميع بلا استثناء.

جـ ـ وإما إطار الحكم الرشيد، فالقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي لا تنفك عن الفطرة الإنسانية، وتجمعها ثلاثية (الأبوة الرحيمة، والأخوة في العبودية لله، والمساواة في الإنسانية)، فبمجرد أن يتسلم الحاكم المعصوم الحكم يكون أباً رحيماً بشعبه، محباً لهم جميعاً، بلا تمييز ولا تفريق، لطيفاً بهم على حد سواء على اختلافهم وتعدد مكوناتهم، ويتحلّى معاونوه وجميع القائمين معه على الحكم الرشيد بالأخلاق الفاضلة وبالقيم النبيلة، بعد تنمية مهاراتهم في ذلك بالتعليم والتدريب، ولتصبح الفضيلة راسخة في أعماقهم، والأمانة والنزاهة والعدالة خلقاً ذاتياً لهم، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر رضي الله عنه: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَ الْمَحَبَّةَ

(١) نهج البلاغة: ص٨٧ .

لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[1].

ومما يجدر ذكره أن الحكم الرشيد وفق مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام مسؤولية استخلافية في الموارد المالية، وفي تنميتها، وانتفاع الأجيال بها، وفقا لمبدئي «الملكية المطلقة لله تعالى» و«الخلق عيال الله»، فالحاكم الرشيد ومعاونوه ملزمون بالعمل بمسؤولية استخلافية تكليفية على تحقيق الرفاه الاقتصادي للجميع بلا استثناء، وبما يحقق العدالة في التوزيع، وسد حاجات الناس الضرورية بلا تمييز، وبما يحقق القضاء التام على الفقر واجتثاثه في جميع أنحاء العالم، فلا يبقى محتاج ولا إنسان يعاني الفقر والعوز.

المطلب الثاني ـ مسؤوليات الحاكم الرشيد:

وفي مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام على الحاكم الرشيد النهوض بالمسؤوليات الآتية:

١ ـ التطبيق الشامل التام المطلق العام لأحكام الله تعالى في «الحكم، والحاكم، والمحكوم»، ويتساوى الحاكم والمحكومين أمام الحكم الإلهي على وفق مبدأ «العبودية المطلقة لله تعالى»، ولا حصانة لأحد أبداً ولا استثناء.

٢ ـ رعاية حقوق الأفراد والمساواة بينهم الأفراد واعطاء كل ذي حق حقه، والسعي لتلبية جميع احتياجاتهم المادية والروحية والفكرية والتربوية والتنموية وغيرها، وتحقيق رفاهيتهم وسعادتهم.

٣ ـ النصحية للأمة في الأقوال والأفعال والمواقف والقرارات والتوجيهات لتحقيق مصالح الفرد والمجموع.

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٤٣ .

٤ ـ الوضوح والصراحة مع الرعية (الشعب)، والتواصل المباشر والدائم معهم، والتواجد بينهم بلا قيود ولا موانع ولا وسائط.

٥ ـ عدم تخصيص أي امتيازات مالية للحاكم، بل أن يكون المستوى المعيشي للحاكم بالمستوى المعيشي لأدنى طبقات المجتمع.

٦ ـ التشدد في رفض الهدايا والمنح المالية من أي كان ومهما كان، ولأي مسؤول كان، ومن روائع ما أثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك:

أ ـ الحادثة التي بيّنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا (أي كرهتها) كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ أَصِلَةٌ ؟ أَمْ زَكَاةٌ ؟ أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَ لَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ، أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي، أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ (أفسده الشيطان) ؟ أَمْ ذُو جِنَّةٍ ؟ أَمْ تَهْجُرُ ؟»[1].

ب ـ لما بلغ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن واليه على البصرة «عثمان بن حنيف» قد لبى دعوة إلى وليمة فاخرة، لم يدع إليها إلا الأغنياء، أرسل إليه رسالة توبيخ شديدة اللهجة، يذكره فيها أنه إن كان يعتبر نفسه من أتباع علي، فإن علياً قد اكتفى من الدنيا بقدر الكفاف، ومما ورد في نص الرسالة: «أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ، فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَ

(١) نهج البلاغة: ص٥٣٠ .

سَدَادٍ... وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوَ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَأَكْبَادٌ حَرَّى؟.... أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ؟»[1].

المطلب الثالث ـ ضروريات الحكم الرشيد:

إن أهم ضروريات الحكم الرشيد والتي يتقوم بها وفقاً لمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يأتي:

١ ـ الالتزام التام بهدي الوحي الإلهي (القرآن الكريم، والسنة الشريفة).

٢ ـ العدل: حتى شبهه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عليه السلام بـ «السور الحامي»، بقوله: «مَا حُصِّنَ الدُّوَلُ بِمِثْلِ الْعَدْلِ»[2].

٣ ـ المهارات، وبُعد النظر، والقدرة على دقة التصرف في الأمور: يقول عليه السلام: «أماراتُ الدول إنشاء الحِيَلِ»[3].

٤ ـ اليقظة والانتباه: يقول عليه السلام: «مِنْ دَلَائِلِ الدَّوْلَةِ قِلَّةُ الْغَفْلَةِ»[4]، ويقول أيضا: «مِنْ أَمَارَاتِ الدَّوْلَةِ التَّيَقُّظُ لِحِرَاسَةِ الْأُمُورِ»[5].

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٢٧ وما بعدها .

(٢) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٠ .

(٣) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ص٧٠ .

(٤) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ .

(٥) المصدر نفسه: ص٦٧٨ .

٥ ـ وليكون الحكم الرشيد مشروعاً حقيقياً واقعياً لا بد أن يقوم على «التقوى» وإلا سيفشل كما فشلت المنظومات والمشاريع التي سبقته؛ لأن التقوى وحدها سبب تنمية الرقابة الذاتية للحاكم، ولتتحقق الأهداف السامية المأمولة، وأهمها:

أولاً ـ يكون الحاكم راشداً لشعوره بالمسؤولية لفعل الخير بجميع صوره وأبعاده، ودفع الشر بجميع أصنافه، والعمل بكل طاقاته على:

أ ـ الارتقاء بقدرات الدولة في مواجهة التحديات (كالإخفاقات، والأزمات، والجهل، والمرض، والفقر، والبطالة، والفساد) والاستجابة لاستحقاقات تنامي الوعي والمطالبات المجتمعية بالحقوق والحريات والعدالة الاجتماعية، وتحقيق الإصلاح والتنمية الشاملة.

ب ـ العمل على تجفيف منابع الفساد المالي والإداري بدفع وقوعه (أي باتخاذ جميع المستلزمات والوسائل لتأسيس بنيان الصلاح وللحيلولة دون حصول الفساد)، وبرفعه بعد الوقوع (أي باتخاذ جميع المستلزمات والوسائل لمكافحة الفساد المالي والإداري بمعالجة أسبابه ودوافعه ورفع آثاره ونتائجه، والحيلولة دون وقوعه مستقبلاً).

ثانياً ـ يكون حكمه رشيداً لتميزه بما يأتي:

أ ـ تنمية الشعور بالمسؤولية التكليفية، والمصير المشترك لتحقيق الإنسجام المجتمعي، وتقنين العلاقات الاجتماعية باتجاه الانسجام.

ب ـ تنفيذ رؤية إستراتيجية معلنة وواضحة في ضمان حقوق الجميع وحرياتهم والمساواة بين الناس وتحقيق العدالة والاستقرار السياسي والمجتمعي، وتوطيد الأمن، وتوفير الظروف المناسبة للاستثمارات، وتهيئة فرص العمل للجميع.

ت ـ العدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص، وجدلية الحقوق والواجبات، والمساواة التامة بين المواطنين كافة حكاماً ومحكومين، وخضوعهم جميعا للشفافية

والمسائلة، وتفعيل وتشجيع وتطوير كفاءاتهم ومهاراتهم في جميع ميادين الحياة، وليتشاركوا في بناء المجتمع وتعزيز سيادته وأمنه واستقراره ووحدة أراضيه.

ث ـ بلوغ العدالة التكاملية الشاملة: وذلك بتنظيم حقوق الحاكم على المحكومين، وحقوق المحكومين على الحاكم تنظيماً تفصيلياً دقيقاً، وكما بيّنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ»[1].

جـ ـ التفاهم والتحاور والاتفاق حول القرارات التي تهم الناس، وإقرارها بالحجة والبرهان لتحقيق المصلحة.

حـ ـ تحريم وتجريم خطاب الكراهية؛ لأنه مناف لمبادئ وثوابت الوحي الإلهي، والتطرف بجميع صوره وأصنافه ومجالاته؛ لأنه من وساوس الشيطان ونتائج الجهل والانقياد الى الهوى.

خـ ـ العمل بمبدأ التوافق لتسوية جميع الخلافات، والحوار الهادف البناء لتقريب وجهات النظر، بمشاعر الحب والرحمة واللطف والعدل والإنصاف.

د ـ ولبناء شراكة إنسانية حقيقية لا بد من تنمية مفهوم الأسرة البشرية الواحدة التي تربطها روابط أهمها «العبودية لله تعالى وحده»، وبذلك يتم بناء مجتمع دولي أخلاقي وفق مبادئ العدالة والسلام وحقوق الإنسان وكرامته، يسوده التعايش الآمن بين الأمم والشعوب، والمحبة والألفة بين الناس، وتحفظ فيه سلامة البيئة.

(١) نهج البلاغة: ص٥٠٨ .

خاتمة البحث ونتائجه:

نستنتج من مباحث ومطالب بحثنا هذا الأهمية العظيمة لحركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تأصيل الحكم الرشيد، والتي ينبغي الإفادة منها في عالمنا المعاصر ليحل الأمن والأمان، والوئام والسلام، والرفاه والتنمية في مشارق الأرض ومغاربها، وتوصلنا إلى النتائج الآتية:

١ ـ في ظروف عصيبة ومعاناة رهيبة من الحكم الجائر الفاسد، وفي خضم اضطراب أوضاع الأمة، والصراع على السلطة، والنزاع السياسي، والتمرد العسكري، ومعاناة الناس من الفقر والفاقة والمجاعة والأمراض والأوبئة الفتاكة، والقتل الفظيع، والموت الذريع، وتفشي الفساد الإداري والمالي والاجتماعي، وفي ظل كل ذلك نهض الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحكم الرشيد من بين جوانب الإصلاح الشامل العام.

٢ ـ امتازت حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأصيل للحكم الرشيد بأمور أهمها:

أ ـ شخصية الإمام عليه السلام الفذة باعتباره الفرد الأكمل في زمانه، والتي كان لها حضور فاعل في الساحة رغم قمع السلطات الحاكمة وبطشها، فعمل جاهداً على مواجهة الحاكم الفاسد، والتصدي للحكم الجائر، ومحاولة تصحيح مسيرة الأمة، بجميع الوسائل الناعمة.

ب ـ التمهيد لمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحكم الرشيد والذي سوف يتولى تطبيقه في مشارق الأرض ومغاربها ولده الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، تمهيداً عقدياً ونفسياً واجتماعياً، والتثقيف به تثقيفاً استثنائياً، إلى حد أن تتهيأ الأمة بأفرادها وجماعاتها إلى القيام بكامل المسؤولية للمشاركة فيه مهما طال الزمن.

٣ ـ إن مشروع الحكم الرشيد الذي حمله الإمام العسكري عليه السلام هو المشروع

الذي أصّله أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ أن أرسى قواعده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحتى تطبيقه بتمامه وكماله على يد الإمام المهدي المنتظر الحجة ابن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، وهو مشروع تكاملي ريادي للحكم الرشيد، مصدره الوحيد الوحي الإلهي (القرآن الكريم، والسنة الشريفة).

٤ ـ الحكم الرشيد وفقاً لمشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام: نظام مسؤول أمام الله تعالى، وبموجبه تكون السلطة والقيادة وظيفة لتحقيق سعادة الناس وخيرهم طبقاً لما وضعه الله تعالى، فلا يتسلمها إلا الفرد الأكمل الأصلح، يعاونه أصحاب الكفاءات والخبرات والمهارات والقدرات، ممن يتميزون بأعلى درجات النزاهة والعفة والانضباط، والمؤهلين من جميع الجهات على إدارة الدولة بمواردها ومفاصلها وشؤونها، لتحقيق التنمية والتقدم والازدهار والرفاه لجميع الناس، وبناء شراكة حقيقية بينهم في واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وضمان مصالحهم جميعا دون تمييز وبلا استثناء، وتحقيق متطلباتهم، وتلبية حاجاتهم، وسياستهم بالعدل والمساواة، وتمثيلهم تمثيلاً حقيقياً فعلياً، وبكل ذلك تتحقق دولة العدل الإلهي المنشود والاستخلاف المسؤول في نهاية التاريخ المأمول.

٥ ـ لقد سبق مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحكم الرشيد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي زمنياً بأكثر من ألف وأربعمائة عام، كما فاقه مضموناً وفلسفة وآثاراً في جوانب، منها:

أ ـ إذا كانت نظرية البرنامج الإنمائي مجرد نظرية يدعو إليها مفكروه، فإن مشروع الأئمة عليهم السلام قد تم تطبيقه فعلياً في واقع الحياة، ولكن تصدى له عُبّاد السلطة والمستأثرون بالأموال والنفعيون والوصوليون والمنافقون والمرجفون.

ب ـ إذا كانت نظرية البرنامج الإنمائي محكومة بالسياسات الدولية واستراتيجيات قوى القرار العالمية وهيمنة الحكومات العميقة لتصبح نظرية انتقائية

في الفلسفة السياسية، فإن مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام محكوم بالعبودية لله تعالى وحده، فلا ظلامية فيه، ولا مظلمة لأحد على أحد؛ لأن التقوى هي معيار الحكم الرشيد.

ت ـ إذا كانت نظرية البرنامج الإنمائي نظرية فيها نقص وقصور؛ لاعترافها بحصانة بعض المتنفذين وجعل الرقابة فيها لجهات بشرية تتأثر بالعوامل المختلفة، فإن مشروع أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحكم الرشيد مشروع تكاملي شمولي لا حصانة فيه لأحد كائناً من يكون، بل يتساوى فيه الجميع في المسؤولية والمساءلة بلا استثناء ولا تمييز، وبما أن واضعه الله تعالى وحامله المعصوم فلا نقص فيه ولا قصور، وفيه تتحقق العدالة بين الجميع من دون تمييز في توزيع الفوائد والأعباء، والحرص على الصالح العام.

المصادر والمراجع:

أولا ـ الكتب:

١ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة (وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، ضبط: علي بن محمد ابن السّكون، تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطار، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، الطبعة الأولى، (النجف الأشرف، ١٤٣٧ هـ).

٢ ـ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

٣ ـ الإربلي: أبو الحسن بـهاء الدين عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت: ٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: علي آل كوثر، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، طبعة دار التعارف، (بيروت، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م).

٤ ـ الآمدي: القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت: ٥٥٠هـ، ١١٥٥م)، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: المصطفى الدّرايتي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، (قم المقدسة،لا.ت).

٥ ـ البابلي: د. نبيل، الحكم الرشيد الأبعاد والمعايير والمتطلبات، الناشر: المعهد المصري للدراسات، (إسطنبول، يناير ٢٠١٨ م) .

٦ ـ البحراني: السيد هاشم بن سليمان الكتكاني الموسوي (ت: ١١٠٧ هـ)، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١٣ ه).

٧ ـ د. برهان زريق، السلطة السياسية ومسألة الحكم الصالح الرشيد، الناشر: وزارة الإعلام السورية، الطبعة الأولى، (دمشق، ٢٠١٦ م).

٨ ـ الجزائري: السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي (ت: ١١١٢هـ)، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م).

٩ ـ جعفريان: رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، الناشر: دار الحق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م).

١٠ ـ ابن حمزة: الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي (ت: ٥٦٠ هـ)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، (قم المقدسة، ١٤١٩ هـ).

١١ ـ الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨ هـ)، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة أنوار الهدى (قم، ١٤١٨ هـ).

١٢ ـ الراوندي: الشيخ قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، التحقيق والنشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، (قم المشرفة، ١٤٠٩ هـ).

١٣ ـ زغيشي: مصطفى، دور الحكم الراشد في تجسيد العدالة الانتقالية ـ أطروحة دكتوراه، جامعة باتنه الحاج لخضر، (الجزائر، ٢٠١٩ ـ ٢٠٢٠ م).

١٤ ـ سامح فوزي، الحكم الرشيد (الموسوعة السياسية للشباب ـ ١٩)، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (القاهرة، ٢٠٠٧ م).

١٥ ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ

الخلفاء، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،(بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م).

١٦ ـ الشامي: جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز المشغري العاملي (القرن السابع الهجري)، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية، (قم المقدسة، ١٤٣١ هـ).

١٧ ـ الشفتي: السيد أسد الله محمد باقر الجيلاني (ت: ١٢٩٠ هـ)، الإمامة، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة مسجد حجة الإسلام الشفتي في أصفهان، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١١ هـ).

١٨ ـ ابن شهر آشوب: أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة: د. يوسف البقاعي، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (بيروت، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م).

١٩ ـ الصدوق: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم المقدسة، ١٤٠٥ هـ).

٢٠ ـ ابن طاووس: السيد جمال العارفين علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني الحلي (ت: ٦٦٤ هـ): مهج الدعوات ومنهج العنايات، الناشر: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، الطبعة الأولى، (طهران، ١٤٣٠ هـ).

٢١ ـ الطبرسي: أمين الإسلام الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، (قم المشرفة، ١٤١٧هـ).

٢٢ ـ الطبرسي: ثقة الإسلام الشيخ أبو الفضل علي بن الشيخ رضي الدين (ت: أوائل القرن السابع الهجري)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي

هوشمند، الناشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١٨).

٢٣ ـ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، الناشر: دار التراث، الطبعة: الثانية، (بيروت، ١٣٨٧ هـ).

٢٤ ـ ابن الطقطقي: أبو جعفر محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت: ٧٠٩ هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي، الطبعة الأولى، (حلب، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م).

٢٥ ـ الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٣٨٠ هـ ش).

٢٦ ـ د. عادل جار الله معزب، الحكم الرشيد والتنمية البشرية في البلاد العربية، الناشر: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، (برلين، ٢٠٢٠ م).

٢٧ ـ العذاري: سعيد كاظم، معالم الحكومة في عهد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، الناشر: منصف، الطبعة الأولى، (طهران، ١٣٨٣هـ ش).

٢٨ ـ العلوي: أبو طالب الإمام يحيى بن الحسين بن هارون الزيدي العلوي (ت: ٤٢٤ ه)، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، رتبه على الأبواب: القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام الزيدي (ت: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، (صنعاء، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢ م).

٢٩ ـ ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى،

(القاهرة، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م).

٣٠ـ الفتال النيسابوري: الحافظ أبو علي محمد بن الحسن بن علي (ت: ٥٠٨ هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: غلام حسين المجيدي ومجتبى الفرجي، الناشر: دليل ما، الطبعة الثانية، (قم المقدسة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م).

٣١ ـ القرشي: الشيخ باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وتحليل، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

٣٢ ـ القرشي: الشيخ باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر، التوزيع: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، (١٤٢٢ هـ، ٢٠٢٢ م).

٣٣ ـ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م).

٣٤ ـ الكعبي: علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ.

٣٥ ـ الكليني: ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ، ٩٤١ م)، أصول الكافي، منشورات الفجر، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م).

٣٦ ـ الكنعاني: د. نغم حسن، المواقف السياسية للأئمة الاثني عشر عليهم السلام، الناشر: الراصد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م).

٣٧ ـ المجلسي: الشيخ محمد باقر الإصفهاني (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الثانية ـ مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م).

٣٨ ـ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (ت: ٣٤٦ هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة

والنشر، الطبعة الثالثة، (قم المقدسة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٦ م).

٣٩ـ المصطفوي: الميرزا حسن بن الشيخ محمد رحيم التبريزي (ت: ١٤٢٦ هـ)، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الناشر: مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي، الطبعة الأولى، (طهران، ١٣٨٥ هـ ش).

٤٠ ـ المفيد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، (قم، ١٤١٣ هـ).

٤١ ـ الموسوي: ياسين، أضواء على دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الناشر: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الثالثة، (النجف الأشرف، ١٤٢٨ هـ).

٤٢ ـ الميلاني:السيد علي الحسيني، الإمامة في أهم الكتب الكلامية وعقيدة الشيعة الإمامية، الناشر: منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٤١٣ هـ).

٤٣ ـ النجفي: شيخ الفقهاء والمحققين الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر (ت: ١٢٦٦ هـ)، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق وتعليق: الشيخ حيدر الدباغ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى قم المقدس ١٤٣٠ هـ.

٤٤ ـ الهديبي: حبيب إبراهيم، الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ملتقى سنن الأنبياء عليهم السلام وخصائص الدولة الكريمة، الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م).

٤٥ ـ الواسطي: الشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي (القرن السادس الهجري)، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسني البيرجندي،

الناشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، (قم المقدسة، ١٣٧٦ هـ ش).

٤٦ ـ اليعقوبي: أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، الناشر: دار صادر، الطبعة السادسة، (بيروت،١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م).

ثانيا ـ البحوث والمقالات:

١ ـ الأمم المتحدة ـ المفوضية السامية لحقوق الإنسان والحكم الرشيد، نبذة عن الحكم الرشيد، منشور على موقع «الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي»، الرابط:

ttps://www.ohchr.org/AR/Issues/Development/GoodGovernance/Pages/AboutGoodGovernance.aspx.

٢ ـ العجلوني: أ. د. محمد محمود، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية ـ بحث علمي منشور في المجلة العربية للإدارة والصادرة عن المنظمة العربية للتنمية الإدارية ـ جامعة الدول العربية، المجلد (٣٩)، العدد (٤)، (ديسمبر، ٢٠١٩).

٣ ـ د. قاسم علوان سعيد و د. سهاد عادل أحمد، الفساد الإداري والمالي (المفهوم ـ الأسباب ـ الآثار ـ وسائل المكافحة)، بحث علمي منشور في: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، الناشر: جامعة تكريت، المجلد (٦)، العدد (١٨)، (ربيع الأول، ١٤٣٥ هـ ـ كانون الثاني، ٢٠١٤ م).

٤ ـ المدونة العلمية «ستار شمس»، الحكم الرشيد (مفهوم، أهمية، معايير، مكونات، معوقات)، منشور على موقع (شمس)، الرابط:

https://www.starshams.com.

الفهرس

القانون والسياسة والتربية وعلم النفس ٥

البحث الأول: الإمام الحسن العسكري عليه السلام والتراكم التأريخي في الفكر الإسلامي – دراسة تأصيلية – ٧

البحث الثاني: إدارة التواصل مع الأمة عند الإمام العسكري عليه السلام ٣٩

البحث الثالث: الجوانب الحضارية في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام ... ٧٥

البحث الرابع: تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام بين الأصالة والتحريف .. ١١٣

البحث الخامس: الأثر الفكري والسياسي للإمام الحسن العسكري عليه السلام في التمهيد لإمامة الحجة المنتظر عليه السلام ١٥٩

البحث السادس: الخطاب القانونيّ عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام مقاربة سوسيو– لسانية ١٩٩

البحث السابع: الفكر التنموي عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٣٣

البحث الثامن: التنمية البشرية والإنماء المعرفي في موروث الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٦١

البحث التاسع: إدراج التراث الثقافي غير المادي لمدينة سامراء على القائمة التمثيلية لليونسكو ٢٨٩

البحث العاشر: الإمام الحسن العسكري عليه السلام مُعَلِّمَاً دراسة تحليلية في سمات

التفوق التربوي ٣٢٣

البحث الحادي عشر: الأبعاد التربوية في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام . ٣٥٣

البحث الثاني عشر: أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأثرها في اكتساب القيم التربوية الإسلامية ٣٨٥

البحث الثالث عشر: الأبعاد التربوية في مقولات الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٤٢٧

البحث الرابع عشر: قبسات من نور الإمام الحسن العسكري عليه السلام في رحاب التربية والأخلاق ٤٥٩

البحث الخامس عشر: التربية عند الإمامين العسكريين عليهما السلام ٤٩١

البحث السادس عشر: حركية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تأصيل الحكم الرشيد ـ دراسة تحليلية ٥٣٥